

مَوْسُو عَتْرَا

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ  
مِيرَا مَنَابِرِي

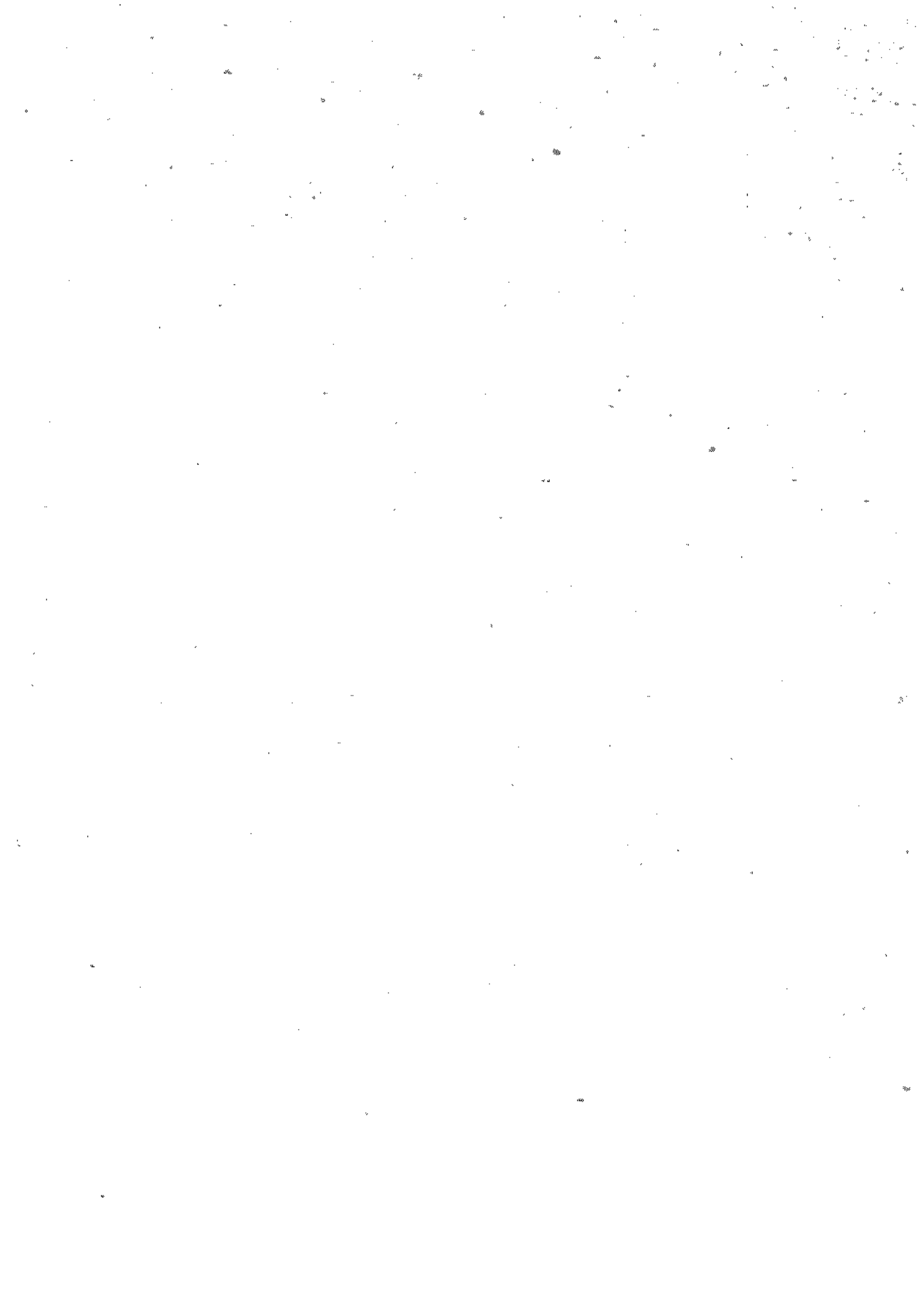
الْأَمِيرُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ

الجزء الثاني

أَصْحَابُ الْأَمَامِ عَلِيٍّ

تَأليف

السيد ناصر الحسيني الرضوي





موسى وعيسى  
عليه السلام

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ  
مِيرَ الْوَالِدِينَ


اللَّهُمَّ عَلِيٌّ بِلَدِّي طَهْرِي

الجزء الثاني

أَصْحَابُ الرُّمَامِ عَلِيٌّ

تَأليف  
السيد ناصر الحسيني الرضوي

## هوية الكتاب:

- اسم الكتاب: موسوعة امير المؤمنين الإمام علي بن ابي طالب  الجزء ٢
- المؤلف: السيد ناصر الحسيني الطيبي
- الناشر: المؤلف
- المطبعة: امير - قم
- الزنگراف: بيروت ٧١١٧٠٢
- الطبعة: الاولى ١٣٧٦ - ١٤١٨
- عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة
- السعر: ١٠٠٠ تومان



## بحران مولى علي بن أبي طالب عليه السلام

ومن أحفاد بحران أبو طالب هاشم بن الوليد بن خالد بن محمد بن

خالد بن بحران .

وهاشم أبو طالب هذا هو من أهل هراة من أهل الحديث قدم إلى «ما

بين النهرين» وحدث بها عن ابن عباس، وابن شميل، وغيرهما .

وحدث هاشم بسنده عن زر بن حبيش، عن عبد الله قال : قال رسول

الله صلى الله عليه وآله : «لعلكم تدركون قوماً يؤخرون الصلاة فإن

أدرکتهم ، فصلوا في بيوتكم للوقت الذي تعرفون ، وصلوا معهم واجعلوها

سبحة» .

قال القاضي الجعابي : . . . بحران مولى علي بن أبي طالب

عليه السلام ، مات هاشم أبو طالب الهروي سنة ١٤٠ هـ<sup>(١)</sup> .

### بديل بن ورقاء الخزاعي

كان من رجال خزاعة الكبار وذات النفوذ في المجتمع، وكانت أحياء خزاعة على مقربة من الحرم المكي، وكانت متعاطفة مع الاسلام، ومع النبي الكريم، ولهذه الظاهرة فإننا لا نجد اشتراك خزاعة مع مشركي قريش في حروبهم ضد النبي، بل كانت محايدة فلم تشترك في معركة من تلك المعارك ضد الاسلام.

### صلح الحديبية:

في شهر ذي القعدة من العام السادس من الهجرة خرج رسول الله صلى الله عليه وآله معتمراً نحو بيت الله الحرام لا يريد حرباً أو نصالاً ضد قريش، بل كانت نفسه الكريمة تهفو إلى بيت ربه، فساق معه الهدى، وأحرم بالعمرة ليعبر عن الاسلام الخالص، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وآله ٧٠٠ أو ١٤٠٠ مسلماً اعتمروا معه، وسمع المشركون من اهل مكة القرشيين، فهاجتهم هذه العمرة، وخرجوا بالسلاح والعتاد، والغضب والحقد ليصدوا رسول الله صلى الله عليه وآله عن بيت الله الحرام، وعن البلد الحرام، بلد آبائه وأجداده، وكان مع رسول الله عضيدته، وابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام.

وسمع بديل بن ورقاء، بمقدم صاحب الرسالة إلى بلده الكريم فخف إليه في نفر من أصحابه، والتقى به في وسط الطريق، وأنبأه بتحركات قريش الحاقدة، وقال للنبي صلى الله عليه وآله: «إن قريشاً قد نزلت على الحديبية، معها العوذ المطافيل، وإنهم صادوك عن البيت»<sup>(١)</sup>.

(١) ونسب هذه الكلمة لغير ابن ورقاء.

بدليل بن ورقاء الخزاعي ..... ٥

ولقد عبر ابن ورقاء عن استعارته هذه أفضل تعبير، «فالعوذ المطافيل»، العوذ: هي الابل الحديثة النتاج، والقريبة العهد بالمخاض والولادة.

والمطافيل: هي أولاد الابل. فهل عنى ابن ورقاء بكلمته هذه عن أن قريشاً حملت معها النساء مع أطفالها، حتى النساء اللاتي كن حديثات عهد بالمخاض والولادة تعبيراً عن الغضب والتحدي حتى إذا استطاع صاحب الرسالة أن يدخل البلد الحرام عبر حرب شعواء، فلا يكون فيها أحداً حتى النسوة الضعاف، وحتى تكون النساء المراضع أشد إثارة لقريش على الحرب والتحدي لله ولرسوله.

أو أن العوذ المطافيل يقصد بها الابل وأولادها من دون استخدام المجاز والاستعارة في التعبير حيث يقال: إن قريشاً لم تصحب معها النساء المراضع.

ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله تلك الكلمة قال: «يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب فإن أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين...»، فما تظن قريش فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله، أو تنفرد هذه السالفة».

ثم تسائل ابن ورقاء عن رحلة رسول الله صلى الله عليه وآله هذه فقال النبي صلى الله عليه وآله: «إنه لم يأت يريد حرباً، وإنما جاء زائراً للبيت ومعظماً لحرمة»، فرجع ابن ورقاء مع أصحابه إلى قريش، فقالوا لهم في لهجة ناصحة عاتبة على استفارها، ومعبرة عن اتجاه صاحب الرسالة: «يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد، إن محمداً لم يأت لقتال، وإنما جاء زائراً هذا البيت».

ولكن قريشاً الهانجة المستنفرة شككت في نوايا ابن ورقاء ورفاقه،

وكانت خزاعة وسيدها ابن ورقاء معروفة بالنصح للإسلام ولرسوله العظيم، لا تخفى عن الرسول عليه السلام شيئاً عن التحركات المشبوهة لقريش، وهكذا دعماً للإسلام ونضالاً في سبيله، ولقد كلفتها هذا الدعم، وهذه التضحية الكثير من التضحيات، بل وكانت أحد أسباب فتح البلد الحرام على العتاة المردة. إن الظروف والأجواء فرضت على العصاة القرشية ان تعقد هدنة مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولما حدثت الهدنة بين المسلمين وبين مشركي قريش في عام الحديبية كان هناك حلفاء دخلت متضامنة مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان هناك حلفاء دخلت في عقد قريش، فكانت خزاعة اختارت التحالف مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وانضمت في عقده، وهناك حلفاء وهو بنو بكر دخلوا في عقد قريش، وكان فيما شرطت قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله، وشرط لها: «أنه من أحب أن يدخل في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وعقده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدها دخل فيه».

وكان بين بني بكر وبين خزاعة حزازات في الجاهلية، فلما حدثت الهدنة الحديبية اغتتم بنو الدليل - وهم من فرع بني بكر - هذه الهدنة، وخاصة وأن خزاعة المتحالفة مع صاحب الرسالة هي بعيدة عن يثرب حيث موطن الاسلام، فهي في يد المتناول من الدليليين المتحالفين مع قريش، ثم ان قريشاً قريبة الدار من الدليليين فهي ستساعدهم وتشد ظهرهم، وكانت قريش لا تزال لم تنس تلك الدماء المشتركة التي أراقها الاسلام في ساحات المعارك اذن الجو سيكون في صالح الحلفاء الدليليين، ومن هذا المنطلق بيت الديليون والقريشيون الأمر فخرج الديليون حتى بيتوا خزاعة. وهم على «الوتير» ماء لهم، وقتل رجل من خزاعة، والتحمت المعركة بين الفريقين، وكانت خزاعة



آمنة لم تفكر قط في قتال، بل إن الهدنة أشاعت في نفوسها جواً من الطمأنينة والهدوء، فكانت مغتبطة بهذا التحالف.

كان الليل قد أسدل سدوله، وكان الحي يغط في نوم عميق، وكان لفيف من الناس قد أسلموا، وكانوا يتخفون باسلامهم عن القبائل المجاورة، فكانوا في ذلك الليل المظلم يصلون لربهم، ويتهجدون لخالقهم العظيم، فهم ما بين راعع وساجد، وكان السمار قد انفضوا من ديوان زعيمهم بديل بن ورقاء الخزاعي إلى دورهم، وناموا مطمأنين وإذا بالبيات قد أثار جواً من الذعر في صفوف الناس، وقتل الديليون جماعة من الناس، ولم يكن الديليون وحدهم في المعركة بل إن قريشاً رفدت بني بكر بالسلاح، وقاتلت معهم مستخفين تحت ستار الليل حتى ألجأوا خزاعة إلى الحرم، فلاذ هؤلاء إلى دار سيدهم بديل بن ورقاء، واستطاع بديل أن يخفف من حدة التوتر بين الفريقين.

وبهذه الطريقة الغادرة التي مارستها قريش وحليفاتها الديلية ضد حلفاء النبي صلى الله عليه وآله نقضوا الميثاق المؤكد بين قريش وبين النبي صلى الله عليه وآله، ولم تسكت خزاعة على الاعتداء الغادر بل طلبت نجدة من رسول الله صلى الله عليه وآله حيث إنها لو سكتت على هذا الاعتداء فلربما تكررت الاعتداءات الأمر الذي خف «ابن سالم الخزاعي» طليعة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ريثما يقدم وفد الخزاعيين بزعامه بديل بن ورقاء، وكانت قريش قد جعلت كميناً لابن سالم حتى يلقوا القبض عليه الآ أنه استطاع أن يفلت من الكمين، وأن يسرع نحو يثرب، وهو يحمل لواعج أشجانه ضد المشركين الممزقين للعهود، الضاربين بميثاق الرسالة المؤكدة عرض-الجدار، وقد نظم مشاعر قومه في قصيدة عصماء يدعو الرسول وجيشه الباسل لـ «فتح مكة»، وضرب الرأس الجاهلة الخرقاء.

ولما بلغ ابن سالم إلى المدينة ارتاد المسجد حيث مركز الدعوة

الرسالية، وهناك كان رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً وسط حشود المسلمين. دخل ابن سالم المسجد، ومثل امام الرسول صلى الله عليه وآله، وألقى هذه القصيدة في زحام الناس، وتساؤلاتهم ودهشتهم:

لا همّ إنني ناشد محمداً	حلف أبينا وأبيه الأتلداً
فوالداً كنا وكنت ولداً	ثمت أسلمنا فلم ننزع يداً
فانصر رسول الله نصراً عتداً	وادع عباد الله يأتوا مدداً
فيهم رسول الله قد تجرداً	أبيض مثل البدر ينمي صعداً
ان سيم خفياً وجهه تربداً	في فيلق كالبحر يجري مزبداً
ان قريشاً أخلفوك الموعداً	ونقضوا ميثاقك المؤكداً
وجعلوا لي في كداءٍ رصداً	وزعموا أن لست أدعو أحداً
وهم أذلّ وأقلّ عدداً	هم بيتونا بالوتير هجداً

فقتلونا ركعاً وسجداً

والتفت الناس جميعاً إلى كلمة رسول الله ليستشفوا خلفياتها الكبيرة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «قد نصرت يا عمرو بن سالم»<sup>(١)</sup>.

وكانت تلك الاشارة الكبيرة كافية لتعبر على معالم الطريق في المستقبل القريب، ولتشيع في القلوب الأفراح، وفي العيون بريق المسرات، وتجهز الناس، وكانوا على أهبة الاستعداد لكلمة الرسول بالتحرك للفتح الأكبر.

خرج بديل بن ورقاء في وفده، وقدموا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وآله ليعرضوا عليه تفاصيل الاحداث في نقض الميثاق المؤكد من قبل قريش وحلفائها.

وتحرك الجيش الاسلامي بقيادة رسول الله صلى الله عليه وآله نحو

(١) تاريخ الطبري ٢/٣٢٥، طبعة الاستقامة.

البلد الحرام، وكان قوام الجيش عشرة آلاف جندي، وعلى مشارف مكة استقبل ابن ورقاء مع الوفد المرافق له رسول الله صلى الله عليه وآله فبايع رسول الله في حشد من الافراح والسرور الذي كان مسيطراً على مشاعرهم، وسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وقد رأى في عارضي «ابن ورقاء» سواداً رغم شيخوخته: «كم سنوك».

فقال ابن ورقاء وقد شاعت الابتسامة على وجهه: «سبع وسبعون».

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «زادك الله جمالاً وسواداً».

ثم ان رسول الله صلى الله عليه وآله أراد أن يشيد بابن ورقاء، وبمكانته عنده في المجتمع الاسلامي فأرسله من قبله إلى مكة لدعوة الناس إلى الاسلام تماماً كما جعل داره محل أمان للناس عامة، فمن دخل دار ابن ورقاء من أهل مكة، وكان قد سادهم الذعر فهو آمن من أن تحصده سيوف المسلمين، وكانت قريش تتوجس أن تبقى في دورها من أن يهجم عليها رغم ان رسول الله صلى الله عليه وآله جعلها أماناً الأمر الذي اختارت دار ابن ورقاء حليف الرسول والرسالة. تماماً كما كانت داره منذ أمد بعيد ملاذاً للخزاعيين يجدون في ظلالها الأمن والهدوء والاستقرار، وكيف وقد كان سيدهم الذي يصدرون عن رأيه، ويحلون مشاكلهم عنده، ويستشيرونه في مهامهم، واهتماماتهم إذا حزبهم أمر.

وهكذا انتصر رسول الله للإسلام ولمبادئه الكبرى، ولحلفاءه الخزاعيين حيث كان بينه وبينها عهداً بالحماية، وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله جنوده بقتل ستة نفر، وأربع نسوة إحداهن هند بنت عتبة أم معاوية، وإن وجدوا تحت اстар الكعبة<sup>(١)</sup>.

وكان ابن بديل قد أسلم من زمن بعيد، ولكن أظهر اسلامه فاشتهر بين

(١) تاريخ الطبري ٢/٣٣٧، طبعة الاستقامة ١٣٥٧هـ.

عامه الناس يوم فتح مكة، وذلك ليستطيع أن يعمل في نصره الاسلام.  
قال ابن مندة وأبو نعيم: تقدم اسلامه - يعني اسلام ابن ورقاء - وشهد ابن ورقاء وولده عبدالله معركة حنين والطائف وتبوك.

وحينما انتهت معركة حنين، وغنم المسلمون، ووقع الكثير من مشركي العرب في الأسر أمر النبي صلى الله عليه وآله أن يحبس الأسرى، والأموال بـ «الجعرانة» حتى يقدم عليه، فقام ابن ورقاء بهذا الواجب أفضل قيام، وبذل جهوداً في صيانة الأسرى والغنائم.

ويبدو أن ابن ورقاء حينما انتهت مهمته في نصره الاسلام في ظل الكتمان انتقل إلى المدينة، واشترك في الحملة التبوكية الشائكة.

وكما أشاد النبي صلى الله عليه وآله بابن ورقاء في فتح مكة كذلك أشاد به في موطن آخر حيث أرسله إلى مكة في موسم الحج على جملة الأورق ليعلم الناس بحرمه الصوم في هذه الأيام.

قالت أم الحرث بنت عياش: «أنها رأت بديل بن ورقاء يطوف على جمل أورق بمنى يقول:

«إن رسول الله صلى الله عليه وآله ينهاكم أن تصوموا في هذه الأيام»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى: أن بديل بن ورقاء جاء في منى على راحلة رسول الله صلى الله عليه وآله، فنادى:

«إن رسول الله قال: «من كان صائماً فليفطر، فإنها أيام أكل وشرب»<sup>(٢)</sup>، فكان ابن ورقاء يطوف على الحجاج، وعلى الأندية ويعلمهم حكم الاسلام، وكان الناس يصغون إلى الحكم، وقد بهرهم الاسلام وأحكامه.

(١) الاصابة ١/١٤٦.

(٢) أسد الغابة ٥/٤٢٣.



كتاب رسول الله صَلَّى الله عليه وآله لـ «بديل بن ورقاء الخزاعي» :

وروى هذا الكتاب حفيد بديل بن ورقاء، وهو: عبد الرحمن بن محمد ابن عبدالرحمن بن محمد بن بشير بن عبدالله بن سلمة بن بديل بن ورقاء الخزاعي، عن جده الأعلى سلمة بن بديل بن ورقاء قال: دفع إليّ أبي بديل ابن ورقاء الكتاب، وقال: يا بني هذا كتاب رسول الله صَلَّى الله عليه وآله فاستوصوا به، فلن تزالوا بخير مادام فيكم. ونص الكتاب هو هذا:

بسم الله الرحمن الرحيم

«من محمد رسول الله إلى بديل بن ورقاء، وسروات بني عمرو<sup>(١)</sup>، فإنني أحمد إليكم الله الذي لا اله الا هو. أما بعد، فإنني لم أثم بالكم، ولم أضع في جنبكم، وإن أكرم أهل تهامة عليّ أنتم، وأقربهم لي رحماً، ومن معكم من المطيبين، وإنني قد أخذت لمن هاجر منكم مثل ما أخذت لنفسي، ولو هاجر بأرضه غير ساكن مكة الا معتمراً أو حاجاً، وإنني لم أضع فيكم إذا سلمت، وإنكم غير خائفين من قبلي ولا محصرين».

وكان الكتاب بخط علي بن أبي طالب عليه السلام.

ويضيف ابن الأثير: هذا حديث غريب<sup>(٢)</sup>.

وأشار صاحب الاصابة إلى الكتاب اشارة عابرة ولم يذكر نص

الكتاب<sup>(٣)</sup>.

كما وإن صاحب الاستيعاب لم يشر إلى مثل هذا الكتاب إطلاقاً.

(١) عمرو هو الجد الأعلى لابن ورقاء، ولقسم كبير من الخزاعيين.

(٢) أسد الغابة ١/ ١٧٠.

(٣) الاصابة ١/ ١٤٦.

وأشار الحلبي إلى هذا الكتاب فقال: وكان النبي كتب إلى أبيهما (محمد وعبدالله أبي) بديل بن ورقاء<sup>(١)</sup>.

تماماً وأشار الخطيب إلى هذا الكتاب إشارة عابرة أيضاً قال: وكان النبي صلى الله عليه وآله كتب إلى أبيهما بديل بن ورقاء<sup>(٢)</sup>.

وأشار إلى هذا الكتاب المتقي بدون أن يذكر نص الكتاب ونقل الحديث من «مسند بديل بن ورقاء»:

... عن سلمة قال: دفع إليّ أبي بديل بن ورقاء كتاباً فقال: يا بني هذا كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله فإن توقنوا به فلن تزالوا بخير مادام فيكم<sup>(٣)</sup>.

ولم يعيش ابن ورقاء طويلاً بعد فتح مكة، وبعد تبوك حيث إنه توفي قبل السنة العاشرة للهجرة، وقبل صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله.

وخلف بديل بن ورقاء أولاداً وأحفاداً امتدوا على مسار الأجيال وهم:

عبدالله بن بديل بن ورقاء.

عبدالرحمن بن بديل بن ورقاء.

نافع بن بديل بن ورقاء.

محمد بن بديل بن ورقاء.

أبو عمرو بن بديل بن ورقاء.

سلمة بن بديل بن ورقاء.

وسنرى أنّ محمداً، وعبدالرحمن هما رجل واحد حسب النصوص، وسلمة روى عن أبيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله كما رأينا، وعاش أحفاد سلمة إلى عدة أجيال يروون الكتاب ويعتزون ويفخرون به في

(١) رجال ابن داود ١٦٦.

(٢) تاريخ الخطيب ٢٠٤/١.

(٣) كنز العمال ٣٠٦/١.

المجتمع، وكان أبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي أحد رجال الثورة المصرية على نظام حكم الثالث، وكان من أصدقاء «كنانة بن بشر»<sup>(١)</sup>.

### البراء بن عازب بن الحارث الأوسي الأنصاري

يكنى أبا عمارة، من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، واشترك مع رسول الله في سربه ومعاركه كواحد من الجنود، وحينما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى يثرب موطن أبي عمارة كان لا يناهز صاحب الترجمة الثالثة أو الرابعة عشر من ربيع حياته. كان لا يزال طري العود، وكان قد حفظ سوراً من القرآن الكريم في مطالع إنتشار الاسلام في يثرب، وقبل الهجرة الرسالية، وكان مما حفظه كما قال: سورة سبح اسم ربك الأعلى وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سبح اسم ربك الأعلى \* الذي خلق فسوى \* والذي قدر فهدى \*  
\* والذي أخرج المرعى \* فجعله غثاء أحوى سنقرئك فلا تنسى \* إلا ما  
شاء الله أنه يعلم الجهر وما يخفى \* ونيسرك لليسرى \* فذكر ان نفعت  
الذكرى \* سيذكر من يخشى \* ويتجنبها الأشقى \* الذي يصلى النار  
الكبرى \* ثم لا يموت فيها ولا يحيى \* قد أفلح من تزكى \* وذكر اسم ربه  
فصلى \* بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى \* إن هذا لفي  
الصحف الأولى \* صحف إبراهيم وموسى﴾.

ونص كلام أبي عمارة في هذا الصدد هو: «ما قدم علينا رسول الله حتى قرأت سبح اسم ربك الأعلى في سور من المفصل» فعبر عن كتاب الله

تعالى بـ «المفصل» .

ولما تجهز الناس بتلك الصورة المعروفة لخوض معركة بدر عرض أبو عمارة مع أتراب له أنفسهم على صاحب الرسالة، ولكنه عليه السلام ردهم بهدوء لصغر كياناتهم، وطراوة أسنانهم، ونعومة أظفارهم الأمر الذي مضت أعوام واشتد ساعده، واشترك في معركة الخندق في السنة الخامسة للهجرة<sup>(١)</sup>.

أي بعد أن بلغ أبو عمارة الثامنة عشر من عمره وهو سن الشباب، سن الحماس والفتوة والقوة، وهذه السن هي القاعدة العامة لمعظم الدول في تجنيد الناس، والإنخراط في الجيش، والانضواء في خدمة العلم<sup>(٢)</sup>.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في غنى عن تجنيد المراهقين أو دون المراهقين، وهم لا يزالون براعم متفتحة. ثم ماذا سيكسبون في المعارك الطاحنة التي ينوء عن حملها الرجال الأشاوس، فكيف بالعضلات الطرية.

ثم اشترك أبو عمارة في غزوات رسول الله صلى الله عليه وآله وحضر في جبهات القتال يقول أبو عمارة: «صحبت رسول الله ثماني عشرة غزوة» .

وكانت الغزوات الرسالية حرباً وكفاحاً وفي نفس الوقت ثقافة، كان رسول الله يشيعها بين الجنود، وهي الثقافة الإسلامية الخالصة، الثقافة الربانية التي تشيع في الجو عطر الملائكة، وعطر الآداب الطيبة الكريمة، فسمع أبو عمارة الكثير من الدروس النبوية، والأحاديث القيمة، وتشبع بها حسب مواهبه واستعداده النفسي، وتجاوبه مع الحديث النبوي، وكانت من تلك الأحاديث النبوية تلك الصفحة المشرقة التي فتحها رسول الله من مطلع

(١) تاريخ الخطيب ١/ ١٤٤ .

(٢) يقال أنه اشترك في معركة الخندق وعمره ١٥ سنة .



الدعوة بالاشادة بوصية وحامي شريعته، والذاب عن وجهه في حروب الاسلام ومعاركه : أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

سمع أبو عمارة الأحاديث في مجال التشريع ، وفي مجال الاشادة بالحجة بعد رسول الله أمير المؤمنين عليه السلام ، وكانت من تلك الأحاديث المصيرية الهامة التي سمعها أبو عمارة بعد العودة من حجة الوداع هو حديث غدیر خم الذي قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ إمام جماهير المسلمين : «من كنت مولاه فعلي مولاه» .

وفقاً لهذا الحديث - وأحاديث أخرى - جعل الله أمير المؤمنين علياً عليه السلام حجة علي ولد آدم ، والمسلمين خاصة .

وذكرت المعاجم الأحاديث التي روتها عن أبي عمارة فكانت ٣٠٥ أحاديث ، ويبرر أبو عمارة قلة أحاديثه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حيث إنه أرسل عن رسول الله أحاديثاً بقوله : ما كل ما نحدثكموه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سمعناه منه ، حدثناه أصحابنا ، وكان يشغلنا رعية الابل<sup>(١)</sup> .

اذن كانت حياته المعاشية ، وسعيه لتأمين معاش أسرته تمنعه من الحضور كثيراً عند رسول الله والاصغاء إلى تعاليمه العظيمة وأحاديثه التشريعية ، ولقد تركت الأحاديث الرسالية حول الحجة بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ صدى في نفس أبي عمارة الأمر الذي والاه وأحبه من كل كيانه ، وكان يجله وينظر إليه نظرة إكبار وإجلال ، نظرة مفعمة بالحب والتقدير ، وكان لوجه هذا أثره الكبير في تقديره ووجه لعامة بني هاشم رهط رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

### أحاديث البراء أبي عمارة :

١ - عن أبي عمارة مرفوعاً قال :

«زوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق»<sup>(١)</sup>.

وهذه الحقيقة تظهر فلسفتها حسب الرؤية الإسلامية ان الكون وكل امكانيات الطبيعة هي لأجل تربية المؤمن ، وتبلور الايمان في قلوب الناس ، فإذا هوجم المؤمن فإن الدنيا آنثذ تفقد مقومات وجودها وأهدافها .

٢ - ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال يوم خيبر :

«لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله» قال فبات الناس يدوكون (أي يخوضون) ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدو على رسول الله صلى الله عليه وآله كلهم يرجو أن يعطاها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أين علي بن أبي طالب .

فقيل : هو يا رسول الله يشتكى عينيه .

قال صلى الله عليه وآله : فأرسلوا اليه ، فأتي به فبصق رسول الله في عينيه ، ودعا له فبرأ حتى لم يكن به وجع ، فأعطاها الراية فقال علي عليه السلام : يا رسول الله ، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا . فقال صلى الله عليه وآله : انفذ علي رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من أن يكون لك حمر النعم . . . ففتح الله على أمير المؤمنين عليه السلام .

روى هذا الحدث التاريخي الهام صاحب الترجمة البراء بن عازب ،

وغیره من الصحب<sup>(٢)</sup> .

(١) العندير ٥٩/١١ .

(٢) العندير ٤٠/٢ نقلاً من مسلم والترمذي وغيرهما - يراجع - .

٣ - الأميني : أخرج أبو اسحاق الثعلبي في تفسيره بإسناده عن البراء ابن عازب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام قل : «اللهم اجعل لي عندك عهداً ، واجعل لي في صدور المؤمنين مودة» فأنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾<sup>(١)</sup> .

فكان حب علي في صدور المؤمنين ، وفي كل العصور ؛ لأن حبه نور .  
٤ - قال البراء بن عازب : لما نزلت هذه الآية : ﴿وَإِذْ عَشِيرَتُكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ جمع رسول الله صلى الله عليه وآله بني عبدالمطلب ، وهم يومئذ أربعون رجلاً ، الرجل منهم يأكل المسنة ويشرب العس ، فأمر علياً عليه السلام برجل شاة فأدمها ثم قال صلى الله عليه وآله : أدنوا بسم الله ، فدنا القوم عشرة عشرة ، فأكلوا حتى صدروا ثم دعا بقعب من لبن فجرع منه جرعة ثم قال لهم : اشربوا بسم الله ، فشربوا حتى رووا ، فبدرهم أبو لهب فقال : هذا ما سحركم به الرجل ، فسكت يومئذ ولم يتكلم ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب ثم أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : يا بني عبدالمطلب إني أنا النذير إليكم من الله عزوجل والبشير فأسلموا وأطيعوني تهتدوا ثم قال :

من يؤاخيني ويوازرني ويكون وليّ ووصيّي بعدي وخليفتي في أهلي يقضي ديني ؟ ، فسكت القوم فأعادها ثلاثاً كل ذلك يسكت القوم .

ويقول علي عليه السلام : أنا .

فقال صلى الله عليه وآله في المرة الثالثة : أنت .

فقام القوم : وهم يقولون لأبي طالب : أطع ابنك فقد أمر عليك<sup>(٢)</sup> .

(١) الغدير ٢/ ٥٥ - ٥٦ ، سورة مريم : ٩٦ .

(٢) الغدير ٢/ ٢٨٢ - ٢٨٣ من الثعالبي في «الكشف والبيان» ، والكنجي في «الكفاية» ٨٩ ، والزرندي في «نظم درر السمطين» .

٥ - قال أبو عمارة وهو أنشد غلام مراهق يذكر بعض انطباعاته عن يوم الخندق، وهو من معالم طريق الاسلام المنتصر: رأيت النبي صلى الله عليه وآله ينقل من تراب الخندق حتى وارى التراب جلد بطنه، وهو يرتجز بكلمة عبدالله بن رواحة:

لا هم لولا أنت ما امتدنا ولا تصدقنا ولا صلينا  
فأنزلن سكينه علينا وثبت الأقدام ان لاقينا  
ان أولاء قد بغوا علينا وان أرادوا فتنةً أبينا<sup>(١)</sup>  
وهكذا يشارك رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه في حفر الخندق، ونقل التراب، وهو القدوة والاسوة للمؤمنين، وللناس عامة.

٦ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله حين استخلف أمير المؤمنين عليه السلام على المدينة في غزوة تبوك:  
«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى»، ثم قال صلى الله عليه وآله لأمر المؤمنين عليه السلام (في حديث البراء بن عازب وزيد بن أرقم...):

«أنه لا بد من أن أقيم أو تقيم» فخلّفه،  
وهو يعطي اثبات كل ما للنبي صلى الله عليه وآله من رتبة وعمل ومقام ونهضة وحكم وامارة وسيادة لأمر المؤمنين عليه السلام عدا ما أخرجه الاستثناء من «النبوة»...<sup>(٢)</sup>.

٧ - البراء بن عازب: كان لثغر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه الأبواب شارع في المسجد فقال صلى الله عليه وآله يوماً: «سدوا هذه الأبواب الآ باب علي عليه السلام»، فتكلم في ذلك الناس فقام رسول الله

(١) الغدير ٢/٦، ويقال ان الأبيات هي لعامر بن الأكوع.

(٢) الغدير ٣/١٩٩.



صلى الله عليه وآله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد فإنني أمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي ، فقال فيه قائلكم ،  
وإني ما سددت شيئاً ، ولا فتحتة ولكني أمرت بشيء فاتبعته<sup>(١)</sup> .

ووضع الاعلام المدسوس ، وأصحاب الأهواء والشهوات من  
السياسيين ، والسائرين في ركابهم من علماء السلطان ، أو قل علماء البطن  
والفرج ، والمنصب والمال أحاديث في الحكام الذين تربعوا على الحكم قبل  
أمير المؤمنين علي عليه السلام ، أحاديث معزوة إلى أبي عمارة وقد حاكمها  
الأميني وأظهر زيفها . . . ، ومثل هذه الكلمات البراقة المشيدة تشبه اليوم  
الصحف والنشرات اليومية التي تشيد بالملوك ورؤساء الجمهور والأمرء، ولو  
كانوا خونة عملاء لا يتمتعون بشخصية أو مقومات نبيلة أو اخلاص لا يقوم  
على التظاهر والنفاق والدجل ، والظهور امام الشعب بمظهر الزاهد، أو  
مظاهر أخرى تلائم ظروف العصر (ولكل عصر ظروفه) مستهدفين خداع  
الجماهير المسكينة بل والأجيال التي تأتي .

٨ - أخرج الطبراني في الأوسط من طريق ابن عازب مرفوعاً: الربا

اثنان وسبعون باباً أدناها مثل اتيان الرجل أمه<sup>(٢)</sup> .

٩ - من «مسند البراء بن عازب» عن البراء أن رسول الله صلى الله عليه

وآله سئل: أي عرى الايمان أوثق ، فقال: الحب لله والبغض لله<sup>(٣)</sup> .

١٠ - ابن عازب عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ادع لي زيداً،

وقل يجيء بالكشف والدواة واللوح فقال: أكتب: «لا يستوي القاعدون من

المؤمنون والمجاهدون في سبيل الله» .

(١) يراجع: الغدير ٣/ ٢٠٤ و ٢٠٢ .

(٢) الغدير ١٠/ ١٨٨ .

(٣) كثر العمال ١/ ٢٨٧ .

٢٠ ..... موسوعة أمير المؤمنين عليه السلام / ج ٢

فقال ابن أم مكتوم وكان هناك : يا رسول الله : بعيني ضرر، فنزلت قبل أن يبرح «غير أولى الضرر»<sup>(١)</sup>.

١١ - مسند البراء بن عازب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أخذ مضجعه قال :

«اللهم اليك أسلمت نفسي ، ووجهت وجهي ، وإليك فوضت أمري ، وإليك أجات ظهري رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجأ إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت».

١٢ - عن ابن عازب : ان النبي صلى الله عليه وآله أرسل الى رجل تزوج امرأة أبيه ، فأمره أن يأتي برأسه<sup>(٢)</sup>.

قال : مر بي عمي الحارث بن عمرو وقد عقد له رسول الله صلى الله عليه وآله لواءً فقلت : أي عم إلى أين بعثك رسول الله صلى الله عليه وآله قال : بعثني إلى رجل تزوج امرأة أبيه فأمرني أن أضرب عنقه وأخذ ماله .

١٣ - ابن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وآله رأى رجلاً فقال له : ما اسمك؟

قال : نعم .

قال : أنت عبد الله .

١٤ - عن البراء قال : آخر آية أنزلت في القرآن ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ .

١٥ - قال أبو عمارة : صحبت رسول الله صلى الله عليه وآله ثمانية عشر سافراً فما رأيته ترك ركعتين قبل الظهر .

وفي رواية : غزوت مع رسول الله ثمان عشرة غزوة ما رأيته ترك ركعتين

(١) كنز العمال ٣٩١/٢ .

(٢) نفس المصدر ٥١٦/١٦ .

حين تزيغ الشمس في حضر ولا سفر.

وفي رواية ثالثة : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وآله خمس عشرة غزوة .

١٦ - قال أبو عمارة : أنا الذي أرسل معه النبي صلى الله عليه وآله السهم إلى قلب الحديدية فجاش بالري .

وقيل ان الذي نزل بالسهم هو ناجية بن جندب .

يقول ابن الأثير معقباً على هذا : وهو أشهر<sup>(١)</sup> .

وسواء أكان فوران بئر الحديدية الناصب - بسبب السهم الذي أعطاه النبي صلى الله عليه وآله - على يد أبي عمارة أو ابن جندب . فإنه كان من أعلام النبوة ، ومن معجزات رسول الله صلى الله عليه وآله ، وبالينبوع روى الجيش .

ناقة أبي عمارة :

١٧ - ان ناقة لأبي عمارة كانت ترتع ، فدخلت أحد البساتين ، فأفسدت فيه فجاء صاحب البستان وشكى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ناقة أبي عمارة ، وانه تركها سارية من دون أن يربطها حتى لا تعيث في مزارع الناس فساداً ، فكان قضاء رسول الله أو حكمه التشريعي هو :  
« ان حفظ الأموال على أهلها بالنهار ، وعلى أهل المواشي حفظها بالليل » .

فعلى صاحب البستان أن يراقب حائطه في النهار لئلا تدخل ناقة أو غيرها في حائطه ، وتعيث فيه فساداً ، واذا حصل مثل هذا فصاحب البستان هو المسؤول عن الخسارة . أما إذا كان الليل وانفلت حيوان : ناقة أو غيرها

(١) أسد الغابة ١/١٧٢ .

وعانت في مزارع الناس فإن صاحب الناقة أو الحيوان هو المسؤول عن هذا الفساد وعليه الغرامة المالية لصاحب المزرعة .

١٨ - عن أبي عمارة البراء بن عازب قال : أقبل أبو سفيان ومعه معاوية فقال رسول الله صلى الله عليه وآله :

« اللهم العن التابع والمتبوع اللهم عليك بالأقيعس » ، فقال « ابن البراء » لأبيه : يا أبا من الأقيعس فقال أبو عمارة : معاوية<sup>(١)</sup> .

ان الأب أبا سفيان شن على الإسلام ، ورسالة الاسلام حرباً شعواء أعواماً طويلة ، وأسلم كرها شاكاً برسالة رسول الله صلى الله عليه وآله كما عبر عن ذلك في مواطن .

وابنه كان مع أبيه في كل معاركه ضد الرسالة ثم بعد أن أسلم كرها شن حرباً شعواء على النظام الاسلامي ، ومسخه وجعل الدولة على سنة الطواغيت وربى الناس يتبعون مثل هذا النظام المتهافت . وهكذا استجاب رب العالمين دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله .

١٩ - قال أبو عمارة : أتى رسول الله بثوب حرير فجعل الناس يتعجبون من لينة . فقال النبي صلى الله عليه وآله : أتعجبون من لينة ، لمناديل سعد ابن معاذ في الجنة خير من هذا .

٢٠ - عن أبي اسحاق عن البراء قال : بينما رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله يصلى وفرس له حصان مربوط في الدار ، فجعل ينفر ، فجعل الرجل يخرج فيمر ولا يرى شيئاً ، فعلم ذلك غير مرة فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وآله فذكر ذلك له .

فقال النبي صلى الله عليه وآله : تلك ، السكينة نزلت للقرآن .

٢١ - وروى عن الأعمش قال : شهد عندي عشرة من أخيار التابعين

(١) يراجع نصر ٢١٧ ، الغدير ٣/٢٥٢ .

ان البراء بن عازب كان يبرأ ممن تقدم على عليّ عليه السلام ويقول: اني بريّ منهم في الدنيا والآخرة.

وحيثما التحق رسول الله صلى الله عليه وآله بالرفيق الأعلى كان الشعب يتشوفون الى أمير المؤمنين علي عليه السلام على أساس أنه أمير المؤمنين، والحجة وبالتالي فإنه سيتولى السلطة، ولكن حينما شاهد الشعب الخطط المبيتة التي خططتها الاحزاب والطلقاء، وجعلت في واجهتها رجال يركضون وراء الاطماع السياسية المبرقعة بالاسلام والبكاء عليه أصاب الشعب خيبة أمل مريرة وانطوا على أنفسهم وخضعوا للسانة المتآمرين، وحدثت ثورات ضد الحكم كثورة مالك بن نويرة الشهيد الكبير الذي قتل غيلة ثم نزي قائد المسلمين، وعلى مرأى ومسمع من المسلمين ونكح زوجته.

ولقد حدثت مثل هذه الانقلابات - أن صح التعبير - في كل الشعوب والعصور لقد رأينا كثيراً الشعوب تستيقظ على زعماء يحكمون، وحكومات تنهار ويخضعون رغم أنوفهم لمثل هذه الانقلابات المبيتة، وما حدث في المدينة يشبه هذه الانقلابات المعاصرة في كل مكان إلى حد بعيد، وكان أبو عمارة واحد ممن أصيب بخيبة أمل في اتجاهاته، ولقد استنكر هو ورجال آخرون على رجال السياسة الذين تسلقوا إلى الحكم، ولكن استنكارهم ذهب ادراج الرياح، وان كان له أثره عبر الأعوام.

تقبل الشعب وأبو عمارة واحد منهم الحكم الواقع ثم وعبر السنين الفوا الحكم، واشترك أبو عمارة في المعارك التي كانت على قدم وساق في عهده وكان من نتائجها في الحياة المدنية تطور من فقر مدقع إلى ثراء وبذخ. اشترك في معارك تستر والري، والجمل وصفين والنهروان كما سيأتي.

ولقد توالى المعارك على الري بقيادة حذيفة بن اليمان، وهو من أصحاب أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأبي عمارة صاحب الترجمة، وهو

من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وقرظة بن كعب وهو الآخر من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وعبر أعوام ثلاثة إلى أن فتحوها عنوة أو صلحاً حسب اختلاف الرواة والمؤرخين.

وكان أبو عمارة إلى حد ما قد جرفته التيارات السياسية فكان يضطرب بين الاتجاهات المتعارضة، وهذه الحقيقة من طبيعة الانسان في كل العصور حسب المصالح والظروف.

روى أبو عمارة عن :  
رسول الله صلى الله عليه وآله .  
وأمير المؤمنين عليه السلام .  
وبلال .

وروى عن أبي عمارة :  
عبدالله الخطمي .  
أبو جحيفة السوائي .  
عامر الشعبي .  
عبدالرحمن بن أبي ليلى .  
أبو اسحاق السبيعي .  
عدي بن ثابت .  
سعد بن عبيدة .  
المسيب بن رافع ، وغيرهم .

وحينما تولى أمير المؤمنين عليه السلام الخلافة الراشدة كان أبو عمارة واحداً من الرجال المعروفين الذين انضموا الى العهد الجديد الرائد الذي طالما كان الشعب يهفو إليه ويفكر فيه ويحلم ، وكان أبو عمارة اشترك إلى

جانب أمير المؤمنين عليه السلام في معارك الجمل وصفين والنهروان<sup>(١)</sup>.  
وفي النهروان أرسل أمير المؤمنين عليه السلام وفداً برئاسة أبي عمارة  
إلى الخوارج لاجراء مفاوضات معهم ، ودعوتهم للعودة إلى الفكرة السليمة ،  
والسياسة الرشيدة ، والطاعة وأن يدعوا العنت والانحراف ، وأن ينبذوا الأفكار  
الخرقاء النابعة عن جهل وعمه وظلام في التصور والتفكير ، ويسيروا نحو  
الرؤية الواضحة التي رسمها لهم أمير المؤمنين عليه السلام .  
وطالت هذه المفاوضات ثلاثة أيام ولكن أبا عمارة لم يستطع ولا غيره  
أن يقودا هؤلاء المركوسين إلى رشدهم الأمر الذي ركبوا رؤسهم نحو الهاوية ،  
وعاد أبو عمارة وهو يتلهف على ناس حاولوا أن يرجعوا بعجلة الحياة إلى  
الوراء .

### حديث الغدير

وكما قلنا فان أبا عمارة كانت لا تزال رسوبات العهد البائد التي عاشها  
أكثر من عشرين عاماً متغلغلة في نفسه ، ولم يستطع أن ينقيها من نفسه تماماً  
وإن يضحى سليماً في كل النوايا والاتجاهات والتحركات .  
ونستطيع أن نشهد هذه النفسية التي كانت لا تزال عليها صدى العهد  
البائد من موقفه من ذكريات يوم الغدير وعصر الرسالة المضي .  
روى عبدالله بن ابراهيم قال : أخبرنا أبو مريم الأنصاري ، عن المنهال  
ابن عمرو ، عن زر بن حبيش قال : خرج علي بن أبي طالب أمير المؤمنين  
عليه السلام من القصر فاستقبله ركبان متقلدون بالسيوف عليهم العمائم  
فقالوا :

«السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك يا

مولانا» .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : من هاهنا من أصحاب رسول الله  
صلى الله عليه وآله ، فقام :

خالد بن زيد أبو أيوب الأنصاري .

وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين .

وقيس بن سعد بن عبادة .

وعبدالله بن بديل بن ورقاء .

فشهدوا جميعاً أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم  
غدیر خم : « من كنت مولاه فعلي مولاه » .

فقال علي عليه السلام لأنس بن مالك ، والبراء بن عازب ما منعكما  
أن تقوموا فتشهدا فقد سمعتما كما سمع القوم . ثم قال عليه السلام : « اللهم  
إن كتماها معاندة فابتلهما » . فعصى البراء بن عازب أبو عمارة ، وبرص أنس  
ابن مالك .

طالما ان أمير المؤمنين عليه السلام هو القائد والامام ، فهو معلم الأمة  
يعلمهم مرشدهم ، ويقودهم نحو الحياة السعيدة في الدارين ، فحينما سمع  
القوم يسلمون عليه « السلام عليك يا مولانا » . . وهو عليه السلام مولى الأمة  
ووليها من قبل الله سبحانه وتعالى أراد عليه السلام أن يثبت هذه الحقيقة لمن  
على قلبه رين أو يعتريه شك الأمر الذي هتف بأصحاب رسول الله الذين  
كانوا في وسط الجماهير ويسمعون كلامه قبل أن يرد جواب القوم أن يشهدوا  
بما سمعوا من رسول الله حول «الولاية» الحقيقة الكبرى الالهية ، فشهد من  
شهد ، وتفاعس أبو عمارة وزميله أن يشهدا بالحقيقة الكبرى<sup>(١)</sup> الأمر الذي  
أثارت أحاسيس سيد المتقين ، فابتهل إلى الله تعالى تلك الابتهالة التي ردت

(١) في الغدير ١/ ١٩٢ ذكر سنة أبوا ان يشهدوا بما سمعوه يوم الغدير ، واستعرض أسمائهم .



الانحراف إلى نهج قويم، وأثارت الخوف والفرع في قلوب من لا يحسبون للحقائق الالهية الكبرى حساباً، فليست مسألة «يوم الغدير» و«الولاية» وامرة «أمير المؤمنين علي عليه السلام» مسألة شخصية تخص رسول الله صلى الله عليه وآله، أو تخص علي بن أبي طالب عليه السلام بل هي مسألة إلهية تخص الله سبحانه، وتخص الاسلام في الصميم.

ومن هذا المنطلق استجاب الله سبحانه وتعالى دعاء حجته ووليه عليه السلام فرأت الجماهير بعد أيام أو شهور أبا عمارة يتسكع بعصاه يقوده القائد أو يتركه قائده ويمضي لشأنه، فإذا سأل عن منزله واجيب أنه في موضع كذا وكذا يقول متلهفاً: كيف يرشد من أصابته الدعوة<sup>(١)</sup>.

ولقد كانت الدعوة المستجابة صدمة عنيفة بالنسبة لأبي عمارة، وبالنسبة لأنس بن مالك فتابا إلى الله سبحانه من هفوتهما فحلف أنس بن مالك أن لا يكتب منقبة لعلي بن أبي طالب عليه السلام، وكذلك فعل صاحبه، فكانا يتسابقان في نشر فضائل أمير المؤمنين عليه السلام في المجتمع وامام الناس علّ أن يغفر الله سبحانه لهما.

ولقد عد مؤلف كتاب المحبر: أبا عمارة البراء بن عازب من عميان الأشراف<sup>(٢)</sup>.

وهذا صاحب الرياض النضرة يقول:

قال البراء بن عازب: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله في سفر فنزلنا بـ «غدير خم» فنودي فينا: الصلاة جامعة فأوى رسول الله صلى الله عليه وآله تحت شجرة فصلى الظهر وأخذ بيد علي عليه السلام وقال: «الستم تعلمون إني أولى بالمؤمنين من أنفسهم».

(١) جامع الرواة ١/١١٦.

(٢) المحبر ٢٩٨.

قالوا: بلى .

فأخذ بيد علي عليه السلام وقال :

«اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه . . .»<sup>(١)</sup>.

عن عدي ، عن أبي عمارة البراء بن عازب قال :

خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتى نزلنا غدير خم فبعث

منادياً ينادي فلما اجتمعنا قال صلى الله عليه وآله :

أست أولى بكم من أنفسكم .

قلنا: بلى يا رسول الله .

قال: أست أولى بكم من أمهاتكم .

قلنا: بلى يا رسول الله .

قال: أست أولى بكم من آبائكم .

قلنا: بلى يا رسول الله .

قال: أست؟ أست؟ أست؟

قلنا: بلى يا رسول الله .

قال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من

عاداه...»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي عمارة البراء بن عازب وابن الأرقم :

ان رسول الله صلى الله عليه وآله : لما نزل بغدير خم أخذ بيد علي

عليه السلام فقال :

الستم تعلمون اني أولى بالمؤمنين من أنفسهم .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨/٥ - هامش - .

(٢) الغدير ١٩/١ نقلاً عن البداية والنهاية لابن كثير ٣٤٩/٧ .

قال الأميني : كذا في المطبوع من البداية ، وفي المخطوط كما ينقل عنه في العيقات :

من كنت مولاه فإن علياً بعدي مولاه . الغدير ١٩/١ - الهامش - .

قالوا: بلى .

قال: أستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه .

قالوا: بلى .

فقال: اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من

عاداه . . . .»<sup>(١)</sup>

لما نزلت هذه الآية: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ .

قال الرازي في تفسيره الكبير:

العاشر: نزلت الآية في فضل علي، ولما نزلت هذه الآية أخذ بيده

[رسول الله صلى الله عليه وآله] وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال

من والاه وعاد من عاداه . . . .» وهو قول ابن عباس، والبراء بن عازب،

ومحمد بن علي<sup>(٢)</sup> .

السيد علي الهمداني المتوفى سنة ٧٨٦ قال في «مودة القريبى»: عن

البراء بن عازب قال: أقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة

الوداع، فلما كان بغدير خم نودي الصلاة جامعة، فجلس رسول الله

صلى الله عليه وآله تحت شجرة وأخذ بيد علي عليه السلام وقال:

أنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم .

قالوا: بلى يا رسول الله .

فقال: ألا من أنا مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من

عاداه<sup>(٣)</sup> .

وجاء في رواية أبي سعيد الخدري وفي لفظه: ثم قال النبي صلى الله

(١) الغدير ١/ ٢٤٢ - ٢٤٣ .

(٢) الغدير ١/ ٢٢٠ .

(٣) الغدير ١/ ٢٢٠، والسيد علي هو مؤلف كتاب السبعين في فضائل أمير المؤمنين، وهو مطبوع وقد ذكرنا مواصفاته .

٣٠..... موسوعة أمير المؤمنين عليه السلام / ج ٢

عليه وآله: «هثوني، هثوني، ان الله تعالى خصني بالنبوة وخص أهل بيتي بالامامة»<sup>(١)</sup>.

أبو عمارة البراء بن عازب قال:

أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع حتى كنا بين مكة والمدينة، نزل النبي فأمر منادياً بالصلاة جامعة، قال: فأخذ بيد علي عليه السلام فقال:

«أست أولى بالمؤمنين من أنفسهم».

قالوا: بلى.

قال: «فهذا ولي من أنا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. من كنت مولاه فعلي مولاه».

ينادي رسول الله بأعلى صوته<sup>(٢)</sup>.

الغدِير: مسنداً عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب قال: أقبلنا مع النبي صلى الله عليه وآله في حجة الوداع حتى إذا كنا بغدير خم، فنادى فينا الصلاة جامعة، وكسح للنبي تحت شجرتين، فأخذ النبي صلى الله عليه وآله بيد علي عليه السلام وقال:

«أست أولى بالمؤمنين من أنفسهم».

قالوا: بلى.

قال: «أست أولى بكل مؤمن من نفسه».

قالوا: بلى.

قال: «أليس أزواجي أمهاتهم».

قالوا: بلى.

(١) الغدير ٢٧٤/١ نقلاً من النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٧ في كتابه «شرف المصطفى».

(٢) نفس المصدر ٢٧٦/١.

فقال رسول الله: «فإن هذا مولى من أنا مولاه اللهم وال من ولاء وعاد من عاداه»<sup>(١)</sup>.

عن أبي عمارة البراء بن عازب، وزيد بن أرقم، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«ألا إن الله ولي وأنا ولي كل مؤمن، من كنت مولاه فعلي مولاه»<sup>(٢)</sup>.  
أن ترشيح الباري عزوجل أمير المؤمنين علياً: ولياً واماماً وحجة له كان في يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة عام عشرة للهجرة<sup>(٣)</sup>.  
لقد ذكر هذا «الاعلام الالهي» الكثير من الصحابة الذين شهدوا هذا الموقف المشهود واستعرضه المئات من الكتاب والمؤلفين.

يراجع في هذا الصدد عبقات الأنوار للعلامة المحقق السيد حامد حسين، وملخص العبقات ترجمة وتلخيص العلامة السيد علي الميلاني، والغدير للعلامة المتبع الأميني.

ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن خلصت نفس أبي عمارة للحق أضحى يلاطفه ووعد بالجنة.

روى «الكشي» عن جماعة من أصحابنا عن الامام الباقر محمد بن علي زين العابدين.

وعن أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام:

إن أمير المؤمنين عليه السلام قال للبراء بن عازب:

كيف وجدت هذا الدين.

قال: كنا بمنزلة اليهود قبل أن نتبعك تخف علينا العبادة، فلما أتبعناك

ووقع حقائق الايمان في قلوبنا وجدنا العبادة قد تناقلت في أجسادنا.

(١) نفس المصدر ١/ ٢٧٩.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٣١٠.

(٣) إن يوم الخميس ذكره أبو عمارة. يراجع المصدر نفسه ١/ ١٠.

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

فمن ثم يحشر الناس يوم القيامة في صور الحمير، وتحشرون فرادى، فرادى، يؤخذ بكم إلى الجنة<sup>(١)</sup>.

فالعبادة بأبعادها واتجاهاتها لها ثقل وكيان يشعر بها المؤمن المسؤول الذي يشعر بالمسؤولية الأمر الذي يشعر بها بكل وجوده، ويراقبها في كل لحظاته الخاصة بل هي هجيره لا يكاد ينحرف عنها، أو يستهين بها، أو يرتكب موبقة تنهار قواعدها.

أما الذي يشعر في قرارة نفسه باللامسؤولية فإن العبادة تسمي خفيفة عليه بل لا يكاد يشعر بها أو يحس بها.

أنه غير ملتزم تجاهها الأمر الذي تصير خفيفة الوزن بالنسبة إليه. لا كيان لها ولا وجود، ونستطيع أن نعمم هاتين الحقيقتين في كل أبعاد الحياة ونشاطاتها ومسئولياتها على الملتزم، وعدم الشعور بها أو الاحساس بها على المتهاون بمسئوليته مما تصبح حقيقة المسؤولية أو النشاط خفيفة الوزن عليه بل ولا يكاد يحس بها، فمن ثم الملتزم بمسئوليته العبادية والحياتية ينظر إليه نظرة تقدير واحترام.

أما المستخف بالعبادة أو مسؤليته ينظر إليه نظرة بعيدة عن كل تقدير أو احترام بل هي نظرة استخفاف، ومن هذا المنطلق يصبح ذلك إنسان في المؤهلات والخصائص، وهذا حمار في التقدير.

ثم أتريد أن يحشر الوثنيون، والذين يضربون نصوص الولاية، ونصوص القرآن والله سبحانه، ونصوص رسول الله عرض الجدار تريد أن يحشروا سواطع الأنوار أم في صورة الحمير أو الذر أو أشياء أخرى...

قال البراء بن عازب: قلت لعلي: يا أمير المؤمنين أسألك بالله ورسوله

(١) رجال الكشي ٤٥ ط نجف، رجال بحر العلوم ٢/١٢٦.

إلا خصصتني بأعظم ما خصك به رسول الله صلى الله عليه وآله واختصه به جبريل وأرسله به الرحمن، فضحك ثم قال له: يا براء إذا أردت أن تدعو الله عزوجل باسمه الأعظم فاقرا من أول سورة الحديد إلى آخر ست آيات منها إلى ﴿عليم بذات الصدور﴾، وآخر سورة الحشر يعني أربع آيات ثم ارفع يديك فقل: يا من هو هكذا أسألك بحق هذه الأسماء أن تصلي علي محمد وآل محمد وأن تفعل بي كذا وكذا مما تريد فوالذي لا اله غيره لتقبلن بحاجتك إن شاء الله<sup>(١)</sup>.

### استشهاد فتى الاسلام الحسين سيد الشهداء وتلهف أبي عمارة:

كان أمير المؤمنين عليه السلام ينظر إلى المستقبل، مستقبل الناس، ومستقبل الدول، ومستقبل فتاه العظيم الامام الحسين عليه السلام، والمسؤوليات الجسام الملقاة على عاتق فتاه، وكان يرى عليه السلام أن الأمة، وعبر الأجيال لا تستيقظ على واقعها المؤلم، ولا تنهار أسس الدول، القائمة على دعائم الخداع الرهيب، وبالتالي لا يرى وجه الاسلام ناصعاً من غبار الخداع والدجل إلا بنهضة فتى الاسلام أبي عبدالله الحسين عليه السلام، واستشهاده في حركته الرائدة. وكان يستشف مستقبل أبي عمارة صاحب الترجمة، فكان يراه قابعاً في داره لا يحرك ساكناً ضد المظالم، ولا ينصر فتاه العظيم الحسين عليه السلام في نهضته واستشهاده الأمر الذي ذكر عليه السلام في لمحات خاطفة انطباعاته هذه لأبي عمارة علّه يستيقظ حين متطلبات اليقظة، ويعى واجبه فيأدر إلى نصرة الحسين عليه السلام، ولكن أبا عمارة كان بعيداً آنذاك عن الأجواء المستقبلية مما

دعاه إلى أن يقول «لا كان ذلك يا أمير المؤمنين»، ولكن كان ذلك، وكانت الصورة كما رسمها أمير المؤمنين له، فلم يبق لأبي عمارة بعد النبوة، وبعد النهضة واستشهاد الامام الحسين سيد الشهداء عليه السلام إلا الندم والتلهف.

وإليك نص الحوار المطبوع بطابع المستقبل:  
 قال أمير المؤمنين عليه السلام يوماً للبراء بن عازب:  
 يا براء أيقتل الحسين وأنت حي فلا تنصره.  
 فقال البراء: لا كان ذلك يا أمير المؤمنين.  
 فلما قتل الحسين عليه السلام كان البراء يذكر ذلك ويقول:  
 اعظم بها حسرة إذ لم أشهده، وأقتل دونه<sup>(١)</sup>.

#### وفاة أبي عمارة:

كان أبو عمارة قد استوطن الكوفة عاصمة أمير المؤمنين عليه السلام، وشيد بها داراً وعاش بها إلى أن توفي في السبعينات وقد ناهز الثمانين عاماً، وله عقب بها وقيل بل انتقل إلى المدينة ومات بها، والأول أصح لاعتبارات<sup>(٢)</sup>.

نعم انتقل معظم الأنصار بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام إلى المدينة حيث وطنهم الأول، موطن آباءهم إلا أن أبا عمارة كانت له ظروفه الخاصة التي حبت إليه استيطان الكوفة إلى أن يوافيه أجله تماماً كما أن زميله أنس بن مالك استوطن البصرة حتى وافاه الأجل بها لاعتبارات خاصة به.

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٥/١٠.

(٢) ولقد أيد مؤلف «الاستبصار في نسب الأنصار» ص ٢٤٩، وفاة أبي عمارة بالكوفة.



ولأبي عمارة أخ يسمى :

عبيد بن عازب الأوسي الأنصاري .

كان مع أمير المؤمنين عليه السلام ، وشهد معاركه كلها ، وعبيد هو جد

عدي بن ثابت روى عنه في الوضوء والحيض<sup>(١)</sup> .

### بشر الأسلمي

من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان من المثقفين في القرآن

الكريم ، وكانت تحدوه هذه الثقافة الواعية على مقارعة الناكثين فاشترك إلى

جانب أمير المؤمنين عليه السلام في قتالهم ، وكان صديقاً لهاشم المرقال

بطل المعارك فانضم الأسلمي في جماعة من المثقفين الأسلميين من قومه

إلى هاشم المرقال ، فقارعوا الباطل في حماس رائع حتى استشهدوا عن

آخرهم ، فجاءهم أمير المؤمنين القائد العظيم فأبْنهم بهذه المقطوعة :

جزى الله خيراً عصابة أسلمية      صباح الوجوه صرعوا حول هاشم

يزيد وعبدالله ، بشر ومعبود      وسفيان وابنا هاشم ذي المكارم

وعروة لا يبعد ثناه وذكره      اذا اخترطت يوماً خفاف الصوارم

### بشر بن عبادة بن قيس

من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام<sup>(٢)</sup> .

### بشير بن أبي زيد الأنصاري

ويقال اسمه بشر لا «بشير» .

(١) يراجع الاستيعاب ٢ / ٤٣٠ - ٤٣١ .

(٢) مجمع الرجال ١ / ٢٦٦ .

من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان أبو زيد (والد بشير) من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وخاض المعارك إلى جانب الرسول حتى استشهد باحد على يد أبي سفيان وعصابته المناوئة لله ولرسوله، ولتحرير شعوب الأرض من سيطرة الطواغيت. ولقد ترك استشهاد أبي زيد في ضمير فتاه بشير لوعة واسىً مريراً لم تمحه السنون. وكان بشير يعادى الطلقاء وحينما تولى أمير المؤمنين الخلافة لتحرير الشعوب من الطواغيت أنضوى بشير تحت رايته، ودافع بحماس عن قضايا الاسلام العظيم، وراح يندد باللقاء، وخاض هو وأخوه وداعة إلى جانب أمير المؤمنين المعارك ضد الطلقاء في صفين<sup>(١)</sup>.

ولقد اشتبه على المؤرخين بشير بن أبي زيد الأنصاري هذا مع بشير بن أبي زيد الأنصاري وهو رجل آخر حيث إن الأخير استشهد يوم الحرة، وإن أباه أبا زيد واسمه قيس بن السكن أو ثابت بن زيد كان أحد الستة المهتمين بالقرآن الكريم والجامعين له في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقتل أبو زيد يوم الجسر في العقد الثاني للهجرة في فتوح العراق، وقيل قتل يوم الحرة. ولكن جاء من قال: إن «جسر» تصحف إلى حرة، فإذا قتل يوم الجسر.

### بشير بن أبي مسعود الأنصاري

من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام دافع عن قضايا الاسلام في معارك ضد القاسطين<sup>(٢)</sup>.

(١) الاستيعاب ١/١٥٧، أمد الغاية ١/١٩٥، الاصابة ١/١٦٢.

(٢) الغدير ٩/٣٦٤.

### بشير بن سعد الأنصاري

قال أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله :  
«الله الله يا معشر المهاجرين ألا تخرجوا سلطان محمد في العرب من داره ،  
وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم ، وتدفعون أهله عن مقامه في الناس ،  
وحقه ، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به لأننا أهل البيت ، ونحن  
أحق بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارئ لكتاب الله ، الفقيه في دين الله ،  
العالم بسنن رسول الله ، المتطلع لأمر الرعية ، الدافع عنهم الأمور السيئة ،  
القاسم بينهم بالسوية . والله أنه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله ،  
فتزدادوا من الحق بعداً» .

فقال بشير بن سعد الأنصاري ، وكان أحد من يستمع إلى كلامه : لو  
كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا علي قبل بيعتها ما اختلف عليك  
اثنان .

وهذا كلام فح يعبر عن عدم فقه أو نشاط ذهني وذلك لأن بيعة الامام  
سبقت بيعة الغير وذلك في غدير خم اضافة إلى مئات النصوص وتوصيات  
النبي صلى الله عليه وآله .

### بشير بن عقبة أبي مسعود بن عمرو الأنصاري

كان عقبة أبو مسعود من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وولد  
فتاه بشير في عهد الرسول صلى الله عليه وآله ، وترعرع في ذلك الجو  
الملائكي ، ورأى رسول الله ، وهو لا يزال صغيراً .

ثم تدرجت حياته في المدينة في ربوع الأنصار وكان بشير يوالي أمير  
المؤمنين عليه السلام ، وتلقى هو وجموع الطلبة في المدينة دروساً في الفكر  
الاسلامي على الصعيدين العملي والنظري من أمير المؤمنين عليه السلام

حيث كانت سيرته عليه السلام ومحاضراته خير سبيل للناشئة، وانضم بشير وقد اشدت ساعده، وأضحى من الشباب المتحمس لقضايا الساعة إلى ظل الخلافة الرشيدة الخالصة، واشترك في معارك الامام ضد الناكثين، وأبدى هو وقومه مواقف مجيدة<sup>(١)</sup>.

ثم انتقل بعد عام الأربعين إلى مسقط رأسه المدينة المنورة، وكانت أدركته الشيخوخة، ورأى الشعب المدني يعارض حكومة الظالمين، فجرد يزيد الأموي عام ٦٣ جيشاً جراراً من أهل الشام إلى المدينة، فعاث الجيش في مدينة رسول الله فساداً، وقتلاً ذريعاً، وتنكيلاً مروعاً، واستشهد بشير على يد الجند في هذه الواقعة التي اشتهرت في التاريخ باسم «واقعة الحرة»، وهي من الوقائع التي تندى لها جبين الانسانية فضاعة وقسوة وعنفاً.

### بشير بن معبد المعروف بابن الخصاصية السدوسي الوائلي (والخصاصية هي أمه أو جدته).

عاش في الجاهلية دهرأ ثم لما سمع بالدعوة الاسلامية ارتاد المدينة، وحضر عند رسول الله صلى الله عليه وآله، وأسلم على يديه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله:

ما اسمك .

فقال ابن الخصاصية: نذير.

فقال له الرسول صلى الله عليه وآله: أنت بشير.

وهكذا تغير اسمه من نذير إلى بشير وكان تغيير أسماء الجاهلية القائمة على الترهيب أو القسوة أو الانذار، مثل: كلب، وصخر، وحرب في ظل الاسلام هو الخط العام اتبعه الرسول صلى الله عليه وآله في الثورة على

(١) يراجع: الاستيعاب ١/ ١٦.

المعايير الجاهلية، وتحويلها إلى قيم اسلامية مطمئنة، ومنها تغيير الأسماء ليشيع في النفوس جو الطمأنينة والتفاؤل الطيب الأمر الذي نرى صاحب الرسالة يسمي سبطيه: حسناً وحسيناً وهما من الأسماء التي توحى بالحسن والجمال، واللطف والسمو.

ثم إن الأسماء تؤثر في نفوس أصحابها، فالأسماء القاسية تثير القسوة في نفوس أصحابها، أما الأسماء الكريمة الجميلة فانها تشيع في نفوس أصحابها اللطف والطيبة والجمال والحب.

فأين معنى بشير من معنى نذير، أين إحياءات بشير من إحياءات نذير. وكان ابن الخصاصية رجلاً فقيراً، وهو الغريب في المدينة الأمر الذي انضم إلى أصحاب الصفة وهو المكان الذي كان يأوي إليه فقراء الناس حتى يجدوا لهم داراً أو يغنيهم الله من فضله فينتقلون منها.

والصفة في المدينة كانت بمنزلة «الخان» أو «الرباط» أو «الفندق المتواضع». وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتعاهد أصحاب الصفة بالغذاء والكسوة والهدايا والصدقات. واضحووا يكوّنون قطعاً كبيراً من الناس وخاصة ان الهجرة إلى المدينة، والوفود التي كانت تفد إليها كانت قد ازدادت، وكانت المدينة على امتداد وجود رسول الله فيها قد ذاع صيتها فكان كثير من الناس يتوافدون إليها لاعلان اسلامهم ثم لتأمين حياتهم الاقتصادية.

ويحدثنا ابن الخصاصية عن اسلامه وتعاهد الرسول صلى الله عليه وآله له ولرفاقه من أصحاب الصفة فيقول:

أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فدعاني إلى الاسلام ثم قال لي: ما اسمك. قلت: نذير. قال: بل أنت بشير، فأنزلني الصفة فكان إذا أتته الهدية أشركنا فيها، وإذا أتته صدقة صرفها إلينا.

ورغم هذه الرواية من ابن الخصاصية والتي سمي نفسه فيها نذيراً

فهناك إختلاف بين علماء التراجم فسموه بأسماء مختلفة:  
زحما (بالزاي والحاء المهملة).

رخما (بالراء المهملة، والحاء المعجمة).  
بريراً.

ثم ان ابن الخصاصية بعد أن صبت الغنائم والأموال على أهل المدينة خرج من الصفة، وتزوج وزوجته هي «الجهدمة» وروت عنه ملامح من حياته الأولى.

وحينما اتخذ أمير المؤمنين الكوفة عاصمة الخلافة الإسلامية رحل ابن الخصاصية إلى الكوفة وأضحى من اصحاب أمير المؤمنين عليه السلام<sup>(١)</sup>.  
وروى ابن الخصاصية عن رسول الله أحاديث صالحة، وروى عنه بشير ابن نهيك<sup>(٢)</sup>.

قال قتادة: هاجر من بكر بن وائل أربعة رجال من بني سدوس:

أسود بن عبدالله بن من أهل اليمامة.

بشير بن الخصاصية.

عمرو بن تغلب من النمر بن قاسط.

وفرات بن حيان من بني عجل<sup>(٣)</sup>.

ويحدثنا ابن الخصاصية فيقول: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله ذات ليلة فتبعته فأتى البقيع وقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأنا بكم لآحقون، وأنا لله وإنا إليه راجعون، لقد أصبتم خيراً جزيلاً، وسبقتم شراً طويلاً.

(١) مجمع الرجال ٢٦٨/١، جامع الرواة ١٢٣/١، رجال الطوسي، أعيان الشيعة ٥٨٦/٣.

(٢) الاستيعاب ١٥٠/١.

(٣) الاستيعاب ١٥٠/١.

## بشير بن عمرو بن محصن الأنصاري

ويكنى بشير بـ «أبي عمرة» .

من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، ومن أصحاب الرأي في الانصار، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يعول عليه في الرسائل إلى أعداء «الرسالة». تثقف بشير بالثقافة العلوية، وتشبعت روحه بالمثل العليا.

انضوى تحت راية أمير المؤمنين عليه السلام، وأرسله الامام أمير المؤمنين عليه السلام في وفد أيام المعارك ضد الطلقاء إلى الطليق فقال عليه السلام يخاطب الوفد: «اتوا هذا الرجل فادعوه إلى الله وإلى الطاعة والجماعة، واحتجوا عليه وانظروا ما رأيه» .

وهذا في مطلع شهر ذي الحجة من عام ٣٦ فسار الوفد إلى فسطاط الرجل ودخلوا عليه، فتقدم بشير صاحب الترجمة وألقى كلمة قيمة فقال: «يا معاوية ان الدنيا عنك زائلة، وإنك راجع إلى الآخرة، وإن الله عزوجل محاسبك بعملك وجزائك بما قدمت يداك، وإني أنشدك الله عزوجل أن تفرق جماعة هذه الأمة، وإن تسفك دماءها بينها» .

فاستشاط الرجل غيضا على كلمة التقوى هذه وقال في عجرفة: هلا أوصيت بذلك صاحبك .

فقال بشير: ان صاحبي ليس مثلك، صاحبي احق البرية كلها بهذا الأمر في الفضل والدين والسابقة في الاسلام، والقراية من الرسول صلى الله عليه وآله .

قال: فيقول: ماذا .

قال: يأمرك بتقوى الله عزوجل واجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من

الحق، فإنه أسلم لك في دنياك، وخير لك في عاقبة أمرك<sup>(١)</sup>.

وهذه الرواية، وهناك رواية ثانية مكملة لهذه الرواية وهي: ان أمير المؤمنين عليه السلام أرسل وفداً في بدايات معاركه ضد الطلقاء والأحزاب برئاسة بشير بن محصن الأنصاري، وكان في الوفد سعيد بن قيس الهمداني، وشيث بن ربعي. ولما أوصى أمير المؤمنين عليه السلام الوفد بوصيته قال شيث بن ربعي: يا أمير المؤمنين ألا نطمعه في سلطان توليه إياه، ومنزلة يكون له بها أثره عندك ان هو بايعك.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ائتوه فألقوه، واحتجوا عليه وانظروا ما رآه. وهذا في مطلع ذي الحجة من عام ٣٦هـ.

فأتى الوفد الرجل ودخلوا عليه في فسطاطه وتكلم بشير بن عمرو بن محصن، ودعا إلى الألفة والجماعة، والانضمام تحت ظل الراية، والبيعة لأمير المؤمنين، وحقن الدماء. ولكن نفسية ابن عمرو ونفسية الرجل كانتا في واديين وجوين مختلفين تماماً كما ان شعاع الوفد من قبل أمير المؤمنين عليه السلام كان يزيد في ظلام الطليق الأمر الذي أبدى أباءً شديداً.

فحاول الهمداني أن يتكلم، فبادره شيث بن ربعي وقال: «يا معاوية إني قد فهمت ما رددت على ابن محصن، انه والله لا يخفى علينا ما تعزوا، وما تطلب إنك لم تجد شيئاً تستغوي به الناس وتستميل أهوائهم وتستخلص به طاعتهم إلا قولك قتل امامكم مظلوماً، فنحن نطلب بدمه، فاستجاب له سفهاء طغام، وقد علمنا ان قد ابطأت عنه بالنصر، واحببت له القتل لهذه المنزلة التي أصبحت تطلب، ورب متمني أمراً وطالبه الله يحول دونه بقدرته، وربما أوتي المتمني أمنيته وفوق أمنيته، ووالله مالك في واحدة منهما خير لئن اخطأت ما ترجوانك لشر العرب حالاً في ذلك، ولئن أصبت

(١) تاريخ الطبري ٥٧٤/٤، تحقيق أبي الفضل ابراهيم.



ما تمنى لا تصيبه حتى تستحق من ربك ضلّي النار، فاتق الله ودع ما أنت عليه ولا تنازع الأمر أهله»<sup>(١)</sup>.

فقال الرجل: فإن أول ما عرفت فيه سفهك وخفة حلمك قطعك على هذا الحسيب الشريف سيد قومه منطقته، ثم عنيت بعد فيما لا علم لك به، فقد كذبت ولؤمت أيها الأعرابي الجلف الجافي في كل ما ذكرت ووصفت. انصرفوا من عندي فإنه ليس بيني وبينكم الا السيف. وخرج الوفد وشبث يتمتم: أفعليننا تهول بالسيف أقسم بالله ليعجلن بها إليك.

فاتى الوفد أمير المؤمنين عليه السلام فأخبروه بالذي كان، فأخذ أمير المؤمنين علي عليه السلام يأمر ذا الشرف مع جماعة من الجند فيذهب إلى ساحة المعركة فيقاتل الطلقاء والأحزاب، وكانت أمور المعركة تسير على مثل هذه الوتيرة، والقادة الذين خرجوا على امتداد الأيام هم:

الأشتر النخعي.

حجر بن عدي الكندي.

خالد بن المعتمر.

زياد بن النضر.

شبث بن ربعي.

زياد بن خصفة.

سعيد بن قيس.

معقل بن قيس الرياحي.

قيس بن سعد.

فكان هؤلاء القادة يخرج مرة هذا، ومرة ذاك، ومرة ذياك مع جماعة من

(١) أسد الغابة ١/١٩٧.

الجنند. وكانت ساحة المعركة يحميها هؤلاء الأشاوس، وكان أكثر القوم خروجاً إلى الأعداء هو الأشر النخعي، ولقد اشترك بشير بن عمرو صاحب الترجمة في معارك صفين في حماس المؤمن الرائد، وحارب قوى البغي حتى استشهد إلى رضوان الله سبحانه.

وأبو عمرة بشير هذا هو والد عبد الرحمن بن أبي عمرة<sup>(١)</sup>.

### بعجة بن عبدالله بن بدر بن بعجة الجهني

عبدالله والد بعجة المذكور في الصحابة، وكان اسمه عبد العزى فسماه رسول الله «عبدالله»، ويكنى أبا بعجة، وكان معروفاً في جهينة بالصلاح والخير، ومعروفاً بالشجاعة، واعتمد عليه رسول الله صلى الله عليه وآله في الفتح حيث كان أحد الذين حملوا راية جهينة يوم فتح مكة.

روي عن بعجة ابنه عن النبي صلى الله عليه وآله: «يأتي على الناس زمان خير الناس فيه رجل أخذ بعنان فرسه إذا سمع هيعة تحول على متن فرسه ثم التمس الموت في مظانه، أو رجل في غنيمة له في شعب من الشعاب يقيم الصلاة، ويأتي الزكاة حتى يأتيه الموت.

ويروي بعجة صاحب الترجمة عن أمير المؤمنين عليه السلام.

ويروي أيضاً عن أبيه عبدالله وهو من التابعين ولا صحبة له.

## تمام بن العباس بن عبدالمطلب

من صحابة الامام الذين اهلتهم مؤهلاتهم أن يبزوا أصحابهم في دولة الامام . كان موضع ثقة الامام مما جعله والياً له على مدينة الرسول . كان أيداً شديداً البطش صاحب عضلات «بهلوانية» ، وقدرة كبيرة بدنية . وأمه سيدة من سيدات الروم تزوجها العباس وقد ناهز الستين عاماً من ربيع . وشقيق تمام هذا من أبيه وأمه هذه هو كثير بن العباس ، وشقيقه هذا هو أكبر من تمام ، وتمام هو أصغر أبناء العباس . وتسمى أمه «سبا» .

وكان أبوه يحمله وهو صغير ويداعبه وينشد :

تموا بتمام فصاروا عشرة يا رب فاجعلهم كراماً برة  
واجعل لهم ذكراً وانم الثمرة

ويوم ان تولى تمام اماره المدينة كان فتىً ممتلئاً القوة ذا حماس ونشاط كبيرين ، قد ناهز الثالثة والثلاثين عاماً .

ان الامام لما رحل عن المدينة باتجاه السواد نصب سهل بن حنيف الأنصاري عاملاً على المدينة ثم ان الامام أرسل إليه من «السواد» رسالة يدعو فيه أن يلتحق بركبه ، وأن يجعل مكانه صاحبنا تمام بن العباس ، وبالفعل انتقلت صلاحيات الوالي إلى المحافظ الجديد فقام بالحفاظ على مدينة الرسول ، ومد يد الرعاية والعطف لساكنيه ، وأرسى دعائم الأمن في المحافظة بعد ان كانت المدينة مركزاً للثورة والجلية ، وبعد ان كانت ميعاداً ومرمقاً للوفود الشائرة .

ثم ان الامام بعد فترة نصب بديله أبا أيوب الأنصاري عاملاً على

البلد .

ولم ير تمام النبي صلى الله عليه وآله ، ولكن ابنه جعفر بن تمام روى عن أبيه : ان النبي صلى الله عليه وآله قال لبعض من كان يرتاد مجلسه : «مالي أراكم تأتونني قلحاً»<sup>(١)</sup> استاكوا لولا أن أشق على أمتي لفرضت عليهم السواك كما فرضت عليهم الوضوء» . وذكر أصحاب المعاجم ولدين لتمام بن العباس :

١ - جعفر بن تمام .

٢ - قثم بن تمام وكان أثيراً عند الأمراء ينقل إليهم أخبار المدينة ، وأوضاع الناس . فقال حذيفة له زاجراً ومهيباً لتصرفاته هذه المشينة التي هي من لون التجسس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : لا يدخل الجنة قتات<sup>(٢)</sup> .

وهل حذيفة هذا الذي نهى قثم بن تمام من التجسس والنميمة هو حذيفة بن اليمان ، وقد توفي سنة ٣٧ في مطلع خلافة الامام ، ويعني هذا ان قثما قد بلغ مبلغ الرجال وهذا لا يلائم عمر أبيه تمام والذي يلائمه أن يكون قثم طفلاً يحبو فكيف له أن يعايش الأمراء الا ان يكون حذيفة هذا هو حذيفة آخر غير ابن اليمان .

### تميم بن حذلم الناجي

من صحابة الامام أمير المؤمنين عليه السلام .

كان أميناً صدوقاً متعبداً فقيهاً يعيش الحياة في زهد وتقى ، ويسعى إلى محاضرات الامام في شوق وهيام ، ويتلقى التعاليم تلقى الظمان للينبوع البارد

(١) القلح : جمع اقلح ، والقلح صفة تعلق الأسنان ، وما ينتج من خمرة الفم .

(٢) القتات : النمام .

النمير.

ويعتبر تميم بن حذلم من مؤرخي العهد العلوي، وكان ذكي الفؤاد، رابط الجأش، ذا خصائص قيمة، ومؤهلات كريمة مما حولته ان تكون له مكانة كريمة لدى الامام.

وشهد معارك الامام ضد الباطل والانحراف والزيغ، وخاضها بجدارة وإخلاص، وسعى لاجراج الناس من ظلام الجاهلية ورواسبها التي كانت لا تزال قائمة في كثير من القلوب والمشاعر، ومن تصورات الجاهلية التي لم تستطع يد الاسلام العملاقة ان تضعها أو تزحزحها من نفوس بعض الجماعات، التصورات التي كانت لا تزال ترين على ذهنية طائفة من الناس ذات المكانة الاجتماعية المرموقة.

وتميم الناجي له روايات ومشاهدات قيمة يرويها:

١ - قال: كان عليُّ إذا سار إلى القتال ذكر اسم الله حين يركب ثم يقول: «الحمد لله على نعمه علينا، وفضله العظيم ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾».

ثم يستقبل القبلة ويرفع يديه إلى الله ثم يقول: «اللهم إليك نقلت الأقدام وأتعبت الأبدان، وافضت القلوب ورفعت الأيدي، وشخصت الأبصار ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾ سيروا على بركة الله».

ثم يقول: «الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر. يا الله يا أحد يا صمد، يا رب محمد. بسم الله الرحمن الرحيم، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ﴿الحمد لله رب العالمين \* الرحمن الرحيم \* مالك يوم الدين \* إياك نعبد وإياك نستعين﴾. اللهم كف عنا بأس الظالمين».

فكان هذا شعاره بصفين<sup>(١)</sup>.

٢ - تميم الناجي قال: إن علياً قال: من يذهب بهذا المصحف إلى هؤلاء القوم فيدعوهم إلى ما فيه؟ فأقبل فتى اسمه «سعيد» فقال: أنا صاحبه. ثم أعادها فسكت الناس، وأقبل الفتى فقال: أنا صاحبه. فقال علي عليه السلام: دونك. فقبضه [بيده] ثم أتى معاوية فقرأه عليهم، ودعاهم إلى ما فيه فقتلوه.

وزعم تميم أنه سعيد بن قيس<sup>(٢)</sup>.

٣ - عن أبي مخنف، عن جابر بن يزيد قال: قال تميم بن حذيم الناجي: قدم علينا الحسن بن علي عليه السلام، وعمار بن ياسر يستنفران الناس إلى علي عليه السلام ومعهما كتابه، فلما فرغا من قراءة كتابه قام الحسن عليه السلام، وهو فتى حدث والله إنني لأرثي له من حداثة سنه، وصعوبة مقامه، فرماه الناس بأبصارهم وهم يقولون: اللهم سدّد منطق ابن بنت نبينا، فوضع يده على عمود يتساند إليه، وكان عليلاً من شكوى به فقال:

«الحمد لله العزيز الجبار، الواحد القهار، الكبير المتعال».

﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار﴾<sup>(٣)</sup>.

أحمدته على حسن البلاء، وتظاهر النعماء، وعلى ما أحببنا وكرهنا من شدة ورخاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله امتن علينا بنبوته، واختصه برسالته، وأنزل عليه وحيه، واصطفاه على جميع خلقه، وأرسله إلى الانس والجن حين عبدت الأوثان، وأطيع

(١) نصر ٢٣٠، مصباح البلاغة ١/٥٦.

(٢) نفس المصدر: نصر ٢٤٤.

(٣) الرعد ١٠.

الشیطان، وجحد الرحمن فصلی الله علیه وعلى آله، وجزاه أفضل ما جزى المسلمين.

أما بعد، فإني لا أقول لكم إلا ما تعرفون، ان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أرشد الله أمره، وأعز نصره بعثني إليكم يدعوكم إلى الصواب، وإلى العمل بالكتاب، والجهاد في سبيل الله، وإن كان في عاجل ذلك ما تكرهون، فإن في آجله ما تحبون إنشاء الله.

لقد علمتم ان علياً (صلی الله علیه) صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وحده، وإنه يوم صدق به لفي عاشرة من سنه، ثم شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله جميع مشاهدته، وكان من اجتهاده في مرضاة الله، وطاعة رسوله، وآثاره الحسنة في الاسلام ما قد بلغكم، ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله راضياً عنه حتى غمضه بيده، وغسله وحده، والملائكة أعوانه، والفضل ابن عمه ينقل إليه الماء ثم أدخله حفرته، وأوصاه بقضاء دينه وعبادته، وغير ذلك من أموره كل ذلك من من الله عليه.

ثم والله ما دعا إلى نفسه، ولقد تذاك الناس عليه تذاك الابل إليهم عند ورودها، فبايعوه طائعين ثم نكث منهم ناكثون بلا حدث أحدثه، ولا خلاف أتاه حسداً له وبغياً عليه، فعليكم عباد الله بتقوى الله وطاعته، والجد والصبر والاستعانة بالله، والخوف إلى ما دعاكم إليه أمير المؤمنين.

عصمنا الله وإياكم بما عصم به أوليائه، وأهل طاعته، وألهمنا وإياكم تقواه، وأعاننا وإياكم على جهاد أعدائه، وأستغفر الله العظيم لي ولكم. ثم مضى إلى الرحبة فهياً منزلاً لأبيه أمير المؤمنين عليه السلام. يقول جابر فقلت لتميم: كيف أطاق هذا الغلام ما قد قصصته من كلامه.

فقال: ولما سقط عني من قوله أكثر، ولقد حفظت بعض ما

سمعت<sup>(١)</sup>.

قال الحسيني : ان الامام المجتبي عليه السلام ولد سنة اثنتين من الهجرة، ولما ذهب إلى أهل الكوفة سفيراً من قبل أبيه أمير المؤمنين عليه السلام كان سنة ٣٦ من الهجرة فيكون عمره حينئذ ٣٤ سنة . اذن لم يكن حدثاً أو غلاماً كما جاء في هذا الحديث بل كان شاباً مكتمل القوة، وإن كان عليه السلام يبدو لمن شاهده يوم ذاك على تلك الصورة الرائعة الملهمة .

٤ - قال تميم بن حذيم : والله إني لمع علي عليه السلام إذ أتاه علقمة بن زهير الأنصاري فقال : يا أمير المؤمنين إن عمرو بن العاص يرتجز في الصف بشعر أفأسمعه قال : نعم . فذكر أبياتاً، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : اللهم العنه، فإن رسولك لعنه .

قال علقمة : وانه يا أمير المؤمنين يرتجز برجز آخر، فانشدك قال : قل . فذكر أبياتاً، فضحك أمير المؤمنين عليه السلام وقال : إنه لكاذب، وإنه بمكاني لعالم كما قال العربي : «غير الوهي ترقعين وأنت مبصرة» ويحكم أروني مكانه لله أبوكم وخلاكم ذم<sup>(٢)</sup> .

٥ - قال تميم الناجي : نادى حريث مولى معاوية، وكان شديداً إذا بأس فقال : يا علي هل لك في المبارزة، فأقدم أبا حسن إذا شئت . فأقبل علي وهو يقول :

أنا علي وابن عبدالمطلب	نحن لعمر الله أولى بالكتب
منا النبي المصطفى غير كذب	أهل اللّواء والمقام والحجب
نحن نصرناه على جلّ العرب	بأيها العبد الغرير المنتدب

(١) شرح نهج البلاغة ١١/١٤ - ١٣ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٤٦/٨ .



أثبت لنا يأيها الكلب الكلب

ثم خالطه فما أمهله أن ضربه ضربةً واحدةً فقطعه نصفين<sup>(١)</sup>.

٦ - عن جابر الجعفي قال سمعت تميم بن حذيم الناجي يقول:  
(وخلاصة قوله) ان معاوية كان يود اجتماعه بعامر بن وائلة الشهير بأبي  
الطفيل، وانه اجتمع به بعد رسائل ورسل فسأله: يا أبا الطفيل ما بلغ من  
حبك عليا. فقال: حب أم موسى لموسى، وساله: فما بلغ من بكائك عليه  
قال: بكاء العجوز المقلات، والشيخ الرقوب. إلى الله أشكو تقصيري،  
ويسنعرض قصيدة أبي الطفيل الهائية والتي فيها:

شعارهم سيما النبي ورأية بها ينصر الرحمن ممن يكيدها<sup>(٢)</sup>

٧ - قال تميم بن حذيم: لما أصبحنا من ليلة الهرير وهي الليلة التي  
حافت بالعدو نكسة الهزيمة، نظرنا فإذا أشباه الرايات في وسط العسكر،  
فلما أسفرنا إذا هي المصاحف قد ربطت في أطراف الرماح وهي عظام  
مصاحف العسكر وقد شدوا ثلاثة أرماع جميعاً وربطوا عليها مصحف  
المسجد الأعظم يمسكه عشرة رهط.

٨ - قال تميم الناجي: سمعت الأشعث بن قيس يوم حال عمرو بن  
العاص بيننا وبين ماء الفرات يقول: ويحك يا عمرو والله إن كنت لأظن لك  
رأياً فإذا أنت لا عقل لك، أترانا نخليك والماء تربت يدك وفمك؟ أما علمت  
أنا معشر عرب ثكلتك أمك وهبلك لقد رمت أمراً عظيماً . . . فناداه الأشر:  
والله لقد نزلنا هذه الفرضة يا بن العاص والناس تريد القتال على البصائر  
والدين، وما قتالنا سائر اليوم إلا حمية.

ثم كبر الأشعث وكبر الأشر ثم حملاً، فما ثار الغبار حتى انهزم أهل

(١) نصر ٢٧٣ .

(٢) يراجع ترجمة أبي الطفيل عامر بن وائلة .

## تميم بن عمرو الأنصاري النجاري

يكنى أبا الحسن.

كان محافظ «المدينة» من قبل الامام، وهذا حينما اشتاق سهل بن حنيف محافظ المدينة إلى زيارة الامام في عاصمته، وإلى الأنصار صحابة الامام المرافقين له في العاصمة، وقد حدثت لديه المشاكل التي حاول أن يستشير الامام، ويستهديه في مناهج حلها، وفي نفس الوقت سرت إليه أنباء معركة الجمل.

سافر ابن حنيف من المدينة ووضع في منصبه تميم بن عمرو صاحب الترجمة لإداره شؤون البلد في مناحيه المختلفة لما رأى فيه من مخائل الذكاء، والفطرة النقية، والخلق المستقيم، والحنكة السياسية، والصدر الرحب الأمر الذي وضع مفتاح البلد بيده، ونهد باتجاه السواد.

قال ابن الأثير: تميم بن عمرو المازني الأنصاري كان عاملاً للامام على المدينة حين خرج إليه سهل بن حنيف إلى السواد<sup>(٢)</sup>.

وتميم أبو الحسن<sup>(٣)</sup> هذا هو جد يحيى بن عمارة بن أبي الحسن. ولقد ذكرنا في ترجمة تمام انه كان الوالي بديل «ابن حنيف». فأى الرجلين تميم، أو تمام، فلربما كان أحدهما الوالي على كل شؤون المدينة والآخر كان معاضداً ومعاوناً له؛ فالوالي يحتاج إلى أعوان كثيرين لتصرف

(١) نصر ١٦٩.

(٢) أسد الغابة ٢١٨/١.

(٣) تاريخ اليعقوبي ١٦٨/٢.

تميم بن مشيخ ..... ٥٣

شؤون المدينة، فكان أحد الرجلين يتولى بعض مهام المدينة والآخر يكون هو  
الوالي .

تميم بن مشيخ

روى عن أمير المؤمنين عليه السلام في اللقيط<sup>(١)</sup> .

---

(١) الطبقات الكبرى ٦/٢٣٦ .

## ثابت البناني

يكنى أبا فضالة .

من أهل بدر صحب أمير المؤمنين عليه السلام، وحارب القاسطين إلى جانب قضية الاسلام الكبرى، واستشهد في هذه المعركة<sup>(١)</sup>.

## ثابت بن الحجاج

من صحابة أمير المؤمنين عليه السلام يروي عن زيد بن ثابت<sup>(٢)</sup>.

## ثابت بن سعد

من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام<sup>(٣)</sup>.

## ثابت بن عبيد الأنصاري

من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله شهد بدرأ، وبقى حتى أدرك الخلافة الراشدة، وانضوى تحت رايتها، وشهد صفين إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام، وناضل نضال الأبطال، واستشهد في سبيل الاسلام . . . الاسلام المحرر للشعوب من دجل وخذاع السياسيين . ونصر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب المجسد لوحدة الاسلام، ووحدة الامة .

(١) يراجع : مجمع الرجال ٢٩٨/١ .

(٢) مجمع الرجال ٢٩٦/١ .

(٣) جامع الرواة ١٣٨/١ ، مجمع الرجال : ٢٩٦/١ .

وليس في الاسلام مذاهب، وإنما هو الاسلام الذي يجسده أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته المعصومين . هو النهج الفذ لوحدة الاسلام ولوحدة الامة .

وهكذا استشهد ثابت الأنصاري في سبيل هذه الحقيقة الناصعة<sup>(١)</sup> .

### ثابت بن قيس بن الخطيم الأوسي الظفري الأنصاري

كان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، كان قد بهره مزايا أمير المؤمنين وخصائصه الكبرى الفكرية والعلمية والعسكرية .

عاش ثابت أيام الرسالة المحمدية يخوض المعارك إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو المعروف بالشجاعة والبراعة، وقد وصفه المؤرخون بقوة «النفس»، وله في معركة «أحد» جولات مجيدة في دفع الكفر القرشي، وأصيب ثابت من خلال نضاله ضد المشركين جراحات انتشرت في كيانه، ولقد شهد في تلك الجولات شجاعة أمير المؤمنين عليه السلام الفذة الأمر الذي أثار الحماس فيه فراح يصارع الشرك، وسمع ذلك الهتاف الفذ في فتي الاسلام:

«لا فتى إلا علي، ولا سيف إلا ذو الفقار» .

وشاهد على إمتداد حياته من خصائص الوصي العظيم ما أثرى في حبه، وحب الناس عامة، وتقديرهم له بل وحسد بعضهم له عليه السلام . وكان ثابت معروفاً في قومه، مشاراً إليه بالبنان، وصاحب فكر وتدبير ورؤية واضحة في سياسة الحياة الاجتماعية، وحنكة في التفاعل مع الناس والأمراء .

والجدير بالذكر ان ثابتاً كان ابن الشاعر المعروف عند أهل يثرب، فقد

(١) الاستيعاب ١/١٩٩، أعيان الشيعة ٤/١٤، أسد الغابة ١/٢٢٧، الغدير ٩/٣٦٢ .

كان أبو ثابت هو قيس بن الخطيم من الشعراء المعروفين، وكان يدافع في قصائده عن قومه «الأوس»، وكانت هناك حروب بين الأوس والخزرج قبل بعثة الرسالة المحمدية، وقد أثارت هذه الحروب في نفوس القبيلتين حزازات، وثارات عمقت الجروح في القلوب، وبالتالي ازدادت الكراهية بين أفراد القبيلتين الأمر الذي كانت الاغتيالات بين الفريقين على قدم وساق، وشاع الخوف والذعر بين القبيلتين، وكان قيس الأوسي والد صاحب الترجمة من المدافعين والمتحمسين لقضايا قومه الأوس، فكان شريفاً معروفاً مطاعاً في قومه، وكانت قصائده كالنبال يستهدفها «الخزرج» الأمر الذي اضطمت جوانح الخزرج على بغض وحقد شديدين لقيس الشاعر الأوسي.

ولما طلع فجر الاسلام، وتسامع الناس بهذا الفجر المشرق المريح كانت القبيلتان: الأوس والخزرج على حالتها تلك من المعارك وانتشار الكراهية والبغضاء بينهما وبلغت انباء البعثة الرسالية إلى يثرب، وشدت انتباه الناس إليها، وتسامع أهل يثرب عن التحركات التعسفية القرشية الكافرة ضد رسول الله صلى الله عليه وآله، وما يعانيه المسلمون من أهل مكة من المشركين.

وكانت المعارك والاغتيالات، وانتشار الذعر، وتفشي الفساد الاقتصادي والاجتماعي في يثرب قد أضحي باهضاً ومرهقاً الأمر الذي فكر كبار الشيوخ من القبيلتين لو أنهما مجتمعتين طلبا من رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن المسلمين الهجرة إلى يثرب، فلعل هذه الهجرة المباركة ستكون عاملاً لألفة القلوب بين القبيلتين، وتعود الحياة إلى مجاريها، وتصبح النشاطات في اتجاهات مشرة بدلاً من إهدارها في التطورات السلبية.

وهذه الفكرة انتشرت في يثرب وقبلوها بكل ترحاب، وإن كانت هناك جماعة لم ترتاح إلى الفكرة إلا أنها كانت قليلة بالنسبة إلى المجتمع

اليثربي ، ومن هذا المنطلق ذهب وفد كبير المستوى إلى مكة لدعوة رسول الله إلى المدينة .

وبات الناس في يثرب ينتظرون نتائج الدعوة بفارغ الصبر، وفي نفس الوقت كانت جماعة من الخزرج تحوِّك الدسائس لتعكير الجو السلمي الذي كاد يشيع في المدينة، فلقد كانت الجماعة تعرف أن الإسلام يهدر كل دم أريق في الجاهلية .

وبتعبير آخر: ان الإسلام يجب ما قبله، وها هو الإسلام يتحرك حثيثاً لينتشر في ربوع المدينة، ولقد فكرت الجماعة الخزرجية: ان الإسلام قبل أن ينتشر في المدينة أن تأخذ بثأرها من يوم بعث .

ويوم بعث هو من الأيام التي انتصر فيها الأوس على الخزرج . فهذه الجماعة الخزرجية تحاول قبل إنتشار الإسلام في المدينة، وقبل تألف الناس والنفوس، وقبل طم الحزازات، وتحطيم التقاليد الجاهلية أن تأخذ بثأرها . . . وممن؟ من قيس بن الخطيم الأوسي والد صاحب الترجمة . أليس هو شاعر الأوس، والشريف في قبيلته؟ إذن فلتغتا له .

قالت الجماعة الخزرجية: إنَّ الأوس قد صنعوا بنا يوم بعث ما صنعوا، وقيس بن الخطيم شاعرهم والشريف فيهم، فإن قتلتموه غسلتم عار بعث، فاغتنموا قتله قبل أن يحول بينكم وبينه الإسلام<sup>(١)</sup> .

وهكذا بيتت الفئة الخزرجية «قيس بن الخطيم» وقتلته . . . وهذا قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى يثرب بأشهر قليلة .

وأسلم ثابت بن قيس، وأسلم اليثريون، وهنا بعثت الفئة التي اغتالت قيس بن الخطيم بسلاحه إلى ابنه ثابت، فقال ثابت في مرارة: لولا الإسلام

(١) الاستبصار في نسب الأنصار: ٢٥٨ .

لأنكرتم ما صنعتم<sup>(١)</sup>.

وفي تيار الهجرة الهام انمحي صدى الاغتيال، تماماً كما انمحت كل التقاليد والمشاعر البالية وجاء مكانها مشاعر الاسلام النبيلة المقدسة .  
وعاش ثابت بن قيس تيار الاسلام العظيم، واشترك في جبهاته ضد الجاهلية، وكانت لسيرة أمير المؤمنين وبطولاته في عهد ابن عمه رسول الله ما يعجب ويدهش ثم وبعد وفاة ابن عمه كان أمير المؤمنين عليه السلام الرائد العظيم الذي كان ثابت والناس ينظرون إليه نظرة كلها أكرام وتقدير، وإن كان هذا اللون من النظرة الكريمة قد تناثر فوقها ركام السياسة وإرهابها إلا أن شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فرضت نفسها على الحاكمين، وعلى الشعب على السواء، فلم يكن بمقدور السياسة، ولا بمقدور أحد تناسي تلك الشخصية اللامعة، وكيف وهو «حجة الله» عليه السلام.

ونستطيع أن نجد ملامحاً من هذا الوجه المشرق في ذهن ثابت بن قيس بن الخطيم، وهو المعبر عن مشاعره ومشاعر الشعب يوم اجتمعت الأمة على التصويت للخلافة العلوية الرائدة في الكلمة التي ألقاها يوم الفرح والابتهاج، يوم البيعة، يوم إسداء التهاني :

«والله يا أمير المؤمنين لئن كانوا تقدموك في الولاية، فما تقدموك في الدين، ولئن كانوا سبقوك أمس لقد لحقتهم اليوم، ولقد كانوا وكنتم لا يخفى موضعك، ولا يجهل مكانك يحتاجون إليك فيما لا يعلمون، وما احتجت إلى أحد مع علمك».

وهذه الكلمة المعبرة عن مشاعر ثابت، المعبرة عن اتجاه الناس لهي تنير الطريق على الرؤية الواضحة التي كان ثابت يتمتع بها، فإذا سبق الحكام



أمير المؤمنين - زمنياً - في السلطة وحكم الناس، فإنه قد لحقهم حسب تعبير ثابت - ولكن على مستوى رفيع - وإذا تقدموه في المناصب، فإنه عليه السلام أحرز قصب السبق في الدين، وهو أهم من كل مظاهر الدنيا بما فيها مظاهر بريق المناصب والسلطة وأبواقها . .

ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام هو فوق الناس جميعاً: الحكام والامة في العلم والوعي الثقافي العظيم، فكان الناس عامة بما فيهم الحكام قبله عليه السلام يحتاجون إلى علمه ووعيه في تواضع جم، ومكانه عليه السلام في القمة يراه الجميع ولا يجهله أحد «وكنت لا يخفى موضعك ولا يجهل مكانك يحتاجون إليك فيما لا يعلمون، وما احتجت إلى أحد مع علمك» .

وكان ثابت يخطب امام جماهير المهاجرين والأنصار، وجماهير الامة المحتشدة في ذلك اليوم السعيد .

### تصحيح خطأ:

إن كلمة التهئة هذه نسبها ابن واضح إلى ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري<sup>(١)</sup> .

علماً ان ابن شماس قتل في معركة اليمامة، أي بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بأشهر، فإن الخطأ وقع في ذكر شماس في سلسلة نسب ثابت<sup>(٢)</sup> .

بل ملقبي الكلمة هو ثابت بن قيس بن الخطيم وكان صاحب براعة وخطاب .

(١) تاريخ يعقوبي ١٦٦/٢ .

(٢) جامع الرواة ١/١٣٩، أسد الغابة ١/٢٣٠ .

٦٠..... مرسوعة أمير المؤمنين عليه السلام / ج ٢

والملاحظ ان ثابت بن شماس قتل أبنائه الثلاثة وهم : عبدالله ،  
ومحمد ، ويحيى في واقعة الحرة . وأم ثابت بن شماس طائية سيدة من طي .  
واشترك ثابت في المعارك الثلاثة : الجمل ، وصفين ، والنهروان .  
وأبدى فيها بطولة فائقة إلى جانب امير المؤمنين عليه السلام ، وأبلى بلاء  
حسناً<sup>(١)</sup> .

ولما كان ثابت يتمتع بشخصية فذة رشحه أمير المؤمنين عليه السلام  
لإدارة محافظة «المدائن» ، وهي تلك العاصمة الساسانية الخيالية المذكورة  
في قصص ألف ليلة وليلة ، واستعرض التاريخ قصورها الحالمة .  
عاش ثابت أعواماً وهو يدير شؤون المدينة السياسية والاجتماعية ، وقد  
أثارت هذه البادرة من قبل أمير المؤمنين عليه السلام في الأنصار التقدير  
والحب . وكان ثابت شهير الصيت حتى عند العدو بالحنكة السياسية الأمر  
الذي كانوا يتقنون جانبه ، وظل ثابت في محافظته إلى أن استشهد  
أمير المؤمنين عليه السلام ، وبعده بقي فيها فترة ثم انتقل إلى المدينة في  
جموع الأنصار التي انتقلت من العاصمة إلى المدينة ، وهذا بعد انتقال  
السلطة إلى الباطل .

وعاش الأنصار في المدينة حياة يشيع فيها من قبل السلطة الحاكمه  
الارهاب والذعر والتهافت الاقتصادي والاجتماعي ، وانتشار الفقر في صفوف  
الأنصار الأمر الذي فكر قوم ثابت بن قيس في تلافى التهافت الاقتصادي أو  
الحصار الاقتصادي الذي فرضته السلطة المناوئة على الأنصار الأمر الذي  
اجتمع قوم ثابت بن قيس ، وهم من الأوس من بني ظفر - وظفر هو جد ثابت  
ابن قيس الأعلى - اجتمع القوم للتفاوض حول حقوقهم المالية التي حبستها

(١) تاريخ بغداد ١/ ١٧٦ ، أسد الغابة ١/ ٢٢٨ - ٢٢٩ ، الاستيعاب ١/ ٢٠٠ ، معاهد

التبصير ٩٠ ، ديوان قيس بن الحظيم ٦

السلطة عنهم طوال أعوام ثلاثة فلم تقدم إليهم شيئاً. هذا بالإضافة إلى حقوقهم الاجتماعية، والسياسية، والفكرية المهدورة.

وتسامع ثابت بن قيس باجتماع قومه في مسجد بني ظفر الأمر الذي أسرع إلى المسجد ليشاركهم في أتراحهم وأفكارهم وقراراتهم. دخل عليهم مجلسهم فرحبوا به ثم تساءل: «ما هذا الذي تريدون أن تصنعونه».

فقالوا في نبرات آسية غاضبة: «نريد أن نكتب إلى هذا الطاغية». وحينما سمع كلامهم أوجس عليهم خيفة، وفي نفس الوقت فند هذا الاقتراح الذي فيه مهانة لكرامة عامة الأنصار، فالأنصار كانوا يومذاك تلتقط أنفاسهم، وتكتب تحركاتهم، وتراقب أفكارهم من قبل السلطة، فإذا وقعت أسمائهم عند معاوية أو الطاغية، فإنه حتماً سيزج بهم في السجون أو سيعاملهم بمعاملة أقسى وأعنف.

ومن هذا المنطلق قال ثابت بن قيس يوضح لهم نقاط الضعف في اقتراحهم، فقال في نبرات غاضبة: «ما تصنعون أن يكتب إليه جماعة». ثم أضاف قائلاً في نبرة ناصحة وحكيمة: «يكتب إليه رجل منا، فإن كانت كائنة برجل منكم، فهو خير من أن تقع بكم جميعاً، وتقع أسمائكم عنده».

وهنا أوجس القوم جميعاً الخيفة والحذر فقالوا: «فمن ذلك الذي يبذل نفسه لنا».

وهناك ظهرت شجاعة ثابت وتفانيه في سبيل قضايا قومه فقال: «أنا، أنا أكتب».

فقالوا وقد علت اسارير البهجة والفرح، وتفتحت قلوبهم له فقالوا: «فشأنك».

فبادر وأخذ قرطاساً وبدأ بنفسه فذكر أشياء منها نصره النبي، ونصرة الاسلام وغير ذلك ثم قال: «... حبست حقوقنا، واعتديت علينا وظلمتنا،

وما لنا إليك ذنب إلا نصرتنا للنبي صلى الله عليه وآله»<sup>(١)</sup>.  
وكانت الرسالة على إختصارها شديدة الوقع على السلطة، فطلبت أن  
توقع على ثابت أشد العقوبات: أن يصلب، ويقتل، ويشهر به على  
الجماهير، ولكن رأت أخيراً أن تسير معه بسياسة يظهر فيها اللين...  
وأرسلت إلى ثابت رسالة جوابية، وجاءت بعدها حقوقهم وقد أطمعت ثابت  
هذه البادرة، وكان قومه يحثونه أن يسافر إلى معاوية، فانصاع لهم فسافر إليه،  
ولكن خابت الآمال وصدَّ عن اللقاء، واستخف به طوال شهرين.

يقول التاريخ: مكث نحواً من شهرين لا يلتفت إليه ثم استأذنه  
للخروج، فبعث إليه بمائة ألف درهم فوضعها في منزله وتركها وخرج<sup>(٢)</sup>.  
وهكذا يظهر ثابت الأنفة والكرامة أن تداس، ويدع ذلك المال  
الضخم كأنه شيء تافه، ويخرج غاضباً.

وهذا المال الضخم هو لمن؟.. أنه المال الذي جمعه الجبابة من  
المساكين الفلاحين والمزارعين، وأصحاب الأموال والنعم... أنه مال  
حرام... وهذه إحدى الأسباب في ترك ثابت المال، ثابت المتربى في ظل  
دولة أمير المؤمنين عليه السلام، والدارس للاسلام ولنظامه الفذ الأمر الذي  
يصبح هذا المال مال سحت<sup>(٣)</sup>.

### وفاة ثابت بن قيس :

وتوفى ثابت بن قيس بعد حياة حافلة من صعود وهبوط، وبعد أن شاهد  
الاسلام والرسول العظيم، ودولة ابن عمه أمير المؤمنين، واحداث جسام في

(١) تاريخ الخطيب ١/١٧٦.

(٢) تاريخ الخطيب ١/١٧٦ - ١٧٧.

(٣) ولقد أجاز ليف من الفقهاء جوائز السلطان.

ثابت بن قيس الأوسي ..... ٦٣

فترة وجيزه في عمر الزمن، الطويلة في عمر التاريخ التي تعد كل ساعة منها أعواماً لفخامة العمل والاتجاه.

ولم تترك السلطة أن يعيش الأنصار حياة حرية بها بل ضايقتها أعنف مضايقة، ولم تترك أسرة ثابت بن قيس أن تعيش سليمة، وحياة كريمة بل بعثت السلطة عام ٦١ الجيوش من أهل الشام إلى المدينة وقتلت المئات. وكان من نصيب أسرة ثابت بن قيس ثلاثة قتلى، وهم أولاده: محمد، عمر، يزيد<sup>(١)</sup>.

ولقد اشتهر الابن الرابع لثابت بن قيس وهو عدي بن ثابت بن قيس الأنصاري وهو من العلماء الرواة الثقات.

وليس لثابت صاحب الترجمة رواية كما زعم ابن الأثير<sup>(٢)</sup>. وأم ثابت بن قيس اسمها «حواء». وليس لولد ثابت عقب. ويقال: ان عدي بن ثابت، هو عدي بن أبان بن ثابت فهو حفيد ثابت<sup>(٣)</sup>.

وديوان «قيس بن الخطيم» والد ثابت بن قيس مطبوع.

(١) أسد الغابة ١/٢٢٩.

(٢) أسد الغابة ١/٢٢٨ - ٢٢٩.

(٣) أعيان الشيعة ٤/١٦.

## جابر بن عبدالله الأنصاري السلمي الخزرجي

يكنى أبا عبدالله .

من كبار صحابة الامام الذين تفتانوا في سبيله . وشهد معركتي الجمل وصفين إلى جانب الامام ، وبعد أن استشهد الامام رافق أبنائه وأحفاده :  
الامام الحسن ، والامام الحسين ، والامام زين العابدين علي بن الحسين ،  
والامام الباقر عليهم السلام .

وقاد حملة إعلامية حامية ضد الأمويين الذين حاولوا أن يشوهوا سمعة الاسلام عن طريق تشوية سمعة الامام المثال الأكبر للاسلام ، والفتى الفذ للرسول الكريم .

واعتبر جابر من كبار المفسرين للقرآن الكريم ، وسادة الحفاظ للحديث ، ومن المعلمين الذين ارتوى منهم التلامذة الكبار ، وانتهل من نبع الرسالة تماماً كما ارتوى من ينبوع الامامة .

وسار جابر في حياته على منهج الاستقامة لا تلويه لفحات الحياة ، ولا تكاد تجذبه مظاهر البذخ والترف ، ولا تحفزه دوافع الجاه والمنصب .

وبعد وفاة الرسول الكريم اقتدى بالامام ، وسار على منهاجه ، وتشرب فيض شذى امامه وقائده .

أسلم جابر ولم يكد يبلغ سن المراهقة والشباب ، وشهد العقبة الثانية في مكة ، وبايع رسول الله في سبعين رجلاً من أهل المدينة . وهذا قبل هجرة الرسول العظيم إلى المدينة .

وكان جابر أصغر القوم سناً ، رافق أباه إلى مكة ، وذلك لأن جابراً كان

وحيد والديه الأمر الذي كان أبوه عبدالله له هيام بابنه هذا، وحب عظيم.  
ولا يكاد الوالد يسافر في السبعين نفراً لحضور المؤتمر الرسالي في  
العقبة الثانية حتى يصحبه الابن الفذ جابر ليشهد ذلك المشهد الفريد،  
وببايع رسول الله على الفداء والتضحية في سبيل الرسول والرسالة.  
قال ابن سعد: ويجعل جابر في الستة نفر الذين أسلموا من الأنصار  
أول من أسلم منهم بمكة<sup>(١)</sup>.

وفي الساعات الأولى رأى الرسول في جابر الفتى المراهق ملامح  
النجابة، ومعالم الذكاء والشجاعة، ومعاني التضحية والفداء الأمر الذي أولاه  
الرسول الكريم عطفه وتقديره ورحمته، ولما كانت روح جابر روحاً مؤمنة  
مزودة بكل المواهب والقابليات ارتقى في السلم الاجتماعي والديني.  
وكان والده عبدالله بن عمرو الأنصاري من نقباء الأنصار، وطالما اعتر  
جابر بنقابة والده الذي كان الرسول قد اختاره لهذه المسؤولية الضخمة، والتي  
رآه الرسول أهلاً لها، وله إعداد نفسي للقيام بأعبائها. واستشهد عبدالله في  
معركة أحد ثاني معارك الاسلام إلى جانب رسول الله، وكان أول شهيد في  
المعركة، وصلى عليه الرسول الكريم.

استشهد عبدالله - والد جابر - على يد سفیان بن عبد شمس، وسفیان  
هذا هو والد أبي الأعور السلمي الذي لطح التاريخ الاسلامي بالعار والشار.  
ان عبدالله والد جابر لم يستشهد في المعركة فحسب بل ومثل به  
التمثيل الفضيع: جدد أنفه، وصلمت أذناه. وهكذا كانت يد الحقد  
والجاهلية بقيادة أبي سفیان تعمل وتحز في القتلى والشهداء، وبنفس هذه  
اليد الحاقدة عملت في التاريخ الاسلامي في العصر الأموي، فجرى في  
جداول التاريخ الدماء والدموع.

(١) طبقات ابن سعد ٣/٥٧٤.

ولما استشهد عبد الله - والد جابر - طففت أخته - أي عمه جابر - تبكي أخيها الشهيد، وبكته أسرته وبناته، فقال الرسول صلى الله عليه وآله: أبكوه أو لا تبكوه فوالله ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى دفنتموه<sup>(١)</sup>.

يقول جابر الشاب النشط الذي أصبح المسؤول الأول عن أخواته، عن أسرة أبيه، وعن ديون أبيه، يقول جابر وقد نقل جثمان أبيه من ضريح إلى ضريح، وكان قد دفن في ضريح جماعي فأراد جابر أن يفرد لأبيه ضريحاً لوحده: حضرت له قبراً بعد ستة أشهر فحولته إليه، فما انكرت منه شيئاً إلا شعرات من لحيته كانت مستها الأرض<sup>(٢)</sup>.

وهكذا جثمان الشهداء في سبيل الله لها كرامتهم عند الله حتى ان الأرض لا تأكل من جسداهم شيئاً.

كان جابر بعد استشهاد أبيه يتعقبه التفكير في السبيل إلى رعاية أسرة أبيه الذي أصبح المسؤول الأول عنها، وكان هناك دين على أبيه، وكانت الموارد الضئيلة لا تفي، والتركة لا شأن لها يعتد به أو يمكن استثمارها في سبيل دفع ديون أبيه، وانعاش أسرته الأمر الذي أمسى جابر حزيناً مشوش البال. رآه الرسول صلى الله عليه وآله ذات يوم فرنى إلى وجهه الشاحب، وجبينه المعقود، فقال له في نبرة هادئة: «مالي أراك منكسراً مهتماً».

فقال جابر في حياء وكاد الدمع ينبجس من عينيه: «يا رسول الله استشهد أبي، وترك عيلاً، وعليه دين». الأب استشهد في سبيل العقيدة، ورسول العقيدة يهتم بأسر الشهداء، ولكن لا بد أن تسنح فرصة ليحل الرسول صلى الله عليه وآله المشاكل. مضى جابر لسبيله إلى إن وقعت غزوة ذات الرقاع، وكان جابر في الطليعة الغازية مع الرسول الكريم وفي هذه الغزوة

(١) الاستيعاب ٢ / ٣٣٣.

(٢) الاستيعاب ٢ / ٣٣١ - ٣٣٣.



التقى جابر بالرسول الكريم، فبادره الرسول صلى الله عليه وآله: «ما فعل دين أبيك».

فقال جابر: يا رسول الله هو عليه انتظر أن نجد نخلة.

فقال: إذا جذدت، فأحضرني واعزل العجوة على حذتها، وألوان

التمر على حذتها.

ولما ان حان وقت جذ النخل وحصاد التمر فعل جابر طبقاً لما رسمه

له رسول الله صلى الله عليه وآله من تصنيف ألوان التمر كل على حدة، ولما

ان انتهى جابر من عملية التفريز هروا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله

مستبشراً جذلاً، وأخبر الرسول بما فعل، فأقبل رسول الله إلى البستان،

بستان والد جابر والذي انتقل إليه وإلى أخواته وراثته، فلما إن وقع نظر رسول

الله صلى الله عليه وآله على التمر مفرزاً مصنفاً ابتهل إلى الله تعالى ودعا:

«اللهم بارك له».

ثم مشى وبيداً إلى كل لون من ألوان التمر المصنف يمسّه ويباركه، ثم

أمر جابر أن يدعو غريم أبيه الذي له عليه - أي على أبيه - دين فجاء المدين،

واكتال دينه من العجوة - وهو تمر خاص - حتى اكتمل دينه وذهب. وعندما

ذهب الدائن، والذي استوفى دينه شعر جابر بارتياح من الدين الباهض الذي

كان قد أثقل كاهله، والذي كاد أن ينوء تحت ثقله. قال رسول الله في رفق

وحب: «هل بقي على أبيك شيء».

قال جابر ووجهه طافح بالبشر: «لا».

ولنصغي إلى جابر وهو يقص علينا المعجزة الكريمة بحيث لولا

المعجزة لما استطاع جابر أن يسدد دين أبيه، ولو باع الرأس مال أو البستان

كله قال جابر:

«وبقي سائر التمر فأكلنا منه دهرأ، وبعنا منه حتى ادركت الثمرة من

قابل، ولقد كنت أقول لو بعته أصلها ما بلغت على أبي من الدين، فلقد

رأيتني والنبى صلى الله عليه وآله يقول: «ما فعلت في دين أبيك» فقلت قد قضاه الله .

فقال: «اللهم اغفر لجابر». فاستغفر في ليلة خمساً وعشرين مرة . ثم ان جابراً خاض المعارك إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتبلغ ثمانية عشر غزوة ومعركة ، ولم يشهد معركة بدر واحد لظروف السن ، ولظروف الأسرة حيث كان لأبيه بناتاً وولداً واحداً وهو جابر ، فكان الفتى المراهق يعني بأسرة أبيه إذا ما اشترك الأب في معركة<sup>(١)</sup> .

غزا جابر غزوة تبوك مع رسول الله صلى الله عليه وآله ولما عادوا من الغزوة منطلقين باتجاه العاصمة وإذا بجمل جابر يصيبه الإعياء والارهاق من المسيرة الطويلة ، ومن الجوع والعطش اللذين لقيهما على إمتداد الطريق عوداً وبدءاً ، وكان الليل قد ضرب سراقده على الجيوش الاسلامية العائدة إلى عاصمتها فماذا يفعل جابر مع جملة هذا الذي ضرب الأرض بجرانه ، وهذه الجيوش تسير وتكاد تفوته أفيمكث في البيداء القاحلة يعالج جملة؟

إن من الحكمة أن يحمل زاده وما يخصه من أمتعة على ظهره ثم يلحق بالجيوش التي كادت تتخطاه ثم يترك الجمل وشأنه . ومن هذا المنطلق الفكري الحكيم طفق جابر يحمل الأمتعة وزاده من على ظهر الجمل ، وإذا برسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان أبداً يعني بجنوده ، ويرعى ضعيفهم ويحذب على منقطعهم يلمح شبحاً يمشي فقال: من هذا .

فقال ابن عبد الله : جابر .

قال الرسول : «ما لك؟» .

فذكر جابر قصة جملة ، فقال الرسول صلى الله عليه وآله : اردد عليه متاعك واركبه .

(١) غزا الرسول صلى الله عليه وآله بنفسه ٢١ غزوة .

ثم ان رسول الله دنا من الجمل ومسه بيده المباركة وإذا بالجمل المعبي يقوم بصاحبه وينطلق به كأنما نشط من عقال، ولا يكاد صاحبه يستطيع أن يصدّه عن الهملجة السريعة. يقول جابر وهو مشرق الوجه يكاد الفرح يطير به قبل جملة: «فجعلت لا أضبطه في السير».

ثم إنّ جابراً بعد وفاة الرسول والتحاقه بالرفيق الأعلى مارس الزراعة، وعاش حياة الزاهدين المتقشفين، وفي خلال عمله اليومي كان يغترف من ينبوع الامام وتعاليمه القيمة، ولما ان بلغ الامام الخلافة كان جابر في طليعة المؤيدين والمناصرين والمعاضدين، ولم يكد يسمع جابر برحلة الامام باتجاه ما بين النهرين حتى شد أمتعته، وهياً زاده وصفى حساباته ثم انضم إلى جيش الامام كجندي وسار بمسار الامام، وهناك في ساحة المعركة الجميلة خاض جابر مع بقية رفاقه من الأنصار والمهاجرين معركة هائلة.

ولما أن وضعت الحرب أوزارها وأقبل الليل بطلائعه اجتمع بعض رفاق جابر في حلقة مسامرة، وكانت العيون تتطلع إلى ضحايا المعركة، وكانت هناك من بين الضحايا ثلة صحبت الرسول صلى الله عليه وآله أو صاحب رفاق الرسول صلى الله عليه وآله فانهمرت العيون بالدموع وسرت إلى رفاق جابر الأسى على الدنيا كيف تغر أهلها؟ وكيف تأخذ بأيديهم في محجة لاحبة ومهيع آمن ثم تلتوى بهم في طريق مضرس غير معبد، طريق معتم المعالم لا يكاد يلمع فيها ضوء سوى ظلام المطامع أو الأحقاد أو العصبيات الشيطانية.

أهذه هي الدنيا في ظلامها وضلالها؟ كان جابر ورفاقه يفكرون في الدنيا وأدوارها الظالمة وعيونهم مشدوهة مسمرة على الضحايا ثم شرعوا في ذم الدنيا وكشف مواصفاتها اللئيمة إلى الهزيع الأخير من الليل، وهؤلاء ضحايا الجمل مائل امام عيونهم، وكان الرفاق قد حمى وطيس ذمهم للدنيا وإذا بالامام يشرف عليهم ويقول: «فيم أنتم فيه» فقال جابر ورفاقه: في ذم

الدنيا، فقال الامام: تدم الدنيا يا جابر؟  
ثم شرع الامام المعلم الأكبر للامة يلقي الأضواء الكاشفة على الدنيا  
ومحامدها: «يا جابر الدنيا منزل صدق لمن صدّقها، ومسكن عافية لمن فهم  
عنها، ودار غنى لمن تزوّد منها. مسجد أنبياء الله، ومهبط وحيه، ومصلى  
ملائكته، ومسكن أحبائه، ومتجر أوليائه. اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا منها  
الجنة، فمن ذا يذم الدنيا يا جابر؟ قد آذنت بينها، ونادت بانقطاعها، ونعت  
نفسها بالزوال، ومثلت ببلاتها البلاء، وشوقت بسرورها إلى السرور،  
وراحت بفيجعة، وابتكرت بنعمة وعافية، ترهيباً وترغيباً يذمها قوم عند  
الندامة.

خدمتهم جميعاً فصدقهم، وذكّرتهم فذكروا، ووعظتهم فاتعظوا،  
وخوّفتهم فخافوا، وشوقتهم فاشتاقوا.

فأيها الذام للدنيا المغتر بغرورها متى استدمت إليك، بل متى غرتك  
بنفسها: بمصارع آباءك من البلى، أبعضاج أمهاتك من الثرى. كم  
مرضت بيديك، وعللت بكفيك، تستوصف لهم الدواء، وتطلب لهم الأطباء  
لم تدرك فيه طلبتك، ولم تسعف فيه بحاجتك بل مثلت الدنيا به نفسك  
وبحاله حالك غداة لا ينفعك أحباؤك، ولا يغني عنك نداؤك حين يشتد من  
الموت أعالين المرض واليتم لوعات الممضض حين لا ينفع الأليل<sup>(١)</sup> ولا  
يدفع العويل. يحفز بها الحيزوم، ويفضّ بها الحلقوم. لا يسمعه النداء،  
ولا يروعه الدعاء، فياطول الحزن عند انقطاع الأجل ثم يراح به على  
شرح<sup>(٢)</sup>.

نقله اكف أربع فيضجع في قبره في لبث وضيق جدث فذهبت الجدة،

(١) الأليل: الأتيم والشكل.

(٢) الشرجع: النعش أو الجنّزة الطويلة.

وانقطعت المدة، ورفضته العطفة، وقطعته اللطفة. لا تقاربه الاخلاء، ولا يلمّ به الزوار، ولا أتسقت به الدار. انقطع دونه الأثر، واستعجم دونه الخبر، وبكرت ورثته فاقسمت تركته، ولحقه الحوب، وأحاطت به الذنوب فان يكن قدّم خيراً طاب مكسبه، وإن يكن قدّم شراً تبّ منقلبة.

وكيف ينفع نفساً قرارها، والموت قصارها، والقبر مزارها، فكفى بهذا واعظاً».

كفى يا جابر إمض معي .

قال جابر: فمضيت معه حتى أتينا القبور فقال: «يا أهل التربة أما المنازل فقد سكنت، وأما العواريث فقد قسمت، وأما الأزواج فقد نكحت. هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم»

قال جابر: ثم امسك عني ملياً ثم رفع رأسه فقال: «والذي أقلّ السماء فعلت، وسطح الأرض فدحت، لو اذن للقوم في الكلام لقالوا: «إنا وجدنا خير الزاد التقوى». ثم قال عليه السلام: يا جابر إذا شئت فارجع<sup>(١)</sup>.

ثم ان جابر بن عبدالله خاض إلى جانب الامام معركة صفين<sup>(٢)</sup>، ولما انتهت المعركة حتى شد جابر رحاله متجها صوب المدينة، مسقط رأسه ليجدد عهده برسول الله، ويزور أقربائه وذوي رحمه. كان جار بن عبدالله الأنصاري مع ثلة من الأنصار ساروا إلى مدينتهم، وهناك أقوا عصا الترحال بعد أن تزودوا الكثير من التعاليم التي نص عليها الامام، وعلمها أمته وهو يخوض الحروب ضد الناكثين والقاسطين، تماماً كما علمهم الإمام المنهاج الذي يسرون عليه في معاركهم مع المسلمين الناكثين والقاسطين،

(١) مصباح البلاغة ١/٢٦٥، وتحف العقول وأمالى الطوسي المجلس السابع ومطالب السؤل والارشاد.

(٢) الاستيعاب ١/٢٢٢، أسد العاة ١/٢٥٦.

والمعارك التي تنجم بين بعضهم البعض إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. كان ابن عبدالله في المدينة وقد أضحى زعيماً من زعماء الأنصار له الكلمة المسموعة . . .

وفي ذات يوم ترامت إلى الأسماع إن جيشاً من قبل معاوية وبقيادة بسر يتجهون إلى المدينة . . اقترب الجيش وحاصر مدينة رسول الله ثم دخل الجيش المدينة الآمنة من دون ان يلقي مقاومة من والي المدينة من قبل الامام أبي أيوب الأنصاري<sup>(١)</sup>.

ارتقى بسر منبر رسول الله وتجمهر الناس بدافع الخوف، أو بدافع الفضول رمى بسر ببصره، والشرر يتطاير من عينيه، وطفق يتكلم وكان مطلع كلامه الشتيمة وسب الأنصار ثم أمر الناس ان يبائعوا للطاغية معاوية ثم مد يده وهرع الناس خوفاً، وتردد آخرون في الاستجابة لليد الممدودة إليهم. بايع المترددون حيث لم يكن مجال للتردد . . . وما ان انتهت البيعة وتصفيق الأيدي وإذا به يرمي بطرفه في جموع الناس ثم يفحصهم واحداً واحداً، فيفقد كبيراً من زعماء الأنصار يا ترى من هو هذا، فإذا بنا نراه وقد عقد بين حاجبيه، واكفهرت ملامحه القاسية، ورمى بنظره إلى بني سلمة قوم ابن عبدالله الأنصاري وزعيمهم، وكانوا حضروا المسجد حقناً لدمائهم، ودفعاً للهب الجيش الواقف على أهبة الاستعداد ليسحق من يحاول الصمود امامه. نظر بسر إلى بني سلمة، وقال في نبرات الطاغية:

ما لكم عندي أمان حتى تأتونني بجابر بن عبدالله، وكان ابن عبدالله قد تواري عن عيون الجيش، ولم يحضر المسجد فيمن حضر، ولم يبائع فيمن بايع، فبحث عنه قومه حتى وجدوه فقالوا له في ضراعة: «نشذك الله لما

(١) وكان الجيش مؤلفاً من ثلاثة آلاف جندي. يراجع: الكامل لابن الأثير حوادث سنة ٤٠، أعيان الشعبة ١٤٥/٥

انطلقت معنا فبايعت، فحقنت دمك ودماء قومك، فإنك إن لم تفعل متلت مقاتلينا، وسبيت ذرارينا» .

ففكر ابن عبدالله في هذه البيعة التي يدعونه إليها إن الامام لا يزال في قيد الحياة، وله على الامة وعلى أهل المدينة خاصة ميثاق البيعة، ولا يزال الميثاق قائماً. انه بايع الامام فكيف ينقض ميثاق البيعة ببيعة أخرى جاهلية لم ينزل الله بها من سلطان. انها بيعة ضلالة. لا معدى له من حقن دماء قومه ولو مد يده لبيعة ضلالة، ولكن قبل أن يذهب إلى بسر دعه يستشير أم المؤمنين «أم سلمة» رضوان الله عليها، فهي زوج رسول الله، ولها حكمتها ودرابته في مثل هذه الملمات. دعه يذهب إليها ويستكشف رأيها عليها تنير له الطريق، وتفتح امامه آفاق النفس بعد أن ضاقت بسر وجيش الباغي ذرعاً.

كان جماعة ابن عبدالله ينتظرون قراره. رفع جابر رأسه وقال وتكاد الغصة تأخذ عليه مسار الكلمات: «استنظروني إلى الليل» ولما ان ضرب الليل رواقه على المدينة، وخفت الطرقات من المارة هرع ابن عبدالله ولبس من الليل جلباباً إلى أم المؤمنين «أم سلمة»، وهناك في بيتها القى إليها نبأ البيعة الضليلة، فقالت السيدة التي ناهزت الستين من ربيعها، وقد علمت من ذي قبل بأنباء البيعة الارهابية: «يا بني انطلق فبايع. أحقن دمك ودماء قومك، فإني قد أمرت ابني عمرو بن أبي سلمة، وأمرت ختي عبدالله بن زمعة - وكانت ابنتها عنده - أن يبايع، وإني لأعلم أنها بيعة ضلالة»<sup>(١)</sup>.

وهكذا اثلجت «أم المؤمنين» صدر صاحبنا طالما ان ابن أخيها أمرته أن يذهب ويبايع، فلم لا يذهب هو، ومن البيعة كل هذه المكاسب: يحقن دمه، ويصون دماء قومه ان تراق من السيف المسلط... ذهب وبايع... ثم أقام بسر بالمدينة أياماً واستخلف على أهلها أبا هريرة، وحذرهم الخلف

(١) تاريخ الطبري ١٣٩/٥ - ١٤٠.

ثم خرج منها إلى مكة .

ثم ان ابن عبدالله الأنصاري أمضى أعوام حياته بعد استشهاد الامام وفي غضون ثلاثين عاماً في التعليم والتثقيف، ونشر العلوم التي أخذها عن رسول الله، واقتبسها من الامام حتى يقال عن ابن عبدالله الأنصاري : إنه واحد من أربعة انتهى إليهم علم الأنبياء وهم : سلمان الفارسي ، وجابر بن عبدالله الأنصاري ، والسيد الحميري ، ويونس بن عبدالرحمن<sup>(١)</sup> .

وكانت لابن عبدالله حلقة كبيرة في مسجد رسول الله يتقاطر إليها طلبة العلم، ويتوافدون إليها من كل فج عميق، وكانت هذه الحلقة تعقد على مدار السنة إلا إن تنجم بعض الاحداث التي تعيق الحلقة من مسيرتها الصاعدة وكانت هذه الحلقة ربما أمست حفلاً كبيراً في أيام موسم الحج حيث كان الحجاج يتوافدون إلى المدينة إلى زيارة ضريح رسول الله، فكانوا يتزودون من دروس ابن عبدالله الأنصاري لتكون هداياهم إلى ذويهم وأصدقائهم إذا رجعوا إلى بلدانهم وأقطارهم .

كان ابن عبدالله الأنصاري مهتماً بهذه الحلقة لا يكاد يغيب عنها، يلقي فيها محاضرات في تفسير القرآن، ودروساً في الحديث والسنن، ودروساً في تعاليم الامام . ومن خلال هذه الحلقة الدراسية كان ابن عبدالله ينافح عن الامام، ويذود عن شخصيته العملاقة، وينشر تعاليمه وقضاياه الفكرية . هذا بعد إن شنت السلطة الحاكمة حملة شعواء ضد الامام والاسلام .

كان ابن عبدالله ينشر هاتيك التعاليم وتلكم الأحاديث التي سمعها عن رسول الله المنوّهة عن الامام ومكائنه وشخصيته ومؤهلاته الفذة، كان ينشرها

(١) فهرست الطوسي ٣٦٦ يونس بن عبدالرحمن من الفقهاء، ومن اصحاب الامام الرضا ثامن ائمة أهل البيت عليهم السلام .



في طريقة لا تصل إلى سمع السلطة، وعلى منهاج الهمس والإشارة، وعلى صورة مبطنة. وكان يشرح ظروف تلكم الأحاديث المشيدة بالامام وملايساتها، وكان أمتع الدروس لدى التلامذة هي هاتيك الأحاديث الخاصة، وتلكم التعاليم، وذلك لأن السلطة كانت تناوئ الامام، وتناوئ تعاليمه الأمر الذي كان التلامذة يرهفون الأسماع إذا بلغ ابن عبدالله الأنصاري إلى هذه المقاطع في سياق دروسه، إذ يقال في المثل الشهير «إن الإنسان حريص على ما منع».

وفي ذات يوم سأله تلميذه أبو زبير المكي، وكانت الدعاية السياسية المناوئة للامام بلغت ذروتها الأمر الذي أثار مسحة غائمة في ذهن البسطاء: «أخبرني أي رجل كان علي بن أبي طالب عليه السلام».

فقال ابن عبدالله وكان لا يزال يتمتع بنواظره، قال وهو يرفع حاجبيه وكانت مرسلتين على عينيه ليرمق السائل في دهشة ويقول: «ذلك خير البشر، أما والله إن كنا لنعرف المنافقين على عهد رسول الله بيغضهم آياه».

إن المنافقين لم تمكنهم الظروف أن يجاهروا بالعداء لصاحب الرسالة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله، ولكنهم كانوا يستطيعون الغض من ابن عم رسول الله، وزوج ابنته الزهراء عليها السلام حيث لم يكن هناك رادع إجتماعي زاخر، ومن هذا المنطلق تصدى الرسول نفسه لهذا الاعلام المعادي من التلة المنافقة لابن عمه ورافع رأيته الامام علي بن أبي طالب عليه السلام، وكانت أحاديث الرسول المشيدة والمنوّهة بالامام يسمعها الصحب، ومنهم الشاب المتحمس جابر بن عبدالله الأنصاري فكان هو وجماعته يعرفون سمة المنافق بيغضه لامام المتقين، وجهره بهذه العضيّه.

وعن أبي الزبير المكي قال: رأيت جابر بن عبدالله الأنصاري يتوكأ على عصاه وهو يدور في سكك المدينة ومجالسهم، ويقول بصوت رفيع: «علي خير البشر فمن أبي فقد كفر». ثم يخاطب الأنصار قائلاً: «معاشر

الأَنْصار أدبوا أولادكم على حب علي عليه السلام، فمن أبي فليُنظر في شأن أمه».

وإذا ما انتهت ساعات الدرس كان ابن عبدالله يرتاد منتدى الامام الحسن عليه السلام، ويتزود من ثقافة الامامة والامام، ولما ان استشهد الحسن عليه السلام أضحى ابن عبدالله يرتاد منتدى الامام الحسين، ويتشرب من ألوان المعرفة التي كان الحسين عليه السلام يشيعها في صحبه الأدين، وحينما تسامع أهل المدينة ان الامام الحسين عليه السلام استشهد على رمضاء كربلاء كان جابر بن عبدالله الأنصاري في المبادرين بل أول من زار الحسين وضريحه على أرض الشهادة والتضحية.

ثم أخذ ابن عبدالله الأنصاري يرتاد دار الامام زين العابدين علي بن الحسين، ويبكي هناك ما أسعفه البكاء. ثم يتهلل من معين الامام زين العابدين، ويحفظ أدعيته وابتهالاته إلى الله تعالى. ولما ان التحق الامام زين العابدين بالرفيق الأعلى كان ابن عبدالله الأنصاري يلتقي بالامام أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام، وكان الامام الباقر يشيد بالأنصاري ويثني عليه ثناءً عاطراً، ويروي عنه، والأنصاري يومئذ كان قد بلغ الشيخوخة القصوى حيث توفي في عهد هذا الامام العيلم عليه السلام.

ولما كانت السلطة الحاكمة تعلم صلوات ابن عبدالله الأنصاري بأهل البيت، وتعرف مدى منافحته عن الامام الأمر الذي كان يلاقي من الحكام العنت والاضطهاد.

رأينا آنفاً كيف ان بسر اضطره إلى البيعة؟

وهذا الحجاج الطاغية يرسل إلى جابر بن عبدالله الأنصاري في عام ٧٤ ويستجيب ابن عبدالله، وقائده يقوده وقد فقد نواظره في آخر حياته، ويصل إلى الحجاج يهمس القائد في أذن الشيخ الكبير ابن عبدالله ويقول: هذا الحجاج، فيطرق ابن عبدالله ولا يحيه تحية الامارة، فيامر الحجاج وقد

استشاط غضباً أن يختموا على يده، فيختمون على يده بخاتم نار، ويبقى طابعه . كل هذا بغية إذلاله ، بغية إبعاد الجماهير والتلامذة عنه<sup>(١)</sup> .

والحجاج لا يكتفي بصاحبنا الشيخ الصحابي العظيم بل ويرسل إلى صحابي آخر أنصاري يزود عن الامام ويوالي أهل البيت، والصحابي الذائد هو سهل بن سعد الساعدي ثم يأمر جلاوزته أن يختموا في عنقه بالنار، وتبقى هذه الشارة في عنق سهل حتى يلحق بالرفيق الأعلى<sup>(٢)</sup> .

كان جابر بن عبدالله الأنصاري في طليعة الزائرين لضريح الامام الحسين، ولم يمر على استشهاده سوى أسابيع، وإنّ دماء صحبه المراقبة كانت لا تزال طرية على ثرى كربلاء .

كان ابن عبدالله الأنصاري في المدينة، وكان قد سمع برحلة الامام الحسين باتجاه كربلاء، وود من كل كيانه لو استطاع أن يرافقه لولا عينيه الضريرتين .

مضت أسابيع من رحلة الامام الحسين، وإذا به وهو في مسجده يسمع الناعي ينعي الحسين واستشهاد صحبه وأبناءه على أرض كربلاء، فيبكي . ويبكي ولكن البكاء لم تبلم قلبه الجريح، ولا نفسه الهائمة الملتاعة الحيرى، فيرى من الخير أن يرتاد ذلك الثرى الذي دارت فيه المعركة الرهيبة، فيأمر الشيخ الجليل ابن عبدالله الأنصاري، وقد كاد أن يبلغ الثمانين من سنه الحافلة بإعداد الزاد والراحلة له ولقائده «عطية العوفي»، وصحب جابر جماعة من بني هاشم، وثلة من رجالات آل الرسول في رحلته هذه . كانت النوق تحب عبر الصحراء القاحلة وعلى إمتداد الجبال الجرداء السوداء تؤم مثوى الحبيب .

(١) أسد الغابة ٢/ ٣٦٦ .

(٢) أسد الغابة ٢/ ٣٦٦ .

كان ابن عبدالله لا يكاد يرقأ له دمع أو يخف له نسيج . إنه الحسين بن علي ربحانة رسول الله ، وابن الزهراء البتول . إنه استاذه وشيخه الأكبر وامامه المقتدى . أيقتل هكذا على مرأى ومسمع من المسلمين ؟ !  
ان الذكريات كانت تترى على قلب ابن عبدالله الأنصاري ، ذكريات طفولة الحسين ، ذكريات شبابه ، ذكريات زواجه وتكوين أسرة ، ذكريات رحلته من المدينة برفقة أبيه الامام باتجاه عاصمة أبيه الجديدة ، ذكريات عودة الحسين من العاصمة بعد استشهاد أبيه الامام ، ذكريات الاجتماعات التي كان يعقدها الحسين ، وكان هو - أي ابن عبدالله - يتصدر هذه الاجتماعات ، ويصغي إلى حديث الحسين العذب كأنه نبرات رسول الله وحديثه . إنها ذكريات كثيرة كانت تطالع ابن عبدالله وهو في رحلته إلى كربلاء .

الحسين هذا أيستشهد على مرأى ومسمع من المملأ ، ولا يحرك ساكناً ، والأدهى من ذلك أن يكون على يد السلطة الطاغية التي تدعي خلافة المسلمين .

أنها الذكريات التي لا تكاد تنضب من ذهن وقلب ابن عبدالله .  
وكل ذكرى كانت تثير شجونته ، ويطلق عنان البكاء والنحيب لنفسه .  
كانت الرحلة من بدايتها إلى نهايتها على أرض المعركة دموع وذكريات .  
ولما أن بلغ ابن عبدالله وقائده «العوفي» أرض المعركة ارتاد ابن عبدالله شاطئ الفرات ، وهناك اغتسل ثم اتزر بazar ، وارتدى بأخر ثم تطيب بـ «السعد» نشرها على ملابسه وجسمه ثم سار ابن عبدالله باتجاه ضريح الحسين ، ولم يكن يخطو خطوة الا ذكر الله سبحانه وتعالى حتى إذا دنا من الضريح قال للعوفي ويكاد النسيج والانفعالات النفسية تقطع عليه الكلمة ، وتقطع عليه المسار ، ويقع مغشياً عليه قبل بلوغ الضريح .  
قال ابن عبدالله للعوفي وقد دنا من الضريح : المسنيه .

قال العوفي : فألمسته إياه فخرّ على القبر مغشياً عليه، فبادرت إلى الماء فرششت عليه شيئاً فأفاق ثم طفق يقول: يا حسين، يا حسين، يا حسين .

ثم قال : حبيب لا يجيب حبيبه .

ثم قال : «إني لك بالجواب، وقد شخبت أوداجك على أثابك، وفرق بين بدنك ورأسك . أشهد أنك ابن خير النبيين، وابن سيد النقباء، وابن فاطمة سيدة النساء . وما لك لا تكون هكذا وقد غذتك كف سيد المرسلين، وربيت في حجر المتقين، ورضعت من ثدي الايمان، وفطمت بالاسلام فطبت حياً وطبت ميتاً غير أن قلوب المؤمنين غير طيبة بفراقك، ولا شاكّة في حياتك فعليك سلام الله ورضوانه، وأشهد أنك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا» .

ثم جال يتلمس بيده حول الضريح وأصرحه أبناء الحسين، وأصحابه الذين ضحوا في سبيله، وقال وقد خنفته العبرة: «السلام عليكم أيتها الأرواح التي حلّت بفناء الحسين عليه السلام، وأناخت برحله . أشهد أنكم أقمت الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر، وجاهدتم الملحدين، وعبدتم الله حتى آتاكم اليقين» .

ثم قال في صوت متهدج وقد غمره الفرح على ولائه لأهل البيت، وجه الغامر لهم وفي نفس الوقت شعر أنه وأصحابه أول موكب يزور الحسين على مدار مواكب الزائرين . قال : «والذي بعث محمداً بالحق لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه» .

أنه أحب الحسين، وأحب عقيدته، وعشق تضحيته، وتضحية أصحابه اذن هو وأصحابه من المؤيدين للحسين وأهدافه ومبادئه، فهو وأصحابه شريك للحسين وأصحابه في المسيرة والثواب .

قال «عطية» وقد سرت في نفسه الدهشة من كلمة ابن عبدالله

الأنصاري، ياترى كيف يكون هو- أي عطية - شريكاً للحسين وأصحابه في مسيرته الجهادية الفدائية، وعبر عن هذا الشعور بقوله:

«فكيف ولم نهبط وادياً، ولم نعل جبلاً، ولم نضرب بسيف والقوم قد فرق بين رؤوسهم وأبدانهم، وأوتمت أولادهم، وأرملت أزواجهم».

نعم إن الحسين وأصحابه عانوا الرحلة، وتحملوا معانات الهبوط إلى وادي، والصعود نحو جبل. ثم إنهم رضوان الله عليهم قد جاهدوا واستشهدوا فخلفوا أيتاماً وإيامى.

انهم جاهدوا في عالم المادة: ضربوا بالسيف، وطعنوا بالرمح وتحملوا الآلام. وفي نفس الوقت انهم جاهدوا في عالم النفس حيث ضغطوا على عاطفة الأبوة، وعاطفة حب الأسرة، ولم يولوها أي اهتمام. ونعلم أن العاطفة هي العاطفة التي تمتلك المرء أحياناً فلا تدعه يخطو خطوة واحدة تجاه الجهاد والنضال بل ولا تجاه رحلة قصيرة يبتعد عن بنيه وأسرته.

وهنا أخذ جابر بن عبدالله الأنصاري يشرح كلمته تلك، ويلقى الأضواء عليها بمدلول الوحي. قال في نبرات مطمئنة:

يا عطية سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من أحب قوماً حشر معهم، ومن أحب عمل قوم اشرك في عملهم».

قال جابر: والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق نبياً إن نيتي ونية أصحابي على ما مضى الحسين وأصحابه.

إن نية الحسين وأصحابه هي إعلاء كلمة الله في الأرض على مختلف الأصعدة، وإن نية ابن عبدالله الأنصاري وأصحابه هي نفس نية الحسين عليه السلام وأصحابه وفي نفس الوقت فإن ابن عبدالله كان يعتقد بامامة الامام الحسين واتخذة قدوة في حياته وبعد استشهاده، وكذلك أصحاب ابن عبدالله الأنصاري كانوا على نفس المنهاج على نفس الخط.

كان الحديث دائراً بين ابن عبدالله والعموي وإذا بالعموي يرمق الأفق

البعيد فيلمح قافلة مقبلة باتجاه ضريح الامام الشهيد، وأصحابه الشهداء، ولكن لم يستطع أن يتبين هوية أصحاب القافلة مما جعله يهتف ويقول: يا جابر هذا سواد قد طلع من ناحية الشام.

فتساءل جابر: يا ترى من هم أصحاب القافلة، أهم من العدو أو من أسرة الحسين ارتادت زيارته، فإن كان من العدو فعليه أن يبادر هو وأصحابه ويختبئوا في مكان الأمر الذي هتف بعبده قائلاً:

«انطلق إلى هذا السواد وآتنا بخبره فإن كانوا من أصحاب عمر بن سعد، فارجع إلينا لعلنا نلجأ إلى ملجأ، وإن كان زين العابدين فأنت حرّ لوجه الله».

وهكذا طفق العبد يعدو وهو يأمل أن تكون القافلة هي أسرة الحسين الامام الشهيد، ولكن ما أسرع إن رجح العبد والبشرى تلوح في قسماط وجهه إن أضحى حراً، وتلوح في نبرات كلماته حرارة ملتاعة، ويهتف بجابر وتكاد الدموع تطفر من عينيه: يا جابر قم واستقبل حرم رسول الله، هذا زين العابدين قد جاء بعماته وأخواته.

فقام جابر مشوب المشاعر ملتاع الأحاسيس حزينا باكياً يمشي حافي القدمين، مكشوف الرأس، يتعثر في مشيته إلى أن دنا من زين العابدين عليه السلام.

فقال الامام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام: «أنت جابر؟»

فقال: «نعم يا بن رسول الله».

فقال: «يا جابر ههنا والله قتلت رجالنا، وذبحت أطفالنا، وسبيت

نساءنا، وحرقت خيامنا».

وأقام الموكب الرسالي، موكب آل محمد العزاء، وانضم إلى آل

الرسول، وصحب الأنصاري نساء السواد من القرى المجاورة لأرض

كربلاء، فبكوا وندبوا الحسين وأصحابه الشهداء صلوات الله عليهم، وعلى زائرهم ما سمر سمير، وما أمّ نجم نجماً.

### جابر الأنصاري في دمشق

وفي ذات يوم حاول أن يسافر ابن عبدالله الأنصاري من المدينة ومناخها المشبوب بالأوار، وينطلق باتجاه دمشق حيث الهواء المنعش، وحيث الأشجار المتهدلة الثمار، وحيث الماء السلسيل البارد.

على هذا الاتجاه ركب راحلته وأخذت ناقته تخب في الصحراء الجرداء الملتهبة على أمل أن يصل إلى ظلال أشجار دمشق الوارفة، وحينما وصل الشيخ الكبير ابن عبدالله الأنصاري وقد جلله المشيب إلى دمشق أمضى برهة يتمتع من مناخ المدينة، ويلتقي برفاقه وأصدقائه حتى نضى عن نفسه وعشاء السفر، ومتاعب الطريق ثم رأى أن يسلم على الخليفة عله يبلغ بعض مطالبه وحقوقه من بيت مال المسلمين الذي سيطر عليه الخليفة، فهو يمنع كما يحب لا كما تفرضه الشريعة الإسلامية.

ارتاد شيخنا الصحابي الكبير بلاط الخليفة ولكن الحاجب حجبه عن مواصلة مسيرته باتجاه الخليفة ثم ان الحاجب أبلغ الخليفة عن ابن عبدالله بعد ما سأله عن هويته، وحينما شعر الخليفة ان ابن عبدالله الأنصاري ارتاد بلاطه رأى أن يشعره بالذل، ويرميه بسهام الإهمال تماماً كما كان يفعله مع كل أنصاري مؤيد للإمام، ومنافع عنه فكان الأنصاري يرتاد البلاط على مدار الأيام فيقال له :

إن الخليفة مشغول بكذا، أو ليس هو في القصر أو رحل إلى مكان كذا أو أنه شرب الدواء، وشعر الخليفة أنه قد أرهق الأنصاري، وأنه ربما ذهب ولم يعد إليه أبداً. في هذه اللحظة أشار على حاجبه بأن يدخل عليه الأنصاري إذا ارتاد بلاطه، وكالعادة ارتاد الأنصاري البلاط وقد امتعض من



هذا الإهمال والاستهانة بشأنه، وهو من كبار أصحاب رسول الله، وقرر مع نفسه إن الخليفة إذا حجب هذه المرة فإنه سوف لا يعود إلى البلاط المشحون بالأحقاد.

أقبل الأنصاري حتى بلغ الباب الكبير للقصر وما إن لمحه الحاجب حتى احتفى به، وهلل في وجهه ثم دله في لطف إلى مقر الخليفة، وهناك ما إن وقع نظره على الخليفة وهو فوق عرشه تكاد اليثاء أن تملثان العرش كله، وبطنه أو شك أن يغطي ساحة الديوان معظمه.

قال الأنصاري في لهجة صارمة معبرة مخاطباً إياه باسمه لا بلقبه المغضوب المضطهد أعني «أمير المؤمنين»: يا معاوية أما سمعت رسول الله يقول:

«من حجب ذا فاقة وحاجة حجبه الله يوم فاقته وحاجته».

ولم يكذ يسمع معاوية هذا الخطاب باسمه لا بلقبه وهو المعتد بنفسه، الفخور بصولجانه، المنتشي بدماء المسلمين حتى غضب وحمى وطيس شأبويه، وهتف بابن عبدالله الأنصاري يرد الحديث بالحديث:  
لقد سمعته يقول: «ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تردوا عليّ الحوض».

ثم قال متهكماً ساخراً: «أفلا صبرت».

ترى أنه يقول «سمعته» ولم يجري على لسانه «سمعت رسول الله» لأن هذا اللقب العظيم يكرره الذي يوالي صاحب اللقب، ويعشق رسالته، ويضحى في سبيلها أما الذي حاربها بدءاً، وأسلم مكرهاً، وناضلها أخيراً كيف يمكنه التلطف بهذا اللقب الذي يثير مشاعره، ويثير لواعج أشجانه عن أخيه القتيل، وخاله القتيل، وأمه الحاقدة الشهيرة بـ «أكلت الأكباد».

وما إن سمع الأنصاري هذا الحديث حتى طفق يقول: ذكرتني ما نسيت ثم نهض مبادراً إلى خارج القصر ثم استقل ناقته ومضى حثيثاً والغضب

الناثر يكاد ينسيه مجال طريقه واتجاه مرماه .

وحيثما أضحي معاوية وحده فكر في «القصة» الأنفة فرأى ان الأنصاري جابر بن عبدالله زعيم الأنصار إذا ما بلغ يثرب، فإن أقل بادرة تكون منه هو التحريض ضده، واثارة حركة مناوئة له أو الهتاف في تصرفاته مما دعاه أن يرسل إلى ابن عبدالله الأنصاري بهدية مالية تقدر بـ «٦٠٠» دينار. ولكن الأنصاري الذي كان مضطرم الأوار، والذي فكر لو انه تسلم الهدية من رسوله فإنها ستكتب حسنه - حسب تفكير الأنصاري - في صحيفة الأموي، ويثاب عليها، ومن هذا المنطلق الفكري امتنع من تسلم الهدية وردها بعنف وقال لرسول المال في نبرات غاضبة محتدمة وقد تذكر هوية معاوية ومن هي أسرته:

«قل له يابن آكلة الأكباد لا وجدت في صحيفتك حسنة أنا سببها أبدا»<sup>(١)</sup>.

كانت لجابر كما ذكرتها المعاجم ثلاث رحلات: رحلة إلى كربلاء كما رأينا، ورحلة أو رحلتان إلى الشام، ورحلة إلى مصر.

والتقى بعبد الملك بن مروان ودخل بلاطه فرحب به ابن مروان واحتفى به، فلما شاهد ابن عبدالله هذه الحفاوة، وذلك التكريم ظن أنه لو أسدى إلى عبد الملك نصيحة تعم أهل المدينة بالخير لتقبلها، وعمل بمضمونها مما حدى به أن يقول في حرارة:

«يا أمير المؤمنين! هذه طيبة إن رأيت أن تصل أرحام أهلها، وتعرف حقهم».

ولكن عبد الملك ما ان سمع هذه النصيحة حتى امتعض واكفهر وجهه، وأعرض عن ابن عبدالله الأنصاري، ولكن ابن عبدالله لم يكذب يلح

(١) مروج الذهب ٣: ٣١٩ تحقيق شارل بلا - ط: بيروت ١٩٧٠.

على ابن مروان، ويكرر نصيحته، وهو لا يكاد يشعر بمشاعر عبدالملك أو يرى ملامحه وتجهمها حتى أندفع بعض الجالسين يهمس في أذن ابن عبدالله يطلب منه أن يسكت، ويقطع عن نصيحته فسكت على مضض، ولما خرج هو وأصحابه من البلاط تقدم قبيصة من ابن عبدالله وقال له:

«إن هؤلاء القوم صاروا ملوكاً، وإنه لا يسمع إلا ما يوافقهم، وقد أمر لك بخمسة آلاف درهم، فاستعن بها على زمانك». فقبلها جابر.

روى جابر بن عبدالله الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وآله، والامام أمير المؤمنين علي عليه السلام، ومعاذ بن جبل، وعمار بن ياسر، وأبي حميد الساعدي، وغيرهم.

عن همام بن يحيى عن الكلبي في قوله تعالى:

﴿وَيَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾.

قال: يمحو من الرزق، ويزيد فيه، ويمحو من الأجل، ويزيد فيه.

قال همام: فقلت للكلبي: من حدثك.

قال: حدثني أبو صالح عن جابر بن عبدالله الأنصاري عن النبي

صلى الله عليه وآله.

قال جابر بن عبدالله الأنصاري: إن النبي صلى الله عليه وآله قال في

هذه الآية:

﴿لَهُمُ الْبَشَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾.

هي الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له<sup>(١)</sup>.

روى عن جابر بن عبدالله الأنصاري أولاده:

عبدالرحمن.

عقيل.

- ومحمد .
- وروى أيضاً عن جابر: الامام أبو جعفر الباقر عليه السلام .
- وسعيد بن المسيب .
- محمود بن لييد .
- أبو الزبير المكي .
- عمرو بن دينار .
- محمد بن عمرو بن الحسن .
- محمد بن المنكدر .
- أبو نضرة العبدي .
- وهب بن كيسان .
- سعيد بن منيا .
- الحسن بن محمد بن الحنفية .
- سعيد بن الحارث .
- سالم بن أبي الجعد .
- أيمن الحبشي .
- الحسن البصري .
- أبو صالح السمان .
- سعيد بن أبي هلال .
- سليمان بن عتيق .
- عاصم بن عمر بن قتادة .
- الشعبي .
- عبدالله بن كعب بن مالك .
- عبدالرحمن بن كعب بن مالك .
- أبو عبدالرحمن الحبلي .

عبيدالله بن مقسم .

عطاء بن أبي رباح .

عروة بن الزبير .

مجاهد .

القعقاع بن حكيم .

زيد الفقير واسمه سلمة بن عبد الرحمن .

وخلق كثير<sup>(١)</sup> .

### وفاة جابر بن عبدالله الأنصاري :

توفي جابر بن عبدالله الأنصاري عام ٧٨ وهو يومئذ ابن ٩٤ سنة ، ويعني هذا أنه أسلم في ربيعته السادسة عشر ، وهو آخر الصحابة الذين شهدوا العقبة الثانية وفاةً بالمدينة .

قال ابن الأثير : « وهو آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة »<sup>(٢)</sup> . وكان يحفى شاربه ، ويخضب لحيته بالصفرة بعد أن غزاها المشيب ، وأمست بيضاء ناصعة ، وربما خضب لحيته وشعر رأسه بالصفرة علماً أن المنهج في ذلك العهد لدى القوم أن لا يحلقوا شعر هاماتهم إلا في مناسك الحج أو ضرورة تلجأهم إلى حلق شعر رؤسهم ، فكانت تراهم يطلقون الشعر مسترسلاً ، وربما ظفروه جدائل أو يدعوه مسترسلاً إلى شحمة الأذن .

عقبه :

أبو الفضل الأنصاري من أبناء القرن السادس وهو من أحفاد صاحب

(١) تهذيب التهذيب :

(٢) أمد الغاية ١ / ٢٥٦ ، الاستيعاب ١ / ٢٢٢ .

الترجمة جابر بن عبدالله الأنصاري<sup>(١)</sup>.  
وعلى هذا فإن زعم ابن سعد بأن جابر بن عبدالله الأنصاري «ليس له  
عقب» يكون متهافتاً<sup>(٢)</sup>. أو ان أبا الفضل الأنصاري الذي هو من علماء  
القرن السادس أخطأ في انتسابه إلى جابر بن عبدالله الأنصاري أو التبس  
على ابن الأثير الأمر.

---

(١) الكامل لأبن الأثير : ٥٤٥ . ط : دار صادر - بيروت .

(٢) يراجع طبقات ابن سعد : ٣ / ٥٧٤ .

## مع أحاديث جابر:

١ - الكليني: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبدالله، عن أبيه عليهما السلام، عن جابر بن عبدالله [الأنصاري] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (من أرضى سلطاناً بسخط الله خرج من دين الله)<sup>(١)</sup>.

٢ - الكليني: عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، وعلي بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رثاب، عن أبي حمزة قال: سمعت جابر بن عبدالله يقول:

كنا عند النبي صلى الله عليه وآله فقال: إن خير نسائكم الولود الودود العفيفة، العزيزة في أهلها، الذليلة مع بعلها، المتبرجة مع زوجها، الحصان على غيره التي تسمع قوله، وتطيع أمره وإذا خلا بها بذلت له ما يريد منها، ولم تبدل كتبذل الرجل<sup>(٢)</sup>.

٣ - الكليني: عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، وعلي بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً، عن ابن محبوب، عن علي بن رثاب، عن أبي حمزة، عن جابر بن عبدالله قال سمعته يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

(١) الكافي ٢ : ٣٧٣ / ٥ باب من اطاع المخلوق في معصية الخالق.

(٢) الكافي ٥ : ٣٢٤ / ١ باب خير النساء.

١٠..... موسوعة أمير المؤمنين عليه السلام / ج ٢

ألا أخبركم بشرار نساتكم، الذليلة في أهلها، العزيزة مع بعلها،  
العقيم الحقود التي لا تورع من قبيح، المتبرجة إذا غاب عنها بعلها،  
الحصان معه إذا حضر لا تسمع قوله، ولا تطيع أمره، وإذا خلا بها بعلها  
تمنعت منه كما تمنع الصعبة عن ركوبها لا تقبل منه عذراً، ولا تغفر له  
ذنباً<sup>(١)</sup>.

٤ - الكليني : سهل بن زياد، عن الحسن بن علي ، عن بشير الدهان ،  
عن أبي عبدالله عليه السلام ، وعلي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن  
يونس ، عن أبي جميلة ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام ، عن جابر  
ابن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

إذا حمل عدو الله إلى قبره نادى حملته : ألا تسمعون يا أخوتاه إني  
أشكو إليكم ما وقع فيه أخوكم الشقي : إن عدو الله خدعني فأوردني ثم لم  
يصدرني ، وأقسم لي أنه ناصح لي فغشني ، وأشكو إليكم دنياً غرتني حتى  
إذا اطمأنت إليها صرعتني ، وأشكو إليكم أخلاء الهوى منوني ثم تبرؤوا مني  
وخذلوني ، وأشكو إليكم أولاداً حميت عنهم وأثرتهم على نفسي فأكلوا  
مالي وأسلموني ، وأشكو إليكم مالا منعت منه حق الله فكان وباله علي وكان  
نقعه لغيري ، وأشكو إليكم داراً أنفقت عليها حريتي وصار ساكنها غيري ،  
وأشكو إليكم طول الثواء في قبر ينادي :

أنا بيت الدود، أنا بيت الظلمة والوحشة والضيق .

يا أخوتاه فأحبسوني ما استطعتم ، واحذروا مثل ما لقيت فإني قد بشرت  
بالنار والذل والصغار وغضب العزيز الجبار ، واحسرتاه علي ما فرطت في  
جنب الله ، ويا طول عولتاه فمالي من شفيح يطاع ، ولا صديق يرحمني فلو أن

(١) الكافي ٥ : ١ / ٢٢٥ باب شرار النساء .



لي كَرَّةٌ فأكون من المؤمنين<sup>(١)</sup>.

٥ - الكليني : علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبدالله ، عن أبيه عليهما السلام ، عن جابر بن عبدالله [الأنصاري] قال : قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله :  
من أرضى سلطاناً بسخط الله خرج من دين الله<sup>(٢)</sup>.

٦ - الكليني : علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حنان بن سدير ، عن فليح بن أبي بكر الشيباني قال : والله إني لجالس عند علي بن الحسين وعنده ولده إذ جاءه جابر بن عبدالله الأنصاري فسلم عليه ثم أخذ بيد أبي جعفر عليه السلام فخلا به فقال : إن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله أخبرني أنني سأدرك رجلاً من أهل بيته يقال له : محمد بن علي يكنى أبا جعفر فإذا أدركته فاقرهه مني السلام .

قال : ومضى جابر ورجع أبو جعفر عليه السلام فجلس مع أبيه علي ابن الحسين عليهما السلام وإخوته فلما صلى المغرب قال علي بن الحسين لأبي جعفر عليه السلام :

أي شيء قال لك جابر بن عبدالله الأنصاري ؟

فقال : قال : إن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قال : إنك ستدرك رجلاً من أهل بيتي اسمه محمد بن علي يكنى أبا جعفر فاقرهه مني السلام . فقال له أبوه : هنيئاً لك يا بني ما خصك الله به من رسوله من بين أهل بيتك . لا تطلع إخوتك على هذا فيكيدوا لك كيذا ، كما كادوا إخوة يوسف ليوسف عليه السلام<sup>(٣)</sup>.

(١) الكافي ٣ : ٢٣٣ / ٢ باب إن الميت يمثل له ماله وولده.

(٢) الكافي ٣ : ٢٧٣ / ٥ باب من اطاع المخلوق في معصية الخالق.

(٣) الكافي ١ : ٣٠٤ / ٤ باب الإشارة والنص على علي بن الحسين عليهما السلام .

٧ - الكليني : عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن أبان بن تغلب، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:  
 إن جابر بن عبدالله الأنصاري كان آخر من بقي من أصحاب رسول الله، وكان رجلاً منقطعاً إلينا أهل البيت، وكان يقعد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو معتجر بعمامة سوداء، وكان ينادي يا باقر العلم، يا باقر العلم فكان أهل المدينة يقولون: جابر يهجر، فكان يقول: لا والله ما أهجر ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:  
 إنك ستدرك رجلاً مني اسمه إسمي، وشمائله شمائلي يبقر العلم بقرأ، فذاك الذي دعاني إلى ما أقول.

قال: فبينا جابر يتردد ذات يوم في بعض طرق المدينة إذ مرّ بطريق في ذاك الطريق كتّاب فيه محمد بن علي فلما نظر إليه قال: يا غلام أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر ثم قال: شمائل رسول الله صلى الله عليه وآله والذي نفسي بيده. يا غلام ما اسمك؟ قال: إسمي محمد بن علي بن الحسين، فأقبل عليه يقبل رأسه ويقول: بابي أنت وأمي أبوك رسول الله صلى الله عليه وآله يقرئك السلام ويقول ذلك.

قال: فرجع محمد بن علي بن الحسين إلى أبيه وهو ذعر فأخبره الخبر فقال له: يا بني وقد فعلها جابر، قال: نعم قال: الزم بيتك يا بني فكان جابر يأتيه طرفي النهار، وكان أهل المدينة يقولون: واعجبا لجابر يأتي هذا الغلام طرفي النهار وهو آخر من بقي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فلم يلبث أن مضى علي بن الحسين عليهما السلام، فكان محمد بن علي يأتيه على وجه الكرامة لصحبته لرسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: فجلس عليه السلام يحدثهم عن الله تبارك وتعالى فقال أهل المدينة: ما رأينا أحدا أجراً من هذا.

فلما رأى ما يقولون حدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال

أهل المدينة : ما رأينا أحداً قط أكذب من هذا يحدثنا عمّن لم يره ، فلما رأى ما يقولون حدّثهم عن جابر بن عبدالله .

قال : فصدقوه وكان جابر بن عبدالله يأتيه فيتعلم منه<sup>(١)</sup> .

٨ - الكليني : محمد بن يحيى ، ومحمد بن عبدالله ، عن عبدالله بن جعفر ، عن الحسن بن ظريف ، وعلي بن محمد ، عن صالح بن أبي حمّاد ، عن بكر بن صالح ، عن عبدالرحمن بن سالم ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أبي لجابر بن عبدالله الأنصاري إنّ لي إليك حاجة فمتى يخف عليك أن أخلو بك فأسألك عنها .

فقال له جابر : أيّ الأوقات أحببته فخلا به في بعض الأيام فقال له : يا جابر أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أمي فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وما أخبرتك به أمي إنه في ذلك اللوح مكتوب ؟ فقال جابر : أشهد بالله أنني دخلت على أمك فاطمة عليها السلام في حياة رسول الله صلّى الله عليه وآله فهنيتها بولادة الحسين ، ورأيت في يديها لوحاً أخضر ظننت أنه من زمرد ، ورأيت فيه كتاباً أبيض شبه لون الشمس . فقلت لها : بأبي وأمي يا بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ما هذا اللوح .

فقالت : هذا لوح أهداه الله إلى رسوله صلّى الله عليه وآله فيه إسم أبي ، واسم بعلي ، واسم ابني ، واسم الأوصياء من ولدي ، وأعطانيه أبي ليبشرني بذلك .

قال جابر فأعطنيه أمك فاطمة عليها السلام فقرأته واستنسخته .

فقال له أبي : فهل لك يا جابر أن تعرضه عليّ قال : نعم فمشى معه أبي إلى منزل جابر فأخرج صحيفة من رق فقال : يا جابر أنظر في كتابك لأقرأ

(١) الكافي ١ : ٤٦٩ / ٢ باب مولد أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام .

[انا] عليك، فنظر جابر في نسخته فقرأه أبي فما خالف حرف حرفاً فقال جابر: فأشهد بالله أني هكذا رأيته في اللوح مكتوباً:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لمحمد نبيه ونوره وسفيره ومجابه ودليله نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين، عظم يا محمد أسمائي، واشكر نعمائي، ولا تجحد آلائي إني أنا الله لا إله إلا أنا قاصم الجبارين، ومدبيل المظلومين، وديان الدين. إني أنا الله لا إله إلا أنا فمن رجا غير فضلي أو خاف غير عدلي عذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين فإياي فاعبد، وعلي فتوكل إني لم أبعث نبياً فأكملت أيامه وانقضت مدته الا جعلت له وصياً، وإني فضلتك على الأنبياء، وفضلت وصيك على الأوصياء، وأكرمتك بشبليك وسبطيك حسن وحسين فجعلت حسناً معدن علمي بعد إنقضاء مدة أبيه، وجعلت حسيناً خازن وحيي، وأكرمته بالشهادة، وختمت له بالسعادة فهو أفضل من استشهد، وأرفع الشهداء درجة جعلت كلمتي التامة معه، وحجتي البالغة عنده، بعترته أثيب وأعاقب أولهم علي سيد العابدين، وزين أوليائي الماضين، وابنه شبيه جده المحمود محمد الباقر علمي، والمعدن لحكمتي سيهلك المرتابون في جعفر، الراد عليه كالراد علي حق القول مني لأكرم من مثنى جعفر، ولا سرته في أشياعه وأنصاره وأوليائه أتاحت بعده موسى فتنة عمياء حندس لأن خيط فرضي لا ينقطع، وحجتي لا تخفى وأن أوليائي يسقون بالكأس الأوفى من جحد واحداً منهم فقد جحد نعمتي، ومن غير آية من كتابي فقد افتري علي، ويل للمفتريين الجاحدين عند إنقضاء مدة موسى عبدي وحببي وخيرتي في علي وليي وناصري، ومن أضع عليه أعباء النبوة، وأمتحنه بالاضطلاع بها، يقتله عفریت مستكبر، يدفن في المدينة التي بناها العبد الصالح إلى جنب شر خلقي، حق القول مني لا سرته بمحمد ابنه وخليفته من بعده، ووارث علمه فهو معدن علمي، وموضع سرّي، وحجتي

على خلقي لا يؤمن عبد به إلا جعلت الجنة مثواه، وشفعته في سبعين من أهل بيته كلهم قد استوجبوا النار، واختتم بالسعادة لابنه عليّ وليي وناصري والشاهد في خلقي، وأمني على وحي أخرج منه الداعي إلى سبيلي والخازن لعلمي الحسن، وأكمل ذلك بابنه «م ح م د» رحمة للعالمين، عليه كمال موسى، وبهاء عيسى، وصبر أيوب فيذل أوليائي في زمانه وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والديلم، فيقتلون ويحرقون ويكونون خائفين مرعوبين وجلين، تصبغ الأرض بدمائهم، ويفشو الويل والرنة في نسائهم، أولئك أوليائي حقاً بهم أذفع كل فتنة عمياء حندس، وبهم أكشف الزلازل، وأدفع الأصار والأغلال أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون.

قال عبدالرحمن بن سالم: قال أبو بصير: لو لم تسمع في دهرك إلا هذا الحديث لكفاك فضنه إلا عن أهله<sup>(١)</sup>.

٩ - الكليني: محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن ابن محبوب، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: دخلت على فاطمة عليها السلام وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء من ولدها، فعددت اثني عشر آخرهم القائم عليه السلام ثلاثة منهم محمد، وثلاثة منهم علي<sup>(٢)</sup>.

١٠ - الكليني: عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن الحسن بن السري، عن أبي مريم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعت جابر بن عبدالله يقول: إن رسول الله صلى الله

(١) الكافي ١: ٥٢٧/٣ باب ما جاء في الاثني عشر والنص عليهم (عليهم السلام).

(٢) الكافي ١: ٥٢٢/٩ باب ما جاء في الاثني عشر والنص عليهم (عليهم السلام).

عليه وآله مرّ بنا ذات يوم ونحن في نادينا، وهو على ناقته، وذلك حين رجع من حجّة الوداع فوقف علينا فسلم فرددنا عليه السلام ثم قال:  
مالي أرى حبّ الدنيا قد غلب على كثير من الناس حتى كأنّ الموت في هذه الدنيا على غيرهم كتب، وكأنّ الحقّ في هذه الدنيا على غيرهم وجب، وحتى كأنّ لم يسمعوا ويروا من خبر الأموات قبلهم. سبيلهم سبيل قوم سفر عمّا قليل إليهم راجعون، بيوتهم أجدائهم، ويأكلون تراثهم فيظنون أنهم مخلّدون بعدهم، هيهات هيهات [أ] ما يتعظّ آخرهم بأولهم، لقد جهلوا ونسوا كلّ واعظ في كتاب الله، وآمنوا شرّ كلّ عاقبة سوء، ولم يخافوا نزول فادحة، وبوائق حادثة.

طوبى لمن شغله خوف الله عزوجل عن خوف الناس.

طوبى لمن منعه عيبه عن عيوب المؤمنين من إخوانه.

طوبى لمن تواضع لله عزّ ذكره، وزهد فيما أحلّ الله من غير رغبة عن

سيرتي، ورفض زهرة الدنيا من غير تحوّل عن سنتي، واتّبع الأخيار من عترتي من بعدي، وجانب أهل الخيلاء والتفاخر والرغبة في الدنيا المبتدعين خلاف سنتي، العاملين بغير سيرتي.

طوبى لمن اكتسب من المؤمنين مالا من غير معصية فأنفقه في غير معصية، وعاد به على أهل المسكنة.

طوبى لمن حسن مع الناس خلقه، وبذل لهم معونته، وعدل عنهم شرّه.

طوبى لمن أنفق القصد، وبذل الفضل، وأمسك قوله عن الفضول، وقبيح الفعل<sup>(١)</sup>.

١١ - الكليني: ابن محبوب، عن جميل بن صالح، عن سدير، عن

أبي جعفر عليه السلام قال : أخبرني جابر بن عبدالله :  
إن المشركين كانوا إذا مروا برسول الله صلى الله عليه وآله حول البيت  
طأطأ أحدهم ظهره ورأسه هكذا ، وغطى رأسه بثوبه لا يراه رسول الله  
صلى الله عليه وآله فأنزل الله عز وجل : ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا  
منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾<sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup> .

---

(١) هود : ٥ .

(٢) الكافي ٨ : ١٤٤ / ١١٥ حديث .

## جارية بن قدامة السعدي التميمي

يكنى أبا أيوب .

كان من صحابة الامام الذين ناصروه في إقامة أعمدة الدولة ،  
وعاضدوه في درء عادية المغيرين .

كان من الأبطال الأشاوس من الذين يقل نظيرهم ، وكان الامام يرسله  
لحل المشاكل المستعصية في أرجاء الدولة : المشاكل السياسية والعسكرية  
والنضالية .

وكان كفواً للأعمال التي تناط به ، والتي كان ينوء تحت أعباءها  
الباهضة غيره .

كان ذو مواهب خلاقة في الشؤون الحربية والنضالية ، موهوباً في اخماد  
لهيب المنشقين على الدولة .

وابن قدامة في نفس الوقت يعتبر سيداً من سادات بني تميم ، وزعيماً  
من زعمائهم الذين ضحوا في سبيل الامام بالغالي والرخيص ، وبكل ما  
تملك به ذات أيديهم بعد أن ظهر لهم الرشد من الغي ، والنهار من الليل ،  
والنور من الظلام ، والحقيقة من الزخرف المظلي أو المجاز .

بعد أن ظهر لهم رصيد الامام الثر في الاسلام ، رصيده في نواياه  
وأهدافه العليا تماماً كما انجلي لهم أهداف مناوئية وشائيه ، وإحتمائهم  
برصيد الجاهلية والحقد والطمع .

كان ابن قدامة يجله قومه ، وينصاعون لأوامره ، ويرتدعون عما يحظره  
عليهم حتى أن الاحنف بن قيس - هو الآخر من صحابة الامام - كان يدعوه



بـ «عمي» وهذه الدعوة معبرة عن مشاعر ابن قيس تجاه السيد الزعيم، تجاه مواهبه ومزاياه. وكل هذا بعد أن لمع نجمه في الدولة، وارتقت به الأسباب. وكان ابن قدامة يسكن البصرة ويمارس الحياة الاجتماعية كسيد من سادات بني تميم.

ولما ان انتشرت أخبار الناكثين ومسيرتهم باتجاه البصرة ومطاردة الامام لهم حتى شعر أن هناك حركة مقبلة على مدينته، ولا بد أن يكون لقدميه موضعاً في هذه الحركة: فإما أن يختار جانب الناكثين المنشقين على السلطة الشرعية، وأما أن يتجه إلى الامام وينضم في صفوفه ويكون تحت رايته، ولكن بداهة ابن قدامة واتجاهاته النفسية الخيرة والأضواء الفكرية التي كانت تضيء له الطريق وتبهر له الهدف قادتته إلى جانب الامام، فأصبح منافحاً عن قضية الدولة العليا الذي لم يكفد الامام يصل إلى مشارف البصرة مع جيشه اللجب حتى استقبل الامام مع جماعة كبيرة من بني تميم ثم عاضده ضد الأهواء والانحرافات التي أثار نقيعها الناكثون.

ومن هذا اليوم أخذ نجم ابن قدامة يسطع والحادثة التالية وهي أولى الحوادث التي يطالعنا التاريخ من حياة ابن قدامة تعبر عن مكانة ابن قدامة لدى الامام، وهو لا يزال في فجر الدولة.

كانت ثلة من بني تميم غير منحازة إلى الامام، وتعاقد الناكثين وهناك فريق ثاني يتزعمه الأحنف بن قيس كان قد ابتعد بنفسه عن ميدان الصراع في معركة الجمل.

اتخذ خطة عدم الانحياز لأحد الفريقين، وكانت الثلة الاولى لا تزال بعد اطفاء نائرة الجمل تبث إعلام مسموم ضد الدولة الفتية، وتشيع في أوساط الناس الاخبار الكاذبة عن مسيرة السياسة العلوية الأمر الذي امتعض عبدالله بن عباس، وهو محافظ مدينة البصرة من قبل الامام، والقائم على الأمن في المدينة، والمسؤول عن شؤون المدينة، ولم تكف الرياح تلقى إلى

مسامعه كلمات هذه الثلة الشائثة من بني تميم وإعلامها المرصود ضد الدولة الفتية حتى راح يشن حرباً كلامية شعواء ضد هذه الثلة التي لم تؤدبها المعركة الجمالية، فكان ينعته «بأنصار عسكر» و«حزب الشيطان».

ولم يكتفي ابن عباس بالحرب الباردة حتى قام بحملة تصفية في مراكز المحافظة، وأجهزة الدولة في المدينة من هاتيك العناصر المناوئة، وكان الاعلام المعادي ينفخ في لهيب حملة ابن عباس ضد هذه الثلة من بني تميم، ويعمم حملته - أي حملة ابن عباس - ضد بني تميم كلها الأمر الذي شاع في أوساط المدينة أن المحافظ الجديد قد تنكر لبني تميم كلها، وأقص بنيتها ورجالاتها عن المناصب، وأبعد بعضها عن مرافقته، وحينما شاهد ابن قدامة وغيره من رجالات بني تميم التي توالي الامام وتعاضد دولته الفتية هذه الحملة العباسية من قبل محافظ المدينة ضد الثلة التميمية امتعضوا أشد الامتعاض وكتبوا إلى الامام يشكون محافظ المدينة عبدالله بن عباس وحملته ضد بني تميم.

ولما بلغ رسالة جارية بن قدامة وفريقه إلى الامام، وألقى نظرة عليها كتب إلى ابن عباس محافظ المدينة الكتاب التالي :

«أما بعد فإن خير الناس عند الله غداً أعملهم بطاعته فيما عليه وله، وأقولهم بالحق وإن كان مرأ. ألا وإنه بالحق قامت السماوات والأرض فيما بين العباد، فلتكن سريرتك فعلاً - كذا -، وليكن حكمك واحداً، وطريقك مستقيماً.

واعلم أن البصرة مهبط إبليس، ومغرس الفتن، فحادث أهلها بالاحسان إليهم، وأحلل عقدة الخوف من قلوبهم، وقد بلغني تنمرك لبني تميم، وغلظتك عليهم. وإن بني تميم لم يغب لهم نجم الآ طلع لهم آخر، وأنهم لم يسبقوا بوغم في جاهلية ولا إسلام، وإن لهم بنارحماً ماسة، وقرابة خاصة نحن مأجورون على صلتها، ومأزورون على قطيعتها، فاربع أبا

العباس رحمك الله فيما جرى على لسانك ويدك من خير وشر، فإننا شريكان في ذلك، وكن عند صالح ظني بك، ولا يفيلن رأبي فيك. والسلام»<sup>(١)</sup>.

ثم إن ابن قدامة وهو الطموح إلى أن يأخذ مكانته في الدولة، وبعد أن شاهد الحرب الكلامية الباردة رحل هو وفريقه إلى عاصمة الامام، وهناك رنا الامام إليه، وشهد في ملامحه الرجولة والقوة والاخلاص والتفاني، والغيرة الدينية، وبالتالي النية الصادقة للنضال في سبيل الله تعالى.

ولما عزم الامام مقارعة الأموي شرع في تكتيب الكتاب، وجمع الذخيرة والعتاد، ودعوة الجنود من البلدان للتجمع في العاصمة، وهنا سأل الامام عليه السلام جارية عن وجهة نظره فقال:

«أقول هذا جمع حشره الله لك بالتقوى، ولم تستكره فيه شاخصاً، ولم تشخص فيه مقيماً<sup>(٢)</sup>، والله لولا ما حضرك فيه من الله لغمك سياسته، وليس كل من كان معك نافعك، ورب مقيم خيراً من شاخص، ومصراك خيراً لك، وأنت أعلم».

ولم تكذ أن تنشب معركة صفين حتى عقد الامام لواء كتيبة كبيرة من جنوده الذين ينتمون إلى «سعد» و«رباب» التميميتين، ولابن قدامة البطل المغوار<sup>(٣)</sup>.

ويجب أن نلفت النظر هنا إلى أن الامام كان دائماً يسلم المناصب في أجهزة الدولة سواء في الجيش أو وزارة المالية أو الاقتصاد أو وزارة الثقافة والتعليم أو وزارة الداخلية أو الذين كان الامام يرسلهم إلى البلدان كمسؤولين ومحافظين عن تلك البلدان أو غيرها من مرافق الدولة، فإن الامام دائماً كان

(١) مصادر نهج البلاغة ٣ : ٢٣٩ - ٢٤١ .

(٢) أي إن الإمام لم يكره أحداً على اللحق بجيشه، ولم يحمل أحداً لينضم إلى معسكره، لاهو عليه السلام أكره الذي أحب الإقامة والدعة، ولا هو منع من خف إلى الإنضمام في جيشه.

(٣) نصر: ٢٠٥.

يسلم هاتيك المناصب الحساسة، وحتى المناصب ذات المسؤولية الضئيلة أو البسيطة إلى رجال أكفاء ذوي مواهب وقدرات، قد نشأوا في وسط الأمة، وعاشوا همومها. ان معظمهم كانوا من سواد الشعب المغمورين، وكان ابن قدامة مغموراً في بني تميم، ولكن كفاءته السياسية والحربية، ومقدرته الذاتية والمعنوية حدى بالامام عليه السلام أن يأخذ بضبعه، ويسوّده على رؤوس الامة حتى أن رئيس بني تميم الأحنف بن قيس أصبح يشير إلى ابن قدامه بعد أن أخذ الامام بضبعه، وطارت به كفاءته وإخلاصه لله ولرسوله وللإمام ولدولة الاسلام، أقول أصبح الأحنف بن قيس يشير بالبنان إلى ابن قدامة، ويشيد به في النوادي، ويدعوه بـ «عمي»، وينوه بابن قدامة بأنه الزعيم والرئيس لبني تميم.

هذا ولا ننسى أن الامام إتباعاً لسياسة معينة فوض بعض القيادات في الدولة إلى بعض زعماء العشائر، ولهذا الاختيار عوامل أهمها:

تأليف القلوب والمشاعر.  
اثارة مشاعرهم للالتفاف حول دولته.  
دره عادية شرهم.

الكفاءات التي كانوا يتمتعون بها في مجال عملهم ومسؤوليتهم.  
وبالتالي فإن سيرة الامام ومنهاجه في الحكم كانت تأخذ الطريق على انحرافات هؤلاء الزعماء وزيفهم إن كان هناك انحراف أو زيغ.

كان عبدالرحمن بن خالد بن الوليد قائد من قادة الجيش للعدو في صفين، وكان شجاعاً يخوض المعركة غير هيّاب، وينشد الشعر مفتخراً مزهواً بشجاعته وفي ذات يوم من أيام المعارك نزل عبد الرحمن إلى المعترك، وأخذ يتقدم في صفوف الجيش العلوي، ويقصف قصفاً شاعراً أن ليس أحد يقف له بالمرصاد، وإذا به يستقبله جارية بن قدامه في شجاعته الباسلة وتحديه، وينشد:

أثبت لصدر الرمح يابن خالد أثبت لليث ذي فلول حارد  
من أسد خفان شديد الساعد ينصر خير راكم وساجد  
من حقه عندي كحق الوالد ذاكم علي كاشف الأوبد  
ثم تصاولا تصاول الفحلين ، والتحمت بينهما معركة ضارية ، ولما كانا  
كلاهما قرنا للآخر فإنهما تركا الطعان ، وخلفا الساحة ، وعاد كل منهما إلى  
قاعدته .

كان معاوية طامعاً للقطر المصري وكان يحاول جاهداً أن يسيطر  
عليه ، ويستخرجه من يد ولاية الامام خاصةً وأن القطر يقع على حدود  
سلطانه ، وفي نفس الوقت فإنه شري ضمير ابن العاص لمعاضدته على أن  
يجعل ولاية مصر له - أي لابن العاص - ، وفي تجاه هاتيك العوامل حاول  
إلى أن بلغ هدفه رغم الأسباب اللثيمة التي توصل إليها ، وقتل عامل الامام  
على مصر محمد بن أبي بكر .

وبعد هذا طمع الطاغية في البصرة رغم الثقة البعيدة بينه وبينها الا  
ان الغدر السياسي يستهل الصعاب ، ويستهيئ بالمتاعب لأن الغدر  
السياسي يتوصل إلى الهدف من مكان قريب .

هذا على نقيض السياسة المؤمنة الرشيدة فإن الثقة بينها وبين الهدف  
سيكون بعيداً رغم قرب الهدف ، وذلك لأن الغدر السياسي يتخذ بقاعدة  
«الغاية تبرر الوسطة» ، ولكن السياسة الرشيدة تتخذ قاعدة «ليس لك على  
المؤمنين ، والعزل ، والأطفال سبيل» .

ومن منطلق القاعدة الاولى سار الأموي حثيثاً للسيطرة على البصرة ،  
فدعى أحد كبار قاداته ، وهو عبدالله بن عمرو الحضرمي ، وأصدر إليه  
بالتعليمات ، والتوجه إلى البصرة .

قال الأموي له وهو يرسم له خطة الهبوط على البصرة ، وفي أي حي  
من الأحياء ينزل ، وأية قبيلة أو عشيرة يصادقها أو يعاديتها : «واحذر ربيعة ،

وأنزل في مضر، وتودد الأزدي أنه يأمره أن يباذ ربيعة لأنها توالى الامام، وتعادي الخيانة، ويأمره أن يحتمي بمضر لأن قسماً منها تعادي الامام، أما الأزدي فهي تقع على مفترق الطرق، فالتودد أو الاحسان إليها هو السبيل لجرها إلى صفوفه.

فقال ابن الحضرمي وهو يبدي الولاء والطاعة: «أنا سهمك في كنانتك وأنا من قد جربت، وعدو أهل حربك، فوجهني متى شئت».

وهكذا أبدى ابن الحضرمي الطاعة تماماً كالسهم المرش الذي أينما سدده الانسان، فإنه يبلغ الهدف كالبرق الخاطف وكثيراً ما يخطئ الهدف، وسهم الأموي هذا سيخطئ الهدف كما سنرى.

سار ابن الحضرمي باتجاه البصرة مع بضعة من الجنود والأعوان، وكان محاولاً أن تكون مسيرته في خفاء، ومن وراء الستار حتى لا يثير ريبة أصحاب المخافر أو المسالحي التي كانت تابعة لدولة الامام، والتي كانت تحافظ على الأمن في الوطن الاسلامي، وخاصة المواطن النائية عن مركز الدولة.

كان ابن الحضرمي وجنوده وأعوانه يسرون باتجاه البصرة متنكرين، كانوا منظوين على سر رهيب.

علماً أن البصرة تقع في وسط الدولة العلوية أو تكاد. ولما بلغوا البصرة ساروا إلى حي بني تميم، وهم من مضر، وهناك نزلوا على التلة التي كانت تناوئ الامام، وتعاصد أعدائه، وكانت لها مراسلة مع العدو في تبييت مؤامرة ضد الدولة العلوية، وهناك وفي ديوان كبير اجتمع بنو تميم أصدقاء ابن الحضرمي، وأعداءه على السواء:

الأصدقاء بدافع المعاوضة، والأعداء بدافع الفضول ومعرفة المؤامرة الميئة، ولما اجتمع شمل كبار الشخصيات التيممية سواء الموالية أو المعادية لابن الحضرمي، خطبهم ابن الحضرمي ووعدهم ومناهم، وأثار

فيهم عصبية الثارات والدماء .

ثم بعد هذا التمهيد دعاهم إلى معاضدته لمجالدة الحكومة، وأنهى ابن الحضرمي خطابه بأن قال: «وتذكروا ثاركم تشفوا صدوركم من عدوكم». ثم جلس وسكت ليرى أثر خطابه في القوة المعاضدة.

ولما ان أصغى الجمهور المجتمع إلى داعية الفرقة، داعية مناضلة السلطة الشرعية، داعية الحرب قام رجل حكيم أريب يدرك أبعاد رسول العدو، وإلى أي مهوى يحاول أن يزجهم فيه، ثم ماهي الأبعاد الخطيرة في هذه الدعوة، نهض يجيب الداعية ويلقمه حجراً، ويكشف عن المؤامرة للجمهور المستمع أو المعاضد، ويلمح إلى أيام الامام مع الرسول صلى الله عليه وآله، وأنها من أيام الله تعالى .

ان هذا الرجل الحكيم هو الضحلك بن عبدالله الهلالي، فقال في كل حماس ونشاط، وفي نبرات واضحة كاشفة، كأنما كانت كلماته الحمم واللهيب المستشري، قال وابن الحضرمي والجمهور يرنون إليه:

«قَبِّحَ اللهُ مَا جِئْنَا بِهِ، وَدَعَوْتَنَا إِلَيْهِ، جِئْنَا وَاللَّهِ بِمِثْلِ مَا جَاءَ بِهِ صَاحِبَاكَ: طَلْحَةَ وَالزَّبِيرَ، أَتَيَانَا وَقَدْ بَايَعْنَا عَلِيًّا، وَاجْتَمَعْنَا لَهُ، وَكَلِمَتْنَا وَاحِدَةٌ، وَنَحْنُ عَلَى سَبِيلِ مُسْتَقِيمٍ، فَدَعَوَانَا إِلَى الْفِرْقَةِ، وَقَامَا فِينَا بِزُخْرَفِ الْقَوْلِ حَتَّى ضَرَبْنَا بَعْضُنَا بِبَعْضٍ عَدَوَانًا وَظُلْمًا، فَاقْتَتَلْنَا عَلَى ذَلِكَ، وَأَيْمَ اللهُ مَا سَلِمْنَا مِنْ عَظِيمٍ وَبِالذَلِكَ، وَنَحْنُ الْآنَ مُجْتَمِعُونَ عَلَى بَيْعَةِ هَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ الَّذِي قَدْ أَقَالَ الْعَثْرَةَ، وَعَفَا عَنِ الْمَسِيءِ، وَأَخَذَ بَيْعَةَ غَائِبِنَا وَشَاهِدِنَا، أَفْتَأْمُرْنَا الْآنَ أَنْ نَخْتَلِعَ أَسْيَافِنَا مِنْ أَغْمَادِهَا، ثُمَّ يَضْرِبُ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ لِيَكُونَ مَعَاوِيَةَ أَمِيرًا، وَتَكُونَ لَهُ وَزِيرًا، وَنَعْدِلُ بِهَذَا الْأَمْرِ عَنْ عَلِيٍّ» .

والله ليوم من أيام علي مع النبي خير من بلاء معاوية وال معاوية لويقوا في الدنيا ما الدنيا باقية» .

وهنا وبعد أن أنهى الهلالي خطابه القيم الذي وضع النقاط على

الحروف، وكشف النوايا اللثيمة، وأشاد بالامام وأيامه المجيدة. هنا ساد في ديوان المؤتمر ذهول، وانطلقت من هنا وهناك كلمات مؤيدة للهلال، وأخرى شاجبة مستنكرة.

ثم انّ الأحنف بن قيس زعيم بني تميم لما أصغى إلى كتاب معاوية يتلوه ابن الحضرمي، والداعية لمعاضته. قال وهو يضرب المثل الشهير المعبر: «أما أنا فلا ناقة لي في هذا ولا جمل» ثم اعتزل القوم، ثم ان عمرو ابن مرجوم العبدى ناهض دعوة الشقاق، وأتى بدعوة الوفاق، وحذر الذين في قلوبهم مرض، وتسول لهم نفوسهم الايضاع في هذه الفتنة وقال: «أيها الناس الزموا طاعتكم، ولا تنكثوا بيعتكم، فتقع بكم واقعة، وتصيبكم قارعة، ولا تكن بعدها بقية. ألا أني قد نصحت لكم، ولكن لا تحبون الناصحين».

ثم نهض في مؤتمر القوم المثنى بن مخربة<sup>(١)</sup> العبدى، وقال موجهها خطابه الذي يلهب بكلماته ظهر ابن الحضرمي بالسياط الحامية، وينوه في نفس الوقت بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى القوم:

«لا والذي لا إله إلا هو لئن لم ترجع إلى مكانك الذي أقبلت منه لأخذتك بأسيفنا وأبدينا، ونبالنا وأسنة رماحنا، أنحن ندع ابن عم نبيّنا، وسيد المسلمين، وندخل في طاعة حزب من الأحزاب طاغ. والله لا يكون ذلك أبداً حتى نسير كتيبة إلى كتيبة، ونفلق الهام بالسيوف».

ثم نهضت جماعة في المؤتمر مؤيدة لدعوة ابن الحضرمي، والقوا الخطب الداعية لمعاضته، ثم بثوا الأعوان إلى ضواحي البصرة للالتفاف حول الراية المنشقة، وفي نفس الوقت أرسلوا الجباة إلى قرى البصرة،

(١) مخربة: على وزن مرحلة.



وجبؤها، وكان ابن الحضرمي حينما دخل البصرة متنكراً، ثم قام كما ذكرنا بإعداد ذلك المؤتمر في حي المنشقين من بني تميم.

كان محافظ البصرة من قبل الامام هو عبدالله بن عباس، وكان قد سافر إلى العاصمة لتقديم التعازي إلى الامام في إستشهاد محمد عامل مصر، وحينما حاول ابن عباس الرحلة إلى العاصمة سلم مقاليد المدينة لزياد بن عبيد، وكان زياد يمارس إدارة بعض شؤون المدينة، فإذا الأخبار تتلاحق عن اضطرابات تكاد تسود المدينة، فتساءل عن أسباب هذه الاضطرابات، ومن أين هي ناجمة فقال له عيون المحافظة بأن رجلاً أقبل مع أعوان له من قبل معاوية، ونزل في حي جماعة بني تميم، ثم تلاحت الأنباء تفيد بأن معظم المعارضين للدولة الفتية من رجال وموظفي العهد البائد أو المنتفعين بذلك العهد قد انضموا إلى راية ابن الحضرمي، وتفيد الأنباء أيضاً بأن الكثير من المرتزقة ممن يميلون مع كل ريح هرعوا إلى صفوف ابن الحضرمي عليهم وجدوا في هذه الدعوة مغنماً.

كانت الأنباء مثيرة جداً الأمر الذي دبر زياد في الحفاظ على خزينة الدولة في المحافظة، وعلى المعنويات التي يجب أن تصان من أيدي العابثين والمنشقين، ولهذا السبب ولأسباب أخرى أرسل زياد إلى كبير حي الأزدي «صبرة بن شيمان الأزدي» فاجتمعا، فقال له زياد: «يا بن شيمان أنت سيد قومك، وأحد عظماء هذا المصّر، فإن يكن فيه أحد هو أعظم أهله فأنت ذاك، أفلا تجيرني وتمنعني، وتمنع بيت مال المسلمين، فإنما أنا أمين عليه».

فاطرق ابن شيمان مفكراً: إنه يدرك خطورة ما يقدم عليه، ولكن هناك الشرف الباذخ الذي سيعقد فوق هامته، وهناك ترحيض ما نجم عن قومه أيام الجمل ضد الدولة الفتية، وفي نفس الوقت فإن إجارة ممثل الدولة مع خزانها، وأعوانها في مركز قصر الامارة أو المحافظة ليس بالشيء الهين إذن

فالأفضل على سيادة ممثل الدولة أن ينتقل إلى حي الأزد، ولهذا أنعم له وقال: «بلى، إن أنت تحملت حتى تنزل في داري منعتك».

لقد دعاه زعيم الأزد إلى حي الأزد الذي هو من الإحياء الكبيرة في البصرة حيث يمكن الدفاع عن ممثل الدولة، والحفاظ على خزانة الدولة، وصيانة أعوانها.

بادر زياد ممثل الدولة في المحافظة، وكانت الأنباء المنذرة بالعاصفة تترى، وقال: «إني فاعل» ثم وفي هدأت الليل حيث السكون مخيم على المدينة أويكاد انسل زياد وأعوان الدولة، ومعهم خزانة الدولة، وبعض الأمتعة ذات الشأن مع بضعة مرافقين من الأزد أنسلوا باتجاه حي الأزد، ويكاد لا يسمع إلا حركة خفق النعال، وضرب سنابك الخيل، وهناك في حي الأزد اجتمع الأزديون على ممثل الدولة طالما أن زعيمهم قد أنعم بجواره في حي قومه. والجوار له شأنه العظيم لدى القوم والذي إذا خفر أو استهين به فإنه سيكون سبة الدهر لا يغسلها شيء.

وفي مسجد الحي صلى زياد صلاة الجمعة، واقتدى به الأزديون عن آخرهم إلا من كان له عذر. ارتقى ممثل الدولة ولسانها المنبر، وقال: يا معشر الأزد أنتم كنتم أعدائي فأصبحتم أوليائي، وأولى الناس بي، وإني لو كنت في بني تميم، وابن الحضرمي فيكم نازلاً لم أطمع فيه أبداً، وأنتم دونه، فلا يطمع ابن الحضرمي فيّ وأنتم دوني، وليس ابن آكلة الأكباد في بقية الأحزاب وأولياء الشيطان بأدنى إلى الغلبة من أمير المؤمنين علي في المهاجرين والأنصار، وقد أصبحت فيكم مضموناً، وأمانة مؤداة . . . . .»

ثم أن زياداً كتب إلى رئيسه عبدالله بن عباس وكان لا يزال في العاصمة يشهد الاحتفالات التابينية لشهيد مصر محمد بن أبي بكر، كتب إليه بالانبياء والمؤامرات التي تحاك في مقر محافظته، والاضطرابات التي نجمت عن هذه المؤامرات.

ولما ان تمت صياغة الرسالة أرسلها على جناح السرعة إلى عبدالله بن عباس الذي كان فارغ البال عن مشاهد الاضطرابات والمؤامرات المبيتة في مقر عمله، ولم يكذب يصل البريد إلى العاصمة، وكان ممن يهتمون بشؤون الدولة وينافحون عنها حتى شام عن محل تواجد ابن عباس في العاصمة فوجده، فهرول نحوه فلما رنا ابن عباس إليه، وتفرس في ملامحه وهو يلهث، ولمح في يده رسالة مختومة بخاتم الدولة في محافظته حتى أحس ان هناك شراً مبيتاً، استلم الرسالة وفضها على عجل، وألقى نظرة في ثنايا سطورها حتى شعر أن الأرض تدور حوله، وتكاد الهموم أن ينوء بها قلبه فاليوم المنصرم كانت مصر لقمة سائغة في فم الذئب، واليوم محافظته يطوف حولها ذلك الطائف الذي لا يكاد يشبع جوعته شيء .

لقد أسف على تركه لمقر محافظته، ذهل ابن عباس قليلاً عن واجبه في المبادرة، ولكنه ما ان صحى من ذهوله أو من أفكاره حتى بادر بالكتاب إلى الامام أمير المؤمنين عليه السلام، فلما رآه الامام، رآه ملتاع الضمير، ممتقع اللون في نبراته اضطراب، وييده رسالة . استلم الامام الرسالة، وألقى عليها نظرة فاحصة، وكانت انباء احداث البصرة قد لاكتها الألسن، وانتشرت انتشار النار في الهشيم، فهرع شيبث بن ربعي إلى الامام وقال وهو يتوهج عصبية وحقداً على الأزدي - ازدعمان -، ويفيض قلبه حناناً وعطفاً على بني تميم لا شيء إلا للعصبية القبلية، العصبية التي اترعت كيانه، ولم يدع فيه سماحة الاسلام، وتعاليم الامام .

قال غاضباً: «يا أمير المؤمنين ابعث إلى هذا الحي من تميم فاعدهم إلى طاعتك، ولزوم بيعتك، ولا تسلط عليهم ازدعمان البعداء البغضاء، فإن واحداً من قومك خير لك من عشرة من غيرهم» .

وهكذا فإن واحداً من بني تميم، وهم من مضر، والامام أيضاً يجمعهم معهم «مضر» الجد الأعلى للمصريين عرب الشمال، ولو كان منشقاً منحرفاً

١١٠..... موسوعة أمير المؤمنين عليه السلام / ج ٢

خير من عشرة من غيرهم ، ولو كانوا متعاطفين مع دولة الامام ، ومعاضدين للاسلام .

بالعصبية وايحاءاتها المهلهلة ، وهنا انبرى مخنف بن سليم ، وهو من رجال الأزد ، ومن المعاضدين للامام ، وقد سمع نبرات العصبية من فم ابن ربيعي ضد قومه يرد عليه ويلقمه حجراً :

«إن البعيد البغيض من عصى الله وخالف أمير المؤمنين ، وهم قومك ، وإن الحبيب القريب من أطاع الله ونصر أمير المؤمنين ، وهم قومي ، وأحدهم خيراً لأمير المؤمنين من عشرة من قومك» .

إذن واحد من الأزد أفضل من عشرة من قوم ابن ربيعي ، وذلك لأن الواحد الأزدي ينافح عن الامام ، والعشرة من قوم ابن ربيعي مفضولون وخفيفوا الميزان لأنهم مناوؤن للدولة ، هذا في ميزان الأزدي ، وأما في ميزان ابن ربيعي ومقياسه فإن الواحد من قوم الامام ولو كان منحرفاً أفضل من عشرة من الأزد ولو كانوا منضمين إلى جانب الدولة .

وهذه العصبية المتهرثة شاعت في صفوف الناس في العاصمة ، فهذا ينافح عن الأزدي ، وذاك عن التميمي المضري ، ومسار الدفاع والهجوم كلاهما مسار العصبية التي جاء الاسلام لتنجيتها عن حياة الناس ، عن مشاعرهم وأحاسيسهم ، عن تفكيرهم واتجاهاتهم ، ومن هذا المنطلق قام الامام فتي الاسلام ، ومعلم الامة ، وشيخها المهذب والمهذب ، وخطب الناس وفيهم ابن ربيعي الذي تكلم عن لسان العرف السائد في بعض النفوس ، خطب زاجراً ومعلماً ، وقد أوضاعوا في العصبية القومية في هذا الوقت الحرج الذي يتطلب التعاهد والتكاتف :

«... تناهوا أيها الناس ، وليردعكم الاسلام ووقاره عن التباغي والتهاذي ، ولتجتمع كلمتكم ، وألزموا دين الله الذي لا يقبل من أحد غيره ، وكلمة الاخلاص التي هي قوام الدين ، وحجة الله على الكافرين ، واذكروا

إذ كنتم قليلاً مشركين متفرقين متباغضين، فألف بينكم بالاسلام، فكثرتم وتحاببتهم، فلا تفرقوا بعد إذ اجتمعتم، ولا تباغضوا بعد إذ تحاببتهم. وإذا رأيتم الناس بينهم النائرة، وقد تداعوا إلى العشائر والقبائل، فاقصدوا لهمهم ووجوههم بالسيوف حتى يفزعوا إلى الله وكتابه، وسنة نبيه، فأما تلك الحمية [فإنها] من خطوات الشيطان فانتهاها عنها لا أبالكم تفلحوا وتنجحوا».

ثم ان الامام دعا زعماء بني تميم في عاصمته واستنفرهم: أن يذهب أحدهم إلى البصرة ويطفئ نائرة القوم الذين عاضدوا المتأمرين: ابن الحضرمي وأعوانه ضد الدولة، ولكن الزعماء وقد أرهقتهم المعارك الثلاثة الجمل وصفين والنهروان طأطأوا برؤوسهم، ولم ينصاعوا (للكلمة المسموعة ثم انفضوا، وفي خلال أيام كان الامام يدعوهم ويذكرهم بالنائرة التي الهبها الجماعة منهم ولكن الزعماء كأنما تواصوا ان ينفلتوا من هذا الواجب الملقى على عاتقهم أو أنهم شعروا بفداحة المسؤولية التي ستلقى على عواتقهم. أليس الامام يدعوهم لمناهضة قومهم من بني تميم، ان العواطف والوشائج بين تميم البصرة، وتميم العاصمة كانت تعرقل خطة الأنقياد للتعاليم.

ولما شعر الامام بإيغالهم في التهاون خطبهم خطبة أيقظتهم من رقادهم، وأشاحت عن أبصارهم الغشاوة. قال الامام وقد أدرك ما يختلج في ضميرهم من السلامة والعافية من دخول معترك ضد قومهم إذا لم يفيثوا إلى الحق، وهناك الصلات والوشائج التي تربط الفريقين، ومن هذا المنطلق تعرض الامام لأيام المعارك في مطلع الاسلام حيث كان المسلمون يخوضون حرباً ضد آبائهم وأبنائهم وإخوانهم وأعمامهم الذين كانوا سادرين في العتمة لم يفيثوا إلى صوت الحق، قال عليه السلام: «أليس من العجب أن تنصرتني الأزدي، وتخذلني مضر، وأعجب من

ذلك تقاعد تميم الكوفة بي ، وخلاف تميم البصرة علي ، وإن استنجد بطائفة منها تشخص إلى إخوانها فتدعوهم إلى الرشاد، فإن أجابت وإلا فالمنابذة والحرب، فكأنني أخطب صمًا بكما لا يفقهون حواراً، ولا يجيبون نداءً، كل هذا جنباً عن البأس، وحباً للحياة.

ولقد كنا مع رسول الله نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً، ومضياً على اللقم، وصبراً على مضض الألم، وجداً في جهاد العدو.

ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرة لنا من عدونا، ومرة لعدونا منا، فلما أن رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت، وأنزل علينا النصر حتى استقر الاسلام ملقياً جرانه، ومتبوءاً أوطانه.

ولعمري لو كنا نأتي ما آتيتم ما قام للدين عمود، ولا اخضر للإيمان عود، وأيم الله لتحتلبنها دماً، ولتتبعنها ندماً.

ولم يكذ يخلص الامام إلى هذه النبوة أو التحذير من سياق الخطبة حتى كانت بعض الضمائر الحية قد استيقظت من رقادها، نهض أعين بن ضبيعة المجاشعي التميمي وتقدم إلى الامام وقال: «إنا إن شاء الله أكفيك يا أمير المؤمنين هذا الخطب، وأتكفل لك بقتل ابن الحضرمي أو إخراجه من البصرة».

فأشار الامام إليه أن يتها للذهاب إليها، فاعد ابن ضبيعة المجاشعي العدة، ورافقه بضعة من إخوانه. ونرى أن الامام لم يرسل معه بفيلق من الجنود، ترى لماذا؟

إن العامل في ذلك هو ان ابن ضبيعة كان رسولا من قبل الامام قبل أن يكون قائدا من قبله إلى تميم البصرة. إنه رسول الدعوة إلى الرشاد، فإذا فاءت الجماعة الضالة إلى الحق، وانفض المعاضدون للعدو عن مناصرته

وحمايته، فلماذا اذن يرسل الامام الجنود، ثم ان ابن ضبيعة لو احتاج إلى عضيد فهناك في المدينة المضطرب حبلها الجنود من الأزدي، ومن غيرهم فبإمكان رسول الامام أن يستعين بهم في قمع الخارجين على سلطان الدولة .  
ثم ان الامام لو أرسل رسول حرب قبل أن يكون رسول سلام لكانت هذه الرسالة حادية بالخارجين على التلاحم، والاستماتة في سبيل الأهداف المعتمدة . سار ابن ضبيعة رسول الإمام مع بضعة نفر من رفاقه باتجاه البصرة ثم وبعد ساعات من رحلة ابن ضبيعة أرسل الامام رسالة إلى زياد بن عبيد المتكفل بحفظ الأمن في البصرة، وفي هذه الرسالة يصدر تعاليمه إلى القائم مقام عامله، ويرسم الخطط، ويعطي صورة كاملة عن المسيرة.

وإليك نص الرسالة :

«من عبدالله علي أمير المؤمنين إلى زياد بن عبيد . . . أما بعد، فإني بعثت أعين بن ضبيعة ليفرق قومه عن ابن الحضرمي، فأرغب ما يكون منه، فإن فعل وبلغ من ذلك ما يظن به، وكان في ذلك تفريق تلك الأوباش فهو ما نحب، وإن ترامت الامور بالقوم إلى الشقاق والعصيان، فانبذ من أطاعك إلى من عصاك، فجاهدهم فإن ظهرت فهو ما ظننت والآ فطاولهم وماطلهم فكأن كتائب المسلمين قد أطلت عليك فقتل الله المفسدين الظالمين، ونصر المؤمنين المحقين . والسلام» .

بلغ ابن ضبيعة مع صحبه مشارف البصرة، وكان الهزيع الاخير من الليل لا يزال ضارباً أطنابه على المدينة الهادئة الساكنة، ولم يكد الفجر ينبلع عن وجه المدينة المكفهر حتى كان ابن ضبيعة وصحبه في حي الأزدي، وعند زياد يتبادلون الآراء والخطط في القضاء على هذه الخارجة:

أما على الطريقة السلمية، وإن لم تنجح الطريقة توسلوا بالسيف، خرج ابن ضبيعة إلى رحله، وهناك أرسل الدعوة إلى زعماء الخارجين من بني

تميم على الدولة، والمعاضدين لابن الحضرمي يدعوهم أن يحضروا عنده، وما اجتمع شمل الزعماء خطبهم رسول الامام أمير المؤمنين عليه السلام فقال:

«يا قوم على مَ تقتلون أنفسكم، وتهريقون دماءكم؟ على الباطل مع السفهاء الأشرار، وإني والله ما جئتكم حتى عبث إليكم الجنود، فإن تنيبوا إلى الحق يقبل منكم، ويكف عنكم، وإن أبيتم فهو والله استئصالكم وبواركم».

ولم يسمع الزعماء هذا التهديد المبطن بالدعوة إلى الرشاد حتى تصوروا أو تخيلوا كأنهم خاضوا معركة خاسرة، وإن جشهم لقي على الأرض، وارتسمت امامهم صورة الجيوش التي أعدت لهم، وتكاد أن تندفع نحوهم. دارت في خواطرهم صور من الأهوال حتى اقشعرت جلودهم، واهتزت قلوبهم، وسمع رسول الامام وهم يقولون بنبرات مرتجفة: «بل نسمع ونطيع... بل نسمع ونطيع».

وهكذا انضم الزعماء إلى صف الامام، ولم يبق هناك مع ابن الحضرمي الأقلة من غوغاء بني تميم، وجماعة من خوارج النهر أو قل ذويهم وأفراد أسرهم من أخ أو أب أو عم أو ممن دخل عليهم الثكل من جراء المروق، وثلة من الذين خسروا مناصبهم ومنافعهم أو أموالهم المصادرة في هذا العهد الجديد.

إن هؤلاء كلهم انضموا تحت راية ابن الحضرمي.

ولم يكذب بلج الصباح صباح اليوم الثاني حتى كنت ترى رسول الامام وفريقه، ورسول الضلال وجماعته كلاً منهما يقف في مواقعه، مواقع الكفاح فنادى رسول الامام أمير المؤمنين ان يفيثوا إلى الحق، وإن يتخذوا السبيل الأقوم، سبيل الامة التي انصاعت للحق، والتفت تحت راية الامام، وفي نفس الوقت ألقى رسول الامام بالقبيلة المروعة لقلوبهم وجوانحهم حتى تفت



إلى كلمة الدولة .

إن رسول الامام ذكرهم ما استهم النفس ومعتك طموحها وأحقادها، والحياة ومتطلباتها، ذكرهم بالتجربة المرة التي خاضوها في معركة الجمل وكيف إنهم خرجوا منها خافضي الرأس أدلة، ولولا سماحة الاسلام، وفقه الامام لكانوا الآن في المنسيين، ولم تنجم تلك المعركة إلا عن نكث البيعة والطاعة، وخرق القوانين المرعية، وهؤلاء البقية الباقية تحاول أن تسير على نفس الخط وقد جربت ما جربت، وأيم الله لو سارت ليحتلبنها دماً وليتبعنها ندماً.

قال رسول الامام: «يا قوم لا تنكثوا بيعتكم، ولا تخالفوا إمامكم، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً، فقد رأيتم وجربتم كيف صنع الله بكم عند نكثكم بيعتكم وخلافكم».

ولكن الغوغاء وجماعة رسول الضلال لم يكن منها أمام دعوة رسول الامام السلمية سوى رشقه بالشتائم والسباب، وهجره بالقول المقذع، وهي في خلال ذلك ترتجف من المصير المرتقب تماماً كما كان مصيرها يوم الجمل بل أدهى وأمر. اذن الشتائم والسباب لم تطلقها جماعة الغوغاء إلا تنفيثاً عن لواعج أشجانها، وعن الخوف الذي ألقى بثقله على صدورهم.

اذن أدى رسول الامام المحنك رسالته على أفضل وجه، فرأى أن يخلي الساحة لجماعة ابن الحضرمي عليهم يفيئوا إلى الحق، وقد رأى بوادر الاندفاع باتجاهه، وهذا الليل قد أرخى سدوله، وألقى - أو يكاد - سرادقه على المدينة، وعلى ساحة المعتك الكلامي.

ذهب رسول الامام إلى مقره، وهناك تمدد على سريره، وهو قرير العين على نجاح رسالته، وقد لمح أضوائه، ولما كان المناخ في المدينة حاراً مشبوب الحرارة، وفي نفس الوقت فإن المناخ النفسي السائد أيضاً كان ملتهباً مشبوب الأوار.

لما كان هذا المناخ مسيطراً على أجواء المدينة، وعلى أجواء النفوس وخاصة على صاحبنا المجاشعي رسول الامام الذي كان يتزعم رسالة السلام الأمر الذي نزع صاحبنا ثيابه وهو في جنح الليل، فأمسى عرياناً عليه يخفف عن نفسه بعض حرارة الجو، وحرارة الهياج الفكري الذي لفه وهو يحاول جاهداً بعودة السلام إلى ربوع المدينة، وإلى أحياء قومه ونفوسهم.

كان الرجل الساعي للسلام خالي الفكر تماماً من أن يكون هناك من يطارده أو قد وضع الكمين في سبيله وسبيل مساعيه. نعم كان المجاشعي يفكر في كل شيء، سوى التفكير في أن يكون هناك من يغتاله أو يغتال مساعيه في السلام.

تمدد الرجل على سريره وتخلل جفونه طائف النوم. لندعه يتام ونذهب إلى الساحة التي تجمهرت فيها الجماعة المعادية للنظام، إن هذه الجماعة لما سمعت كلمات رسول الامام، وتهديده المبطن كان في خلال الجماعة نفر يصر على إثارة الفتنة مهما كلفه الأمر، إن هذا نفر لم يعجبه السلام الذي حمل رايته المجاشعي، انحاز نفر إلى التجوى ثم تبادلوا الرأي في كيفية القضاء على المجاشعي، وعلى مساعيه الحميدة وأخيراً قر رأيهم على إغتيال رسول السلام، ولكن كيف يغتالوه، وهناك الحراس الذين يحرسون خبائه، فقال أحدهم وكان الشرر يتطاير من عينيه: دعوا الأمر حتى ينتصف الليل حتى إذا شعر الحراس إن الأمن يكاد يسيطر على منطقتهم، وإن النوم يخالط أهدابهم في هذه اللحظة الحاسمة انهضوا إلى المجاشعي عدوكم وما إن انتهى من كلامه حتى صدقه رفاقه.

لقد انتصف الليل، وأقبل السحر بنسيمه العليل حتى أن الحرس حمل النسيم إليهم النوم... هوم الحرس، ولا يكاد يسمع في المكان حركة أو نامة إلا أن يكون هناك أصدااء كلاب تنبح هنا وهناك، وفي هذه اللحظة خرج نفر الغادر من مكمنه، ونقدم زويداً وزويداً باتجاه خباء المجاشعي، والظلام يلف

المكان، وما كاد النفر أن يقترب من الخباء حتى استيقظ بعض الحرس، وهرت بعض الكلاب، وتدافع النفر المغتال وحدث في هذه اللحظة ضوضاء، فاستيقظ المجاشعي مرعوباً، فأحس أن هناك سيوفاً تكاد أن تطيح برأسه أو تبعج بطنه، فبادر خبائه منفلاً هارباً، فطارده النفر الغادر حتى ضربه بسيوفهم وقتل، ومضى شهيداً إلى ربه، وهو يسعى للسلام، وفي الصباح انتشر الخبر، فكتب ابن عبيد إلى الامام:

«أما بعد يا أمير المؤمنين فإن أعين قدم علينا بجد ومناصحة، وصدق يقين، فجمع إليه من أطاعه من عشيرته فحثهم على الطاعة، وحذرهم الخلاف، ثم نهض بمن أقبل معه إلى من أدبر عنه فوافقهم عامة النهار، فهال أهل الخلاف تقدمه، وتصدع عن ابن الحضرمي كثير ممن كان يريد نصرته، فكان كذلك حتى أمسى فأتى رحله فخبثته نفر من هذه الخارجة، فأصيب رحمه الله تعالى، فأردت أن أناهض ابن الحضرمي فحدث أمرٌ قد أمرت رسولي هذا أن يذكره لأمير المؤمنين، وقد رأيت إن رأى أمير المؤمنين ما رأيت أن يبعث إليهم جارية بن قدامة فإنه نافذ البصيرة، ومطواع في العشيرة، شديد على عدو أمير المؤمنين، فإن يقدم يفرق بينهم باذن الله . . . والسلام».

كتب ابن عبيد إلى الامام برسالته هذه وهو يسعى أن يناهض الثلة الباقية مع ابن الحضرمي، ولكن الأزد المعاضدين للامام وصلتهم رسالة شقوية من الثلة التميمية المعاضدة لابن الحضرمي تقول:

«والله ما عرضنا لجاركم إذ أجرتموه، ولا لمال هولاء، ولا لأحد ليس

على رأينا، فما تريدون إلى حربنا، وإلى جارنا».

وكانت هذه الرسالة الشقوية اقعدت الأزد من حوض النضال ضد الثلة

الباقية طالما أن حرمة الجوار اشعرت الأزد بالتأني عن معركة دامية، ولكن الدم المراق: دم المجاشعي من يتحمل نتائجه، يبدو ان الثلة سكتت عن

قصة الأعتيال أو أنها نفت عن نفسها أن تكون ضالعة في تلك الجريمة النكراء .

ولم تكدر رسالة البصرة تصل إلى الامام ، ولم بجوانب الأنباء حتى دعا جارية بن قدامة وقال له :

«يا بن قدامة تمنع الأزدي عاملي وبيت مالي ، وتشاقي مضر وتنابذني ، وينا ابتدأها الله بالكرامة ، وعرفها الهدى ، وتدعو إلى المعشر الذين حادوا الله ورسوله ، وأرادوا أطفاء نور الله حتى علت كلمة الله وهلك الكافرون» .

فقال ابن قدامة في نبرات حاسمة حازمة :

«يا أمير المؤمنين ابعثني إليهم ، واستعن بالله عليهم» .

فقال الامام أمير المؤمنين عليه السلام :

«قد بعثتك إليهم ، واستعنت بالله عليهم» .

ثم ان الامام زود ابن قدامة برسالة شديدة اللهجة إلى الخارجيين ، وإلى أهل البصرة عامة .

حزّم ابن قدامة أمره ، وخرج بصحبة خمسين جندياً من بني تميم إلى البصرة ، وكان يصحبه صديق من أصدقائه يطلق عليه كعب بن قعين اليماني ، وهو شديد الولاء للامام ولدولته .

قال ابن قعين وهو يحاول أن يكشف عن نوايا ابن قدامة متسائلاً :

«إن شئت سرت معك ، وإن شئت ملت إلى قومي» .

فقال ابن قدامة في حماس الجندي الباسل المضحى بنفسه وبرصيده المعنوي :

«بل سر معي ، وانزل منزلي ، فوالله لو ددت أن الطير والبهائم تنصرنى عليهم فضلاً عن الانس» .

وبهذه الحماسة والولاء والفكرة المشعة سار ابن قدامة باتجاه البصرة رابط الجأش ، وفي خطوات ثابتة ، ومعه رسالة الامام وهذا نصها :

«من عبد الله علي أمير المؤمنين، إلى من قرئ عليه كتابي، هذا من ساكني البصرة من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم.

أما بعد، فإن الله حليم ذو أناة لا يعجل بالعقوبة قبل البينة، ولا يأخذ المذنب عند أول وهلة، ولكنه يقبل التوبة، ويستديم الأناة، ويرضى بالانابة ليكون أعظم للحجة، وأبلغ في المعذرة.

وقد كان من شقاق جلكم أيها الناس ما استحققتم أن تعاقبوا عليه، فعضت عن مجرمكم، ورفعت السيف عن مدبركم، وقبلت من مقبلكم، وأخذت ببيعتكم فإن تفوا ببيعتي، وتقبلوا نصيحتي، وتستقيموا على طاعتي أعمل فيكم بالكتاب والسنة، وقصد الحق، واقم فيكم سبيل الهدى، فوالله ما أعلم أن والياً بعد محمد صلى الله عليه وآله أعلم بذلك مني، ولا أعمل.

أقول هذا صادقاً غير ذام لمن مضى، ولا منتقياً لأعمالهم، فإن خبطت بكم الأهواء المردية، وسفه الآراء الجائرة إلى المناذرتي تريدون خلافي فيها أناذا قد قرّبت جيادي، ورحلت ركاابي.

وأيم الله لئن الجأتموني إلى المسير إليكم لأوقعن بكم وقعة لا يكون يوم الجمل إليها إلا كلعقة لاعتق. مع إني عارف لذي الطاعة منكم فضله، ولذي النصيحة حقه غير متهما إلى برئ، ولا ناكثاً إلى وفي.

وأني لظان ألا تجعلوا إن شاء الله على أنفسكم سبيلاً، وقد قدمت هذا الكتاب إليكم حجة عليكم، ولن أكتب من بعده كتاباً إن أنتم استغشثتم وناذرتم رسولي حتى أكون أنا الشاخص نحوكم إن شاء الله تعالى. والسلام»<sup>(١)</sup>.

ولم يكذ ابن قدامة يصل إلى البصرة هو وجنده الخمسون حتى خف إلى مقر ابن عبيد وفي حي الأزدي، وهناك رحب به ابن عبيد ثم انفردا في

(١) نهج السعادة ٥ / ١٦٣ - ١٦٦، مصادر نهج البلاغة ٣ : ٢٧٩.

مكان، وتشاورا في الأمر ثم قرّارأيهما على شيء .  
وكان الناس من الأزد، ومن الذين نهّدوا للحق من الخارجين قد  
تسامعوا بهبوط رسول الإمام: ابن قدامة وهو الشهير في البطولة والدهاء في  
حيهم، فتسارعوا وتدافعوا نحو المسجد .

وخرج ابن قدامة من لدن ابن عبيد وهو يقول محذراً: «إحذر على  
نفسك، واتق أن تلقى ما لقي صاحبك القادم قبلك» .

وكان كبار الأزد قد توافدوا، وفي مقدمتهم صبرة بن شيمان  
لاستقبال الزعيم المطاع: «ابن قدامة» رحبوا به أفضل ترحيب ثم سار  
الموكب إلى المسجد حيث لمّ شمل الأزديين وغيرهم من أهل البصرة،  
وهناك استقل ابن قدامة المنبر ثم رمى بطرفه إلى الحشد المحتشد في  
المسجد لسمع إلى رسول الامام وانباء رسالته، ثم قال في نبرات هادئة وهو  
يشيد بالأزد، وينوه بتضحياتها في سبيل الامام ودولته، في سبيل الصالح  
العام بعد أن اكفهرت النوايا:

«جزاكم الله من حي خيراً ما أعظم عناءكم، وأحسن بلاءكم،  
وأطوعكم لأمركم، وقد عرفتم الحق إذ ضيعه من أنكره، ودعوتم إلى الهدى  
إذ تركه من لم يعرفه» .

ثم ان أبا قدامة بعد هذا التمهيد تلى عليهم رسالة الامام، وكانت  
المسامع كلها مرهفة، والمشاعر كلها ساكنة، وتكاد دقات القلوب أن تتوقف  
خوفاً أن تفوت عليها كلمة من كلمات الامام، ولم يكن يسمع هناك في  
المسجد صوت أو نامة إلا ذلك الصوت المجلجل المعبر عن سطور الامام  
وإرادته التي خطها في ثنايا الرسالة .

ولما ان انتهى ابن قدامة ممثل الامام من تلاوة الرسالة نهض سيد الأزد  
صبرة بن شيمان وقال معبراً عن لسان قومه:

«سمعنا وأطعنا، ونحن لمن حارب أمير المؤمنين حرب، ولمن سالم

جارية بن قدامة التميمي ..... ١٢١

أمير المؤمنين سلم .

إن كفيت يا جارية قومك بقومك فذاك، وإن أحييت أن ننصرك نصرناك» .

ثم ارتج جنبات المسجد بآيات التأييد والترحيب شكرهم ابن قدامة ثانية ولقت نظرهم إلى أنه لا يحتاج إلى جنود أوقوة بل أنه وحده سيكفي أمر المهرج ابن الحضرمي .

ثم ان مفاهيم رسالة الامام التي كانت مشحونة تارة لينا وتارة شدة انتشرت هذه المفاهيم في صفوف الناس في المدينة، وتناقلتها الألسن، وتسامعها الخارجون .

إن كلمات الامام الملتهبة أخذت مسارها في قلوب المعارضين فما هي إلا عشية أو ضحاها حتى انسل الكثير ممن التفوا حول ابن الحضرمي وهم يأملون مغنماً أو منصباً، ولم يبق مع ابن الحضرمي إلا القلة القليلة من بني تميم، والثلة من المنتفعين في العهد السابق والمطرودين في العهد الجديد .

وفي خلال المناورات التي قام بها ابن قدامة لاستمالة قومه وعطفهم على الحق كان ابن عبيد يثير في نفوس الأزد الحمية ويطريهم، ويكيل لهم المديح، ويشيد بهم، وينوه بسيدهم، ويشير فيهم الحماس للسير قدماً لإطفاء لهيب الفتنة، ولثلا يتقاعسوا عن دعمهم وحمايتهم كما لمس ذلك منذ قليل قبل أن تأتي رسالة الامام المهتدة، ونحن نعلم أن التنوية والمديح تملأ الجوانح العربية المغرمة بالفخر والإشادة فتبذل قصارى جهدها في التضحية والدفاع والدعم والحماية .

قال ابن عبيد في صوت المعتر بحماية الأزد:

«يا معشر الأزد إن هؤلاء كانوا أمس سلماً فأصبحوا اليوم حرباً، وإنكم كنتم حرباً فأصبحتم اليوم سلماً، وإني والله ما اخترتكم إلا على التجربة،

ولا أقمت فيكم إلا على التأمل، فما رضيتُم إلا أن اجرتُموني حتى نصبتُم لي منبراً وسريراً، وجعلتُم لي شرطاً وأعواناً، ومنادياً وجمعة، فما فقدت بحضرتكم شيئاً إلا هذا الدرهم لا أجيبه، فإن لم أجبه اليوم أجبه غداً إن شاء الله.

واعلموا إن حربكم اليوم معاوية أيسر عليكم في الدتين والدنيا من حربكم أس علياً (عليه السلام)، وقد قدم عليكم جارية بن قدامة وإنما أرسله علي عليه السلام ليصدع أمر قومه. والله ما هو بالأمير المطاع، ولا بالمغلوب المستغيث، ولو أدرك أمله في قومه لرجع إلى أمير المؤمنين، وأنتم الهامة العظمى، والجمرة الحامية فقدموه إلى قومه فإن اضطر إلى نصركم فسيروا إليه إن رأيتم ذلك».

وبعد تلك الموازنة بين الحق الذي يتبعه الأزدي اليوم حيث يوالون الدولة، ويمدون يد الدعم للدولة، وبين الباطل الذي كان الأزدي يوضعون فيه فقد دعموا فيه معركة الأحقاد، والطامعين الناكثين في معركة الجمل.

بعد تلك الموازنة بين الحق والباطل والتي ارتسمت في خلالها معالم الأسف والألم على وجوه الأزدي نهض صبرة بن شيمان سيد الأزدي يبدد أخطاء الماضي، ويبني الدعم الجديد من اليوم. قال:

«... إني والله لو شهدت قومي يوم الجمل رجوت أن لا يقاتلوا علياً، وقد مضى الأمر بما فيه، وهو يوم بيوم، وأمرٌ بأمر، والله إلى الجزاء بالاحسان أسرع منه إلى الجزاء بالسبي، والتوبة مع الحق، والعفو مع الندم، ولو كانت هذه فتنة لدعونا القوم إلى إبطال الدماء، واستئناف الأمور، ولكنها جماعة دماؤها حرام، وجروحها قصاص، ونحن معك فقدم هواك نحب لك ما أحببت».

وهنا اقتصر زياد الداهية بن عبيد الفرصة، وزف إلى الخطيب المصقع هذه الكلمة المعبرة عن إعجابه وإكباره للسيد العاقل: «ما أظن في



الناس مثل هذا» .

كانت اللقاءات بين ابن قدامة وبين زعماء قومه تجري على قدم وساق، وقد قطف ابن قدامه من لقاءاته هذه الثمار الجنية حيث استطاع أن يبدد معظم الملتفين حول ابن الحضرمي، وهي من المكاسب السياسية التي حصل عليها ابن قدامة في المراحل الأولى من تحركه كممثل للامام، وقائد لرفاقه المعاضدين ضد المعارضين.

وبعد أن تم الاعداد لمواجهة ابن الحضرمي وهو في القلة القليلة من أصحابه ارتاح ضمير جارية، وأدرك أن الأجواء السياسية في المدينة هي في صالح الدولة الأمر الذي أرسل إلى ابن عبيد وجماعته أن ينتقل إلى مبنى المحافظة، ويأخذ معه خزانة الدولة والأمتعة لتعود هيئة الدولة إلى المدينة، وفي نفس الوقت يقع في صفوف الطاغية الخوف والرعب والحذر.

وعندما شاهد الطاغية ابن الحضرمي أن معظم المعاضدين والمؤيدين قد انفضوا من حوله، وتخلّوا عن تأييده بادر إلى إعلان الحرب ضد القائد قبل أن يستفحل دائه، وتهرب القلة القليلة المؤيدة له أيضاً، ومن هذا المنطلق أعد وجعل على رأس الجيش - إن صح التعبير - «ابن السوداء: عبدالله بن خازم السلمي»، وفي نفس الوقت كان جارية يقود جيشه المكون من بني تميم، ومن الأزدي. التحم الفريقان في قتال مرير، ولكن لما كان الرعب قد سيطر على جيش ابن الحضرمي فإن الكثير من وحدات الجيش قد انسلت من صفوفه هاربة الأمر الذي لم يبق مع ابن الحضرمي وقائد جيشه ابن السوداء سوى ٧٠ جندياً.

وكان ابن قدامة البطل المغوار يخوض في حماس ملتهب المعركة الفاصلة، وكان يعاضده في هذه المعركة صديقه الكريم «شريك بن الأعور الحارثي» كانت معركة ضارية، واستطاع ابن قدامة وصديقه الحارثي أن يلقيا الفرار في صفوف ابن الحضرمي، وبالتالي انحاز ابن الحضرمي مع جنوده

السبعين إلى دار سنبل السعدي، وكانت داراً كبيرة تشبه القلعة، ولما الجأ ابن قدامة إلى هذا الانحياز طوق ابن قدامة الدار من جهاتها وحاصرها. وفي خلال الحصار أرسل إلى ابن الحضرمي وجنوده صديقه «ابن السوداء» رسولاً يدعوهم إلى الاستسلام، ولكن ابن الحضرمي والجنود السبعين لم يستجيبوا لابن قدامة وأصروا على القتال، وفي غضون الحصار جاءت أم عبدالله السلمي الشهير بابن السوداء وكانت سوداءً ثم هتفت بابنها ثم كررت الهتاف ثم النداء ثم الصراخ إلى أن أشرف عليها ابنها من فوق سطح الدار أو القلعة، وكان يأبى أن يستجيب لنداء أمه أو يكلمها، ولكن اصرار الأم اضطرته إلى الاستجابة لنداءها، وحينما أشرف عليها تساءل مزجراً كأنه أعصار:

«مالك».

هتفت في بساطة الأم وقد أشرق وجهها لمراى ابنها:  
«يا بني أنزل إلي».

ولكن ابنها ابن السوداء أبي هذه الدعوة، وكان الجنود، والناس المتجمعون ينظرون إلى هذا الحوار بين الابن والأم، وحينما أبى الابن الاستجابة لأمه والنزول إليها غضبت الأم فكشفت عن شعرها، وألقت قناعها جانباً، وقالت في شدة الأم وغضبيتها المحتوية على الشفقة والعطف:

«يا بني والله لتنزلن أو لأتعرين».

انه إنذار الأم التي لا تكاد تقف عن هدفها، وحينما شاهد «ابن السوداء» أمه قد كشفت عن شعرها، وهو يعرف أمه في شدتها وصرامتها وكلمتها المؤكدة المنفذة ثم سمعها تقول بلهجة المسيطرة على الموقف:

«يا بني والله لتنزلن أو لأتعرين».

ثم رأى يديها تهوى إلى ثيابها لتعري أمام جمهور الناس وهي في لوثة العيظ والنمص، وحين ناداها الابن: «يا أماه دعني...» دعى ذلك

نزلت . . . جئت» ثم هبط من السلم في حركة غاضبة لا شعورية حتى التقى بأمه، وهنا عاد إلى أمه هدوؤها، فلائت على شعرها القناع، وأخذت بيد ابنها وذهبت به من خلال زحمة الجنود والسيوف والحراب .

ولكن تتساءل لماذا لم يلق ابن قدامة القبض على ابن السوداء وكان مركزه ذلك المركز القيادي، ويأتيك الجواب :

ان ابن قدامة كان قد منح الأمان لكل جنود أو مؤيدي ابن الحضرمي ما خلا مشعل الفتنة، ومثير النار ابن الحضرمي نفسه، ومن هذا المنطلق حينما انصاع ابن السوداء لأمه، وهبط إليها لم يتعرض له ابن قدامة أو أحد من جنوده فذهب ابن السوداء بصحبت أمه آمناً سربه، وكان ابن قدامة يكرر النداء تلو النداء، والهتاف وراء الهتاف أن ينزل الجنود على الأمان، ولكن لم يكن هناك مجيب لهذه الدعوة الكريمة الأمر الذي ثار ابن قدامة وغضب غضبة الليث الجريح، وهتف بجنوده: «عليّ بالنار».

إذن عزم ابن قدامة أن يحرق على الخارجيين أعداء الله المصيرين على العدوان الدار، وهكذا حمل الجنود حزم الحطب ووضعوه على باب دار سنبل، ولما تراكم الحطب كالجبال، واشتمل الدار من جهاتها أمر بالقاء النار فيه، وما هي إلا لحظات، وكان الجو جواً قائظاً حاراً مشوب اللهب حتى سرى النار إلى أكوام الحطب فالتهمت السنة النار، وتصاعد الدخان، فأخذت النيران الهائلة تغزو الدار، وكان الدخان قد شاع في الدار وسرادقها وصلالاتها وغرفها، وما هي إلا ساعات حتى احترق الطاغية رسول الطاغية ابن الحضرمي، وطواغيته السبعين واحترقت الدار عليهم، وانقضت الجدران فهلكوا جميعاً، وقد حاصرتهم النار والدخان فماتوا خنقاً وحرقاً أو ماتوا تحت الانقاض .

ومن هذا اليوم اشتهر ابن قدامة في السنة الثمانين بـ «المحرق» ثم

أرسلت المحافظة رسالة إلى الامام تزف إليه الأنباء :

«أما بعد فإن جارية بن قدامة العبد الصالح قدم من عندك فناهض جمع ابن الحضرمي بمن نصره وأعانه من الأزدي، ففضّه وأضطره إلى دار من دور البصرة في عدد كثير من أصحابه فلم يخرج حتى حكم الله بينهما، فقتل ابن الحضرمي وأصحابه، منهم من أحرق بالنار، ومنهم من ألقى عليه الجدار، ومنهم من هدم عليه البيت من أعلاه، ومنهم من قتل بالسيف، وسلم منهم نفرٌ أنابوا وتابوا، فصّح عنهم، وبعداً لمن عصى وغوى . والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته» .

وكان حامل الرسالة إلى الامام رجل اسمه : ظبيان بن عمارة .

وحينما بلغت الرسالة إلى الامام والمتضمنة البشري إلى الامام ودولته الرائدة . استبشر الامام وتلى الرسالة على الشعب ثم انّ الامام قرّظ ابن قدامة، وأثنى على الأزدي، وعاب البصرة وأخبر عن مستقبلها الرهيب، وقال : «أنها أول القرى خراباً إما غرقاً وإما حرقاً حتى يبقى مسجدها كجؤجؤ سفينة» ثم إن الامام التفت إلى ظبيان ورمقه، ورأى الدهشة الممزوجة بالألم تلف ملامحه، فقال له عليه السلام : «أين منزلك منها» .

فقال ظبيان : «مكان كذا وكذا» .

فقال الامام : «عليك بضواحيها، عليك بضواحيها» .

**جارية وبسر :**

أرسل معاوية بسر بن أرطاة ليغير على مملكة الامام، مملكة الاسلام، ويعيث فيها فساداً ونهباً وقتلاً، ويشيع فيها الخوف والذعر والارهاب . وهذا في عام ٤٠ للهجرة أي قبل استشهاد الامام بشهور قلائل، وجهزه بجيش مكوّن بـ ١٦٠٠ جندي ومرترق ممن شحنت قلوبهم بالبغضاء والاحن للامام

وأمتة ممن اشترك من آبائهم وإخوانهم وأقربائهم أو هم أنفسهم في معارك صفين، وعبّوا المنايا من سيوف الاسلام مما جعل الجنود يبادرون إلى إشاعة الذعر في صفوف المسلمين الذين يوالون دولة الامام، ويناصرونها، وعندما أراد بسر وجنوده أن يخلفوا معاوية وسلطانة الدموي راح معاوية يزود قائده بتلك التعاليم الحمراء في مواجهة أمة الامام في غارته على اليمن عن طريق البلدين الأمينين مكة والمدينة. قال معاوية:

لا تنزل على بلد أهله على طاعة «علي» إلا بسطت عليهم لسانك حتى يروا أنهم لا نجاة لهم منك، وإنك محيط بهم، ثم اكفف عنهم وادعهم إلى البيعة لي، فمن أبي فاقتله، سرحتي تمر بالمدينة واطرد الناس، وأخف من مررت به، وانهب أموال كل من أصبت له مالا ممن لم يدخل في طاعتنا، فإذا دخلت المدينة فأرهم إنك تريد أنفسهم، واخبرهم إنه لا براءة لهم عندك حتى إذا ظنوا إنك موقع بهم، فاكفف عنهم ثم سرحتي تدخل مكة ولا تعرض فيها لأحد وارهب الناس فيما بين المدينة ومكة، واجعلهم شرودات حتى تأتي صنعاء والجنند.

وأوصى معاوية قائده أن يقضي على كل من يوالي الامام ودولته، سار بسر وهو حالك قسمات الوجه، عاقد بين حاجبيه، عاقد النية على تنفيذ التعاليم الحمراء، وهو الظمان إلى الدماء والدموع. سار جيش الذعر والارهاب باتجاه مكة والمدينة، وفي مدينة رسول الله صعد بسر منبر رسول الله، وفتح فمه بالسباب والشتائم يكيلها لأصحاب رسول الله:

«شاهت الوجوه إن الله ضرب مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً... كان بلدكم مهاجر النبي ومنزله، وفيه قبره... فلم تشكروا نعمة ربكم». ثم خاطب الأنصار قائلاً:

«أبناء العبيد أما والله لأوقعن بكم وقعة تشفي غليل صدور مؤمنين، والله لأدعنكم أحاديث كالأمم السالفة» ثم دعاهم إلى بيعة معاوية فهرعوا إلى

البيعة، ولقلوبهم وجيب، ولوجوههم حلقة ليل الأرهاب.  
وأحرق بسر دوراً للأنصار صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله<sup>(١)</sup>.  
مثل دار زرارة بن جرول، ورفاعة بن رافع الزرقي، ودار عامل المدينة من قبل  
الامام أبي أيوب الأنصاري.

ثم انّ بسرا أخذ يسير باتجاه مكة، وفي طريقه هاجم الناس  
والمسافرين في أموالهم وأمتعتهم، وأشاع فيهم القتل والجراح، ولما ترامت  
الأخبار إلى مسامع أهل مكة خرجوا بقضهم وقضيضهم إلى ضواحيها وذكرهم  
بسر بأصحاب الفيل يرميهم ربهم بحجارة من سجيل، ولكن بسراً هددهم  
وجمعهم وخطبهم وسبهم، وهكذا كان السباب والوقية هي أداة التعبير، ثم  
أخذ منهم البيعة ورحل عنهم باتجاه اليمن، وفي مساره في البادية التقى ببني  
كنانة، وكان عبيدالله بن العباس صهرهم قد خبأ فيهم ابنه الصبيبن:

عبدالرحمن، وقثم، فتسرب خبرهما إلى بسر فتبعهما حتى ظفر  
بهما، كان قلبه يضطرم غيظاً على أبيهما، وكان الشيطان قد اتخذ عرشه على  
قلبه القاسي، وما هي إلا لحظات حتى كان سيفه الباتر يمر من ثنايا أوداج  
الصبيبن الطريين فراحا يسبحان في دماثهما وبرائتهما، فكانت أم الصبيبن  
السيدة جويرية بنت قرظة الكنانية، وقد سمعت بالحادثة الرهيبة، فغشى  
عليها ثم لما عاد إليها صحوها كان عقلها في ذهول وراحت تنشد:

هامن أحسن بابني اللذين هما	كالدريتين تشظي عنهما الصدف
هامن أحسن بابني اللذين هما	سمعي وقلبي فقلبي اليوم مختطف
هامن أحسن بابني اللذين هما	مخ العظام فمخى اليوم مزدهف
نبث بسرا وما صدقت ما زعموا	من قتلهم ومن الأفك الذي اقترفوا
أنحى على ودجي ابني مرهفة	مشحوذة وكذلك الاثم يقترف

من دلّ والهة حرّى مسلبة على صبيين ضلّاً إذ مضى السلف  
ثم إن بسرا تتبع رجالاً وقتلهم فصاحت امرأة كنانية مفتاضة، وقد أوجع  
قلبها مقتل الشهيدين الصغيرين: «هذه الرجال تقتلها، فعلام تقتل الولدان،  
والله ما كانوا يقتلون في جاهلية، ولا في إسلام، والله إن سلطاناً لا يشتد إلا  
بقتل الضرع الضعيف، والمدرهم الكبير، ورفع الرحمة، وقطع الأرحام لهو  
سلطان سوء».

ثم واصل بسر وجيشه العاتي السير باتجاه اليمن، وفي صنعاء كانت  
المجازر، ولما إن مر من نجران اجتمع المسيحيون وعلى وجوههم الذعر،  
وفي قلوبهم الاضطراب ليصغوا إلى خطاب مبعوث الدمار والدماء، فقال:  
«يا معشر النصارى، وإخوان القروء، أما والله لئن بلغني عنكم ما أكره لأعودن  
عليكم بالتي تقطع النسل، وتهلك الحرث، وتخرّب الديار، فمهلاً مهلاً».

ثم سار الموت من نجران يختطف زعماء البادية المؤيدة للإمام ودولته  
من أضراب أبي كرب الهمداني توالّت أبناء بسر وجيشه الأحمر إلى الإمام  
عليه السلام، فندب الناس إلى دفع عادية الظالمين، ولما كانت الثقة بعيدة  
بين العاصمة، وبين اليمن، والمفروض على الجيش الذي يرسله الإمام أن  
يقطع الفيافي بعد الفيافي المجذبة، أن يقطع القيظ المتأور، ويتحمل  
المشاق المرهقة، ويخرج من ظلّ البساتين المورقة الوارفة، والحدائق  
الغناء، والأنهار المتدفقة، والجداول الخرارة، ومن الأسر الحانية الرانية نحو  
الربع الخالي عابراً إياه باتجاه جيش المنايا.

علماً أنّ الرحلة لم تكن رحلة وانية ممتعة بل رحلة عليها الأسراع،  
والسير المغذ، ومن هذه المسارات الخارجية والنفسية كان الجنود لا تطيب  
نفوسهم لهذه الرحلة المرهقة الأمر الذي كانت نفوسهم وانية عن الاستجابة  
لدعوة الإمام مما دعا الإمام إلى القول:

«أتريدون أن أخرج بنفسي في كتيبة تتبع كتيبة في الفيافي والجبال».

١٣٠..... موسوعة أمير المؤمنين عليه السلام / ج ٢

ذهب والله منكم أولوا النهي والفضل الذين كانوا يدعون فيجيئون، ويؤمرون فيطيعون لقد هممت ان أخرج عنكم فلا أطلب بنصركم ما اختلف الجديدان».

كان الامام أمير المؤمنين يدعو الناس للتعبئة العامة ضد الطاغية معاوية حتى بلغه هذا الخبر فخطب الناس قائلاً:

«أما بعد، أيها الناس فإن أول فرقتكم: وبدء نقصكم ذهاب أولي النهي، وأهل الرأي منكم الذين كانوا يلقون فيصدقون، ويقولون فيعدلون، ويدعون فيجيئون، وأنا والله قد دعوتكم عوداً وبدءاً، وسراً وجهراً، وفي الليل والنهار، والغدو والأصال فما يزيدكم دعائي إلا فراراً وإدباراً.

أما تنفعكم العظة والدعاء إلى الهدى والحكمة، وإنني لعالم بما يصلحكم ويقيم أودكم، ولكني والله لا أصلحكم بافساد نفسي، ولكن أمهلوني قليلاً.

إن من ذل المسلمين وهلاك الدين ان ابن أبي سفيان يدعو الأردال والأشرار فيجاب، وأدعوكم وأنتم الأفضلون الأخيار فتراوغون، وتدافعون، ما هذا بفعل المتقين.

إن بسر بن أبي ارطاة وجه إلى الحجاز، وما بسر لعنه الله ليندب إليه منكم عصابة حتى تردوه عن شنته».

وهنا سكت الناس لا ينسون بنت شقة، فاهتبل أبو بردة بن عوف الأزدي، وهو من الشائين هذه الفرصة فقام فقال:

«إن سرت يا أمير المؤمنين سرنا معك».

فقال عليه السلام: «اللهم مالكم لاسدتم لمقال الرشد. أفي مثل هذا ينبغي لي أن أخرج؟ إنما يخرج في مثل هذا رجل ممن ترضون من فرسانكم وشجعانكم، ولا ينبغي لي أن أدع الجند، والمصر، وبيت المال، وجباية الأرض، والقضاء بين المسلمين، والنظر في حقوق الناس، ثم أخرج



جارية بن قدامة التميمي ..... ١٣١

في كتيبة اتبع أخرى في الفلوات، وشعف الجبال. هذا والله الرأي السوء.  
والله لولا رجائي عند لقائهم لو قد حم لي لقاءهم لقربت ركابي ثم  
لشخصت عنكم، فلا أطلبكم ما اختلف جنوباً وشمالاً، فوالله أن في فراقكم  
لراحة للنفس والبدن».

ولما ان انتهى الامام من خطابه أمام كبار رجال الدولة والضباط، وهي  
خطبة لاذعة مستثيرة نهض القائد البطل جارية بن قدامة وقال معبراً عن  
أحاسيسه القيمة تجاه خطبة الامام، ومقدماً نفسه لتحمل أعباء المسير نحو  
العابثين قائلاً في صوت متهدج:

«يا أمير المؤمنين لا أعدمنا الله نفسك، ولا أرانا الله فراقك».

ثم قال في حزم: أنا لهؤلاء القوم فسرحتني إليهم.

فأجابه الامام: «فتجهز فإنك ما علمت ميمون النقيبة».

ثم قام إلى الامام وهب بن مسعود الخثعمي، وكانت لكلمات الامام  
الأثر الكبير في نفسه: «أنا انتدب إليهم يا أمير المؤمنين» فأنعم له الامام داعياً  
له: «فانتدب بارك الله فيك»، وسار جارية بن قدامة إلى البصرة حسب تعاليم  
الامام وضم منها ٢٠٠٠ جندي.

وانضم إلى الخثعمي ٢٠٠٠ جندي من العاصمة، وقال الامام  
أمير المؤمنين عليه السلام يعرض عليهما تعاليمه: «أخرجنا في طلب بسر بن  
أرطاة حتى تلحقاه، فأينما لحقتماه فناجزاه، فإذا التقيتما فجارية بن قدامة  
على الناس».

وهكذا القى الامام قيادة المعركة إلى ابن قدامة، وزود الامام ابن  
قدامة بهذه التعاليم القيمة، تعاليم الفروسية النابعة من عين صافية، فقال  
عليه السلام:

«اتق الله الذي إليه تصير، ولا تحقر مسلماً ولا معاهداً، ولا تعصبن

مَالاً وَلَا وَلِداً وَلَا دَابَّةً وَإِنْ حَفِيتَ وَتَرَجَلْتَ، وَصَلَّ الصَّلَاةَ لَوَقْتِهَا»<sup>(١)</sup>.

وقال عليه السلام:

«أما بعد، فإني بعثتك في وجهك الذي وجهت له، وقد أوصيتك يا جارية بتقوى الله فإنها جماع كل خير، وسر على بركة الله، فألق عدوك الذي وجهتك له، ولا تقا تل إلا من قاتلك، ولا تجهز على جريح، ولا تسخرن دابة وإن مشيت ومشي أصحابك، ولا تستأثر على أهل المياه بمياههم، ولا تشربن إلا فضلهم عن طيب نفوسهم، ولا تشتمن مسلماً ولا مسلمة فتوجب على نفسك ما لعلك تؤذّب غيرك عليه، ولا تظلمن معاهداً ولا معاهدة، واذكر الله ولا تفر ليلاً ولا نهاراً.

وأحملوا راجلكم، وتواسوا في ذات أيديكم، واغذ السير، وأجل العدو من حيث كان، واقتله مقبلاً وارده بغيظه صاعراً، واسفك الدم في الحق، واحقنه في الحق، ومن تاب فاقبل توبته، وأخبارك في كل حين بكل حال، والصدق الصدق فلا رأي للكذوب»<sup>(٢)</sup>.

سار جارية بجنوده من البصرة، وسار زميلة الخثعمي من العاصمة بجنوده ثم التقيا في أرض الحجاز، وهناك اتحدت الكتيبتان واضحت واحدة يقودها ابن قدامة، ومن منطلقنا هذا لا نرى للخثعمي دوراً أو ضوءاً أو اسماً في مسيرة الأحداث القادمة، وإنما اسم ابن قدامة هو الساطع حتى نهاية الشوط، ولهذا السبب سكت المؤرخون عن التعرض للخثعمي أو دوره في المعركة إنما دوره هو دور الجندي أو الضابط البسيط فيها.

كانت القيادة بيد ابن قدامة فأغذ السير باتجاه مؤامرات العدو وثقله

(١) الفارات ٢: ٦٢٤، نهج السعادة ٢: ٣٦٥

(٢) نهج السعادة ٢: ٣٦٦، تاريخ البغداد ٢: ١٨٩، الفارات ٢: ٦٢٨

الاستفزازي ، سار إلى اليمن وفي طريقه لم يكن ليلبث في مدينة أو قرية بل كانت المحجة امامه واضحة ، يسرع السير عليها نحو الهدف المنشود .  
والجنود الذين كانوا تحت رايته إذا ما ضعف أحدهم أو نفقت راحلته أو نفذ زاده فان ابن قدامة كان سرعان ما يسعفه ، ويقدم إليه نجدته الأمر الذي لم يبق في القافلة الحربية جندي يضمر عتاباً أو إنتقاداً على قائده العظيم ، سار ابن قدامة وولاء الدولة يحدوه ، وهدفه المنشود يحفزه حتى بلغ اليمن ، وهناك كانت أنباء ابن قدامة تترى على المفسدين في الأرض ، وكان الطاغية بسر لا يزال يعيث فساداً في اليمن ، ولما ان بلغ ابن قدامة صنعاء حاضرة اليمن حتى كان المنشقون قد تبددوا في الجبال والوديان والقدافد ، يتلمسون لأنفسهم ستاراً أو جحراً يضمهم عن عيون ابن قدامة ، وفي نفس الوقت فإن عامة الشعب الموالية للدولة والتي شعرت بأن كرامتها قد أهينت عندما وفد ابن أرطاة في جبروته الضعيف شعرت ان قوة تساندها فراحت تسد على الهاربين مسارب الطريق ، وطفقت تذيبهم ألوان البرحاء ، هؤلاء الهاربين الذين عبدوا الطريق لمعاوية وبغيه ، ولقائده وعجرفته ، عبدوا الطريق لكل هذه المآسي التي امت بالبلاد ، وليس ببلاد اليمن فحسب بل وبالبلدان التي وقعت على طريق ابن أرطاة .

وصل إلى ابن قدامة نبأ يفيد أن ابن أرطاة وجيشه لا يزالون يتواجدون في حضرموت الأمر الذي حمل ابن قدامة على تتبع ابن أرطاة ، فلما سمع ابن أرطاة انه سيقع بين فكلي الأسد راح جأشه شعاعاً ، وهرب من المدينة محاولاً أن يثبت أقدامه في ناحية من اليمن ، ولكن ابن قدامه كان أسرع مبادرة ، فإنه طفق يتتبع ابن أرطاة فأينما سمع بتواجده حتى يغذ السير باتجاهه مما ضاق الطاغية ذرعاً بهذه المطاردات المستمرة فخرج من أرض اليمن ميمماً الشام ، ولكن ابن قدامة واصل مطارداته حتى لحق بابن أرطاة وجيشه المتهافت فالتحمت بين الفريقين معركة ضارية ، وكاد ابن قدامة أن يقضي

على خصمه لولا ان خصمه اتخذ الليل ستاراً وهرب مع جنوده من وجه القائد العلوي .

وهكذا يهرب ابن أرطاة ذو البأس الشديد على الصبيان وأهل المدن الأمنيين العزل، هرب ابن أرطاة بعد أن قتل واحرق ثلاثين ألف انسان .  
رجع ابن قدامة إلى اليمن، إلى صنعاء ونظم أمورها السياسية والاجتماعية، وقمع المعارضين، وانتصر للشعب، واستتب الأمن والنظام ثم سار منها إلى أم القرى بيت الله الحرام، وفي طريقه حملت الأخبار إلى ابن قدامة نبأ مفزعاً كاد أن ينوء تحت ثقله، يفيد النبأ ان الامام أمير المؤمنين رئيس الدولة قد استشهد، ولكن ابن قدامة شعر في بدء الأمر ان النبأ لا يخرج عن كونه مفتعل قد افتعله الاعلام المعادى ليفتح ثغرة عن طريقه في صفوف جيشه، وبالتالي في صفوف الامة، وهذا الشعور حدى بابن قدامة أن يتتبع حقائق المستجدات السياسية في العاصمة حتى يسير على ضوئها، وبعد التحريات التي أجراها ابن قدامة وخاصة عندما بلغ مكة عرف حقيقة استشهاد الامام أمير المؤمنين عليه السلام الأمر الذي شعر أن الدنيا قد غامت حول ناظره، فلا يكاد يرى يديه أو خطوة قدميه، عالج لواعج أشجانه، أنه لا يزال في منتصف الطريق التصفوي، ان ناحية من كبرى النواحي في الوطن الاسلامي القت جرانها للدولة، وصفت من العناصر المناوئة .

أبعد هذه الجهود التي بذلها هو وجنوده يحمل البريد نبأ استشهاد الامام وهو - أي ابن قدامة - لم يلتقي بالامام بعد، ولم يقدم له تقريراً عن الأعمال التي نهض بتحقيقها، بل ولم تكتحل ناظره بمراءه الجليل ولو للحظة واحدة .

إنها أحاسيس غمرت فؤاد ابن قدامه، ولكنه بصفته قائد ومسؤول عن استتباب الأمن في اليمن، وفي الحجاز تماسك، ولم يظهر مشاعره وأحاسيسه بل سار يتحدى الأحاسيس العارمة، وراح يؤسس دولة الامام الحسن بن علي

عليهما السلام، ومن هذا المنطلق فإن ابن قدامة ما ان بلغ إلى مكة حتى سار توأ إلى بيت الله، وبعد أداء فريضة العبودية لله تعالى استقل المنبر، وتجمهر الناس، وتوافد المناصرون للامام ودولته إلى بيت الله، وهناك وبعد أن تجمع شمل الناس خطبهم ابن قدامة، وحثهم على البيعة، وكان نبا استشهاد الامام قد عمت الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها الأمر الذي اعترضته جماعة كانت تضرر العداً سرأ قائلة:

«ومن نبايع، وقد ذهب أمير المؤمنين إلى ربه، ولا ندري ما صنع الناس بعد».

فقال ابن قدامة يسد عليها منافذ التفكير:

«وما عسى أن يصنعوا إلا أن يبايعوا الحسن بن علي . قوموا وبايعوا لمن بايع له أصحاب علي - ثم صاح ثانية - : قوموا فبايعوا» .

وما ان سرى هذا الصوت في جمهور الناس حتى أندفع الناس إلى ابن قدامة تصفق على يديه تعطي يد البيعة والطاعة للدولة الجديدة، ولرئيسها الجديد، وإمامها الفذ . أما المتغطرسون من الملا فإن منهم من لاذ إلى الفرار، ومنهم من بايع مكرها وخوفاً من سطوة ابن قدامة وجيشه المرابط على حدود البلد الأمين .

ثم ان ابن قدامة بعد هذه الاجراءات نهد من البلد الحرام المبارك مع الجيش باتجاه مدينة رسول الله، أخذت الأنباء تترى على «طيبة» ان ابن قدامة وجيشه ناهد باتجاهها مما دعا أبو هريرة وجماعته المعاضدة له إلى الاختفاء، والتواري عن عيون الناس .

كانت أصداء تقدم ابن قدامه باتجاه المدينة الطيبة قد أشاعت الطمأنينة في قلوب ساكنيها، وشعرت بالأفراح تعتلج في كيانها الأمر الذي ما ان وصل ابن قدامة على مشارف المدينة حتى سارع الناس يحدوهم الفرح والابتهاج لاستقباله، وبعد تبادل العواطف النبيلة دخل ابن قدامة المدينة في

وسط استقبال حافل، وزار ضريح صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله ثم استقل المنبر، وراح يخطب الناس ويقول:

«أيها الناس إن علياً رحمه الله يوم ولد، ويوم توفاه الله، ويوم يبعث حياً كان عبداً من عباد الله الصالحين، عاش بقدر، ومات بأجل، فلا يهنا الشامتين. هلك سيد المسلمين، وأفضل المهاجرين، وابن عم النبي. أما والذي لا إله إلا هو لو أعلم الشامت منكم لتقربت إلى الله عزوجل بسفك دمه، وتعجيله إلى النار.

- ثم قال والغيض يكاد يأخذ مأخذه منه - :

والله لو أخذت أبا سنور لضربت عنقه»<sup>(١)</sup>.

ثم نادى بأعلى صوته وقد استوعب نظره جمهور الناس: قوموا فبايعوا. فقاموا الناس وبايعوا للحسن بن علي عليهما السلام، ثم خف ابن قدامة والجيش يأمون العاصمة، وما إن أشرف ابن قدامة على العاصمة حتى خف في ثلة من أصدقائه إلى الامام الحسن عليه السلام القائد الجديد للدولة، والذي بايعه أصحاب رسول الله، والناس عامة في العاصمة، وأرجاء العراق، وأمة الاسلام في الأقاليم.

وهناك وفي العاصمة التقى ابن قدامة بالعاقل الجديد وأعطى له يد البيعة والطاعة، وقدم له التعازي عن أبيه الامام أمير المؤمنين عليه السلام، ثم حث ابن قدامة امامه وقائده في نبرات حازمة، وفي نفس الوقت ضارعة: «سر... سر... يرحمك الله... سر بنا إلى عدوك قبل أن يسار إليك».

أنها نصيحة مشبعة بروح الاخلاص وخاصة وإن الامام الشهيد عليه السلام قد حشر الجنود والكتائب، وجيش الجيوش للنهوض لمقارعة «الأفعى» الأموي.

(١) تاريخ الطبري ٥ : ١٣٩ - ١٤٠.

إذن ماهي المبررات التي تعيق عن تنفيذ برنامج الامام وخطته، عبر العاهل الجديد عن هذه المبررات قائلاً: «لو كان الناس كلهم مثلك سرت بهم، ولم يحمل عليّ الرأي شطرهم أو عشرهم».

إذن هناك الشك في أن يخلص «عليّة القوم» لخطّة الامام، الشك في أن يلقي هؤلاء الكبار ثقلهم وجهدهم وعصارة إخلاصهم في ساحة المعركة المرتقبة، ولو كان «عليّة القوم» على شاكلة ابن قدامة في إخلاصه وتفانيه لهان الأمر، ولنفذت الخطّة الحربية في أقصر وقت، ولكن الرأي الذي أزجاه ابن قدامة للامام الحسن، أنّ هذا الرأي لا يتابعه عليه شطر أو عشر من عليّة القوم حسب تعبير الامام العاهل الجديد.

والأحداث التي تلت أثبتت نظرية الامام الحسن عليه السلام، ورؤيته المستقبلية هذه.

### وفود ابن قدامة إلى دمشق

وفي عهد معاوية وفد ابن قدامة، والأحنف بن قيس، والحنات بن يزيد عليه، وهناك وفي البلاط حاول الأموي أن يعطف قلبي ابن قدامة، وابن قيس على دولته، وإن يثير فيهما مشاعر الود، وأحاسيس الحب تجاه سلطته، وهو العارف بشخصيتهما ونفوذ كلمتهما في بني تميم، وهم يكونون شعباً كاملاً، ولهم في المستقبل الدور الكبير في حياة الدولة في استقرارها أو اضطرابها، إذن دعه يعاملهما معاملة مفعمة بالاحترام والحفاوة والتكريم الأمر الذي أهدى لكل منهما منحة مالية كبيرة أما صديقهما الحنات بن يزيد فإنه أهداه منحة مالية أقل بكثير من رفيقيه، وعندما خرج الرفقة الثلاثة من البلاط حسبوا هداياهم فلاحظ الحنات ان منحة المالية قليلة بالنسبة إلى صاحبيه الأمر الذي هرع إلى البلاط فمثل امام معاوية ولم يكذب يراه حتى أدرك سبب عودة الحنات فانطبعت على شفّتيه بسمة ماكرة، وخطر له أن يجيبه الجواب المثير

فقال في نبرة متجاهلة: ما جاء بك يا حنات، فأجابه الحنات في نبرة غاضبة:  
فضلت عليّ محرقةً ومخذلاً<sup>(١)</sup>.

فقال معاوية متخابثاً: اشتريت منهما دينهما، ووكلتك إلى هواك<sup>(٢)</sup>.  
الرجل يشتري ضمائر الناس، ودينهم بأمواله... ومن أين له هذه  
الأموال؟ إنها أموال الشعب ينثرها على الزعماء ليأمن جانبهم، ولكن هل ترى  
ان ابن قدامة وهو تلميذ الامام، والمرثشف من رحيق تعاليمه يبيع أغلى ما  
يملكه في سبيل عرض زائل أم انه يأخذ هذه الهدايا المالية ثم يفرقها على  
فقراء بني تميم، اي انه يأخذ مال الشعب من مسيطر طاغية، ويفرقها على  
الشعب نفسه، ولكن الطاغية حاول أن يسكت الحنات الحريص على هذه  
الهدايا، والحريص على مساواته برفيقه، ولكن الحنات لم يسكت بل قال  
في تحدي: وأنا أيضاً فاشترى مني ديني.

والحنات هذا صحب الرسول الكريم، وأخى الرسول بينه وبين معاوية  
فلما مات الحنات صادر الأموي أمواله وممتلكاته، وعبر الأموي عن هذه  
المصادرة:

ان الحنات هو أخوه بمؤاخاة النبي، فهو وحده يرثه، فقال الشاعر مندداً  
بهذه الورثة أو المصادرة:

أبوك وعمي يا معاوية أورثا	تراثا فيحتاز التراث أقاربه
فما بال ميراث الحنات أكلته	وميراث صخر جامد لك ذائبه
فلو كان هذا الأمر في جاهلية	علمت من المرء القليل خلائبه
ولو كان في دين سوى ذا سننتم	لنا حقنا أو غصن بالماء شاربه

(١) محرقة: يعني الأحنف بن قيس لانه كان يخذل الناس عن أصحاب الجمل، ويدعو إلى  
الأنفواء تحت راية الإمام عليه السلام أو اعتزال المحاربين كما اعتزل هو.  
(٢) الاستيعاب ١ : ٣٩٤.



الست أعز الناس قوماً وأسرة  
وما ولدت بعد النبي وآله  
وبيتي في جنب الثريا فناؤه  
انا ابن الجبال الشم في عدد الحصن  
وامنعهم جاراً إذا ضيم جانبه  
كمثلي حصان في الرجال تقاربه  
ومن دونه البدر المضي كواكبه  
وعرق الثرى عرقي فمن ذا يحاسبه  
قال ابن الأثير: وهي أكثر من هذا، وهي أحسن ما قيل في  
الافتخار<sup>(١)</sup>.

### حلم الأحنف بن قيس

كان الأحنف بن قيس قد ذاع بين الناس صيته واشتهر بينهم بالحلم  
والأغضاء عن الاساءة، وفي ذات ليلة اجتمع ثلة من الشباب يسامرون  
تحت ظلال نور القمر في ليلة مقمرة.

تشعبت بهم الأحاديث والأساطير ثم جرى بهم الحديث إلى الحلم  
والحلماء، فقال أحدهم:

أتذكرون الأحنف بن قيس.

فقال الآخر: نعم انه شهير بالحلم حتى ان الناس يقولون ان أحداً لم  
يستطع إلى هذا الوقت أن يغضبه، وإن أوغل في الاساءة إليه، فقال ثالث  
وقد خطر له خاطر من خواطر الشباب مر في ذهنه: دعونا نجرب الرجل، فعند  
التجربة يكرم المرء أو يهان.

فقال السامرون في صوت واحد:

وكيف نجرب أو نعرف، وما هي الوسيلة، فقال صاحب الفكرة: نمنح  
رجلاً مغفلاً ١٠٠٠ درهم ثم نرسله إلى «الأحنف بن قيس»، وهو في ناديه ثم  
يغاضبه، ويلطمه لطمه منكرة.

فقال السامرون: إنها فكرة رائعة، ولا بد أن نعرف مدى حلم الأحنف

أمام لطمة تصيبه من رجل مغمور، وهو في منتدى قومه .  
وعلى أساس هذه الفكرة انفض السامرون، وذهب كل منهم إلى مضجعه، وهو يفكر في هذه التجربة ونتائجها، وفي الصباح اجتمع رفاق الليلة المقمرة وجمعوا قسماً من المال، وأرجأوا القسم الآخر إلى لحظة تحقيق التجربة ثم بحثوا عن شاب مغفل وجري حتى ظفروا به ثم صبوا في سامعه خبطهم، ولوّحوا له بالآلف درهم كمكافئة، وكان مبلغاً ضخماً يومذاك، فسأل لعاب الرجل أمام بريق الدراهم، ثم وسوسوا له: ان الأحنف رجل حلیم لا يعاقب على من يسئ إليه مهما كان لون الأساءة، وكان الرجل قد تسمع من ذي قبل عن حلم الأحنف بن قيس، إذن فليفرخ روعه، وليطمأن باله إلى أن الأحنف سوف يسكت عن هذه اللطمة التي تصيبه من رجال مقامرون، ولكن الرجل يبدو أنه كان غريباً عن بني تميم لم يكن يعرف الأحنف في شخصه، ومن هو، وما هي ملامحه أو مميزاته .

دفع الشباب قسطاً من المال إلى الرجل، وأرجأوا القسط الباقي إلى أن تتم التجربة ثم أنشد يدفعوه إلى الرجل، فقبل هذا بدوره .  
كان الأحنف جالساً في متداه، وقد حف به زعماء القبائل والشخصيات البارزة، انه يوم حفله يحتفل به، ويدعو الرؤساء إلى المشاركة في هذا الحفل أو المهرجان . دلّ الشباب على الأحنف وقالوا للرجل الشاب: هو ذاك الأحنف جالس، فاذهب وكن رابط الجأش . . إنه رجل حلیم لا يسئ إليك .

ذهب الرجل في خطوات وثيدة، وهو متردد أيقدم أم يحجم، ولكن بريق الدراهم ورنينها كان يعشو بصره، ويبث في جوانحه الاقدام والشجاعة، وهكذا سار حتى بلغ منتدى القوم، والأحنف متوسطهم بصغي إلى أحاديث ضيوفه، ودخل النادي وحسّ القوم وذهبت به قدماء باتجاه الأحنف، ويجلس أمامه، ولقلبه وجيب يكاد يسمعه من قرب منه .

قال له الأحنف: مالك جالس إمامي، فلم يجب الرجل، فكرر عليه القول، فشعر الرجل إن غضبه تنتابه، وإن يريق الدراهم تحدوه على العملية أو تحقيق التجربة، فبادر الأحنف في وسط دهشة الحاضرين بلطمة هائلة، لطمة كانت مباغته، مباغته للأحنف ولضيوف النادي. لِمَ هذا التصرف الأهوج؟ وتحرك بعض الضيوف لرد الصاع بصاعات، ولكن الأحنف تماسك وأشار بالغاضبين أن يتريثوا عله يعرف سر هذه الإهانة التي لا مبرر لها فسأله في هدوء وعطف كبيرين، وبصوت يفيض منه الحنان: يا بن أخي ما أردت إلى ذلك.

فقال الرجل: بايعت على أن الطم سيد بني تميم.

إذن أصبح حلمه موضع تندر ومتاجرة، ولو انه أغضى عن هذه الإساءة فلسوف تكشف له الأيام عن إساءات متتالية تردف بعضها بعضاً، طالما إن حلمه أساء الشباب معرفته، واستخدامه.

هكذا فكر الأحنف في هذه الظاهرة إذن لا معدى له من أن يتصدى بحزم لهذه الإساءة ولو عن طريق غير مباشر حتى لا تنجم أخوات لها، وحتى يكون التصدي درساً للشباب، ولمن تسول له نفسه إلى الإساءة، ويطلب المغفرة من موضع الإساءة، فبادر الأحنف الشاب في نبرة غاضبة:

ويحك لست بسيدهم، ولكن سيدهم جارية بن قدامة.

وبهذه الكلمات أوقع الأحنف الشاب المسئ في الفخ، ولم يكذب يسمع الشاب المسئ هذه الكلمات من الأحنف بن قيس حتى اكتست ملامحه شحوب، ومعالم الأسى والأسف. إن العملية إذن أخطأت سيد بني تميم، فالأحنف ليس بسيدهم وإنما سيدهم هو جارية بن قدامة، وأين هو ابن قدامة؟ وأين مكانه أو مركز زعامته؟ دل الشاب المراهن على ابن قدامة، فهروا الشباب إليه، وهو يأمل أن يريح الدراهم، ويعيش الحياة هائلة طيبة رخيّة، وما أن بلغ إلى مركز زعامته ابن قدامة حتى دخل عليه في ديوانه،

وهناك تأمل بضعة من رفاق ابن قدامة، وآخرين توافدوا عليه ضيوفاً. دخل الشاب وحيى القوم تحية مضطربة معبرة عن إضطراب جوانحه ثم نهد في خطوات حذرة نحو ابن قدامة، وبدون تمهيد، وفي لمح البصر رفع يده وأرسلها هابطة على خد ابن قدامة، فدوت صفعة الشاب في القاعة وأنتبه لها الناس، وتساءلوا: لِمَ هذا الاعتداء الأثيم.

وانتابت ابن قدامة غضبة عاصفة لهذه البادرة الحمقاء، ولكنه تصبّر حتى يعرف السبب أو الأسباب التي حدثت بالشاب الأهووج على هذه المبادرة، فألقى عليه أسئلة وعاضده ضيوفه، ورفاقه في هاتيك الأسئلة حتى يعرفوا معرفة واضحة عن أسباب المبادرة، وهنا بدأ الشاب يكشف عن الأسباب التي حدثت به إلى هذه المبادرة، وسمع الرفاق والضيوف ان الشاب قد بدأ في مبادرته تلك الأحنف بن قيس ثم انّ الأحنف وفي حنكة ودهاء أرسل الشاب ليتسلم جزاءه الأكيد من ابن قدامة الشهير بعواصفه الغاضبة. كان ابن قدامة يصغي، وهو مضطرب في داخله يكاد يحرق بلفحاته المعتدي المسيء كيانه وآماله، ولم يكذب ينهي الشاب من قصته حتى أمر ابن قدامة في لهجة حامية، وأشار إلى الشاب:

«اقطعوا يده»<sup>(١)</sup>.

ربما كان تهديداً أنصرف عنه بعد ذلك أو أنهم قادوا الشاب، وجرحوا بالمدينة أصابعه حتى لا يعود إلى الاساءة، ولا يستغل الشباب السامرون حلم زعمائهم وساداتهم هذا الاستغلال المثير.

يقال إن ابن قدامة أدرك النبي صلى الله عليه وآله، وقيل إنه لم يدركه عليه الصلاة والسلام، وعلى كلا القولين فإنّ أهل البصرة، وأهل المدينة رووا عنه هذا الحديث:

(١) يراجع: شرح أدب الكاتب للجباليقي: ٩٥ طبعة القاهرة ١٣٥٠.

عن الأحنف بن قيس، عن جارية بن قدامة قال: إن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وآله: يا رسول الله قل لي قولاً وأقلل لعلني اعقله. فلمحه رسول الله فرأى في وجهه امارات الغضب منطبعة كأن ملامح الغضب امست شارة من اشارات وجهه، فأدرك الرسول الصفة المستهجنة المتغلغلة فيه الأمر الذي قال: «لا تغضب»، فأعاد عليه الرجل مراراً كلمته تلك: يا رسول الله قل لي قولاً وأقلل لعلني اعقله. كل ذلك ورسول الله يقول: «لا تغضب»<sup>(١)</sup>. كان رسول الله مؤيداً من عند الله تعالى، وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

### جرير بن عبدالله البجلي

يكنى أبا عمرو.

صحب رسول الله فترة قصيرة، وصحب الامام أيضاً فترة قصيرة، وكان له في كلا الفترتين دوراً سياسياً هاماً، ولكنه في كلا الصحبتين لم ينتفع بها - أي بالصحبة - في صقل نواياه وذات نفسه، ولم تملك تلك التفحات النبوية العلوية كيانه وفؤاده، ولم تشيع في نفسه طمأنينة اليقين، ودفاً الحق بل ما أن ثارت عاصفة حتى انتثلته والقتته في أحضان الباطل، ولم تعظه تلك الصحبة للرسول الكريم، والامام مناعة نفسية، ولا مجناً يذود عن نفسه.

إنه ذهب كما ذهب الكثير ضحية المصالح الشخصية. والأهواء النفسية، والمطامع والأحقاد التي تشوش وجه الحق الناصع.

والوساوس النفسية التي لا تكاد تمل من اتارة النقيع أمام نظرة

(١) أسد الغابة ١: ٢٦٣.

الانسان، والتي لا تكاد تني من دفع الانسان نحو منحرجات السبل، ومضرسات الطرق.

كان ابن عبدالله فارح القامة سامقاً حتى قيل إن طوله كان ستة أذرع وحذاه كان في ذراع، حلوقسمات الوجه جميلها، ضاحك السن، يخضب لحيته بزعفران فتصبح كالتبر، لين العريكة، وقد انحرف به هذا اللين نحو التهاون بأداء واجباته ومسؤولياته الملقاة على عاتقه، وفي نفس الوقت كان زعيم بجيلة، والمشار إليه بالبنان.

قال الجاحظ: ثلاثة سادوا في الجاهلية والاسلام . . .

وجرير بن عبدالله<sup>(١)</sup>.

أسلم في سنة عشرة من الهجرة، وأدرك رسول الله صلى الله عليه وآله في آخر حياته الرسالية.

وعندما تنبأ الأسود العنسي في الجزيرة العربية حاول الرسول الكريم أن يقضي على دعوته الباطلة فارسل إلى ذي الكلاع الحميري، وكان زعيم قومه، وإلى ذي رعين، وهو من سادة اليمن أن يتعاونوا مع المخلصين على قطع دابر المتنبأ، ووند دعوته، وكان رسوله إلى ذي الكلاع، وذي رعين هو ابن عبد الله صاحب الترجمة<sup>(٢)</sup>.

واوصاه الرسول أن يعرج على ذي الخلصة، وهو بيت صنم كان لقبيلة خثعم ويهدمه، فسار ابن عبدالله في خمسين جندياً من قومه حتى أغار على صنم خثعم وهكذا قضى الرسول على آخر صنم من الأصنام العربية، وهو عليه الصلاة والسلام يكاد يودع الدنيا إلى الرقيت الأعلى.

قال جرير وهو يستعرض سمات الفترة من حياته مع الرسول العظيم:

(١) البرصان والمرجان : ٧٩.

(٢) أسامة : ٤، الأسياع : ٢٣٤ - ٢٣٧.

أسلمت قبل موت رسول الله بأربعين يوماً، وما حجني رسول الله منذ أسلمت، ولا رأني قطّ إلا ضحك وتبسم.

وفي صاحب الترجمة قال الرسول الحكيم: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه»<sup>(١)</sup>. إن سيرة الرسول العامة كانت إكرام الضيف كائناً من كان، وصاحب الترجمة ابن عبدالله كان ضيفاً طارئاً على طيبة، وخاصة وإنه سيد قومه فكيف يحجب، وكان من الأخلاق الرسالية هي البشر والابتسام فيمن يلقاهم الرسول، وذلك لاشاعة الدف في قلوب الوافدين على الرسول، وفي قلوب الناس عامة، وكان ابن عبدالله واحداً من الوافدين، وهو كريم قومه. ثم ان ابن عبدالله اشترك في المعارك التي دارت بين الاسلام والدولة الساسانية، وكان يتزعم الجنود من عشيرته بجيلة.

قال الشاعر:

لولا جرير هلكت بجيلة نعم الفتى وبئست العشيرة  
يبدو أنّ الشاعر كان في جوانحه إمتعاض من بجيلة الأمر الذي راح يذمها في أسلوب مديح سيدها.

وقال الشاعر الفرزدق قصيدة تشيد بابن عبدالله، ويظل قبيلة بجيلة

المنن التي لجرير عليها حيث جمعها الله به من التشتت والتبعثر:

لولا جرير لم تكوني قبيلة  
بجيلة ولكن جده بك أصددا<sup>(٢)</sup>  
به جمع الله التشتت منكم  
كما جمعت ريح جهاماً مبدا  
ونهنه كلباً عنكم بعدما سمت  
لخالدها في يوم ضنك فعددا  
ليالي يدعو ابني نزار لنصره  
إلى النسب الأدنى إليه فأيدا  
ولم يدع من كانت بجيلة قبله  
إلى النسب المغمور لكن تمعددا

(١) الاستيعاب ١ : ٢٣٤ .

(٢) كانت بجيلة احترت ففرقت في قبائل العرب ثم جمعها جرير بواسطة تدبير الدولة.

أخالد لو حافظتم وشكرتم عرفتم لعبد القيس عندكم يدا<sup>(١)</sup>

### جرير والي همدان

ولما ان وضعت الحرب أوزارها، ارتاد ابن عبدالله مدينة الكوفة الحديثة العمران، وشيد فيها داراً في سرّة حي قومه، وعاش في هذه المدينة إلى أن حج في أحد الأعوام وقد ساءه حياة الخمول والدعة، ولما ان أتم حجه عرج على مدينة الرسول، والتقى بالحاكم ثم كانت لقاءات بينه وبين الحاكم، وبين بطانته، وأسفرت هذه اللقاءات عن تعيينه والياً على مدينة همدان بعد أن أعطى موثقاً على ولاء البيت الحاكم، وتقديم مصالح البيت على أي مصلحة أخرى.

وكانت مدينة همدان الجميلة الأجواء صيفا، والقارسة البرد شتاءً ذات الجبال السماء، والينابيع المتدفقة يومئذٍ مدينة صغيرة لا يسكنها سوى عشرة آلاف نسمة هذا إذا ضمنا إليها أعداد أهل القرى والأرياف.

ارتاد الوالي الجديد محل ولايته، وهو فرح مسرور، يكاد يخرج من إهابه لقد طرح الخمول الذي عاشه أمداً في حي قومه بالكوفة، ها انّ الولاية منحتة رصيلاً كبيراً في ميدان العون لمرتابيه من الأسر البجلية خاصة وإن عهد حكومة أسرة الحاكم في المدينة كان عهد البذخ والقصف على حساب الشعب.

كانت الولاية آنئذٍ تعتبر رصيلاً مادياً يستغله الوالي في أرواء مظامحه وشهوته، والنفوذ في قلوب عشيرته وأقربائه، ولكن هذه الحياة المستغلة لم تدم طويلاً، ولم يرسل القدر حبله بل دمدمت الثورة على المستغلين.

وشيدت على انقاضها دولة العدالة السائدة، وصيانة الحقوق المنهارة، والاموال المبعثرة، دولة الإمام التي أعادت إلى الإسلام وضائه وأريجه،

(١) ديوان الفرزدق، شرح الصاوي ١: ١٨٢.



ومسحت عنه غبار الجاهلية المستغلة. لقد ارسل الإمام أمير المؤمنين كتاباً إلى محافظ همدان جاء فيه:

«أما بعد فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ومالهم من دونه من وال، واني اخبرك عن نبأ من سرنا إليه من جموع طلحة والزبير عند نكثهم بيعتهم، وما صنعوا بعاملي عثمان بن حنيف. أني هبطت من المدينة بالمهاجرين والأنصار حتى إذا كنت بالعذيب بعثت إلى أهل الكوفة بالحسن بن علي، وعبدالله بن عباس، وعمار بن ياسر، وقيس بن سعد بن عباد، فاستنفروهم فاجابوا، فسرت بهم حتى نزلت بظهر البصرة، فاعذرت في الدعاء، واقلت العثرة، وناشدت عقد بيعتهم، فابوا الأقتالي، فاستعنت بالله عليهم فقتل من قتل، وولوا مدبرين إلى مصرهم، فسألوني ما كنت دعوتهم إليه قبل اللقاء، فقبلت العافية، ورفعت السيف، واستعملت عليهم عبدالله بن عباس، وسرت إلى الكوفة، وقد بعثت إليكم زحر بن قيس، فأسال عما بدا لك».

ولما جاءه رسول الإمام زحر بن قيس الجعفي، وسلمه الكتاب فضه بن عبدالله وألم بمحتواه ثم نادى مناديه في شوارع المدينة وسككها الصلاة جامعة، وما أن سمع الناس هذا الهتاف حتى هرعوا إلى المسجد الأعظم في المدينة إذ إن الهتاف لا يكون إلا لأمر ذي بال، ولقد ترامى إلى مسامعهم الأحداث السياسية التي نجمت في مدينة الرسول (ص)، وما اسفرت عنها من مستجدات على الساحة السياسية في العالم الإسلامي هرع الناس زرافات ووحداً إلى المسجد الأعظم ليستشفوا بارقة من هذه المستجدات التي أخذت عواصفها تهز الولاة، واصحاب البذخ والقصف من على عروشهم، وما يدريهم لعل عاصفة من هذه العواصف أخذت طريقها إلى

هذا الوالي لتقتلعه من مقعده الوثير، ولما ان تم شمل اهل المدينة ارتاد ابن عبدالله المسجد الأعظم ويرافقه رسول الإمام زحر بن قيس، وهناك استقل ابن عبدالله المنبر، ورمى الجمع المحتشد بعينيه الجميلتين والتي اخذت ومضاتها تخفت أسأ على مركزه في الولاية التي عليه ان يودعها خلال أيام ثم طفق يخطب والناس قد سادهم السكوت كأن على رؤسهم الطير، ووقف المترجم بجانبه يترجم كلامه للأمة الفارسية فقال:

أيها الناس هذا كتاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وهو المأمون على الدين والدنيا، وقد كان من امره وأمر عدوه ما نحمد الله عليه، وقد بايعه السابقون الأولون من المهاجرين والانصار، والتابعين باحسان، ولو جعل هذا الامر شورى بين المسلمين كان أحقهم بها. ألا وإن البقاء في الجماعة، والفناء في الفرقة، وعلي حاكمكم على الحق ما استقمتم، فان ملتم أقام ميلكم».

فهتف الناس من جوانب المسجد بلكنة فارسية سمعاً وطاعة.. سمعاً وطاعة.. رضينا.. رضينا، ثم نهض رسول الإمام والقى على جمهور الناس وحشودهم المحتشدة كلمته شرح فيها ما جاء في كتاب الإمام من حديث الساعة، والحدث الهام الذي اثار انتباه المسلمين، والذي كان الفريد من نوعه، والذي كانت احكامه لا زالت غامضة إلى ان كشفها الإمام في سيرته مع اصحاب الجمل، وهي سيرة سارت عليها الدول المتحاربة المسلمة إلى عهدنا الحاضر إلا أن يتجن متجني أو يحيف ظالم أو تنحرف دولة.

لقى رسول الإمام خطابه على الحشود المحتشدة، وكان مما حفظ من كلامه هو هذا:

«الحمد لله الذي اختار الحمد لنفسه، وتولاه دون خلقه لا شريك له

في الحمد، ولا نظير له في المجد، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له القائم الدائم إله السماء والأرض، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالنور الواضح، والحق الناطق داعياً إلى الخير، وقائداً إلى الهدى.  
أيها الناس! إن علياً قد كتب إليكم كتاباً لا يقال بعده إلا رجيع القول، ولكن لا بد من رد الكلام.

إن الناس بايعوا علياً بالمدينة من غير محاباة له ببيعتهم لعلمه بكتاب الله، وسنن الحق، وإن طلحة والزبير نقضا بيعته على غير حدث، وألبا عليه الناس ثم لم يرضيا حتى نصبا له الحرب، وأخرجوا أم المؤمنين فلقبيهما، فأعذر في الدعاء، وأحسن في البقية، وحمل الناس على ما يعرفون.  
هذا عيان ما غاب عنكم ولئن سألتهم الزيادة زدناكم، ولا قوة إلا بالله»<sup>(١)</sup>.

أبرق ابن عبدالله إلى الامام بطاعة أهل مدينته، وبيعتهم ريثما يلتقي هو بالامام في الأسابيع المقبلة، ثم وبعد أيام شهدت الوديان والجبال ابن عبدالله على ناقته تخب به، وبرفاقه باتجاه العاصمة، وفي خاطره الآمال الكبار تدغدغه، وفي طريقه أنشد ابن عبدالله قصيدة يفتخر فيها بالولاية على ثغر همدان، والمعارك التي خاضها في ولايته، ويخلص إلى مديح الامام قائد الدولة الأعلى:

اتانا كتاب علي فلم	نرد الكتاب بأرض العجم
ولم نعص ما فيه لما أتى	ولما نذم ولما نله
ونحن ولاة على ثغرها	نضيم العزيز ونحمي الذم
نسافهم الموت عند اللقاء	بكأس المنايا ونثفي القره
طحناهم طحنة بالقنا	وضرب سيوف تطير اللمم

مضينا يقينا على ديننا      ودين النبي مجلى الظلم  
أمين الاله وبرهانه      وعدل البرية والمعتصم  
رسول الملوك ومن بعده      خليفتنا القائم المدعم  
علياً عنيت وصي النبي      نجالد عنه غواة الامم  
له الفضل والسبق والمكرمات      وبيت النبوة لا يهتضم

كان عنت الأموي الطاغية يقض مضجع الامام الأمر الذي عزم على أن يرسل سفيراً من قبله إلى الأموي ليأخذه أما بالبيعة، وأما بالحرب المشبوبة، ومن سيكون سفير الامام؟ لا بد أن يكون سفيره يتحلى بخصائص تخوله أن يقوم بأعباء السفارة:

- ١ - أن يكون شهيراً لدى الرعايا.
- ٢ - أن يكون ظاهر الذليل له شخصية عصامية لا تذله المغريات.
- ٣ - أن يكون له مكانة اجتماعية في أوساط الرعايا والساسة.
- ٤ - أن يكون لين العريكة، حلو الحديث، يملأ مرآة القلوب والعيون بالاجلال والترحيب.
- ٥ - أن يتحلى بصفات خاصة كانت مطمح نظر الامام، إلى هاتيك الخصائص التي استعرضناها.

إن هذه الصفات، وتلك الخصائص وجدها الامام متمثلة في جرير بن عبدالله، فهو شهير لدى رعايا الأموي حيث إن معظم رعاياه من اليمنيين، والسفير هذا هو زعيم بجيله، وهي قبيلة يمنية لها صلاتها برعايا الأموي تماماً كما لزعيمها ابن عبدالله صلاته برعايا الأموي، ومعرفة وثيقة بهم، ومن هذا المنطلق فابن عبدالله له مكانة اجتماعية مرموقة، وهو ظاهر الذليل، وإن كانت شخصيته لا تتحلى بالعصامية أمام المغريات إلى أبعد الحدود.

ثم إن ابن عبدالله يتحلى بالخلق، والكلام الطيب، والنبيرات الجميلة، وهو في نفس الوقت يملأ القلوب والعيون بقامته الرشيقة الفارعة،

وملامحه المتناسقة الجميلة . وهذه الصفات لها صدى في القلوب العربية التي تحبذ المظاهر البراقة .

دعا الامام ابن عبدالله ، وعرض عليه فكرة السفارة ، فقال ابن عبدالله ، وهو يأمل أن يكون هو السفير :

« ابعثني إليه فإنه لم يزل لي مستنصحاً ووداً ، فاتيه فأدعوه إلى أن يسلم لك هذا الأمر ، ويجامعك على الحق على أن يكون أميراً من أمرائك ، وعاملاً من عمالك ما عمل بطاعة الله ، واتبع ما في كتاب الله .

وأدعو أهل الشام إلى طاعتك وولايتك ، وجلهم قومي ، وأهل بلادي ، وقد رجوت أن لا يعصوني » .

إن ابن عبدالله خفّ ليكون سفير الامام إلى الشام ، ولكن اعترض على هذه السفارة فريق من الناس ، وكان الأشتر القائد المحنك اللسان الناطق لوجهة نظر هذا الفريق المعترض ، وكان الأشتر نفسه لا يرتاح نفسياً إلى ابن عبدالله ، كان يكرهه ، وطبعي ان يكرهه سفيراً يتسلم زمام امة في سفارته هذه ، وهذا لا يعني ان الامام كان يحب ابن عبدالله أو أن نفسه تميل إليه ألا ترى كيف يعبر ابن عبدالله عن الأموي : « ابعثني إليه فإنه لم يزل لي مستنصحاً ووداً » . إن صلة الحب بين الأموي وبين ابن عبدالله قائمة ، ولا يرتبط بين القلبين برباط الحب والود إلا أن يكون هناك لقاء في النفسيات لقاء في الخصائص ، وليس بين قلوب الصالحين وبين قلوب الطالحين لقاء أو تواد .

إذن ليس هناك بين قلب الامام عليه السلام وبين قلب عبدالله الذي ارتبط بالأموي بحبل الود والحب لقاء ، ولكن الامام لم يجد في كتابه من يسفره سفيراً إلا ابن عبدالله أو لم يجد من يتحلى بالخصائص التي أحب أن يتحلى بها ممثله الا ابن عبدالله .

قال الأشتر للامام : « لا تبعثه ودعه ، ولا تصدقه فوالله إنني لأظن هواء

هواهم ، ونيته نيتهم» .

ولكن الامام قال في نبرة حانية : «دعه يتوجه فإن نصح كان ممن أدى أمانته ، وإن داهن كان عليه وزر من أوتمن ، ولم يؤد الأمانة ، ووثق به فخالف الثقة» .

ثم انّ الامام دعا ابن عبدالله وزوده بهذه التعاليم فقال : «إن حولي من ترى من أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار ، ولكني اخترتك لقول رسول الله فيك : خير ذي يمن .

انت معاوية بكتابي فإن دخل فيما دخل فيه المسلمون وإلا فانبذ إليه وأعلمه أنني لا أرضى به أميراً ، وإن العامة لا ترضى به خليفة» .

فقال ابن عبدالله : «والله يا أمير المؤمنين ما ادخرك من نصرتي شيئاً ، وما اطمع في معاوية» .

فقال الامام : «إنما قصدي حجة أقيمها عليه»<sup>(١)</sup> .

ثم انّ الامام سلمه كتابه .

اعد ابن عبدالله الزاد والراحلة ، وبرفقة بعض أصدقائه أصحح تخب به وبرفته النوق متجها لوجهته . . . ولما بلغ إلى قصر معاوية بالشام استأذن حاجبه بعد أن عرض عليه هويته ، وما إن سمع به حتى دعاه لمقابله ، وهناك في البلاط حيث احتف به بطانته القنّى ابن عبد الله على مسامح الأموي وحاشيته هذه الخطبة :

«أما بعد ، فإنه قد اجتمع لابن عمك أهل الحرمين ، وأهل المصرين ، وأهل الحجاز ، وأهل اليمن ، وأهل مصر ، وأهل العروض وعمان ، وأهل البحرين واليمامة ، ولم يبق إلا أهل هذه الحصون التي أنت

(١) الكامل في اللغة ١/ ١٩٠ - ١٩١ . صفر ٢٧ - ٢٨ . تاريخ البعوثي ٢/ ١٧٣ . أعيان الشيعة ١٦/ ٢٢٧ .

فيها لو سال عليها سيل من أوديته غرقها، وقد أتيتك ادعوك إلى ما يرشدك ويهديك إلى مبايعة هذا الرجل .

أيها الناس . . . ان الناس بايعوا علياً غير واطر ولا موتور . . . ألا إن هذا الدين لا يحتمل الفتن، ألا وإن العرب لا تحتمل السيف، وقد كانت بالبصرة أمس ملحمة أن يشفع البلاء بمثلها فلا بقاء للناس، وقد بايعت العامة علياً، ولو ملكنا والله أمورنا لم نختر لها غيره، ومن خالف هذا استعتب، فادخل يا معاوية فيما دخل فيه الناس» .

ثم ان ابن عبدالله سلم كتاب الامام إلى معاوية، وإليك نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

«من عبدالله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان .

أما بعد، فإن بيعتي لزمك بالمدينة وأنت بالشام . . . فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإذا اجتمعوا على رجل فسموه إماماً كان ذلك لله رضى، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة رد إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، ويصليه جهنم وساءت مصيراً . . .

فإن أحب الأمور فيك العافية الآ أن تتعرض للبلاء، فإن تعرضت له قاتلتك، واستعنت الله عليك . . . واعلم إنك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة، ولا تعرض فيهم الشورى، وقد أرسلت إليك من قبلي جرير بن عبدالله، وهو من أهل الايمان والهجرة، فبايع ولا قوة إلا بالله»<sup>(١)</sup> .

أنظر إلى نصوص هذا الكتاب، وهو بقلم فقيه الاسلام العظيم ثم اعتبر كيف صارت الخلافة لعبة بأيدي الأهواء والشهوات من بدئها إلى

(١) نهج السعادة ٤/ ٨٩ - ٩١، العقد الفرید ٣/ ١٠٦، الامامة والسياسة ١/ ٩٤، ص ٢٩ .

شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣/ ٧٥ .

خاتمها، وصارت الأهواء والشهوات قوانيناً ونصوصاً اتبعها الناس إلى يوم الناس هذا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قرأ الأموي الكتاب ثم انفض المجلس على أن يلتقي ابن عبدالله بالأموي في لقاء آخر يقرر معه الجواب، ولكن معاوية كان يدافع ابن عبدالله ولا يلتقي به، وإذا التقى به لم يمنحه الجواب سارت الأيام والأسابيع، والأموي يسوف في المواعيد، وكان ابن عبدالله قد أرخى الحبل للأموي، وطفق يزور أصدقائه ومعارفه من اليمينيين، ويقضي معهم سحابة النهار وقسطاً من الليل يسهر معهم في شتى القضايا، وقضية الساعة الهامة، وكان يدعو الناس أن يلتحقوا بالامام، ويمدوا إليه يد البيعة، فإن المهاجرين والأنصار قد بايعوه عن بكرة أبيهم.

ثم إن ابن عبدالله قد ضجر من تسويف معاوية وتتدافعه للقاءات، وهذه شهور تمضي من رحلته من عاصمة الامام، وفي ذات يوم التقى بالأموي فقال له والغضب يحتدم أواراً:

«إن المنافق لا يصلى حتى لا يجد في الصلاة بدءاً، ولا احسبك تباع حتى لا تجد من البيعة بدءاً» .

فقال له معاوية: إنها ليست بخدعة الصبي عن اللبن، إنه أمر له ما بعده فابلعني ربيقي .

ثم إن معاوية عقد إجتماعات مطولة مع كبار حاشيته، وخاصة بعد أن التحق به ابن العاص حول الجواب الذي عليه ان يرسله للامام: أيمد يده بالبيعة؟ أم يمدها بالسيف فأشارت عليه حاشيته أن يثير إعلاماً مدوياً في صفوف رعاياه يفيد ان الامام اشترك في الثورة على عثمان، وأن يثير مشاعر الناس الساذجة في هذا الصدد ثم اجتمع معاوية بابن العاص فتداولوا الأمر بينهما فمال ابن العاص أن يمد للامام يد البيعة والطاعة فامتعض معاوية من هذه التوصية ففكر في سحب ابن العاص إلى جانبه وليس أفضل من أغراءه



بولاية مصر، وما أن خطر له هذا الخاطر حتى انفرجت أساريره، ولوح لابن العاص بالولاية التي سال لها لعاب ابن العاص، ولم يكتف ابن العاص بهذا التلويح بل طلب من معاوية وثيقة على الولاية إذا ما نجح على العدالة العلوية، وهكذا أحضر معاوية وثيقة قيد فيها أن تكون مصر طعمة لابن العاص ثم سطر فيها:

«ولا ينقض شرط طاعة».

فبادره ابن العاص الداهية وهتف بالكاتب أن يكتب بدل تلك الجملة:  
«ولا تنقض طاعة شرطاً»<sup>(١)</sup>.

كان معاوية قد ضايقه الحاح ابن عبدالله في القرار النهائي ففكر في الخروج من هذا المأزق على حساب الامام لا على حساب قضايا نفسه فكراً طويلاً إلى أن توصل إلى حل مرضي يفسح له في رقعة الزمن، فلا يضايقه في الحاحه في البت في الأمر، ومن هذا المنطلق ارتاد قصر ضيفه، ورسول الامام جرير بن عبدالله، وكان ابن عبدالله في قصره الذي جعله معاوية تحت تصرفه. إن الأموي كان يسعى أن يثير ميول ابن عبدالله تجاهه، وتجاه قضاياها فكان يكرمه ويرسل إليه الهدايا، وفتح امامه المتع واسكنه في قصر فسيح الارحاء، مخضر الشعاب فيه أشجار متهدلة، وأنهار جارية.

ان عبدالله كان في قصره وإذا سهيل الخيل، ووقع الحوافر، وضوضاء الناس يسري إلى مسامعه تطلع من نوافذ القصر وإذا به يرنو إلى موكب الأموي يتقدم تجاه قصره.

يا ترى ماهي الخطة التي ينوي تنفيذها، وما هي الفكرة التي يحب أن يعرضها في جدول الأعمال أو قل ماهي الحيلة الماكرة التي يرتأى تنفيذها، دعه يصبر حتى يسفر الصبح.

(١) الكامل في اللغة ١ / ١٩٠ - ١٩١، طبعة الاستقامة - القاهرة.

انعقد اللقاء بين سفير الامام معاوية وإذا به يدنو من عبدالله ويلقي إليه هذه الكلمات هامساً كأنما يحاول أن تكون الكلمات سراً بينه وبين السفير: «يا جرير إني قد رأيت رأياً».

قال ابن عبدالله في نبرات مشتاق قد امضه هذا التردد والميوعة التي اتسمت بها تصرفات معاوية تجاه رسالته: «هاته».

قال: «أكتب إلى صاحبك يجعل لي الشام ومصر جباية، فإذا حضرته الوفاة لم يجعل لأحد بعده بيعة في عنقي. ثم تريث قليلاً واردف قائلاً: واسلم له هذا الأمر واكتب إليه بالخلافة».

فقال جرير: «اكتب بما اردت، واكتب معك»، وهكذا انصاع الرسول لفكرة معاوية، وهو بعيد عن أجواء المؤامرة التي يحوكها ضده أو انه قريب ولكنه يحاول أن يلتزم صدع الامة، ويجمع كلمتها. إذن ما عليه إلا أن يكتب بفكرة الأموي إلى الامام ليرى قرار الدولة في هذا الصدد عسى أن تنتهي الرسالة الحامية التي اضطلع بحملها إلى سلام يسود الامة، ويسود دولة الامام وقضايا الاسلام.

أرسل ابن عبدالله بكتاب معاوية وكتابه إلى العاصمة منتظراً الجواب، ولكن إلى أن يصل الكتابان إلى الامام، ويأتي الجواب من جانبه، فإن الوقت سينفسح امام معاوية، فيستطيع أن ينظم أموره حسب مبتغاه ثم لا يضايقه ابن عبدالله في تعجيل القرار.

كان البريد يواصل مسيرته، وهو يحمل الكتابين إلى عاصمة الاسلام. لترك البريد يتابع سعيه ولنلم بالعاصمة، والقضايا المستجدة فيها في غضون غياب رسول الامام.

كان كبار رجال الدولة يحثون الامام على المبادرة لغزو معاوية، وكانوا قد استطالوا الوقت، وشعروا أن هذا التأخير المفرط من جانب معاوية في ردّ حاسم إنما هو لتبيت مؤامرة مما حفزهم إلى حث الامام إلى الاستعداد

للمعركة، ولكن الامام كان من رأيه أن يترث، وتترث الدولة حتى يرجع الرسول، وكان عليه السلام يقول في هذا الصدد:

«إن استعدادي لحرب أهل الشام وجرير عندهم إغلاق للشام، وصرف لأهله عن خير إن أرادوه، ولكن وقت لجرير وقتا لا يقيم بعده إلا مخدوعاً أو عاصياً، والرأي عندي مع الأناة فأردوا، ولا أكره لكم الأعداد، ولقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه، وقلبت ظهره وبطنه، فلم أر لي فيه إلا القتال أو الكفر بما جاء محمد صلى الله عليه وآله.

إنه قد كان على الأمة والحدث احداثاً، وأوجد الناس مقالاً، فقالوا ثم نعموا فغيروا»<sup>(١)</sup>.

وصل البريد إلى العاصمة، فذهب تَوّاً إلى الامام فسلمه كتاب ابن عبدالله رسوله وكتاب معاوية.

نظر الامام في كتاب الأموي، وتأمل سطره يستشف ما وراء السطور من مؤامرة أو إخلاص، ولكن طالما ان طبيعة الأموي تميل إلى نسج المؤامرة قبل أن تميل إلى الاخلاص في قضايا الأمة فإن الكتاب يصبح كتاب مؤامرة.

كتب الامام إلى رسوله موضحاً خوافي فكرة الأموي، ومسفراً عن

أهدافه:

«أما بعد، فإنما أراد . . . أن يرثك حتى يذوق أهل الشام»<sup>(١)</sup>، فإذا

أتاك كتابي فاحمل معاوية على الفصل، وخذه بالأمر الجزم ثم خيره بين

(١) نهج البلاغة ٨٤ / رقم الكلام ٤٣ .

(١) المقصود من أهل الشام هم المهاجرون من اليمنيين والحجازيين الذين هاجروا إلى سورية أيام الفتح، وليس المقصود السكان الأصليين في البلاد حيث أنهم كانوا تبعاً ليس لهم من إدارة البلاد شيء، ولا يرجع إليهم في رأي أو مشورة إنما كان النظام السياسي في البلاد بيد الأجانب المهاجرين.

حرب مجلية أو سلم محظية، فإن اختار السلم فخذ بيعته . والسلام» .  
 رجع البريد وهو يحمل رسالة الامام إلى سفيره، وكان الأموي في  
 خلال فترة غياب البريد قد قام بنشاطات محمومة في تسميم الأجواء ضد  
 الامام بين رعاياه، واعداد الناس للتصويت إلى جانبه، وهكذا انصاعت  
 الرعايا لشباك مصيدته، وانطلت عليها خداعه .

ولما ان وصل البريد إلى ابن عبدالله حتى خف إلى معاوية، وأراه  
 رسالة الامام الحاسمة حتى في هذه اللحظة لم يدع ينفلت الوقت من يده،  
 فلم يعطي قراره لسفير الامام بل طلب منه أن يلتقي به في وقت آخر ليلقاه  
 بالفصل، وبالقرار النهائي، وودت ساعة القرار دعا ابن عبدالله للقاءه، وفي  
 صالة الاستقبال انتظر السفير، ولكن معاوية كان في الغرفة المجاورة ينشد  
 هذه الأبيات لسمع السفير:

تطاول ليلي واعترتني وساوسي	لات آتى بالترهات البسابس
أتاني جرير والحوادث جمّة	بتلك التي فيها اجتداع المعاطس
أكابده والسيف بيني وبينه	ولست لاثواب الدنى بلايس
إن الشام اعطت طاعة يمنية	تواصفها أشياخها في المجالس

ثم بعد برهة من الزمن ارتاد معاوية صالة الاستقبال، وبيده رسالة  
 مختومة، تقدم تجاه السفير والبسمة تداعب شفّتيه المنكرتين، وسلم السفير  
 الرسالة، وهو يهتف به فرحاً: «يا جرير الحق بصاحبك إنما هي الحرب  
 الحرب». طار ابن عبدالله إلى العاصمة ليخبر الامام بمساعيه الفاشلة،  
 ويسلمه الرسالة، وفي العاصمة التقى ابن عبدالله بالامام وهو يهتف:  
 «الحرب .. الحرب يا أمير المؤمنين» فتح الامام الرسالة فإذا بها بيضاء  
 ناصعة لا كلمة فيها مديحة .

إن الرسالة كانت «رقاً مطبوعاً غير مكتوب» تسامع كبار رجال الدولة  
 بعودة السفير فانهاجوا إلى مركز الرئاسة، وكان مالك الأشتر يتقدم الوافدين،

وهناك التقوا بالامام وسفيره، وسمعوا السفير ينقل انطباعاته عن الأموي ورعاياه، وانهم وفق المشاعر المشبوبة التي أثارها معاوية في أساليب مختلفة وخاصة أسلوب الدعاية والاعلام المستمر في المساجد والمقاهي والمزارع ضد دولة الاسلام إنهم عازمون على دخول معركة، وهنا قال الأشتر المعبر عن مشاعر رجال الدولة، واللسان الناطق عن وجهة نظرهم:

«أما والله يا أمير المؤمنين لو كنت أرسلتني إلى معاوية لكنت خيراً من هذا الذي أرخى من خناقه، وأقام حتى لم يدع باباً يرجو روحه إلا فتحه أو باباً يخاف غمه إلا سده».

فقال جرير: «والله لو أتيتهم لقتلوك، ووددت والله إنك كنت مكاني بعثت، إذا والله لم ترجع».

فقال الأشتر: «والله لو أتيت معاوية يا جرير لحملته على خطة أعجله فيها عن الفكر».

فقال ابن عبدالله جرير: «فأتهم اذن».

قال: «الآن وقد أفسدتهم».

وهنا طفق الأشتر - وقد انتابته نوبة غضب حامية على ابن عبدالله الذي تهاون في رسالته - ينعث ابن عبدالله بالخيانة أيام ولايته على همدان، وفي سفارته هذه ثم قال:

«والله ما أنت بأهل أن تمشي فوق الأرض حياً إنما أتيتهم لتخذ عندهم يداً بمسيرك إليهم ثم رجعت إلينا من عندهم تهددنا بهم، وأنت والله منهم، ولا أرى سعيك إلا لهم، ولئن أطاعني فيك أمير المؤمنين ليحبسك وأشباهك في محبس لا تخرجون منه حتى تستبين هذه الأمور، ويهلك الله الظالمين».

إنها كلمات حاسمة يلقيها الأشتر العضيد الأكبر للامام ولدولته الفتية،

إنها كلمات كانت كبيرة الوقع في نفس ابن عبدالله أثارت بلايلها، طفق من

جرائها يفكر في الخلاص من الوقوع في المأزق، إن البقاء في العاصمة ربما أدت إلى خسارة في حياته، وعلى أقل تقدير سيزج به في السجن، وهو لا يأبه بالسجن إن لم تنهار مع السجن كرامته لدى عشيرته وعارفيه، ولم يوصم بالخيانة والمروق من قوانين الدولة المرعية، ولم ينعت بالخيانة العظمى.

إن من يسجن في دولة العدالة المتمثلة في الامام، إن من يسجن تحت ظل هذه الدولة، فإن السجين لا يطلق سراحه إلا وهو خامل الذكر، موصوم بالذنب، منعوت بالخيانة، مسود الصحيفة، يتجنبه الناس، وينأون عنه، ويتطيرون منه.

إذن قبل أن ينزل به طائلة العقاب، وهو أعرف بنفسه من غيره، قبل أن ينزل به العقاب الصارم دعه يتخذ الليل جملاً ويهرب من العاصمة التي بدت منها بوادر التنكر والعداء، ولكن قبل أن يهرب دعه يلتقي بواحد من كبار «الطابور الخامس» في العاصمة، أرسل إلى الأشعث بن قيس وضرب معه موعداً عند الغروب حيث تميل الشمس إلى المغيب، والظلام في الجبابة حيث الهدوء يسود فيها، وحيث تنعدم المارة، وليس هناك أحد يراهما.

أعد ابن عبدالله كل شيء يحتاجه في رحلته المرتقبة، وعلى جناح السرعة، وفي الخفاء من عيون الرقباء، وعند الموعد المحدد اتجه ابن عبدالله إلى الجبابة، وتكاد ذكاء تأزف للمغيب، وهو متنكر وفي الجبابة كان ابن قيس ينتظر صديقه هذا على أحر من الجمر حيث إنه لم يلتقي به من شهر منصرمة، ولم يعلم من أحوال الشيخ الذي يعملون في سبيله تحت ستار زعامة العشيرة، ويشيرون في مسيرة الدولة المعوقات شيئاً.

وفي الجبابة التقى ابن قيس بصديقه في شوق وهيام، ونقل كل واحد منهما للآخر عن انطباعاته، والأخبار التي في حوزته.

ابن قيس نقل أخبار العاصمة وانطباعاته عنها، وابن عبدالله أخبره عن الشام وأهلها، وفي خلال الحديث الرخاء زود ابن عبدالله صديقه بالأمنيات

الطيبة التي يحملها له من جانب معاوية، وتوصياته المستقبلية ثم عرجا من هذا الحديث إلى ذم الدولة، وأملا نقل السلطة من العدالة إلى الظلم والغشم، وفي غضون النقد مرَّ بهما ضب يعدو فنادياه ساخرين:

«يا أبا حسل هلم يدك نبايعك بالخلافة».

ثم ضحكا وودع ابن عبدالله صديقه باتجاه قرقيسيا تحت ستار الظلام المخيم على الأجواء، ولما بلغ الامام بعد فترة زمنية، وبعد أن أسفر ابن قيس عن عدائه للدولة، وولائه لأعدائها، وانتشرت عنه هذه التصرفات الممضة، قال عليه السلام:

«انهما يحشران يوم القيامة وإمامهما ضب».

ولما بلغ الامام ان ابن عبدالله لاذ بالفرار جاء، وفي ركبته الكثير من عمال البناء، وتبعه عليه الصلاة والسلام الكثير من الناس ليستشفوا عن وجهة الامام، كان الناس ينظرون إلى الامام يسير باتجاه حي بجيلة، ثم باتجاه قصر ابن عبدالله القوراء، وهناك امر الامام بهدم الدار فهدم العمال بمعاول الهدم جوانباً من القصر حتى لا يصلح للسكنى، ثم أمر الامام أمير المؤمنين عليه السلام باحراق ديوان ابن عبدالله الذي كان يسمر فيه، ويلتقى بأصدقائه ومعارفه ورواده، وفي لمحة طرف كان الدخان يتصاعد من الديوان، واللهيب قد أحاط سرادقه، وبهذا الأسلوب استنكر الإمام علي ابن عبد الله ووصمه بالخيانة التي لا يستطيع التخلص من تبعاتها، وليس الإمام الممثل للدولة الاسلامية استنكر علي ابن عبد الله تصرفاته الهوجاء بل عاضد الإمام علي هذا الاستنكار معظم أفراد قبيلة بجيلة، وهي قبيلة ابن عبد الله التي كان يستند إليها ويتزعمها. إن بجيلة وحيها الكبير في العاصمة استنكرت تصرفات ابن عبدالله، واستنكرت هروبه، فلم ترافقه في رحلته هذه، ولم يغادر العاصمة من أفرادها الآقلة قليلة تعد بالأصابع التحقت به في «قرقيسيا».

ففي صفين كانت بجيلة تخوض المعارك ضد الباطل الأموي معاضدة للامام ومبادئه، وكان الامام قد سلم راية بجيلة إلى رفاعه بن شداد ليقودها في نضالها الحربي كعقيد له مواهبه ومؤهلاته الحربية<sup>(١)</sup>.

وليس بجيلة وحدها عافت زعيمها ونايذته بل حتى ابن جرير بن عبدالله ويسمى بعمرو أستنكر على أبيه مغادرة العاصمة هروباً بل ولم يروي عن أبيه شيئاً في مجال «الثقافة النبوية».

هذا إن كان جرير استوعب منها شيئاً أو جانباً من جوانبها، وإنما الذي روى هو أبو زرعة بن عمرو بن جرير البجلي روى عن جده.

أخذت ناقة ابن عبدالله تخب باتجاه «قرقيسيا»، وكتب في طريقه رسالة إلى معاوية يخبره عن مفارقتها للامام والتحاقه مكشوقاً بصفوفه، فرحب به، وسكن جرير بن عبدالله في مدينة قرقيسيا وكانت تابعة لأعمال معاوية، وتوفي فيها عام ٥٤، أي توفي بعد ١٧ عاماً من هروبه من عاصمة الامام، ومن نفحات الامام ورصيده الثر في الاسلام إلى مقاطعة الأموي ولفحاته ونكره، ورصيده الثر من الجاهلية ودهائها.

قال ابن عبدالله: «الخرس خير من الخلابة، والبكم خير من البذاء».  
ولم يشترك ابن عبدالله في صفين.

جعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو المخزومي القرشي  
أمه أم هانئ فاختة بنت أبي طالب أخت الامام أمير المؤمنين عليه السلام، فالامام هو خال جعدة بن هبيرة، وجعدة رضوان الله عليه هو من كبار أصحاب الامام تربي في حجر الامام، وترعرع في جو العلم والتقوى، ونما في ظلال الامامة، وارتوى من ينبوع الفضيلة، ودرس على



الامام، وكان الامام يرعاه ويحذب عليه إلى أن أمسى من أحب الناس إليه عليه السلام.

ولد في العام الذي فتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكة سنة (٨)، وكان أبوه هبيرة لا يزال على الوثنية، ولم تكدمكة تستقبل رسول الله في حشود المسلمين حتى أستقل هبيرة ناقته وهرب من وجه المسلمين إلى نجران، وهناك أمضى بقية حياته ثم توفي وشيكاً، ومن هذا المنطلق أضحى جعدة في ظل رعاية خاله في الثقافة والعلم والمعرفة إلى أن صار من كبار الفقهاء<sup>(١)</sup>، ومن أشرف قريش عامة، وبني مخزوم خاصة، وكان خطيباً مصقفاً، ذا لسان بتار، وإذا ما ناظر فحججه تترى حتى يفحم خصمه، وعندما ازدانت الخلافة بالامام كان جعدة في طليعة جنوده المنافحين عن العقيدة والسلوك الاسلامي.

ويبدو من بعض المراجع أن جعدة كان يسكن الكوفة حينما تسلم الامام الخلافة حيث إن الامام ما ان دخل البلد، واتخذة عاصمة الاسلام حتى ارتاد دار ابن اخته جعدة، وألقى عصا الترحال هناك إلى أن تم دار الامام الخاصة، وكان جعدة يومئذ شاباً في الثلاثين من ربيعته أو يكاد، مشبوب الطاقات، طموحاً إلى المعالي، شجاعاً.

ولما ان نزل الامام دار ابن اخته حتى تهلت أسارير الشاب الطموح التقي، وأشرق كيانه، بل والدار شاع فيها أريج الامام، ونفحات الامامة فاضحى جعدة عضيد خاله في تيسير شؤون الدولة، «وقد استعمل علي عليه السلام جعدة بن هبيرة»<sup>(١)</sup>.

ولما ان اندلعت نيران القاسطين حتى كان جعدة أحد قادة كتائب

(١) الاستيعاب ١/٢٤٢.

(١) مروج الذهب: ٢/٣٥١.

الامام الناهدة إلى صفين، وهناك وفي ساحة المعركة أبلى جعدة بلاء حسناً، وأبدى من ضروب الشجاعة والتكتيك الحربي في ساحة المعركة ما اشتهر في صفوف الجيش، وأصبح يشار إليه بالبنان بل وصار القدوة الحسنة للجندي البطل المضحى، والمخلص لامامه قائد الجيش الأعلى .  
ولجعدة بن هبيرة مشهذان فريدان: مشهد مناظرة، ومشهد نضال ومعركة .

في بعض أيام صفين جمع عتبة بن أبي سفيان جنود كتيبته الكبيرة وخطبهم وحثهم على القتال ثم وعدهم أن يسير بهم إلى ساحة المعركة غداً، أما اليوم فعليهم الاعداد للغد، والتأهب لمعركة ضارية ثم إن عتبة نهده وحده إلى ساحة المعركة، وعليه امارات السلام ثم نادى: «يا جعد . . يا جعد» .  
فلما سمع جعدة هتاف عتبة، وكان ساعته عند الامام بيت في شأن من شؤون الجيش طلب من الامام أن يأذن له للخروج إليه، فرمقه الامام في عطف وحب عظيمين ثم أذن له .

خرج جعدة من مركز القيادة، وركب جواده ثم شق صفوف الجند حتى نخلص إلى الساحة، وهناك شاهد عتبة وحده، ولما التقيا طفق عتبة يسرد على مسامع جعدة ما مفاده:

\* إنك لا تحاربنا إلا حياً لخالك أي أمير المؤمنين عليه السلام، ولعمرك ابن أبي سلمة عامل البحرين .

\* إن الأسرة الأموية حاولت ولاء الامام لولا شؤون كرهوها منه .

\* إن معاوية أحق بالولاية على ولايته .

\* إن جنود معاوية هم أنشط وأشد على القتال من معاوية نفسه،

ولكن الامام أنشط من جنوده في حربه ضد القاسطين .

\* إن جنود معاوية أطوع له من جنود الامام للامام، وأخيراً أعرب عتبة

قائلاً .

\* وما أقبح أن يكون علياً في قلوب المسلمين أولى الناس بالناس حتى إذا أصاب سلطاناً أفنى العرب .

هكذا نطق العدو، كان عتبة يتكلم متدققاً، وجعدة يصغي إليه ويفكر في أسلوب الاجابة، وفي غضون كلام عتبة تجمهر الجنود من المعسكرين حولهما يصغيان في اهتمام إلى هذا النقاش، وعندما أنهى عتبة حديثه أو قل وجهات نظره في شؤون المعركة وأسبابها حتى انبرى ابن أخت الامام يكشف عن الاخطاء التي تحتوي عليها وجهات نظر عتبة، ويلقي الأضواء على تهافتها وانفصامها وانحراف مرماها . قال جعدة تلميذ الامام وخريج مدرسته :

\* أما حبي لخالي فوالله لو كان لك خال مثله لنسيت أباك<sup>(١)</sup> .

وهنا انطبعت على شفاه الجنود المحتشدين الملتفين حولهما بسمة ساخرة أو ضحكة متهكمة، وهم يرمقون عتبة، فكاد ينفجر أعصاراً لولا أنه تجلد .

\* وأما ابن أبي سلمة فلم يصب أعظم من قدره، والجهاد أحب إلي من العمل .

\* وأما فضل أمير المؤمنين علي من سواه فهذا ما لا يختلف فيه اثنان .  
 \* وأما رضاكم بمنطقتكم وولايتكم، فقد رضيتم بها أمس فلم يقبل .  
 \* وأما قولك إنه ليس بمنطقتنا رجل إلا وهو أجد من معاوية، وليس بالعراق لرجل مثل جد علي، فهكذا ينبغي أن يكون، مضى بعلي يقينه، وقصر بمعاوية شكه، وقصد أهل الحق خير من جهد أهل الباطل .  
 \* وأما قولك نحن أطوع لمعاوية منكم للامام، فوالله ما نسأله إن

(١) وجعدة القائل :

فمن ذا الذي يبأى على بخاله كخالي علي ذي الندى وعقيل

يبأى : يفخر . أسد الغابة ١/ ٢٨٥ ، الاستيعاب ١/ ٢٤٢ .

سكت، ولا نرد عليه إن قال.

\* وأما قتل العرب فإن الله كتب القتل والقتال، فمن قتله الحق فإلى

الله.

وما إن أنهى جعدة حججه الدامغة، وأدلته الكاشفة حتى انفجر عتبة غاضباً مزمجرأ خاصة عند مالحة سخرية الجنود منه، حينما قال جعدة: أما حبي لخالي فوالله لو كان لك خال مثله لنسيت أباك، وأيضاً حينما لوح في أن الحق في جانبهم - أي في جانب معسكر الاسلام - غضب عتبة وأمسى فمه فوهة شتائم وسباب رخيص وجهها نحو تلميذ الامام، ولكن التلميذ الهادئ الأعصاب، الوضاء الحجة بعد أن شاهد أن الجنود قد أطمأنوا إلى حججه، لمح ذلك في قسماط وجوههم وزغرودة عيونهم. إن التلميذ الهادئ لم تستثيره الكلمات النابية، والسباب الهابط، فأشاح بوجهه عنه، وأعرض عن سبابه. ترى أي وزن للرجل المستهتر في معيار «التربية» حتى تكون لكلماته الجارحة، وسبابه الرخيص وزن أو رد فعل، ونحاول أن نقف لحظات في النقطة الأخيرة من أدلة تلميذ الامام: جعدة.

«وأما قتل العرب، فإن الله كتب القتل والقتال، فمن قتله الحق فإلى

الله.»

إن التاريخ مشحون بالمعارك الطاحنة، وساحات القتال شهدت الأشلاء المبعثرة أو تلال القتلى.

والحرب العالمية الثانية ضربت الرقم القياسي في فداحة المعارك، وضخامة أرقام القتلى، إن القتال أو المعارك هي من سنن التاريخ العام للبشرية، إذن لا معدى عن القتال، والتاريخ أمامنا، والحياة المعاصرة المشبوبة الاوار، والمصبوغة بالوان الحمرة القانية نراها عن كثب، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما هي أهداف هذه المعارك؟ وفي سبيل أي اتجاه يقتل أو يستشهد الجندي أو الجنود في ساحات القتال.

إنّ هذا السؤال أجاب عنه تلميذ الامام، وخريج مدرسته، وألقى الأضواء عليها:

إنّ الجندي إمّا أن يستشهد في سبيل الحق والحقيقة على مسرح الواقع، وإمّا أن يقتل الجندي في سبيل الباطل، في سبيل مطامع القادة أو سيطرتهم فحسب أو في سبيل تركيز هذه القاعدة: «الغاية تبرر الوسيلة».

إنّ الجندي إن استشهد في سبيل الحق، فالى الله ومصيره إلى الجنة والنعيم المقيم، وإن قتل الجندي في سبيل الطاغوت، في سبيل الباطل وهو يعلم أنّ قتاله في سبيل الباطل على كثرة ألوانه وصوره البراقة، فمصيره إلى الزبانية، والضنك والضيق، طالما ان القتال لا معدى عنه.

إنّ أمام الجندي هذان المنهجان، وهذان الخطان، فليختر أحدهما، فإن المآل يعود إلى أحدهما، وإذا كان القتل في سبيل الله فأيّ غضاضة في هذا الاستشهاد.

وهكذا عبر تلميذ الامام: أنّ الحق في جانبهم مما أثار غضب مناظره ثم وفي صباح اليوم التالي كانت كتبية عتبة على أهبة الاستعداد، وكان قائدها قد شمر عن ساعد الجد، وألقى إلى المعركة أقصى طاقاته وإمكانياته، وفي نفس اللحظة كان تلميذ الامام جعدة القائد الكمي يقود كتبية إلى ساحة المعركة.

التحم الفريقان، وكان القائدان قد دخلا في غمار المعركة، وأوغلا في الصراع، وصبرت الكتبتان للنضال، ولكن عتبة الذي كان يستند في نضاله في سبيل مغنم مادي، وكانت معنوياته المهية به على قدر هذا المغنم، فإنه لم يمكنه الصبر أكثر مما تصبر الأمر الذي لوى عنان جنوده ولاذ بالفرار مخلفا جنوده في ساحة المعركة بين فكي أسود الامام.

وكان جعدة وهو يستند في معركته إلى الاسلام ونفحات الايمان، فإنه جالد وأثار الحماس المستطير في جنوده، فقاتلوا، ولكن ما إن انتشر خبر فرار

عتبة في صفوف جنوده حتى هربوا هم أيضاً مخلفين المعركة وراءهم ، وهناك وفي سرادق معاوية كان عتبة مصدر تندر أخيه ، وقد شاهده يلهث في فراره ، قال له وهو يضحك في خبث : هزمك جعدة ، لا تغسل رأسك منها أبداً ، فقال عتبة : لا والله لا أعود إلى مثلها أبداً ، ولقد أعذرت ، وما كان على أصحابي من عتب ، ولكن الله أبى أن يدلنا ، فما أصنع .

عاد جعدة البطل الكمي ، والذي اقتبس شجاعته من خاله أشجع إنسان إطلاقاً إلى الامام بالنصر المؤزر ، فحظى عنده ، وأثنى عليه الامام (١) .

فقال النجاشي : يستعرض المناظرة بينهما ، ويعدد فضائل جعدة بن هبيرة ومميزاته الرائعة على الصعيد النفسي والعسكري والاجتماعي .

فأعلمنه من الخطوب عظيم	إن شتم الكريم يا عتب خطبُ
من معد ومن لؤي صميم	أمه أم هانئ وأبوه
أقرت بفضلها مخزوم	ذاك منها هبيرة بن أبي وهب
حين تلقى بها القروم القروم	كان في حربكم يعد بألف
هكذا يخلف الفروع الأروم	وابنه جعدة الخليفة منه
حسب ثاقب ودين قويم	كل شيء تريده فهو فيه
يشجى به الألد الخصيم	وخطيبٌ إذا تمعرت الأوجه
ونحفت من الرجال الحلوم	وحليم إذا الحين حلها الجهل
إذا حل في الحروب الشكيم	وشكيم الحروب قد علم الناس
إذا كان لا يصح الأديم	وصحيح الأديم من نغل العيب
إذا أعظم الصغير اللثيم	حامل للعظيم في طلب الحمد
عياً هيئات منك النجوم	ما عسى أن تقول للذهب الأحمر

كل هذا بحمد ربك فيه  
وقال الأعور الشني يهجو عتبة:

ما زلت تنظر في عطفك ابهةً  
لا تحسب القوم إلا فقع قرقرة  
حتى لقيت ابن مخزوم وأي فتى  
إن كان رهط أبي وهب جحاجة  
أشجاك جعدة إذ نادى فوارسه  
حتى رموك بخيل غير راجعةٍ  
قد عاهدوا الله لن يثنوا أعتها  
لما رأيتهم صباحا حسبتهم  
ناديت خيلك إذ غض الثفاف بهم  
هلا عطفت على قتلي مصرعة  
قد كنت في منظرٍ من ذا ومستمع  
فاليوم يقرع منك السن عن ندم

لا يرفع الطرف منك التيه والصلف  
أو شحمة بزها شاو لها نطف  
أحيا مآثر آباء له سلفوا  
في الأولين فهذا منهم خلف  
حاموا عن الدين والدنيا فما وقفوا  
إلا وسمر العوالي منكم تكف  
عند الطعان ولا في قولهم خلف  
أسد العرين حمى أشبالها الغرف  
خيلى إلى فما عاجوا ولا عطفوا  
منها السكون ومنها الأزد والصدف  
يا عتب لولا سفاه الرأي والسرف  
ما للمبارز إلا العجز والنصف<sup>(٢)</sup>

وهكذا أصبح موقف جعدة بن هبيرة في الساحة انشودة على لسان الشعراء وانتشرت في صفوف الجنود يترنمون بها ويستوحون منها الشجاعة والقوة ثم دخلت في عالم الأدب العربي .

(١) صفين: ٤٦٥، الأخبار الطوال: ١٧٣-١٧٤ ذكر ثلاثة أبيات منها  
(٢) أعيان الشيعة: ٢٤٣/١٦، صفين: ٤٦٥، الأخبار الطوال: ١٧٣ ذكر خمسة أبيات من القصيدة، ونسبها إلى النجاشي .

## جعدة بن هبيرة والي خراسان

ولما رجع الامام من صفين ، وكان جعدة قد أبدى في ساحات المعارك بطولات فذة في الذود عن حياض الاسلام ، فحاول الامام أن يكافئه على جهوده المشكورة ، ففوض إليه «ولاية خراسان» وهي من كبريات الولايات الاسلامية الواقعة تحت ظل راية الامام ، نهض جعدة باعداد الرحلة الطويلة والشاقة إلى نيسابور .

أبلغ جعدة صفوة رفاقه بولايته الجديدة ، وعرض عليهم صحبته في هذه الرحلة ، فاستجابوا لهذا العرض السخي . إنها رحلة ، وإنها ولاية وجاه وسلطان وحياة رغيدة ، تحركت قافلة جعدة بن هبيرة الوالي الجديد على منطقة شاسعة لها سماتها الجغرافية الخاصة ، ولأهلها الثقافة والتقاليد واللسان الخاص بهم .

إن جعدة ورفاقه ، وكان بعض رفاقه من الفرس المسلمين الذين يتقنون اللغة الفارسية الخراسانية ، إن جعدة ورفاقه يسيرون إلى منطقة غريبة عنهم ، وإن كانوا قد سمعوا بعض مواصفاتها على السنة المسلمين ، تحركت قافلة جعدة بن هبيرة وشيعها الامام وأصدر تعاليمه إلى عامله ، سارت القافلة عبر البلدان والقرى ، عبر الصحاري ، عبر الوهاد والوديان ، عبر الجبال السماء ، عبر أهل القرى والمدن ، لقد سارت عبر أرض مستوية حتى بلغت قصر شيرين ، ومن هناك سارت تقطع الجبال والوديان في طريقها إلى حلوان ، ودينور ، وقرمسين ، ومن قرمسين سارت القافلة بعد أن قضت فترة في المدينة تنزود بزادها ، وتلقي عن نفسها وعشاء الرحلة ، ومتاعب الطريق سارت القافلة وهي متأهبة لقطع الجبال الخشنة العالية الذرى ، والعقبان الملتوية ، وهذه المنطقة الشاسعة بالذات أطلق عليها التاريخ بمنطقة الجبال .

سارت القافلة ، وهي تبذل قصارى جهدها لمواصلة الرحلة بين هاتيك



الجبال الشاهقة، والوديان الهابطة العميقة الغور حتى بلغت مشارف جبال أسدآباد الهائلة، ومنها انحدرت باتجاه مدينة همذان، وقد أخذ منها المتاعب مأخذها، وكادت النفوس تنقطع دون بلوغ المدينة، وما إن أشرف الراكب على المدينة المشرقة بجمالها وبهائها، بأشجارها وأزهارها، بأنهارها ومياهها المتدفقة حتى شعر أنّ المتاعب المرهقة تبددت تماماً كالضباب المتكاثف الذي تبدده أشعة الشمس المشرقة.

انحدر الراكب إلى المدينة من جبال «ألوند» وهناك، وفي المدينة استقبلهم عامل المدينة بالحفاوة والتكريم، وأمضى الراكب فترة ممتعة في البلدة الجميلة برياضها ومياهها الهادرة، وبجبالها المحيطة بها كالسوار المحيط بالمعصم.

ثم انطلق ركب جعدة يبادر غايته، وكان الطريق أمامه سهلاً فسيحاً لا يحده الرؤية إلا أن تكون هناك بضعة تلال تثير بعض المتاعب التي سرعان ما تخف حينما يعود الأرض إلى فسحة النظر، مرّ ركبنا الذي كانت الآمال تثير فيهم الحماس والنشاط في الحركة، والأمانى تحدهم نحو الغاية. مرّ الراكب على مدينة «كرج» و«ساوة» ومنها سار الراكب في أرض سهلة حتى بلغ إلى الري، وهنا ألقى موكب جعدة عصي الترحال ريثما يعود إليه نشاطه وقوته بعد مشاق الطريق، ونزل الموكب ضيوفاً على عامل المدينة، واحتفى بهم العامل، وأعد على شرفهم ضيافة كبرى أشارك فيها كبار الموظفين، والشخصيات الاجتماعية البارزة . . .

سار الراكب ميمماً شطر نيسابور قاعدة خراسان، ولكن أين هو من نيسابور إن الشقة لا زالت بعيدة رغم الأسابيع التي أمضاه في الرحلة والحركة، ورغم المتاعب الهائلة لا جرم أنّ جغرافية البلاد أيضاً غريبة على حواسه ومشاعره تماماً كما ان لغتها وتقاليدها أيضاً غريبة عليه إلا ان هناك العقيدة هي مثار العطف والحب المتبادل.

سار جعدة ورفاقه يقطعون الطريق في أرض فسيحة سهلة يكاد لا يتوعبه مرمى البصر الحديد، مضى الراكب ليالي وأياماً طويلاً، فمر على «قومس» ومدناً وبضعة قرى، وأشرف الراكب على مدينة «خسروجرد» بعد أن عبر عقبة كأداء، ومن هناك واصل جعدة ورفاقه الرحلة، وما هي إلا ساعات حتى بلغوا إلى قصبة سبزوار، واستقبلهم أهلها إستقبالاً حافلاً بعد أن علموا بسمات الراكب الناهد. أليس أن أهلها يوالون الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام الولاء الفذ، وهذا ابن أخت الامام، ووالي خراسان المرسل من قبله إذن دع أهلها يبذلون جهدهم في النصيحة والحفاوة والاكرام، وتمهل الراكب في هذه القصبة حيث إن الوفود تقاطرت من القرى المجاورة مهتة ومستبشرة بابن أخت الامام، والوفد المرافق له، ولكن شعر جعدة ورفاقه أن الأهلين يهمسون بأحاديث تستشعر معالم الاشفاق والندير، تساءل جعدة ورفاقه عن هذه الهمسات ماهي، وعن ماذا؟ أهي همسات عن ملامح الضيوف الكرام وهيئات ملابسهم وزيهم أو ان الهمسات لا تمت إليهم بصلة بل ترتبط بشؤون أخرى، ولكن لماذا هذا الامتعاض الذي يلوح في الوجوه بعد الهمسات؟ ولكن لما كانت أحاديث النجوى متكررة وبشكل واضح أحب جعدة ورفاقه أن يتعرف على مضمون هذه الهمسات الأمر الذي سأل جعدة بواسطة مترجمه المرافق له كبير أهل القصبة عن مضمون هذه الهمسات، وعن الملامح المشفقة، والنظرات المعبرة عن العطف.

أطرق كبير القصبة مفكراً ثم رفع رأسه، ونظر إلى ابن أخت الامام نظرات حب وعطف واشفاق، وتريث وقال في كلمات هادئة وئيدة ما ترجمتها:

«إن هناك حركات وانتفاضات مناوئة للدولة في نيسابور، ومرو، وهما من أكبر مدن خراسان».

وما كاد الرجل يتفوه بهذه الكلمات حتى بوغت المترجم، وارتسمت

في محياه امارات الألم والامتعاض فبادره جعدة وقال : «ماذا يقول الرجل» ،  
فترجم له مترجمه الخاص كلمات الرجل .

وهنا وعلى جعدة كانت الكلمات أشد وقعاً، والمباغته أكبر فطفق  
جعدة يحث مترجمه الخاص أن يسأل الرجل الخبير بالأحداث الواقعة في  
منطقة خراسان، أن يسأل عن أنباء هذه الحركات المناهضة، وظروفها  
وملابساتها، فقال الرجل زعيم القصة :

ان الانباء وصلتنا أن ثلاث فرق تعاضدت للعمل ضد الدولة بعد أن  
ادركت هذه الفرق التوتر السياسي - بأبعاده - الذي يكاد أن يعصف بالدولة ،  
والحروب الداخلية بين الإمام ودولته الشرعية وبين الطامعين والناكثين ،  
أضاف الرجل قائلاً: إن هذه الفرق الثلاثة من منطلق هذه الرؤية قامت  
بتحركاتها المناوئة .

تساءل جعدة: يا ترى من هي هذه الفرق، وما هي هويتها وملامحها  
وسماتها؟

قال الرجل: الفرقة الاولى هي الاسرة الساسانية الحاكمة التي غزاها  
الاسلام فبدد أحلامها في الحكم الطويل .

أضاف الرجل: إن هذه الفرقة هي المتزعمة للفرقتين التاليتين، ولقد  
سمعنا أن بنت كسرى يزدجرد تقود هذه الحركة .

الفرقة الثانية: هي أصحاب المصالح المؤممة في عهد الحكم  
الساساني، هؤلاء الذين فقدوا مصالحهم وجاههم ونفوذهم على أثر اشراقه  
الاسلام، وانتشاره في ربوع الدولة الساسانية .

الفرقة الثالثة: هي فرقة آمنت بالاسلام كعقيدة ومنهج ثم ارتدت بسبب  
اغراء الفرقة الاولى والثانية ودعوتهما لها ببريق المال والجاه والمنصب  
والثراء، وهذه الفرقة كانت من رعايا الدولة الساسانية، ومن سواد الشعب .  
هذه الفرق الثلاثة تشكل نواة التحركات، ثم قال زعيم القصة الناصح

الأمين:

ولقد توالت الأخبار تقول: إن الاسرة الساسانية تمد الانتفاضة في «أبرشهر» بالعتاد الحربي، والجنود، والذخيرة تمد كل ماله صلة بالمعركة، المعركة الطاحنة بين قواها، وقوى الاسلام.

أضاف الناطق: إن المسؤولين عن التحركات يتشوفون إلى رد فعل الدولة في العاصمة، وهنا ختم الزعيم السبزواري حديثه المعبر عن التوتر السياسي في المنطقة.

كان المترجم الخاص لجعدة قد ترجم حديث الزعيم حرفياً ذلك الحديث المشير إلى عاصفة تكاد تهب في المنطقة، وإن النذر تلوح في الأفق.

جنح جعدة الوالي الجديد إلى الصمت مفكراً في مسيرته هذه أيتابع رحلته إلى مقر ولايته وها هي تضطرم بلفحات لهيب عاصفة، وتعج بالمعادين للدولة، والمساندين للاسرة الساسانية، تساءل جعدة: يا ترى لو واصل رحلته إلى «أبرشهر» وها هي على قيد مرمى رمح، ثم وصل خبر الرحلة إلى المناوئين، فماذا سيكون مصيره؟ اليس المصير الحتمي له ولرفاقه الذين يمثلون الدولة، وفي أعلى المستويات هو القاء القبض عليهم واعتقالهم كرهينة يسامون عليها إذا اقتضى الأمر الدولة المركزية، ولربما كان هناك في صفوف الخارجين على سلطان الدولة بعض المتطرفين، فطلبوا من الزعماء اعدام الرهائن.

كان التفكير يسير بصاحبنا جعدة زعيم القافلة الصغيرة الناهدة من العاصمة إلى «أبرشهر» لتستلم زمام السلطة، كان التفكير يسير به رويداً تارة، وحامياً مشبوب الحماس تارة أخرى، وهنا قال أحد رفاقه وقد علم بالأحداث المستجدة في المنطقة يعرض رأيه على زعيم القافلة:

«ماذا يا ترى لو استنفرنا الناس، وكوّننا كتائب من هنا وهناك من البلدان

المالية للدولة، وحشدنا الجنود ثم قذفنا بهم في وجه الخارجين على سلطان الدولة حتى يحكم الله بيننا وبينهم، وكى نصبح وقد أعذرنا إلى أنفسنا وإلى الدولة التي نمثلها».

إنها فكرة تبدو لأول وهلة حرة بالاهتمام والتنفيذ، ولكن هناك عوائق تقف دون تنفيذ الفكرة.

١ - على جعدة أن يخبر الامام بالاجواء السياسية التي تعيشها خراسان أو قل ولاية خراسان، وهي تكوّن أكبر ولاية في العالم الاسلامي يومذاك، ثم بعد رسم مخططات العدو كاملة، وإطلاع الامام عليها يأتي دور تعليمات الامام التي يصدرها في هذا الصدد، والتي يجب تنفيذها، فيا ترى ما هي نوعية هذه التعليمات، فهل هي تعليمات تتمثل في دخول الدولة معركة ضارية ضد الفرق الخارجة؟ أو أنها تعليمات سلمية تستهدف الدخول في مفاوضات.

٢ - كيف بإمكان القافلة الصغيرة ان تستنفر الناس، وتطلب الامدادات من المدن القريبة والبعيدة لأبرشهر، والمالية للدولة ان هذا الاستنفار يتطلب أن يكون المستنفر شهيراً في الوسط الاجتماعي في الولاية، والولايات الاخرى.

يا ترى من يعرف هوية القافلة أو سمات جعدة أو شخصيته الآ القلة القليلة التي لا يؤبه لها في هذا الطرف الحازب، وفي مواجهة العناصر الخارجة.

ثم انه لو فرضنا أن جعدة كان له شخصية شهيرة في الوسط الاجتماعي، فمن أين له المال والعتاد والذخيرة لتكوين جيش لجب يقذفه في وسط المعركة، ان المشكلة تعود في حلها إلى العاصمة مركز قيادة العالم الاسلامي.

ثم ان هناك مشاكل أخرى شعر بها جعدة، وتلمسها من خلال الظروف

الاجتماعية والاقتصادية، ومن غضون الأوضاع الزمانية والمكانية الحاكمة .  
 " ان جعدة شعر بالمشاكل الأنفة، وأدرك مشاكل أخرى لم يهتد إليها  
 رفاقه مما دعاه إلى رد الفكرة المعروضة، ولكن أليس الأجدر به وبرفاقه أن  
 يواصلوا الرحلة إلى أبرشهر، وهي تكاد تكون على مرمى رمح من قسبة  
 سبزوار<sup>(١)</sup> ويسيروا إليها متنكرين كي يسلموا من المخاطر أو القبض عليهم، ثم  
 وهناك في ساحة الأحداث يتأملون لون الحركة الخارجة أو الحركات الخارجة  
 على سلطان الدولة، وما هي سماتها وملامحها، وما هي أهدافها وأتجاهاتها،  
 وما هي مشاعرها وأحاسيسها، ثم يجسوا نبض القوى الموالية للامام أو قل  
 يجسوا نبض سواد الشعب الذي حاصرته هذه الفرق الخارجة .

ثم ان هناك معلومات تستطيع قافلة جعدة الصغيرة ان تحصل عليها لو  
 انها سارت متنكرة إلى منطقة الأحداث والتحركات، وهنا اضاءت في ذاكرة  
 جعدة بارقة أمل في أن يتوصل إلى كرسي الولاية، ثم يحاول أخمد اللهيب  
 المثار.

أصدر جعدة تعاليمه إلى القافلة الصغيرة بالتحرك باتجاه مدينة  
 «أبرشهر» وقبل الرحيل أمرهم أن يتنكروا في أزيائهم، ويتخذوا زيّ أهل  
 خراسان، وبالفعل أضحت القافلة في زيّ أهل البلاد، ولكن الجوانح  
 واللسان يختلف إلى حد كبير عن أهل البلاد، ثم أصدر جعدة تعليماته إلى  
 أصحاب القافلة أن لا يتكلموا أو يتفوهوا بكلمة أو نامة كي لا يفتضح التنكر  
 في الزيّ، وفي نفس الوقت أصدر جعدة تعليماته إلى بعض رفاقه في القافلة  
 من الفرس الذين يتقنون اللغة الفارسية فأمرهم أن يكونوا واجهة القافلة،  
 ولسانها الناطق، وممثلها المعبرين عنها، وإن يكونوا حذرين وأذكياء، وذوي

(١) تعد المسافة بين سبزوار - وهي من منطقة «بهز» وبين أبرشهر - نيسابور - نحو ١٦٠  
 كيلو متراً

مبادرة قبل أن يخلص أحد من أهل المنطقة إلى القافلة ليتحدث لواحد من أبناءها حتى تكتشف الخطة التنكرية، ثم إن جعدة ورفاقه ودعوا زعيم سبزوار المخلص، وألقوا إليه أن يكتم اتجاه رحلتهم أو يعرضها على أنها اتجاه معاكس مثلاً إلى العاصمة.

سارت القافلة باتجاه «أبرشهر» أو «نيسابور»، وكانت القافلة تسير في ساعات الليل حيث الهدوء، والنسيم العليل، والظلام المخيم، وإذا ما أقبل النهار بأضوائه كمنوا، وفي ثانيا ليلة أو ليالي بلغوا «أبرشهر» مبائة التوجسات والمؤامرات، وكانت القافلة على امتداد الطريق من سبزوار -أبرشهر ترهف المسامع، وتحد النواظر، وتشحد المشاعر، وتتشوف إلى الأخبار التي يلقيها إليها الركبان أو عابروا السبيل الذين يظن فيهم خيراً، ولا يتوجس منهم شراً أو غدرأ في مثل هاتيك الظروف المتوترة . . .

بلغ الركب إلى «أبرشهر» وهناك شاهدوا عياناً الجنود المدججة، والخطب المحرضة، والارهاب المسيطر على المدينة كي لا يستطيع سواد الناس الموالون للدولة في المدينة أو خارجها أن يعارضوا أو يحملوا راية المعارضة، وكان هناك في المدينة إعلام خطير قد أصم المسامع، وسد منافذ العقل . كان الاعلام الذي شنته الفرق الثلاثة ضد الدولة يتكون بذوره من تاريخ قريب لمسة الناس، وذاقوا ظلمه وظلماته، كان الاعلام الخطير يعدد الجرائم التي ارتكبها الولاة قبل عهد الامام، ويرسم صور الولاة في جبايتهم للأموال في صورة مستهتره عليها طابع اللامسؤولية، والجشع، والنهم .

أليس أذاقوا المظلوم العسف والحيف، وتعم الظالم الضالع في ظلمهم بالحياة الرغيدة، والترف والأمان . نعم، والاعلام إذا لامس القلوب، وجاءها من مكن تجاربها ومشاعرها عن واقع الحياة التي عاصروها ونهلوا من كأسها المر . إن الاعلام في طابعه هذا سيكون خطراً، وإن كان الاعلام

يُزَيَّف الواقع المعاصر مع الواقع الغابر، ويجعلهما صورة واحدة مع العلم أنهما صورتان: أحدهما مضيئة، والآخرى معتمة حقيقةً.

ولكن الناس في كل زمان ومكان هم الناس ينساقون مع الاعلام، مع أصحاب الترف، وعلية القوم، هذا إذا كان الاعلام مزيفاً من جذوره، فكيف لو كان الاعلام يستعرض بعض الحقائق من واقع تصرف الولاة مع الناس تصرفاً أهوج ومعتم، إن هذا الاعلام سيقدس من قبل الشعب، ويتخذ أقواله موضع التقديس والقبول من دون مناقشة.

كان الوضع متدهوراً خطيراً للغاية خاصة والأخبار توالى إن مرو أيضاً ضالعة في هذه الحركة التمردية، وهناك القرى والمدن الصغيرة منقسمة على نفسها بين مؤيدة للمتمردين وبين شاجبة لها ومؤيدة للدولة.

وحيثما أرتسمت لدى جعدة صورة كاملة عن حركة المتمردين، وعن مصادرها ودوافعها واتجاهاتها خلف هو ورفاقه المدينة، واتجهوا نحو الامام، نحو العاصمة، وهناك وفي العاصمة أنبأوا الامام عن الأوضاع الراهنة في خراسان الأمر الذي بادر الامام وأرسل جيشاً على رأسه «خليد بن قرّة اليربوعي» والتحق بالجيش مجموعات من هنا وهناك من البلدان التي مرّ عليها «ابن قرّة» في طريقه نحو نيسابور، وما إن بلغ نيسابور حتى طوّق المدينة، ثم جرت مفاوضات بينه وبين المتمردين حتى اثمرت المفاوضات عن صلح مشرف، وأعاد ابن قرّة النظام إلى المدينة، ثم سار وجيشه إلى مرو، وهناك أيضاً صالحه أهل مرو على غرار صلح نيسابور<sup>(١)</sup>.

وأعاد ابن قرّة النظام والأمن إلى حوزة خراسان، وأثبت سيادة الدولة عليها بعد أن ألقى القبض على رؤوس المتمردين.

(١) تاريخ الطبري ٩٢/٥، تحقيق أبي الفضل محمد إبراهيم.



## ابن هبيرة وامتحان الخطاب :

وفي ذات يوم كانت حشود الناس متجمهرة، فاحب الامام أن يلقي ابن أخته الاريب عنده جعدة بن هبيرة كلمة امام الحشود المحتشدة، وتلبية لرغبة الامام صعد ابن هبيرة المنبر مرقاةً مرقاةً بأناة، وهو يفكر في الكلمة التي يجب عليه أن يلقيها على الحشود، كان يفكر ويعصر فكره عله يسعفه بالأمل، كان التفكير في مساره وإذا يجد نفسه أمام الجمهور المحتشد وجهاً لوجه : هناك القادة، وكبار رجال الدولة، والعلماء، والفقهاء، تلامذة الامام، كان الجميع يرمقون الفتى الخطيب في إعجاب وتقدير.

أليس هو جعدة ربحانة بني مخزوم وفتاها الشجاع الكمي؟ بدأ الفتى في إستهلال الكلمة : الحمد لله، والشناء العاطر، والصلاة على رسول الله، انها كلمات محفوظة لديه، وكان ابن هبيرة في خلال الاستهلال يعصر فكره على الخطبة المرتقبة، ولكن ما إن انتهت الكلمة الأخيرة من الاستهلال حتى سكت . . . سكن . . . توقف . . . تلعثم لسانه، كان يحاول جاهداً أن يخرج من مآزق الصمت الذي سيطر عليه، وعلى الجمهور المحتشد الذي كان يرمقه، وقد ارتسمت في بعض الملامح بسمة ساخرة، وأخر انطبعت في قسماات وجهه ضحكة مشفقة مكتومة، وثلة ثالثة من الجمهور كانت تنظر إليه كما ترنوا إلى جماد لا تثير فيها مشاعر الفتى وموقفه العصيب شيئاً.

إن ابن هبيرة ملكته رهبة الموقف فهناك المعصوم صلوات الله عليه فحصر تماماً، فلم ينبس بكلمة بل حتى إنه نسي أن يترك المنبر أو ينزل من المنبر، انه بقى واقفاً حتى سمع هاتفاً يهتف به : « لا عليك إنزل » فينزل بدون ارادة، أنه شعر بخيبة أمل في لسانه، وفي خاطره الذي لم يسعفه بكلمات ينهي لحظات الخطاب .

كان الامام أمير المؤمنين عليه السلام على مرأى ومسمع من ابن

أخته، وهو الذي أمره أن يلقي خطاباً على المحتشدين، ولما شاهد الامام هذا المشهد بادر وصعد المنبر، وكان الناس بعد نزول ابن هبيرة يخوضون في تعليقات وانتقادات على موقف ابن هبيرة، ولما رمقوا الامام فوق ذروة المنبر حتى ساد الصمت، وطفق الامام يخطب، ويستعرض فلسفة الحصر، وفلسفة الاسترسال، ومواقف اللسان في حصره واسترساله، ويبين فصاحة أهل البيت، فقال:

«ألا وإن اللسان بضعة من الانسان، فلا يسعده القول إذا امتنع، ولا يمهله النطق إذا اتسع، وأنا لامراء الكلام، وفينا تنشبت عروقه، وعلينا تهذلت غصونه، واعلموا رحمكم الله أنكم في زمان القائل فيه بالحق قليل، واللازم للحق ذليل. أهله معتكفون على الادهان، فتاهم عارم وشائبهم آثم، وعالمهم منافق، وقارئهم مماذق، لا يعظم صغيرهم كبيرهم، ولا يعول غنيهم فقيرهم...».

قال ابن ميثم بالحرف الواحد بعد أن استعرض كلام الامام هذا: «ثم خطب خطبة طويلة ذكر الرضي رحمه الله منها هذا الفصل»<sup>(١)</sup>.

إن جعدة بن هبيرة رضوان الله عليه لازم الامام ملازمة الظل ينتهل من نعيم علومه، ويقتبس من سيرته المشرقة، ويتبع خطاه، دع أن الامام هو خاله تربطه به وشيجة عريقة، وصلة وثيقة يكاد يطير فخراً بمرافقته للامام، ومناصرته له.

وقبل أن تحدث الفادحة الكبرى بأسبوع، والتي أدت إلى استشهاد الامام عليه السلام كان جعدة مع الامام، ومعه جمهور عظيم من الناس. نعم في وسط العاصمة، وفي ساحة كبيرة كان الناس ينتظرون خطبة

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم الحراني ١١٣/٤، نهج البلاغة ٣٥٤ تحقيق صبحي الصالح.

الامام، ولكن لما كانت أرض الساحة منبسطة، ولم يكن هناك منبر أو اكمة يصعد عليها الامام ليواجه الشعب بخطابه، فإن جعدة الحريص أن تجري الامور حسب ما يرام بادر وحمل صخرة ضخمة، وأتى بها باتجاه موقف الامام ونصبها للامام.

وقف الامام على الصخرة ثم طفق يخطب الشعب أو يخطب التاريخ والأجيال، أصغى جعدة إلى خطبة الامام، إلى تعاليم الامام، إلى مشاعر الامام الندية المباركة.

أنها الخطبة الأخيرة للامام أمير المؤمنين عليه السلام المنطلقة بالعبير والعظات تشق أجواء الزمان والمكان.

رمى جعدة خاله وهو متدفق في خطابه، وإذا البساطة المتناهية في زيه عليه السلام، عليه مدرعة من صوف، وحمائل سيفه ليف، وفي رجليه نعلان، ولكن الشيء المعبر عن تفاني الامام في عبادة الله سبحانه وتعالى هو: «وكأن جبينه ثفنة بعير».

هذا تعبير عن مظهر الامام، وهيبته. أما مشاعره وروحه الطيبة المشرقة، فإليك نص خطابه:

«الحمد لله الذي إليه مصائر الخلق، وعواقب الأمر، نحمده على عظيم إحسانه، ونير برهانه، ونوامي فضله وإمتنانه حمداً يكون لحقه قضاء، ولشكره أداء، وإلى ثوابه مقرباً، ولحسن مزيده موجباً . . .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ألبسكم الرياش، وأسبغ عليكم المعاش . . . وإن لكم في القرون السالفة لعبرة:

أين العمالقة وأبناء العمالقة، أين الفراعنة وأبناء الفراعنة، أين أصحاب مدائن الرّس الذين قتلوا النبيين، وأطفأوا سنن المرسلين، وأحيا سنن الجبارين، وأين الذين ساروا بالجيوش، وهزموا الألوف، وعسكروا العساكر، ومدّنوا المدائن . . .

أيها الناس أني قد بثت لكم المواعظ التي وعظ الأنبياء بها أممهم، وأديت إليكم ما أدت الأوصياء إلى من بعدهم، وأدبتكم بسوطي فلم تستقيموا، وحدوتكم بالزواج فلم تستوسقوا. لله أنتم أتوقعون إماماً غيري يطأ بكم الطريق، ويرشدكم السبيل . . .

ما ضرَّ إخواننا الذين سفكت دماؤهم، وهم بصفين أن لا يكونوا اليوم أحياء يسيغون الغصص، ويشربون الرنق، قد والله لقوا الله فوفاهم أجورهم، وأحلهم دار الأمن بعد خوفهم.

أين إخواني الذين ركبوا الطريق، ومضوا على الحق: أين عمار، وأين ابن التيهان، وأين ذو الشهادتين أوه على إخواني الذين تلووا القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، دعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوه.

ثم نادى بأعلى صوته:

الجهاد الجهاد عباد الله ألا وإني معسكر في يومي هذا، فمن أراد الرّواح إلى الله، فليخرج»<sup>(١)</sup>.

ثم إنَّ الامام أمير المؤمنين عقد الألوية، وكتب الكتاب وهو يريد الرجعة إلى صفين، فما دارت الجمعة حتى استشهد أمير المؤمنين عليه السلام على يد ملجمية لعنها الله، فعادت الجيوش التي نهدت باتجاه صفين.

قال نوف البكالي، وهو من صحابة الامام المخلصين: «فكنا كأغنام فقدت راعيها تختطفها الذئاب من كل مكان».

وكان جعدة الفقيه الورع بعد إغتيال خاله العظيم يؤم الناس في صلاة الجماعة في غضون الأيام الثلاثة من مرض الامام، والامام هو الذي نصب جعدة لهذا المنصب الهام، منصب إمامة الصلاة، وفي ثنايا هذه الأيام

(١) مصادر نهج البلاغة ٢/ ٤٤٣ - ٤٥١، نهج البلاغة ٢٦٠ تحقيق صبحي الصالح.

التاريخية الملونة بالدم الطاهر، والأيام التي تلت كان الامام الحسن وأهل البيت في شغل شاغل بالشؤون السياسية والاجتماعية، فكان جعدة، وهو أقرب الناس إلى أهل البيت، وهو الفقيه التقي قد نهض بأعباء إمامة الصلاة خاصةً وأنه منصوب من قبل الامام صلوات الله عليه .

وكان لجعدة من أمه وأبيه اخوان آخران هما : هانئ، ويوسف، وهانئ هو الذي تكنى به أمه، فيقال : «أم هانئ» ويبدو أنه كان أكبر الاخوة، وجعدة كان أصغر الاخوة .

قال المسعودي : وكان زوج فاختة بنت أبي طالب أبو وهب هبيرة بن عمرو المخزومي ، وخلف عليها ابنا وبنات وهاجرت<sup>(١)</sup> .  
روى عن جعدة مجاهد، وسعيد بن علقمة .

ولجعدة شاعرية مرموقة، وقد وصلنا من شعره بيتان يفخر بنسبه،  
ووشجائه من مخزوم وهاشم، وبأحواله :

أبي من بني مخزوم إن كنت سائلاً      ومن هاشم أمي لخير قبيل  
فمن ذا الذي يبأى علي بخاله      كخالي عليّ ذي الندى وعقيل<sup>(٢)</sup>  
إن أسرة جعدة عاشت في جو التقى والفضيلة في جو الامام خاصةً وإن  
جعدة ينتمي بنسبه إلى أبي وهب جده، وكان ذات ملكات فاضلة،  
وأحاسيس مرهفة، ومشاعر تقيّة يهفو إلى مكارم الأخلاق، وكان في نفس  
الوقت شريفاً في قومه، ذا شخصية إجتماعية مرموقة .

وعندما حاولت قريش أن تشيد الكعبة من جديد، وهذا قبل الاسلام  
فاجتمع كبارها، ومعها أبو وهب المخزومي - جد صاحب الترجمة - ويدها  
المعاول تحاول إن تزحزح لبنات البيت من مكانها، وهي هائلة خائفة

(١) مروج الذهب ٣٥١/٢، تحقيق يوسف أسعد .

(٢) أسد الغابة ٢٨٥/١، الاستيعاب ٢٤٢/١، مروج الذهب ٣٥١/٢ .

مستشعرة الذعر من هذه العملية رغم أنها كانت ذات نوايا حسنة ، أنها تقدر البيت ، وتقدم له القرابين ، تقدم أبو وهب وضرب بمعوله لبنة من اللبنة ثم زحزحها وحملها بيده في خشية وخوف ، ولكنه ما إن قام لبيتعد باللبننة حتى وثبت اللبنة من يده ، وعادت إلى موضعها من الكعبة ، وهنا قال أبو وهب وقد شاهد المعجزة ، وأدرك أبعادها ومراميها يخطب قريشاً : «يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم إلا طيباً ، لا تدخلوا فيها مهر بغية ، ولا بيع ربا ، ولا مظلمة أحد» .

وذاعت المعجزة بين صفوف قريش ، ووعى الناس كلمات أبي وهب المخزومي ، وتناقلها الآباء والأبناء والحفدة .

وفي ذات يوم كان ابنُ لجعدة يطوف حول بيت الله الحرام ، وهو شاب حلو الملامح ، رشيق الحركات ، خاشع القلب ، عليه سيماء التقى والصلاح ، كان الشاب نجل جعدة بن هبيرة بن أبي وهب يطوف حول البيت ، وإذا به يرمقه عبدالله بن صفوان ، وهو شيخ كبير قد جلس مجلسه أمام البيت ، وتحلق حوله أصدقائه وحفدته ، فلما إن لمح الشاب الوضئ راعه سماته وملامحه ، وخشوعه المعبر ، فحاول أن يعرف من هو هذا الشاب ، فسأل أصدقائه عنه ، فجاءه الجواب : «إن هذا هو ابن جعدة بن هبيرة» ، وهنا تهدلت عناقيد الذكريات في قلب الشيخ الطاعن في السن ، فهتف معبراً عن أرومة الابن الشاب : «جد هذا - يعني أبا وهب - الذي أخذ من الكعبة حجراً حين اجتمعت قريش لهدمها ، فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه ، فقال عند ذلك : «يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم إلا طيباً...»<sup>(١)</sup> .

والجدير بالذكر أنّ أبا وهب هو أيضاً خال عبدالله بن عبدالمطلب أبي

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٤٠ ، طبعة الاستقامة - القاهرة : ١٣٥٧ - ١٩٢٩ .

رسول الله صَلَّى الله عليه وآله .

ويقول أبو وهب هبيرة بن عمرو المخزومي والد جعدة - صاحب الترجمة - وقد هرب إلى نجران من أمام الفتح الاسلامي ، وقد اشتاق إلى أسرته وزوجته أم هانئ فاخته بنت أبي طالب ، وكانت قد أسلمت ، وهاجرت إلى المدينة :

اشاقتك هند أم شاك سؤالها      كذاك النوى أسبابها وانتقالها  
وأرقني في رأس حصن ممرّد      بنجران يسرى بعد نوم خيالها  
فإن تك قد تابعت دين محمد      وقطعت الأرحام منك حبالها  
يقول المسعودي : وهي طويلة<sup>(١)</sup> .

ولجعدة بن هبيرة حفيد ، وهو أبو جعدة بن هبيرة بن جعدة المخزومي ، وكانت له منزلة عند الامراء ، وكان في عام ١٣٠ على قيد الحياة .

### جندب بن عبدالله الأزدي

من تلامذة الامام الذين أرتووا من رصيد فكري هائل ، وضمت جوانحهم على أسرار الحياة ، وقيم الآخرة .

كان يسعى أبداً إلى محاضرات الامام يأخذ منها ما يكشف معها حقائق الحياة ، وحقائق ماوراء الطبيعة ، وتزوده في مسيرة الدنيا بزاد صالح ، وهو قبل هذا قد صحب رسول الله صَلَّى الله عليه وآله ، وانتهل من مدرسة الاسلام .

وليس ابن عبدالله من كبار العلماء والفقهاء فحسب بل هو من أبطال الحروب والمعارك ، حضر مع الامام في رؤية واضحة مضيئة المعارك الثلاثة التي خاضها الامام ضد الناكثين والقاسطين والمارقين ، وتزود ابن عبدالله من

هذه المعارك بتجارب كانت له في دروب حياته الطويلة النور الذي يستضيء به، ويفتح أمامه الأجواء تلو الأجواء .

خاض ابن عبدالله غمار معركة الجمل هو وثلة من بني عمومته الذين ساروا في ضوء الامام، وأدركوا حقيقة الايمان .

كانت الشمس في الأصيل، والحرب على قدم وساق، وكان رجل من أنصار الجمل ممن نفخ الشيطان فيه النخوة قد أخذ بخطام الجمل ينافح عنه في حمية وهياج، فلا يتقدم نحو الجمل مقاتل الآ واردة مضرجاً بدمه، وقد أثارت فيه هذه الظاهرة شجاعة، فحسب أنه لا يضارعه أحد في استماتته، ولكن كان هناك في معسكر الامام كمي من الأزدي يقال له: الحارث بن زهير الأزدي يرى صنيع الرجل الجملي بأصحابه وأودائه الأمر الذي سارع ولبس سلاحه، وتقدم في رزانة وتؤدة، تقدم حتى بلغ إلى الرجل وهو في حومة الحماس، وغمرة الغضب، وهنا أخذ الحارث الأزدي ينشد في صوت تسمعه صاحبة الهودج، وسمعه الجنود الذين كانوا يحذرون التقدم نحو الجمل ذعراً من سيف الرجل الجملي، وكانوا يترقبون من يتحداه في سطوته ونخوته، تقدم الحارث الأزدي وهو ينشد في صدق، وقد سرت فيه بوادر غضبة عارمة، وهو يرى الام يقتل حولها الأبناء، ولا ترفع راية السلام:

يا أمنا أعق أم نعلم      والأم تغذو ولدها وترحم  
أما ترين كم شجاع يكلم      وتختلي هامته والمعصم  
ثم اندفع نحو الرجل الجملي، وهو يسطو بسيفه، فأختلف هو والجملي ضربتين، فكلاهما أثخن صاحبه .

كان صاحب الترجمة ابن عبدالله الأزدي في زحام الجنود يرمق ابن عمه الحارث الأزدي البطل المغوار في إعجاب، قد أعجبه إنشاده الشعر الذي كان له ذات أثر كبير في نفس صاحبة الهودج، وأعجبه مغامرته في القضاء على الرجل الجملي، وإن استشهد هو نفسه أيضاً فداءً لمبادئ



الامام .

أسرع ابن عبدالله نحو ابن عمه الشهيد ينظر إليه عن كثب، فوقف عليه وعلى غريمه الصريع، وهما يفحصان بأرجلهما إلى أن فاقت روحهما: روح فاقت في سبيل مبادئ الامام، ونفس فاقت في سبيل أحقاد الجمل .

ثم مضت على معركة الجمل السنين والأعوام، وتغيرت الأجواء في عالم السياسة والعلم، وشاهدت صاحبة الهودج مسيرة الحياة العرجاء بعد استشهاد الامام .

في ثنانيا هذه الأعوام سافر ابن عبدالله الأزدي حاجاً من بلده الكوفة، وهناك وفي المدينة زار ضريح رسول الله صلى الله عليه وآله، وناجاه طويلاً، واستعرض شريط الحياة السياسية والاجتماعية، وطلب المعونة الغيبية لتصحيح الأوضاع .

ثم ان ابن عبدالله ارتاد منزل صاحبة الهودج وهو قريب المزار، فجرى بينه وبينها هذا الحوار المشحون بالذكريات والحقائق، فتساءل:  
من أنت؟

ابن عبدالله في حياء العذراء يجيب: رجل من أهل الكوفة!

قالت وقد أثارت اسم البلد شجونها، وذكرياتها:

هل شهدتنا يوم البصرة؟

ابن عبدالله في تودة يهتف: نعم .

قالت: مع أي الفريقين؟

ابن عبدالله مزهواً، وقد انسابت في ذاكرته الذكريات:

مع علي عليه السلام .

فما إن سمعت فريق ابن عبدالله حتى تذكرت نشيد ذلك الرجل الذي

صدمها بالحقيقة، وهذه الحقيقة أخذت تنكشف لها على مر الأيام والأعوام،

ومن خلال معاناة الحياة السياسية والاجتماعية .

قالت في لهفة : هل سمعت مقالة الذي قال :

يا أمنا أعتق أم نعلم .

ابن عبدالله تراءى له صورة ابن عمه المنشد والمستشهد الأمر الذي

قال في نبرة معبرة عن لواعج أشجانه : نعم وأعرفه .

قالت : ومن هو؟

ابن عبدالله : ابن عم لي .

اذن المنشد الشهيد هو من اقرباء ابن عبد الله تربطه به وشائج النسب مما

راحت تزريده عن ذلك الرجل الشهيد الذي غاب عنها مصرعه: وما فعل ؟

ابن عبد الله: قتل عند الجمل، وقتل قاتله.

وهنا لم تعد تستطيع كبح معاناتها النفسية من ذكرياتها تلك التي أشاع

في نفسها الأسى والألم ، فاطلقت لشجونها إن تستهل بدموع حارة ناشجة ،

بكت ما شاء لها إن تبكي ، وعبدالله يسمع صوت البكاء الذي لا يكاد يهدء .

قال ابن عبدالله : فبكت حتى ظننت والله إنها لا تسكت ، إنها بكت

أسى ولوعة . إن مقتل المؤمن ليس بالشيء الهين ، فكيف لو كان العشرات

بل المئات ، هذه الأرواح الطاهرة تماثل أبدأ في ذهنها في يقظتها ، وفي

منامها ، في صحوها ، وفي غمرتها ، وحتى في لحظات العمل البيتي

المطبخي أو لحظات الطعام ، وخاصة لحظات الصلاة ، فإن وخز الضمير

يدوي كدوي الطبول المعلنه لحرب شعواء . إنه الدم الذي لا يكاد يسكت

حتى يثار ، وإنه الضمير الذي لا يني يخزمهما كانت مكانة الانسان

الاجتماعية ، وقد عبرت عن هذه المداليل بقولها وهي تمسح شجونها

ودموعها : لوددت والله أنني كنت مت قبل ذلك بعشرين سنة .

صفين :

ثم ان ابن عبدالله شهد بعد معركة الجمل معركة صفين، وخاض عباها<sup>(١)</sup>.

النهر وان :

ثم ان ابن عبدالله لهيامة بالامام وقد عرفه فذأفي شخصيته، معلماً مخلصاً لرعيته وتلامذته سواء كان يقضي حياة الدعوة والسلام أم يسير إلى معركة ضارية، ويخوضها في معمعانها، انه لا يترك التعليم في لحظة من لحظات حياته، وكلما سنحت له الفرصة فإنه يهدي الكلمة القيمة المضيئة.

سار ابن عبدالله في ركب الامام إلى معركة النهروان، ولما ان اقترب الامام في جحفله إلى معسكر أصحاب النهروان وإذا بابن عبدالله راعه تهجد الخوارج، وانكباهم على القرآن يتلون حتى اصبح معسكرهم خلية كخلايا النحل له دوي كدويه، ولمح جباه الخوارج فإذا جباه الكثير منهم عليها طابع السجود المستمر، ورأى ملابسهم «البرانس».

إن ابن عبدالله رأى كل هذا فشعر في نفسه شعوراً غامضاً، كيف يستطيع ان يقاتل قارئ القرآن وأصحاب البرانس، ولكن ابن عبدالله كان فقيهاً يسير أغوار النفس قبل أن يلمح مظاهر الجباه، مظاهر الألسن التي تقرأ أي القرآن الحكيم، مظاهر الأزياء، إنه وثق بالامام وأمامته، وثق بالماء فلم يعطش، ولم تزلقه هذه المظاهر المغرية بالصلاح الأمر الذي سرعان ما لبس عدة الحرب، وأخذ الرمح بيده، ووثب على فرسه، وسار مع الامام لخوض معركة تكاد أن تقع بين ساعة وأخرى، سار مع الامام في موكبه حتى إذا لمح

(١) يراجع: العبر للذهبي ٤١/١.

١٩٠..... موسوعة أمير المؤمنين عليه السلام / ج ٢

الامام رابية هتف بابن عبدالله، وهو يرمقه: ترى تلك الرابية فقال ابن عبدالله، وشعر أنّ الامام يحاول أن يفصح عن أحد أسرار المعركة ضد القرّاء، وأصحاب البرانس.

قال: نعم يا أمير المؤمنين.

فقال: فإن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني انهم يقتلون

عندها<sup>(١)</sup>.

من روايات جندب بن عبدالله الأزدي



١ - قال أبو مخنف: حدثني إسماعيل بن يزيد، عن حميد بن مسلم، عن جندب بن عبد الله إن علياً قال للناس يوم صفين: «لقد فعلتم فعلة ضعفت قوةً، واسقطت منه وأوهنت، وأورثت وهناً وذلةً، ولما كنتم الأعلى، وخاف عدوكم الاجتياح، واستحرّ بهم القتل، ووجدوا الم الجراح رفعوا المصاحف، ودعوكم إلى ما فيها ليفتؤكم عنهم، ويقطعوا الحرب فيما بينكم وبينهم، ويطربصون ريب المنون خديعةً ومكيدهً، فاعطيتموهم ما سألوا، وأبيتم إلا أن تدهنوا وتجاوزوا.

وأيم الله ما أظنكم بعدها توافقون رشداً، ولا تصيبون باب حزمٍ».

٢ - عن جندب بن عبد الله الأزدي: إن علياً استنفرهم أياماً فلم ينفروا،

فقام في الناس فقال:

«أما بعد أيها الناس، فإني قد استنفرتكم فلم تنفروا، ونصحت لكم فلم تقبلوا، فأنتم شهود كغيباب، وصم ذووا أسماع، أتلو عليكم الحكمة، وأعظكم بالموعظة الحسنة، وأحثكم على جهاد عدوكم الباغين، فما آتي على آخر منطقي حتى أراكم متفرقين أيادي سبأ، فإذا أنا كفت عنكم عدتم إلى مجالسكم حلقاً عزيزين تضربون الأمثال، وتتناشدون الأشعار، وتسالون عن الأخبار قد نسيتم الاستعداد للحرب، وشغلتم قلوبكم بالأباطيل.

تربت أيديكم أغزوا القوم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم قط في

عقر ديارهم الآ ذلوا، وأيم الله ما أراكم تفعلون حتى يفعلوا، ولوددت إني لقيتهم على نيتي وبصيرتي فاسترحت من مقاساتكم، فما أنتم الآ كابل جمعة ضل راعيها كلما ضمت من جانب انتشرت من جانب آخر.

والله لكأني بكم لو قد حمس الوغى، وأحمّ البأس قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج الرأس، وانفراج المرأة عن قبلها . . . انا على بينة من ربي، والحق في يدي، والله أن امرئ يمكنّ عدوه من نفسه، يخذع لحمه، ويهشم عظمه، ويفري جلده، ويسفك دمه لضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره. أنت فكن كذلك إن أحببت، فأما أنا فدون إن أعطي ذلك ضرباً بالمشرفي يطير منه فراش الهام، وتطيح منه الأكف والمعاصم، ويفعل الله بعد ما يشاء»<sup>(١)</sup>.

٣ - قال جندب بن عبدالله الأزدي (وفي بعض الروايات: الوائلي) كان علي عليه السلام يقول: «أما إنكم ستلقون بعدي ثلاثاً: ذلاً شاملاً، وسيافاً قاتلاً، واثرة يتخذها الظالمون عليكم سنة، فستذكروني عند تلك الحالات فتتمنون لو رأيتموني، ونصرتموني، وأهرقتم دمائكم دون دمي، فلا يبعد الله الآ من ظلم».

وكان جندب بعد ذلك إذا رأى شيئاً يكرهه قال: لا يبعد الله الآ من ظلم»<sup>(٢)</sup>.

٤ - قال الطوسي: وروى أبو مخنف، عن عبدالرحمن بن جندب، عن أبيه: إن علياً خطب يوم الأضحى فكبر وقال: . . .<sup>(٣)</sup>.

وقال الصدوق: وكان علي عليه السلام يبدأ بالتكبير إذا صلى الظهر

(١) الغارات ٢/٤٩٣ - ٤٩٦، البحار ٨/٦٧٤

(٢) الغارات ٢/٤٩٢، أمالي الطوسي ١١٣، البحار ٨/٦٩٦.

(٣) مصباح المتعبد ٦٠٦



من يوم النحر، وكان يقطع التكبير آخر أيام التشريق عند الغداة، وكان يكبر في دبر كل صلاة فيقول:

«الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر والله الحمد»، فإذا انتهى إلى المصلى تقدم فصلى بالناس بغير أذان ولا إقامة، فإذا فرغ من الصلاة صعد المنبر ثم بدأ فقال:

«الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر زنة عرشه، ورضى نفسه، وعدد قطر سمائه وبحاره، له الأسماء الحسنى، والحمد لله حتى يرضى، وهو العزيز الغفور.

الله أكبر كبيراً متكبراً، وإلهاً متعزلاً، ورحيماً متحنناً يعفو بعد القدرة، ولا يقنط من رحمته إلا الضالون.

الله أكبر كبيراً، ولا إله إلا الله كثيراً، وسبحان الله حناناً قديراً، والحمد لله نعمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونشهد أن لا إله إلا هو، وأن محمداً عبده ورسوله.

من يطع الله ورسوله فقد اهتدى وفاز فوزاً عظيماً، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً، وخسر خسراناً مبيناً.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وكثرة ذكر الموت، والزهد في الدنيا التي لم يتمتع بها من كان فيها قبلكم، ولن تبقى لأحد من بعدكم، وسبيلكم فيها سبيل الماضين. ألا ترون أنها قد تصرمت وأذنت بانقضاء، وتنكر معروفها وأدبرت حذاء، فهي تخبر بالفناء، وساكنها يحدث بالموت، فقد أمر منها ما كان حلواً، وكدر منها ما كان صفواً، فلم يبق منها إلا سملة كسملة الأداة، وجرعة كجرعة الأناء يتمزرها الصديان فلم تنفع غلته، فأزمعوا عباد الله بالرحيل من هذه الدار المقدور على أهلها الزوال، الممنوع أهلها من الحياة، المذلة أنفسهم بالموت، فلا حي يطمع في البقاء، ولا نفس إلا مدعنة بالمنون، فلا يغلبنكم الأمل، ولا يطل عليكم الأمد، ولا تغتروا فيها

بالآمال، وتعبدوا الله أيام الحياة، فوالله لو حنتم حين الواله العجلان، ودعوتهم بمثل دعاء الأنام، وجأرتهم جوار مبتل الرهبان، وخرجتم إلى الله من الأموال والأولاد التماس القربة إليه في إرتفاع درجة عنده أو غفران سيئة أحصتها كتبه، وحفظتها رسله لكان قليلاً فيما أرجو لكم من ثوابه، وأتخوف عليكم من أليم عقابه، وبالله لو انماثت قلوبكم انميائاً، وسالت عيونكم من رغبة إليه، ورهبة منه دماً ثم عمرتم في الدنيا ما كانت الدنيا باقية ما جرت أعمالكم، ولو لم تبقوا شيئاً من جهدكم لنعمه العظام عليكم، وهداه إياكم إلى الايمان ما كنتم لتستحقوا أبد الدهر ما الدهر قائم بأعمالكم جنته، ولا رحمته، ولكن برحمته ترحمون، وبهداه تهتدون، وبهما إلى جنته تصيرون جعلنا الله وإياكم من التائبين العابدين.

وإن هذا يوم حرمة عظيمة، وبركته مأمولة، والمغفرة فيه مرجوة، فأكثروا ذكر الله تعالى، واستغفروه وتوبوا إليه إنه هو التواب الرحيم. ومن ضحى منكم بجذع من المعز فإنه لا يجزى عنه، والجذع من الضأن يجزى، ومن تمام الأضحية استشراف عينها وإذنها، وإذا سلمت العين والاذن تمت الضحية، وإن كانت عضباء القرن أو تجر برجليها إلى المنسك فلا تجزى.

وإذا ضحيتم، فكلوا وأطعموا وأهدوا وأحمدوا الله على ما رزقكم من بهيمة الأنعام، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأحسنوا العبادة، وأقيموا الشهادة، وارغبوا فيما كتب عليكم وفرض من الجهاد والحج والصيام، فإن ثواب ذلك عظيم لا ينفد، وتركه وبال لا يبىد، وأمروا بالمعروف، وانهاوا عن المنكر، وأخيفوا الظالم، وانصروا المظلوم، وخذوا على يد المريب، وأحسنوا إلى النساء، وما ملكت أيمانكم، وأصدقوا الحديث، وأدوا الأمانة، وكونوا قوامين بالحق، ولا تغرنكم الحياة الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور.

إن أحسن الحديث ذكر الله، وأبلغ موعظة المتقين كتاب الله. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قل هو الله أحد \* الله

الصمد \* لم يلد ولم يولد \* ولم يكن له كفواً أحد ﴿١﴾ .

قال الصدوق: ويقرأ قل يا أيها الكافرون إلى آخرها أو الهيئكم التكاثر إلى آخرها أو والعصر، وكان عليه السلام مما يدوم عليه قل هو الله أحد، فكان إذا قرأ إحدى هذه السور جلس كجلسة العجلان ثم ينهض، وهو عليه السلام كان أول من حفظ عليه الجلسة بين الخطبتين ثم يخطب بالخطبة التي كتبناها بعد الجمعة<sup>(١)</sup>.

وعاش ابن عبدالله الأزدي طويلاً حتى كانت سنة ٦٠، وكان يومئذ شيخاً كبيراً تقعده الشيخوخة عن الرحلة أو الحرب، ولكنه كان رفيع الصيت شهيراً في المجتمع، وكان الولاة يعرفون عنه ولأئته للامام، ولكنهم كانوا يتغاضون عنه طالما لم يمسهم منه أذى، وفي عهد ولاية ابن زياد على الكوفة وبعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام حاول الوالي الطاغوي أن يجري محاولة قمعية وتصفوية للذين يوالون الامام ومبادئه المضيفة، ومن هذا المنطلق دعا ابن زياد صاحب الترجمة ابن عبدالله الأزدي، ولما امثل الشيخ الكهل لديه قال في صوت قاصف كأنه يحاول اثاره الفزع في صدر الشيخ: يا عدو الله ألسنت صاحب أبي تراب، فرمقه الشيخ في استهانة، وقال في صوت هادئ النبرات متحدياً: «بلى لا اعتذر منه».

ولماذا يتهرب من هذه الصحبة التي أفاضت عليه السكينة، ووضحت مصدر خير وبركة في نفسه وأسرته وعشيرته، وفي دنياه وآخره.

نعم إنه صاحب الامام أبي تراب عليه السلام، وأنه لا يعتذر من هذه الصحبة، فكأنه يريد أن يقول للطاغية في نبرته تلك: أنا صاحب الامام فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا، وتقضي معها عروضها ومناصبها ومفاخرها ومظالمها.

(١) من لا يحضره الفقيه ١: ١٤٨٤/٥١٨، طعة المدرسين.

فقال الطاغية وقد أثاره هذا التحدي : ما أراني إلا متقرباً إلى الله بدمك .

ألا ترى إلى منطق الطاغية ، إنه يتقرب بمصرع الشيخ الموالي للحق ، ولأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ، يتقرب إلى الله تعالى . غريب وأيم الله أن يتقرب بدم مؤمن بالله جل جلاله إلى الله تعالى . . . غريب ، ولكن في منطق الطاغية والطواغيت على مدار الرسائل لا غرابة إطلاقاً ، وهنا لم تهن عزيمة الشيخ الفاني في تحدي هذا الطاغية الذي ضمخ قبل قليل أرض كربلاء بدم أهل بيت رسول الله ، فقال : إذن لا يقربك الله بل ياعدك .

وبهذا المنطق سد على الطاغية مسالك الطرق ، فقال ساخراً ، شيخ قد ذهب عقله ، ثم خلى سبيله<sup>(١)</sup> .

### جندب بن زهير بن الحارث الغامدي الأزدي

من صحابة الامام ، اتبع الامام في مناهج الخير والعلم ، وانتهل من معينه الثر ، وسار في الدنيا زاهداً متهجداً ، وإذا التهب الوغى وحمى الوطيس بين الحق والباطل جرد سيفه ، وراح يضرب به أعداء الله .

عاش ابن زهير مطلع حياته في الجاهلية ثم أشرق الاسلام في الأجواء العربية ، فسارع واعتنق الاسلام في لهفة مشبوبة ، ولما كانت سماحته النفسية تلائم مناهج الاسلام فإنه سرعان ما أحب الاسلام وتعاليمه التربوية ، وصحب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان يؤدي واجباته تجاه الاسلام على أفضل الوجوه حتى نزل في ذلك قرآناً يتلى .

كانت نفسية ابن زهير تترشح إلى الصلاة والصوم والعمل الايجابي

(١) أعيان الشيعة ١٧/١٣ ، المقتل لابن نما

البناء، وكان في نفس الوقت يرتاح إلى مديح المسلمين له، والاشادة به. قال ابن عباس وهو يحدثنا عن ابن زهير: كان جندب بن زهير إذا صلى أو صام أو تصدق، فذكر بخير ارتاح له، فزاد في ذلك لمقالة الناس، فانزل الله تعالى في ذلك: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾<sup>(١)</sup>.

وكان جندب من زعماء الناس، من ذوي المواهب الفذة في الشجاعة والبطولة، والسماحة النفسية، وكانت نفسه تلتهب حماسة في معاضدة الاسلام، والثورة ضد الولاة الجشعين الذين لا يأبهون بمصالح الشعب أو عواطفه بل يهتمهم كراسي الحكم، والارتواء من شهوة الحكم، وصولجان السلطة، وفي ذات ليلة اجتمع ابن زهير، ومالك الأشتر، وجندب بن كعب الأزدي، وضعصة بن صوحان، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وزيد بن صوحان، وثابت بن قيس الهمداني، وكميل بن زياد، وعروة بن الجعد عند محافظ الكوفة سعيد بن العاص في عهد عثمان يسمرون عنده، وكان رئيس الشرطة: عبدالرحمن الأسدي يسمر معهم، تشعبت الأحاديث بين السامريين، وكان سعيد الرجل الاستقرابي ينظر إلى رعيته كأنهم خول له، وإلى السواد كأنه ضيعة له، ولأصحابه من قريش، ولكن هذه النظرة كانت فكرة تجول في رأسه لم يفصح عنها ببيان أو يعبر عنها بلسان، ولكنها فكرة كانت تضغط عليه، ويعيشها عملياً في خلال مسؤوليته كمحافظ، وفي هذه الليلة سار الحديث وثيداً بين رفاق السمر حول المعارك التي شهدتها العراق في المدائن عاصمة الساسانيين، وما نجم عنها من سيطرة الاسلام عليها بسيوف المسلمين من يمينيين وقرشيين، وغيرهم من البطون والأفخاذ، وكل واحد من السامريين كان يدلي بدلوه في الحديث، ويستعرض بعض ذكرياته

عن تلك المعارك، علما ان رفاق السمر كانوا قد اشتركوا في هذه المعارك كزعماء وقادة، وبعضهم كجنود بسطاء ارتقت بهم مواهبهم ومؤهلاتهم إلى صفوف القادة والزملاء، كاد الحديث أن يختم، وكاد الليل أن ينتصف، وكاد الفجر أن يدب إلى مطالعه، وإذا بالمحافظ المتغطرس سعيد بن العاص يطلق قبلته في وسط السامريين الذين كادوا أن ينفضوا ويقول: «إنما السواد بستان قريش».

وهكذا بكلمة بسيطة عبر الرجل عن مشاعره تجاه السامريين، وتجاه السواد. ان ملكية السواد تتعلق بقريش، بنفر من قريش، بزعمائها، وأصحاب النفوذ فيها. إذن السواد هي من رؤس أموال قريش يستثمرونها كيفما يحلو لهم، لا يحق لأحد أن يتدخل في شؤون السواد طالما هي من ممتلكات قريش، أي من ممتلكات سعيد وقومه.

انها دعوى تحتاج إلى براهين، ولكن لسان سعيد تكلم بوحي استقرائته، ونشأته القبلية لا بوحي الاسلام وتعاليمه التربوية العادلة، ولم يكذ سعيد يتفوه بكلمته تلك حتى ثار السامرون في وجهه، واستخفوا به، فقال الأشتر، وكان سيد السامريين: «أتزعم أن السواد الذي افاءه الله علينا بأسياقنا بستان لك ولقومك»، وعاضده السامرون، وقاموا معه، وهكذا المؤمن الشجاع إذا تكلم نطق بالمنطق والبرهان.

ان السواد الذي فتحه الاسلام بسيف الأشتر وصحبه، وأضاءوا في جوانبها مشاعل الاسلام، ان هذه البلاد بثرواتها العظيمة تسمى بستاناً لقريش أو بتعبير أدق بستان سعيد الأموي، ورفاقه في الدولة.

هذه الأرض التي روتها الدماء الزكية من اليمينيين وغيرهم من القبائل العربية المسلمة، وبذلت فوق أرضها التضحيات في سبيل إشاعة مجد الاسلام في جوانبها تسمى بستاناً لسعيد، ومن لف لفة.

كلا والله طالما أن الأشتر ورفاقه اليمينيين تنبض قلوبهم، وهم أحياء

شهود، ومن هذا المنطلق جابهه الأشر، اللسان الناطق عن مشاعر السامرين: أتزعم ان السواد الذي أفاءه الله علينا بأسيافنا بستان لك ولقومك . كان جو القاعة متوتراً هائجاً، كانت الأصوات من هنا وهناك تنطلق محتجة مدينة، وما أن انطلقت الأصوات تدين المحافظ الرسمي سعيداً حتى قام رئيس الشرطة دون المحافظ ينافح عنه، ويناضل السامرين الذين خرقوا حرمة المحافظ، وحرمة ناديه، فهتف مستنكراً غاضباً مزمجرأ في صوت أجش: «أتردون عليه مقالته». ثم كال لهم الشتائم والسباب من كل لون ونوع .

أليس هو رئيس الشرطة، والمفروض عليه أن يتقن مفردات قاموس السباب والشتائم .

أن عبد الرحمن الأسدي مدير الشرطة كان أهون على الأشر من أن يصد الثورة الثائرة للسامرين، كان الأسدي قد أغلظ القول للأشر ورفاقه، ولمح في خلال شتائمه ان القوم قد حملقوا فيه في عيون غضبي، ووجوه مربدة مكفهرة يحاولون أن يثوروا به الأمر الذي تأهب للفرار، ولكن الأشر استلب منه الفرصة، ونادى في رفاقه: «لا يفوتنكم الرجل» وما ان سمع الرفاق تحذير الأشر حتى وثبوا على الأسدي مدير الشرطة، فصرعوه ثم وطئوا بطنه وجوارحه وطئاً شديداً حتى غشى عليه .

وكان سعيد المحافظ النبيل في خلال المعركة الدائرة بين مدير شرطته وبين السامرين الغاضبين قد اهتبل الفرصة، وتوارى من القاعة في خضم الثورة التي غشيت العيون، فلا ترى إلا فريستها الأسدي، توارى المحافظ هارباً تاركاً صديقه يتعاوره السامرون باللكم والوطئ، ويتلاقفه القدر بشدائده .

وهكذا أصحاب الدعوى العريضة إذا حزبهام أمر تخلوا عن دعواهم وفرّوا، وأطلقوا سيقانهم للرياح، وبعد أن انتهى السامرون الغاضبون من

فريستهم حملقوا يتتبعون أرجاء القاعة كأنهم قد أضلوا شيئاً، وإذا بهم يهتفون في إستياء وحنق :

أين سعيد . . أين سعيد، ولكن سعيداً يسعد في الاختفاء في بيوت حريمه، ولما خرج السامرون وقد تبدلت قاعة السمر إلى ساحة معركة خف الشرطة، وخدم الدار لنجدة الأسدي، ولما أفاق أدار عينيه ليرى سعيداً، وبضعة من أصدقائه، ومن خدم الدار. انه مطمأن اذن، وفي كنف طمأنينة، وجه كلامه الضعيف النبرات، وهو يرمق سعيداً: «قتلني من انتخبتي» .

نعم ان الذين اختارهم سعيد أن يسمر معهم قد أثقلوه جراحاً، وأشبعوه وطئاً، وهنا نظر سعيد إلى الضحية المسكينة نظرة عطف وحنان، وأخذ يهتف ما يعيد إلى مدير شرطته رصيده في الولاء: «والله لا يسمر عندي أحد أبداً» .

طفق الثائرون السامرون يهجون سعيداً، ويثقلون كاهل الدولة بسهامهم هذه الغير المريشة، وكنانتها تلك المثقلة، وأوشك الشعب الذي ناء بسيرة الولاة المتغطرسين، وضاق بهم ذرعاً أن يثور في حماس من ديست كرامته .

ولما كاد فتيل الثورة أن يشتعل حتى خف سعيد وجماعة من بطانته إلى رسالة نمقوها، وأشبعوها باللائمة على السامرين الذين يحاولون أن يخرجوا على سلطان الدولة، ويشقوا عصا الامة . كتب سعيد وبطانته رسالة وأرسلوها إلى الخليفة في المدينة، وهناك تدبر الخليفة الرسالة وبعد تداول الأمر مع بطانته قرأ رأيهم على : أبعاد زعماء الثورة إلى الغرب أي إلى معاوية في الشام، وبالفعل خطوا رسالة، وختمها عثمان، وحملها البريد إلى سعيد محافظ المدينة الثائرة وفي نفس الوقت كتب عثمان إلى معاوية : ان نقرأ قد خلقوا للفتنة، فاقم عليهم وأنهمم، فإن آنت منهم رشداً فاقبل، وإن أعيوك فارددهم عليّ» .

كانت الصحراء بين السواد والغوطة تشهد النفر الثائر، زعماء



الثائرين، وتشهد ابن زهير صاحب الترجمة، ومالك الأشتر، ورفاقهما في الرحلة تخب بهم النوق في حراسة طابور من شرطة الدولة، وهناك عندما التقى الركب المنفي بالأموي أنزلهم الأخير كنيسة مريم زيادة في الاذلال، وإرهاقاً لرعاياه المسيحيين.

كان الأموي يتفقدهم ويحضر على مائدتهم، ويأكل معهم، ويتودد إليهم جهده علّه يصيدهم بمصيصة الدهاء والمكيدة، وفي ذات يوم ارتاد مجلس المنفيين وحاول أن يستدرجهم إلى الطاعة والولاء للدولة، فطفق يتكلم بتروي، وبدأ كلامه بالأشادة بهم، ولم ينس قومه أن يذف إليهم بأكبر نصيب في الأشادة ثم شرع في تقريرهم مما أثار حفاظ المنفيين، قال: إنكم قوم من العرب، لكم أسنان وألسنة، وقد أدركتم بالاسلام شرفاً، وغلبتم الامم، وحويتم مواريتهم، وقد بلغني أنكم نقتم قريشاً، ولو لم تكن قريش كنتم أدلة. إن أئمتكم لكم جنة، فلا تفرقوا عن جنتكم».

فانبرى أحد المنفيين يرد عليه، ونهض آخرون يؤيدون وجهة نظر صاحبهم، فأجابهم معاوية بكلمات جارحة، فحدثت بينهما نقاش حاد وأخذ ورد، وكلمات جارحة الأمر الذي ثار به المنفيون، ووثبوا عليه، وأخذوا رأسه ولحيته يسحبونه، وينتفون شعره، فصاح معاوية في غمرة الألم:

«مه.. مه ان هذه ليست بأرض الكوفة...».

يريد أن يقول أنّ هذه الأرض غير تلك ثم طفق يهددهم بجنوده وبطانته.

انسحب الأموي منفلاً من السامريين الغاضبين، وخف إلى قرطاسه وريشته، وشرع يكتب ما يمليه عليه حتى غصبه على المنفيين الذين عبثوا بشعر رأسه، وطاقه لحيته. كتب رسالة إلى عثمان:

«انه قدم عليّ أقوام ليست لهم عقول، ولا أديان، اضجرهم العدل».

إذن هؤلاء المنفيين لا عقل لهم، ولا دين حسب زعم الأموي. فكتب

عثمان إليه : أن يردهم إلى موطنهم الكوفة ، فأعادهم معاوية ، وهو سار بخلاصه من المنفيين الذين لا يحترمون حرمة عامل ، ويجترؤون على الرؤوس واللحى ، وهناك وفي الكوفة عاد المنفيون سيرتهم الأولى في الاعلام المضاد للحكومة ، ومثلها في البلد ، وأطلقوا ألسنتهم يستعرضون الأوضاع المتردية ، وتدفع الناس والأهالي يعاضدونهم ، ويؤيدونهم فخاف سعيد بن العاص جانبهم ، وأسرع وكتب إلى عثمان يضحج من سيرة السامريين الغاضبين ، وبعد أسابيع جاءته تعاليم من عثمان تقرر له أن ينفيهم ثانية إلى خارج السواد حتى يأمن جانبهم .

وهكذا صال ابن زهير صاحب الترجمة ضد الولاة العتاة ، وأرهقهم بنشاطه وحماسه في سبيل الاسلام والسلام ضد العتاة والجاهلية المحاربة المستمرة .

### الجمال :

اشترك ابن زهير في معركة الجمل في حماس كبير ، وكان أول من لبي دعوة الامام للمشاركة في إدانة العملية الجميلية ، وكان شهيراً في صفوف الناس بالبأس والقوة ، وحتى أعدائه كانوا يرهبون بأسه وسطوته بل كان يقرب بالاشتر ذلك القائد المحنك المغوار .

هتف هاتف في صفوف جنود العسكر : يا معشر فتيان قريش أحذركم رجلين ، فأصغى جنود العسكر وقد لذعتهم الرهبة والذعر من هذين الرجلين ، يا ترى من هما ، ثم واصل الهاتف كلامه : جندب بن زهير الغامدي ، والأشتر ، فلا تقوموا لسيوفهما ، ثم استعرض الهاتف ملامح ابن زهير حتى يعرفه جنود العسكر معرفة العيان : أما جندب فرجل ربيعة يجر درعه حتى يعنى أثره<sup>(١)</sup> .

(١) أسد الغابة / ١ / ٣٠٣

صفين :

لما هتف منادي الامام للرحلة باتجاه صفين كان جندب بن زهير ورفاقه الذين ذاقوا متاعب المنفى ، وعانوا من الولاة المستهترين في طليعة من لبوا نداء الامام ، وكان ابن زهير يتلوا هذه الآية الكريمة ، وهو ينهد باتجاه المعركة :

﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير \* الذين أخرجوا من ديارهم بغير حقّ إلا أن يقولوا ربنا الله . . . . . ولنصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾<sup>(١)</sup>.

وعرف الامام جهود ابن زهير في سبيل أهداف الاسلام وله مقوماته النفسية والفكرية المضيئة ، ولمس شجاعته الفذة في الولاة فنصبه قائداً على رجالة صفين .

وفي صفين طفق ابن زهير ينشد الشعر الحماسي لكي يثير في جنوده الحماس ، ويشيد بالمعنويات الكبيرة التي تتحلى بها القيادة ، والتي يسير في ظلها الجنود قال :

هذا علي والهدى حقاً معه      يا رب فاحفظه ولا تضيعه  
فإنه يخشاك رب فارفعه      نحن نصرناه علي من نازعه  
صهر النبي المصطفى قد طاوعه      أول من بايعه وتابعه  
ونسبت هذه الأبيات لعدي بن حاتم ، وهو صحابي آخر من كبار صحابة الامام ، فلربما أنشدها أحدهما واقتبسها الآخر منه .

وفي معركة من معارك صفين رمى الامام بكتيبة من الأزديتزمها مخنف بن سليم الأزدي في نحر كتيبة أزدية تسير في ضلال معسكر العدو ،

(١) الحج : ٣٩ - ٤٠ .

وعندما شهد ابن سليم موضعه من كتيبته، والكتيبة الأزديّة من معسكر العدو، وهما ينتميان إلى قبيلة واحدة فكر تفكيراً قليلاً المطبوع بطابع العصبية بعيداً عن مناهج الاسلام في مثل هذه المواقع المتأزمة، فكر ابن سليم كيف بإمكانه أن يخوض حرباً ضد أبناء عمومته من عشيرته وقبيلته، ولكن تفكيره لم يسعفه بالحل المرضي الأمر الذي راح يزمجر غاضباً في إعصار يخطب جنوده من الأزدي، وكان هناك في صفوف الجنود صاحب الترجمة ابن زهير الأزدي يصغي إلى لفحات ابن سليم:

«إن من الخطب الجليل، والبلاء العظيم أنا صرفنا إلى قومنا، وصرفوا إلينا، فوالله ما هي إلا أيدينا نقطعها بأيدينا، وما هي إلا أجنحتنا نحذفها بأسياقنا، فإن نحن لم نفعل لم نناصح صاحبنا، ولم نواص جماعتنا، وإن نحن فعلنا فعزنا أبحننا، ونازنا أخدمنا».

ولما سمع ابن زهير هذا التحدي الصارخ لمشية القيادة، وهذا التردد بين الماضي قدماً وبين الرجوع القهقري حتى أنبرى مفنداً تفكير ابن سليم القبلي، ومبدداً عواطفه التي لا ربي فيها ولا نداوة، ولا هي بالتالي مستقيمة، وكيف تتحكم العواطف في معارك دائرة بين الاسلام وبين الجاهلية المستسلمة. إن أرضية المعركة تتحكم فيها منطق الاسلام الصارم، لا منطق العواطف والوشائج.

قال ابن زهير زعيم الرجالة من الأزدي وغيرهم:

«والله لو كنا آبائهم ولدناهم أو كنا أبنائهم ولدونا ثم خرجوا من جماعتنا، وطعنوا على اماننا، ووازرروا الظالمين الحاكمين بغير الحق على أهل ملتنا ودمتنا ما افترقنا بعد إذ اجتمعنا حتى يرجعوا عمّاهم عليه، ويدخلوا فيما ندعوهم إليه أو تكثر القتلى فيما بيننا وبينهم».

وهكذا وبهذا التفكير المشرق أوضح تلميذ الامام أخطاء ابن سليم، ولكن ابن سليم لم يستطع ان يكبح جماح نفسه، وقد أهينت فكرته الترددية

الأمر الذي راح يذم ابن زهير، ويكشف أخلاق ابن زهير السديدة الصارمة ويحسبها مساوئى فقال:

«والله ما علمتك صغيراً وكبيراً إلا مشؤماً، والله ما ميلنا الرأي في أمرين قط: أيهما نأتي وأيهما ندع في الجاهلية، ولا بعد ما أسلمنا إلا اخترت أعسرهما وأنكدهما. اللهم فإن نعافى أحب إلينا من أن نبتلى، اللهم أعط كل رجل منا ما سألك».

ثم ان ابن زهير بطل الفكر الاسلامي النير، وبطل المعارك لم يرسل الحبل إلى أكثر من هذا حتى طفق يهرول باتجاه المعركة، وتبعه جنوده الذين اكتشفوا في قائدهم هذا مفكراً مخلصاً، وفقياً عارفاً، ومحباً لمسيرة القيادة وسلامتها. انطلق ابن زهير وجنوده يخوضون غمرات المعركة بين الحق والباطل حتى استشهد صاحبنا ابن زهير الشيخ المفكر عن عمر ناهز السبعين عاماً، استشهد وهو ينافح عن القيادة الرشيدة، ومبادئها ضد طواغيت الباطل في سنة ٣٧ هـ<sup>(١)</sup>.

### جندب بن عفيف الأزدي

من صحابة الامام كان مرابطاً في الأنبار وهو أحد جنود أشرس بن حسان قائد منطقة الأنبار، وكانت الأنبار على حدود الشام، وفي ذات يوم أغار سفيان بن عوف مع طابور من الجنود والمرتزة أرسله العدو لهذا الصدد، وكان المرابطون مع قائد منطقة الأنبار في قلة بالنسبة إلى الفرقة المغيرة، وكانت الغارة في مطلع الشمس.

ولما ان استيقظ المرابطون على أثر أصوات المغيرين، ووقع حوافر الخيل، والقتال الذي نشب بين الفريقين وقع الذهول والذعر في صفوف ابن

(١) الكامل، حوادث سنة ٣٧، العبر للذهبي ١/٣٩.

حسان، فانهزم الكثير من جنوده، وصمدت البقية من الجنود في وجه سفيان وعصابته، كان القتال ملتحمًا على أشده، وتهاوى جنود مخرجون بدمائهم. ثم إن قائد المنطقة ابن حسان، وقد شاهد المغيرين يخوضون القتال، وقد اعدوا العدة أما أصحابه فإنهم لم يكونوا على أهبة الاستعداد الأمر الذي ظهر فيهم الخور والفشل طفق ينادي بأسلوبه الفد، وهو يحاول أن ينفخ في جنوده الحماس والشجاعة والقوة:

«من كان لا يريد لقاء الله ولا يطيب نفساً بالموت، فليخرج عن القرية مادمانقاتلهم، فإن قتالنا أياهم شاغلٌ لهم عن طلب هارب، ومن أراد ما عند الله، فما عند الله خيرٌ للأبرار».

ثم نزل من جواده هو وثلاثون من جنوده الأشاوس، وهرب الكثير من جنوده على وجوههم لا يلوون على شيء، وكاد ابن عفيف أن ينزل من جواده ويخوض غمرات المنية لولا أن نفسه استساغت الحياة، ولم يلد لها طعم الاستشهاد، وقاتل ابن حسان وأصحابه قتالاً بطولياً، ثم استشهدوا عن آخرهم.

ولما وصلت الأخبار تترى عن حادثه الأنبار نهض الامام يحث الناس على التشمير والجد والجهاد ضد العدو الغادر، ولكن الناس كانت معنوياتهم هابطة، وكانت المعارك الثلاثة التي خاضوها قد تركت آثارها في النفوس، والملامح الأمر الذي لم يخفوا الدعوة الامام، فخطبهم الامام خطبة شهيرة مطلعها:

«أيها الناس إن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة ..»

وكان جندب بن عفيف الأزدي ساعثاً قد وصل هو والهاربون إلى العاصمة، واتجه ابن عفيف مع ابن أخيه إلى المسجد الأعظم ليشهد الامام وخطابه، ويبدو أن ابن عفيف قد أثر في نفسه مصرع أصدقائه في الأنبار،

وأثار دمائهم المراقبة على أرض المعركة لواعج أشجانه، وفي غضون الطريق شعر بالاثم ان لم يناضل مع أصدقائه ضد العدو، وبالتالي أخذ الندم يسيطر على كيانه، وود لو ان له جناحاً يطير به إلى ساحة المعركة، ويستشهد هناك، ولا يرى نفسه هارباً باتجاه العاصمة، وهناك وفي العاصمة لأمه الناس وعذلوه على الفرار، وتساءلوا: لماذا فرّ هو، وخلف أصدقائه يخوضون المعركة الغير المتوازنة وحدهم.

وعندما سرى إلى مسامعه تأنيب الامام للمتهافتين، وحثه على المبادرة لدر عادية الطاغين تقدم ابن عفيف ويكاد ينوء بأثقال الهموم باتجاه الامام، وقدم يد الولاء قائلاً:

«يا أمير المؤمنين، ها أنذا لا أملك إلا نفسي وأخي، فمرنا بأمرك، فوالله لننفذن له، ولو حال دون ذلك شوك الهراس، وجمر الغضا حتى ننفذ أمرك أو نموت دونه».

فقال الامام عليه السلام: «أين تقعان مما أريد».

## جندب بن كعب الأزدي

من صحابة الامام، رافق الامام مرافقة تلميذ ذكي لاستاذ كبير، وعده بعض المترجمين له: من صحابة الرسول الكريم. كانت حياته يسودها أحداث جسام كان عظيم الحركة شهيراً بشجاعته وإندفاعاته، لقد كان هو ورفاقه يشكلون نواة الثورة في الكوفة ضد الولاة المتعجرفين، وفي ذات يوم أرتاد ابن كعب قصر أمير البلد: الوليد بن عقبة، وهناك لفت نظره تجمهر حاشية الأمير في ساحة القصر الكبير، فنهد باتجاه الحشد المتجمهر، فرأى رجلاً يقوم بحركات ساحرة، وكان الجمهور قد ضربوا حوله حلقة كبيرة يتأملون الحركات الساحرة، وقد انطبعت في ملامحهم الدهشة من الرجل وحركاته، وكانوا بين فينة وأخرى يطلقون صيحات معبرة عن الدهشة.

وقف ابن كعب إلى رفاقه الذين كانوا مع الحشد المتحلق حول الرجل، وكانوا ينادون الرجل الساحر بـ «أبي بستان» ترى ما هي حركات أبي بستان الساحرة.

كان يضرب عنق الرجل، ثم يأخذ العنق ويعيده إلى قاعدته، فيقوم الرجل كأنه لم يمس بشيء.

كان يضرب بالسيف عنق نفسه أو يحزه فيتدحرج العنق، ثم يعدو وراء عنقه، ويمسكه ويعيده إلى مكانه، فإذا به يعود سويًا.

كان يدخل في فم الحمار، ويخرج من دبره أو يدخل في است الحمار، ويخرج من فمه.

وكان الوليد بن عقبة قد جلس على عرش الامارة ينظر إلى هذه الحركات الساحرة، وكانت الحاشية قد افتتنت بهذه المناظر. كان ابن كعب ينظر إلى هذه الحركات، وهو سادر في تفكير قد امتلكه، إنه عزم في نفسه أن يقتل الساحر، فيقضي على افتتان الناس به، ويلقي ابن عقبة في ازمة حيث أنه بهذه المناورة يذيع في صفوف أهل البلد حياة ابن عقبة اللاهية التي يعيشها خلف أسوار قصره، ولأجل تحقيق الفكرة فإنه عرضها قبل تنفيذها على رفاقه . . همس في روعهم عن الفكرة، أيدها رفاقه، وحبذوا تنفيذها، وكان ابن عقبة وحاشيته لاهين ضاحكين فكهين قد ملئوا القصر الكبير بالضوضاء والجلبية، وكانت جنباة تردد صدى الضحكات والصيحات، وكان أبو بستان الساحر ماضياً في سحره ونفثاته، ولتحقيق الفكرة كان ابن كعب يحتاج إلى سيف، وكان سيفه قد سلمه للصقال حتى يبرده ويجلوه، ويجعل ذبابته حادة ماضية، وما هي إلا لمحة بصر حتى غاب ابن كعب سعياً وراء سيفه عند الصقال، فاستلم منه السيف، ومنحه أجره قائلاً له، وهو يلهث قد أضطمت جوانحه على أمر مهم: «وجب أجرك فهاة السيف».

اشتمل على السيف ثم كرّ راجعاً إلى القصر، ولما كانت الحاشية



والحراس في شغل شاغل بالساحر وسحره الذي سحر به أعين الناس لم يأبه لمشتمل السيف أحد، وفي هدوء خف ابن كعب إلى رفاقه، واندس فيما بينهم، همس إليهم باقتراب تنفيذ الخطة، فتأهب الرفاق لرد كل التحسبات التي ربما تظهر على الساحة.

رمى ابن كعب الساحر فإذا به لا يزال يمارس سحره، والناس غمر مشاعرهم وأحاسيسهم السحر، وضع ابن كعب يده على قائمة سيفه، ثم تقدم رويداً رويداً حتى وقف في المقدمة، وفي لحظة خاطفة هجم ابن كعب شاهراً سيفه الذي كاد بريقه يخطف الأبصار على الساحر، ثم وفي احتدام الغضب المزمجر ضرب بالسيف وسط الساحر، فإذا به لقي على الأرض خضياً بدمه، يفحص برجله الأرض، وابن كعب يقول ولا يكاد يبين من سورة الغضب: «قولوا له فليحيي نفسه» وتلى هذه الآية الكريمة:

﴿أَتَأْتُونَ السَّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ ثم تمت بقول: «حدّ الساحر ضربة

بالسيف»، وانطلقت من جماعة ابن كعب هتافات تستنكر على ابن عقبة وحاشيته هذه التصرفات العابثة الأمر الذي ازداد الخوف والذعر في صفوف الحاشية، وتوجس ابن عقبة نفسه خيفة من تطورات الحادث، كان ابن عقبة وبطائه وحاشيته في سكرة السحر، ولما قتل الساحر والساحر، فإذا السكرة تنقشع كغمامة، وإذا بالحاشية يلوذون بالفرار، وقد شاهدوا الساحر مجندلاً حقاً لا ريب فيه، ولمحوا السيف الجديد يمرق كالبرق الخاطف، ويقصف جذع الساحر.

نعم إنهم لاذوا بالفرار لأن الضربة القاصفة لم تكن من السحر لا من قريب ولا من بعيد، أنها ضربة طنّ منها القضاء، واعقبها صيحة هائلة من الساحر القتيل، رغم ان المتجمهرين كانوا قبل قليل ينظرون إلى الساحر، وهو يضرب الأعناق، فلم ترهبهم هذه الأعناق المتدحرجة، وذلك لأنهم قد نفثوا في روعهم ان ما يجري من الحركات إنما هي حركات ساحرة لا واقع

لها، ولا حقيقة على المسرح، ولكن هجوم ابن كعب كان الواقع بعينه، والحمرة القانية التي خضبت الأرض من جرح الساحر القاتل كانت لها مداليلها الواقعية.

ولست الحاشية فحسب لاذت بالفرار بل إن ابن عقبة نفسه اصطدم بالواقع المرّ حيث لم يكرم جنابه، ولم يجلب رحابه، ولم يحترم مجلسه، وقتلوا ساحره الخاص.

إنّ هذا هو خرق لقانون الاحترام المتبادل، وكيف وهو عامل البلد، إنّ الوليد أسرع إلى بيته ليكنه من العاصفة التي كادت أن تؤدي بحياته أيضاً، ثم وبعد أن هدأ روعه أرسل الجلاوزة واعتقلوا جندياً وصحبه الذين عاضدوه وأيدوه في مغامرته تلك، ولما ان ضم السجن على ابن كعب وجماعته بعث ابن كعب إلى السجن رسالة يقول فيها:

«قد عرفت السبب الذي من أجله سجننا، فخل سبيل أحدنا ليذهب إلى عثمان ليخبره بالحادث، وبالفعل أطلق السجنان واحداً من الجماعة، فسار مغذاً السير تخب به ناقته ساعة حتى بلغ بعد أسابيع عاصمة الدولة، وهناك توجه توا إلى عثمان وأخبره بالحادثة، فأرسل هذا بدوره رسالة إلى عامله ابن عقبة تأمره باطلاق سراح المعتقلين، وعدم التعرض لهم.

كان ابن عقبة في قصره، وإذا بالأنباء تأتيه أنّ صاحب سجنه قد أطلق أحد المعتقلين في حادثة الساحر، وأنه ذهب إلى المدينة ليخبر عثماناً بقصة الساحر، وهنا اثبت ابن عقبة غضبة عاصفة وأمر بالسجان أن يصلب، ولكن السجنان المسكين قبل أن يذوق طعم الموت كانت رسالة عثمان قد وصلت إلى يد ابن عقبة، ولما أن أدرك محتواها سارع ممتعضاً وأطلق سراح المعتقلين، وخلي سبيل سجانه الذي كاد أن يموت مصلوباً.

إنّ ابن كعب نجى من طائلة العقاب، وطقق يذيع بين الناس الحديث الذي سمعه من رسول الله أو رواه ممن سمعه من الرسول الكريم صلى الله

عليه وآله، والحديث هو، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حد الساحر ضربة بالسيف».

إن حركة ابن كعب المهاجمة لم تكن إلا ترجمة لهذا الحديث، وتنفيذاً لمفاده، وقد أخبر الرسول الكريم عن هذه الحادثة استشفها من وراء الغيب، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «زيد الخير الأجدم، وجندب وما جندب»، فقبل يا رسول الله تذكر رجلين، فقال: أما أحدهما فسبقته يده إلى الجنة بثلاثين عاماً، وأما الآخر فيضرب ضربة يفصل بها بين الحق والباطل. فكان أحد الرجلين زيد بن صوحان، شهد يوم جلولاء، فقطعت يده في المعركة، وأما الآخر فهو جندب بن كعب - صاحب الترجمة - ضرب ساحراً كان يلعب بين يدي الوليد بن عقبة.

ثم إن جندب بن كعب كان أحد الشهداء الذين شهدوا عند عثمان، وقالوا: إن الوليد بن عقبة شرب الخمر، وصلى بالناس إماماً صلاة الصبح، وهو ثمل سكران أربع ركعات، ثم التفت إلى المصلين، وقال في نبرات متقطعة: «هل أزيدكم».

نعم إن جندب سعى في هذا الصدد حتى أدين ابن عقبة، ولقى جزاء تصرفاته المشينة في وقت كان عليه أن يكون قدوة لأهل محافظته.

ثم إن ابن كعب رافق الإمام في مراحل دولته الهادفة، وانتهل من ذلك المعين العذب، وطالما أن روح ابن كعب كانت روح التضحية والفداء في سبيل المثل العليا، وشاهدنا آنفاً بعض تلكم النماذج، فإنه سرعان ما تقبلت نفحات الإمام ودولته الفتية تقبل الزهرة للطلل، والنسرين للندى، وسار في موكبه نحو القاسطين، وخاض ضدّهم معركة حامية متأورة<sup>(١)</sup>.

(١) الاستيعاب ١/ ٢١٩ - ٢٢٢.

ومن حديث جنذب:

الكليني: وفي حديث عبدالرحمن بن جنذب، عن أبيه: إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يأمر في كل موطن لقينا فيه عدونا فيقول: «لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤوكم، فإنكم بحمد الله على حجة، وترككم إياهم حتى يبدؤوكم حجة لكم أخرى، فإذا هزمتموهم، فلا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثلوا بقتيل<sup>(١)</sup>».

---

(١) الكافي ٥: ٣/٢٨ باب ما كان يوصي به أمير المؤمنين به عند القتال.

## حُجْر بن عَدِي الكندي صلوات الله عليه

يكنى أبا عبد الرحمن .

من صحابة الامام ، ومن كبار أنصاره ، ومن المجاهدين الذين رفعوا راية الاسلام خفاقة في ربوع الامبراطوريتين : الروم والفرس .  
ولقد تشرب من معين رسول الله ، والتقت نفسه بتلك الروح العظيمة ، وسار يتتبع خطى الاسلام ، ويسير وراء استاذه العظيم الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ويرتوي من علومه الثرة ، ويقتدي بهداه حتى أضحي من الأبدال .

عاش حجر في الجاهلية والاسلام ، ولمس معالم الجاهلية المكفهرة ، وشاهد تقاليدھا واتجاهاتها ، وكان يومئذٍ وليدًا يرتع ويلعب في أحياء عشيرته كندة في اليمن .

وعندما انبلج نور الاسلام أخذت أضواءه تتسرب إلى أقطار الجزيرة العربية تتلمس النفوس الطيبة الكريمة ، وكانت كندة قد سمعت بأصداء الاسلام ، وعلى إمتداد أعوام الاسلام ، أعوام الجهاد والنضال كانت كندة عشيرة حجر يقع إليها أنباء الاسلام ومسيرته الجهادية إلى أن بلغها انتصارات الاسلام في كل الجبهات ، ثم تسامعت كندة عن رسول من قبل النبي الكريم قد حل في اليمن يدعو الناس إلى الاسلام والشريعة المحمدية ، وكان حجر آنئذٍ شاباً مفتول الذراعين ، جميل الصورة ، حلو العينين ، أسمر القسماط ، يبدو من ملامحه الذكاء والفطنة ، والقوة والتحدى . والنجدة والكرم ، ففي

كتاب الأغاني قال الاصبهاني : « كان الجمال بالكوفة ينتهي إلى أربعة ، حجر ابن عدي و... » .

لقد شعر حجر الفتى الشاب بقوة تدفعه باتجاه مدينة الرسول ، كان شذى الاسلام قد تسرب إلى تلك النفس الكريمة ، وكان أخوه هانئ بن عدي شعر بنفس الشعور ، فتقاسما الشعور والاحساس ، فشدا الرحال وسارا يقطعان الفيافي والمفاوز باتجاه يثرب مدينة الرسول ، وكانت الآمال الطيبة تداعبهما وتحثهما وتخفف عنهما وعشاء السفر ، ومشقة الطريق : أمل اللقاء ، أمل اعتناق الدعوة المحمدية ، آمال انبسطت على إمتداد المستقبل المشرق الوضاء ، وعندما بلغ الاخوان : هانئ وحجر المدينة هبئا نفسيهما للقاء العظيم ، اللقاء الذي سيخط مسيرة حجر بن عدي على إمتداد المستقبل ، ومنذ أن علم حجر إن هي إلا ساعات حتى يحضر عند الرسول صلى الله عليه وآله حتى شعر أن هواجساً بدأت تنتابه ، ومشاعراً أخذت تلفه ، مشاعر فرح وخوف ، وربما كانت لديه أحاسيس غامضة ، وحضر حجر بن عدي مع أخيه هانئ عند رسول الله صلى الله عليه وآله ، وفي لحظة الحضور كانت دقات قلبه أشد وأعتى ، وتصاعد الدم إلى وجنتيه ، فصبغتاهما بحمرة قرمزية ، ولم تمض لحظات من حضوره لدى الرسول صلى الله عليه وآله حتى شعر بطمأنينة وإرتياح ، وبشذى يلف كيانه .

لقد أسلم حجر بن عدي مع أخيه هانئ على يد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وخرج حجر من عند رسول الله وقلبه عامر بالايمان<sup>(١)</sup> .

وكان حجر الشاب قد سمع الكثير عن ابن عم رسول الله الفتى الكبير علي بن أبي طالب الأمر الذي أحس بتجاوب نفسي بينه وبين الامام ، ومن

(١) يراجع : أسد الغابة ٥ : ٥١ ، طبقات ابن سعد ٦ - ٢١٧ - ٢٢٠ ، الاستيعاب ١ : ٣٥٥ ، الاصابة ١ : ٣١٣

منطلق هذا الشعور راح حجر يسأل عن الامام إلى أن شاهده، ورآه عن كذب. ثم إن حجراً عاد مع أخيه إلى اليمن، ومضى القليل من الأعوام وإذا بنا نشاهد حجر بن عدي جندياً من أبرز الجنود المسلمين يتحركون باتجاه سورية، وسورية آنئذ كانت من مستعمرات الامبراطورية البيزنطية.

يخوض حجر الجندي الباسل معارك مصيرية، وترتقي رتبته العسكرية إلى قائد، ويسير مع فيلق من الجيش باتجاه مرج عذراء، وكانت بيد البيزنطيين، وبعد حروب استطاع حجر بن عدي أن يحلق بالبيزنطيين هزيمة ساحقة، فدخلها الجندي القائد الشجاع فاتحاً، فيهتف بصوته عالياً: الله أكبر، سبحان الله، ويردد جنوده هذا الشعار الاسلامي الكبير معبرين عن أفراحهم العتيدة<sup>(١)</sup>.

ثم إن حجر بن عدي مع جماعته انتقلوا من خنادق سورية البيزنطية إلى خنادق عراق الساسانيين في محاولة نجدة المسلمين في هاتيك الأرجاء من الوطن الساساني، وخاض حجر في بسالة فذة المعارك الدائرة بين الفريقين في ساحات القتال، واشهر هاتيك المعارك هي معركة القادسية حيث إنَّها كانت معركة مصيرية بين الاسلام وبين الدولة الساسانية المنهارة، وكان النصر حليف حجر بن عدي<sup>(٢)</sup>.

وفي غضون معارك حجر بن عدي في ساحات البيزنطيين أو ساحات الساسانيين أبدى حجر بن عدي من الشجاعة والبسالة والنجدة ما أدهش زملائه العسكريين مما جعلته مشهوراً في صفوف الجنود، وفي إحدى هذه المعارك الشهيرة بمعركة «الساباط» التحم القتال بين المسلمين وبين الساسانيين، وكان الحارث بن هانئ الكندي أحد جنود هذه المعركة يقاتل

(١) المحرر: ٢٩٢، طبقات ابن سعد ٦: ٢١٧ - ٢١٨.

(٢) المحرر: ٢٥٢، الطبقات ٦: ٢١٧.

في ضراوة، وإذا به في خلال المعركة يجد نفسه مطوقاً من قبل العدو، فحاول جاهداً أن يحطم التطويق، ولكنه لم يفلح الأمر الذي صاح في غمار النقع: يا حكر، يا حكر، مستنجداً بـ «حجر بن عدي»، وما إن حملت الرياح اصداًه إلى حجر، وهو يقاتل في حماس ملتهب، فما كان من حجر إلا أن أصدر أوامره إلى جنوده أن يتبعوه وبصورة تكتيكية شجاعة، وبعد قتال أحمر قاني استطاع حجر أن يحطم التطويق، ويصل إلى الحارث الكندي الجندي المستغيث، ويستنقذه من يد المطوقين»<sup>(١)</sup>.

وأصبح حجر بن عدي من كبار القادة العسكريين، فكان يتقاضى راتبه من الدولة، وقدره (٢٥٠٠) درهماً أو ديناراً، وهو راتب ضخم في ذلك العهد لا يتقاضاه إلا من كان على صعيد حجر بن عدي<sup>(٢)</sup>.

وبقي حجر بن عدي في ثكنة الكوفة أو معسكر الكوفة كضابط من كبار الضباط العسكريين، واشتهر حجر بين الجنود وبين عوائلهم بالعبادة والصلاة والتهجد والخشوع والتقى تماماً كما كان مشهوراً ذائع الصيت بالشجاعة والتفاني والتجدة، وبالكرم والشفقة وسماحة النفس.

وكثيراً ما رحل حجر من المعسكر مسافراً ومتجهاً إلى مدينة الرسول، ومكة المكرمة حاجاً أو معتمراً، وفي إحدى رحلاته هذه التقى بأبي ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليه، وهو في منفاه مبعداً في الربذة، وكان أبو ذر الغفاري آنثذ يعاني سكرات الموت لم يمض وقت كثير حتى لفظ المجاهد الكبير آخر أنفاسه، فقام حجر بن عدي وزميله الكبير مالك الأشتر في تجهيز الصحابي العظيم، فوارياه في منفاه في الربذة بعد حياة حافلة بالجهاد<sup>(٣)</sup>.

(١) يراجع: أسد الغابة ١: ٣٥١.

(٢) المصدر نفسه ١: ٣٥١. الصفات ٦: ٢١٨.

(٣) أعيان الشيعة ٢٠: ١٤٨. الإصابة ١: ٣١٣.



وحيثما تولى الامام علي عليه السلام الخلافة على الصعيد السياسي ،  
وحملت إليه الأنباء بتحركات أصحاب الجمل المشبوهة الأمر الذي عزم على  
التصدي للتحركات التي اسفرت عن «معركة الجمل» ، فرحل الامام إلى  
الربذة ، ومن هناك أرسل الامام برسائل إلى معسكر الكوفة يدعو الناس إلى  
التعبئة والالتحاق بجيشه ، وحينما وصل رسول الامام إلى المعسكر اجتمع  
الجنود في مسجد المعسكر الكبير ، وهناك أصغوا إلى رسالة الامام .

نهض كبار الشخصيات العسكرية ، والقوا بخطبهم الملتهبة يحثون  
الجنود أن يستجيبوا لدعوة الامام أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان أحد من  
خطب في حشود المسلمين هو صاحب الترجمة : حجر بن عدي ، فإنه نهض  
وهتف في الناس أن يستجيبوا للقرآن ، أن يلبوا دعوة الامام عليه السلام ،  
فقال فيما قال في نبرات حازمة ملتهبة : «أيها الناس سيروا إلى أمير المؤمنين ،  
﴿انفروا خفافاً وثقالاً ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم  
تعلمون﴾<sup>(١)</sup> ومروا أنا أولكم»<sup>(٢)</sup> .

وبفضل الحركة الاعلامية الرائدة التي قادها حجر وأصحابه الميامين  
تحققت التعبئة العامة ، وسارت فيالق الجنود السبعة براً وبحراً ليلبوا دعوة  
قائدهم العظيم ، وحسب الاحصائيات كان عدد الجنود اثني عشر ألف  
جندي ، وأحد الفيالق السبعة هو فيلق يضم على جنود من قبيلتي مذحج  
والأشعريين ، وقائدهم هو حجر بن عدي الكندي صاحب الترجمة<sup>(٣)</sup> .

وعندما وزع الامام القيادات على كتائب الجيش في هذه المعركة  
الشهيرة بـ «معركة الناكثين» نصب حجر بن عدي قائداً على كتيبة كبيرة تضم

(١) التوبة : ٤١ .

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٤٨٥ ، أعيان الشيعة ٢٠ : ١٥٦ .

(٣) يراجع تاريخ الطبري ٤ : ٥٠٠ .

على جنود من كندة، وحضرموت، وقضاة ومهرة<sup>(١)</sup>.  
نعم، إنَّ الامام عقد لحجر بن عدي لواءً على هذه الكتيبة الكبيرة،  
وهذا يعبر عن ثقة الامام المطلقة بهذا الضابط المتفاني في سبيل مبادئه  
الوضاءة.

قال حجر بن عدي يوم الجمل رجلاً برواية ابن أبي الحديد، عن أبي  
مخنف في كتاب الجمل:

يا ربنا سلّم لنا عليا	سلّم لنا المهذب النقيا
المؤمن الموحد التقيا	لا خطل الرأي ولا غويا
بل هاديا موفقا مهديا	واحفظه ربي واحفظ النبيا
فيه فقد كان له ولياً	ثم ارتضاه بعده وصياً <sup>(٢)</sup>

والأبيات برواية نصر قال:

يا ربنا سلّم لنا عليا	سلّم لنا المهذب النقيا
المؤمن المسترشد المرضيا	واجعله هادي أمة مهدياً
لا أخطل الرأي ولا غبيا	واحفظه ربي حفظك النبيا
فإنه كان له ولياً	ثم ارتضاه بعده وصياً <sup>(٣)</sup>

فلربما انشد الأبيات في كلا الموقعتين:

واشترك حجر بن عدي معارك صفين كواحد من كبار القادة العسكريين  
المخلصين، وحينما كان الامام يخطط لخوض هذه المعركة جمع كبار رجال  
الدولة، وكان حجر في صفوف الرجال العسكريين. شرح الامام وجهة نظره  
حول القاسطين، ودعا رجال دولته لابتداء آرائهم حول القضية القائمة، فقام  
حجر بن عدي فقال:

(١) تراجع: الأخبار الطوال: ١٤٦، الطقات: ٦، ٢١٨.

(٢) أعيان الشيعة: ٢٠ - ١٥٦.

(٣) صفين: ٣٨١، شعر الدعوة الاسلامية: ١٥١، جمع عداقه الحامد.

«يا أمير المؤمنين نحن بنو الحرب، وأهلها الذين نلقحها ونتجها، قد ضارستنا وضارسناها، ولنا أعوان ذوو صلاح، وعشيرة ذات عدد، ورأي مجرب، وبأس محمود، وأزمتنا منقادة لك بالسمع والطاعة، فإن شرقت شرقنا، وإن غربت غربنا، وما أمرتنا به من أمر فعلناه».

فقال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: «اكل قومك يرى مثل رأيك». قال حجر بن عدي: «ما رأيت منهم إلا حسناً، وهذه يدي عنهم بالسمع والطاعة، وبحسن الاجابة». فقال له علي عليه السلام خيراً<sup>(١)</sup>.

وخاض حجر بن عدي معركة صفين في بسالة وشجاعة، وهو قائد كتيبة كندة<sup>(٢)</sup>، فكان يقودهم من نصر إلى نصر، ويلحق الأعداء هزائم ساحقة، وفي بعض أيام المعارك كانت ساحات النضال تخلو من المحاربين تحت ظروف حربية أو سياسية أو اجتماعية، فكان الامام يأمر الأشر وكتيبته أن ينزل المعترك، فيخوض المعركة مع كتيبته، وفي اليوم التالي يأمر حجر ابن عدي أن يصاول الأعداء مع كتيبته، وهكذا، وأتت على ساحات صفين أن دخل جيش الامام كله المعترك، وخاض الحرب، ومن هذا المنطلق نرى أن حجر بن عدي كانت له مكانته العسكرية المرموقة، وفي نفس الوقت كانت له مشاعره الصادقة والمخلصة تجاه الامام، ودولته الفتية.

بل ان حجر بن عدي كان أميراً على سبع من اسباع أهل الكوفة، وهذا السبع مكون من كنده وحضرموت وقضاعة ومهرة<sup>(٣)</sup>. كان حجر قد ضاق من مظالم معسكر معاوية، وما يسيطر عليه من أجواء الخداع والمداهنة، والسموم المتفشية التي كان ينفثها الشيطان القابع

(١) نفس المصدر: ١٠٤

(٢) نفس المصدر: ٢٠٥، الاستيعاب ١: ٣٥٥، الطبقات ٦: ٢١٨.

(٣) صفين: ١١٧.

في كسر الفسطاط، وكان حجر يحاول أن يحاور الجنود المخدوعين، ويبرهن لهم أنهم سيرون في صحراء قاحلة لا يرى فيها سوى السراب، وهم يظنون أن تلك الصحراء القاحلة هي جنة ورياض فيها أنهار وأشجار، ولكن الجنود كانوا مصرين على التحرك في طريق الانحراف والضياح، وكان زعيمهم ووزيره ابن النابغة يزنان لهم هذا التحرك، ويدفعانهم إلى الاتجاهات التي تحقق آمالهم الظالمة، وفي نفس الوقت كان حجر يرى بام عينيه الدسائس التي يحوكها معاوية ضد الاسلام، والمبادئ الانسانية، وهذا تحت ستار الاسلام نفسه، وتحت ستار المصحف الشريف، وهذه مأساة كان يعيشها حجر، وأدركها بوضوح الأمر الذي راح هو وصاحبه ابن الحمق ينقدان دسائس معاوية، ينعيان على جنوده بالغباء والتكاسل عن إدراك السياسات الملتوية، والدعايات المسمومة التي ينتهجها معاوية، وطفقا يتبرءان من هذه السياسة المنحرفة، والدعايات المغرضة، ويتبرءان من الجنود السائرين في هذا الضلال البهيم بل ويلعنان معاوية وجنوده على الدماء الزكية التي أراقوها في سبيل السيطرة والطغيان، وفي سبيل تغيير صورة الاسلام الناصعة، وتشويش مبادئه، وفي سبيل تحريف الحقائق.

إن حجراً وزميله طفقا يطلقان هذه الشعارات المناوئة للضلال، والمترسمين خطى الضلال، ولكن هذه الشعارات المناوئة بلغت الامام عليه السلام، فلم يحبذ هذه الطريقة في إبداء الامتعاض والنقد والكرهية، ومن هذا المنطلق أرسل الامام عليه السلام رسولا يبلغهما رسالة شفوية تتضمن الارتداع عن مثل هذا الاسلوب الجارح، وحينما جائهما الرسول وقال لهما: إن أمير المؤمنين يقول: «إن كفاعما يبلغني عنكما» دهشاً من هذه الرسالة التي تمنعهما من رشق العدو بسهام اللعن والشتيمة والسياب طالما أنهما والجيش كلّه يرشقون العدو بالسهام والحرايب. ويضربونهم بالسيوف البواتر، وطالما أن معاوية ووزيره ابن النابغة وجنودهما قد فتحوا أبواب

السباب والشتيمة واللعن ضد جيش الامام وجنوده . أتري أن جيش معاوية ومعاوية نفسه كانوا يربثون بأنفسهم عن السباب والشتيمة أم أنهم امعنوا في اطلاق ألسنتهم بالكلمات الشائنة .

إذن فلم والحال هذه يمنعهما الامام من تسديد سهام اللعن والشتيمة؟ لقد كانت الرسالة غامضة بالنسبة لحجر وزميله ابن الحمق الأمر الذي هرولا إلى القيادة ليستفسرا من الامام نفسه دوافع هذا الحظر المؤكد الذي أصدره الامام إليهما، وبالتالي إلى كل من يتفوه بنفس كلمات حجر وزميله من أفراد الجيش، فلما حضرا عند الامام تساءلا في استغراب:

«يا أمير المؤمنين ألسنا محقين» .

قال: «بلى» .

قالا: «أو ليسوا مبطلين» .

قال: «بلى» .

قالا: «فلم منعنا من شتمهم» .

وهنا يملئ الامام عليهما دستوراً من أجمل الدساتير الخلقية، ومن أكبرها في مجال التربية والاعلام . إن الامام من منطلق قيادته للأمة في المجال العسكري، والسياسي، فلا بد أن يقود الأمة في مجال التعليم والتربية، فينبهها إلى أخطائها، إلى انحرافاتهما، ينبهها إلى مسيرتها محاولاً تصحيح تلك الأخطاء، وتقويم تلك الانحرافات، مضيئاً لها المسيرة الهادفة المستقيمة .

إن الامام أعطى حجراً وزميله، والأمة كلها دستوراً فنياً وهاماً في مجال الاعلام . إن الامام يشجب السباب والشتيمة، وإن كان العدو يمارسها بكل صلافة، وذلك لان السباب هو وسيلة عقيمة، هو عملية سلبية، وبالتالي يعبر عن مستوى الشخصية التي تمارس هذه الوسيلة العقيمة، ومن هذا المنطلق فإن الامام يشير إليهما أن يقوموا بدلاً من هذه العملية السلبية بعملية إيجابية

ذات محتوى مفيد، فبدلاً من السباب، وتراشق الكلمات النابية أن يقوموا بشرح سيرة العدو المنحرفة، وأعماله الظالمة والمستهجنة، وتصرفاته المشينة، وأساليبه الملتوية في مجالات السياسة والدين والاجتماع، وكل المجالات التي يخب فيها العدو بصورة عرجاء. إنَّ الامام دل كلا الشخصيتين من أنصاره بل وكل الامة التي تعيش في ظل ولائه ودولته أن ينتهجوا الاسلوب السليم في الاعلام والدعاية، وفي النقد.

ثمَّ انَّ الامام يرشد حواريه حجر وزميله: ابن الحمق أن يعرضاً المشاكل المستعصية بين الفريقين على الله تعالى، ويسألاه سبحانه حقن الدماء، وصلاح ذات البين، والهداية والرشاد، فإن هذا الطريق هو أقرب الطرق إلى تأليف قلوب الأعداء، وإثارة كوامن الخير في نفوسهم، وهو الطريق السليم الذي عليهما أن ينتهجاه.

وإليك نصّ دستور الامام لحجر بن عدي وزميله عمرو بن الحمق، وجماعتهما من الجنود والضباط:

«إني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتهم أعمالهم، وذكرتم حالهم كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودمائهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهددهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به»<sup>(١)</sup>.

وإليك نص ثاني للدستور:

«كرهت لكم أن تكونوا لعانين شتامين تشتمون، وتبرؤن، ولكن لو وصفتهم مساري أعمالهم، فقلتم من سيرتهم كذا وكذا، ومن عملهم كذا وكذا كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، ولو قلتم مكان لعنكم إياهم،

(١) مصادر نهج البلاغة ٣: ١٠٢، كلام رقم: ٢٠٤، مصباح البلاغة ٣: ٢٧٧.

وبراءتكم منهم : اللهم أحقن دماءنا ودمائهم ، وأصلح ذات بيننا وبينهم ،  
واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق منهم من جهله ، ويرعوي عن الغي  
والعدوان من لهج به كان هذا أحب إليّ وخيراً لكم»<sup>(١)</sup>.

وبعد أن أصغى الحواريان إلى كلام أستاذهم العظيم ، وتعاليمه القيمة  
قالا : «يا أمير المؤمنين نقبل عظمتك ، ونتأدب بأدبك» .

وكانت الصداقة بين حجر بن عدي وبين عمرو بن الحمق قوية  
الوشائج ، متينة الصلات ، وكانا معاً أبداً في الحرب ، وفي السلم ، في  
الأفراح ، وفي الأتراح . وسوف نرى أنّ النهضة التي قادها حجر بن عدي ضد  
التعسف الأموي كان عمرو بن الحمق أحد أقطاب النهضة بل وإن ابن  
الحمق استشهد في سبيل مبادئ الامام تماماً كما استشهد حجر بن عدي في  
سبيل ذلك المنهاج الساطع .

وفي ذات يوم قبل صفين ألقى عمرو بن الحمق كلمة أمام الامام عبر  
فيها عن مشاعر الحب والولاء للامام ، ودولته . فقال الامام : «ليت ان في  
جندي مائة مثلك» ، فسمع حجر بن عدي هذه اللفتة من الامام ، فقال : «إذن  
والله يا أمير المؤمنين صحّ جندك ، وقل فيهم من يغشك» .

وعندما انتهت صفين بمهزلة التحكيم ، وألجئ الامام لمناسبة  
المخدوعين ، وكتب الفريقان وثيقة التحكيم ثم وقعها جمهور من الفريقين  
كان حجر بن عدي أحد الموقعين لوثيقة التحكيم<sup>(٢)</sup> .

وهذا يعبر عن مكانة حجر كمسؤول كبير في الدولة له وزنه ، وشأنه عند  
الامام ، وفي صفوف الجيش .

إنّ الامام عليه السلام بعد ما ظهر للناس عامة خدعة معاوية في رفع

(١) صفين : ١١٥

(٢) صح الأعي ١٤ : ٨٢ ، وقعة صفين : ٥٨١ .

المصاحف، وآمنوا آتئذ أن الامام حينما حذرهم وأنذرهم عن الانسياق لهذه الخدعة كان على بصيرة بدسائس معاوية .  
 أقول إن الامام أمر بالتعبئة العامة للمسير إلى المخادع اللثيم، ثم إن الامام سار بجيشه من العاصمة ليقضي على المتآمرين على الاسلام، والمستترين بالقرآن ولكن الامام لم يكذب بتعد عن العاصمة حتى جاءت الأنباء عن تحركات الخوارج مما جعلته عليه السلام ينصرف عن اتجاهه إلى المتآمرين، ويعطف زمام قيادة الجيش باتجاه الخوارج في النهروان، وكان حجر بن عدي أحد قادة الجيش، فقد نصبه الامام قائداً على كتيبة كندة، وفي ميمنة الجيش<sup>(١)</sup>.

وكان حجر الكندي زعيم كندة، وموضع ثقته تماماً كما هو موضع ثقة الامام، فخاض حجر هذه المعركة في بسالة ونجدة إلى أن قضى الامام على الخوارج، وهذه المعركة ألفت هزة في قلوب الناس في العاصمة، فقد قتل الخوارج، وكانوا ثلاثة أو أربعة آلاف خارجياً تماماً كما استشهد من جيش الامام تسعة أشخاص، إلا أن الخوارج هؤلاء كانت لهم صلوات ووشائج بأهل العاصمة الأمر الذي أثرت هذه المعركة بصورة سلبية على أهل العاصمة، وعلى جنودها رغم أن جنود الامام كانت ضمائرهم صافية لا يعكرها جهودهم النضالية في ساحات المعركة في النهروان إلا أن بعضهم أصابه لون من خيبة أمل، ومن هذا المنطلق، فإن الامام بعد أن أحمده فتنة الخوارج دعا الجيش أن يتحرك باتجاه العدو المتآمر، ولكن الامام شعر أن هناك عدم اهتمام، فسار الجيش إلى العاصمة، وكان واحد من جواسيس معاوية يعيش في العاصمة، واسمه عمارة بن عقبة بن أبي معيط<sup>(٢)</sup>، ويعني

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٨٥، الاستيعاب ١ : ٣٥٥، وفيه كان حجر على الميرة يوم النهروان .

(٢) عمارة بن عقبة بن أبي معيط هذا هو أخو الوليد بن عقبة ابن أبي معيط الذي نعتة القرآن



هذا أن عمارة هو الآخر أموي أيضاً إنَّ عمارة هذا حينما شاهد أن الجيش عاد إلى العاصمة كتب رسالة إلى معاوية ينبأه باحداث العاصمة، وكان معاوية عند ما علم بدعوة الامام بالاستنفار هاله الأمر، فقام باجراءات، وجمع جنوده، وكان ينتظر عما تسفر عن مسيرة الامام، فإذا برسالة عمارة بن عقبة تصله فينفضها، فإذا فيها:

«أما بعد، فإنَّ علياً خرج عليه أصحابه ونسأكهم، فخرج عليهم فقتلهم، وقد فسد جنده وأهل مصره، ووقعت بينهم العداوة، وتفرقوا أشد الفرقة». وعندها دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهري، وجعل تحت امرته ٣٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ جريدة<sup>(١)</sup> خيل وأرسله للاغارة على أطراف حوزة الامام، وأوصاه أن يثير الرعب والهلع في أفراد الشعب من يدينون بالولاء للامام ودولته الرائدة.

سار الضحاك مع عصابته ماراً بالسماوة، وواقصة، وشراف، والقطقطانه، وما والاها، فطفق هو وعصابته يسلبون الأموال من أهل القرى والبوادي والأعراب، أي الطبقة المستضعفة والمحرومة من الشعب، ويقتلون الأعراب والعزل، ويشيرون فيهم الخوف والهلع.

وفي الثعلبية حيث هو طريق قوافل حجاج بيت الله الحرام أغارت العصابة على الحجاج الأمنين، وسلبت منهم رواحلهم، وأنتزعت منهم أموالهم، الأموال التي كان الحجاج الآمون يحاولون أن يصرفوها على إمتداد الرحلة حتى توصلهم إلى بيت ربهم، ولكنهم أصطدموا بعصابة معاوية، فجردتهم من أموالهم، ورواحلهم، وامتعتهم، وتركتهم يجأرون إلى الله تعالى.

---

→ بالفسق: «إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا»، والذي شرب الخمر وهو والي الكوفة ثم صلى بالناس صلاة الصبح أربعاً ثم قال: أزيدكم؟  
(١) الجريدة: خيل لا رجالة فيها، أي أن الجيش أو السرية كلها فرسان ليس فيها مشاة.

وسارت العصاة فرحة مبتهجة على أعمالها البطولية، وسارت طويلاً، وبيت أحد مسالح الدولة - أي شرطة الحدود - على مقربة من قطقانة ثم أقبلت العصاة حتى التقت بالعبد الصالح، والمسلم المتهجد «عمرو بن عميس بن مسعود الذهلي»، وعمرو هذا هو ابن أخي عبدالله بن مسعود، وكان عمرو في رحلته إلى الحج يأتم بيت الله الحرام، ولكن العصاة لم تتخل عن الشيخ العابد عمرو، بل تناولته وقتلته، فاستشهد الشيخ ابن أخي عبدالله ابن مسعود على يد عصاة معاوية، وليس عمراً وحده قتلته العصاة بل وطاردت أصحابه وقتلتهم.

إن عصاة كبيرة مكونة من ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف، وكلهم فرسان يا ترى أية جريمة لا تركبتها؟ أنها تهلك الحرث والنسل، وتعيثُ فساداً في الأرض، ولقد شاهدنا كثيراً من الأفلام السينمائية التي تعرض على شاشة التلفزة، والتي تختص في مجال العصابات والفرسان المغيرين، فنرى الفساد الذي يشيعونه في المزارع والبساتين، والخوف والهلع الذي يمتلك الناس منهم في الأرياف والقرى والبوادي، ورأينا بأم أعيننا الفساد العظيم، والقتل المستشري، والدمار الذي حل بالناس، وبالقرى والمدن، وبالأموال والممتلكات من جراء هجوم البعثيين على الأراضي الإيرانية، وعلى الكويت أيضاً.

لقد بلغت أخبار عصاة معاوية التي يقودها الضحاك بن قيس الفهري، والجرائم التي ارتكبتها في حق أهل القرى والأرياف والمستضعفين من سواد الشعب، بلغت الأخبار الامام، فهاله مقتل عمرو بن عميس الذهلي، فجمع الامام الناس، وخطب فيهم، وقال:

«يا أهل الكوفة اخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عميس، وإلى جيوش لكم قد أصيب منها طرف، اخرجوا فقاتلوا عدوكم، وامنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين».

ثم انّ الامام عليه السلام دعا حجر بن عدي الكندي وعقد له راية على أربعة آلاف جندي، فسار حجر مع جنوده، وأغد السير مطارداً عصابة معاوية، وأخذ طريق السماوة، وخاض غمار البيداء، وكان معه أدلاء كلبيون يدلونه على معالم الطريق، وعلى المياه والآبار، وكانت العصابة حينما سمعت بالمطاردة من قبل الدولة طاروا في وجوههم، ولكن حجراً تمكن أن يلحقها في تدمر بعد سعي متواصل، وجد مستمر، وهناك تصدى لها حجر، ووقعت معركة بين الفريقين، فصرع ١٩ رجلاً من عصابة الضحاك، واستشهد رجالان من جنود حجر، وكان الليل قد أقبل بجحافله، فألقى بظلاله الداكنة على الصحراء، والأشلاء، وأمسى المساء حاجزاً بين الفريقين عن القتال، فتوقف الفريقان عن الصراع.

لقد أجهدت الرحلة ثم المعركة جنود حجر البواسل، فلما حجز الليل الدامس بين الفريقين عاد جنود حجر إلى معسكرهم على أمل العودة عندما يسفر الصباح، وفي اليوم التالي تاهب الجنود لخوض معركة، ولكن ما أن أصبحوا حتى شاهدوا معسكر العدو خالياً شاغراً ليس فيه صاهل، ولا باغم، ولا فارس، وبعد أن فتشوا، فإذا بهم يشاهدون أنّ العصابة قد هربت من المعركة في هدوء الليل قد اتخذت الظلام ستاراً للفرار.

ولقد ذاعت أنباء هذه الغارة الظالمة في البلدان، والمجتمعات، وكانت الأخبار عن الغارة فيها الصدق، وفيها الكذب، فسمع عنها عقيل بن أبي طالب وهو في مكة، فكتب رسالة إلى أخيه الامام جاء فيها:

«... فلما قدمت مكة سمعت أهلها يتحدثون أنّ الضحاك بن قيس أغار على الحيرة، فاحتمل من أموالهم ماشاء، ثم انكفأ راجعاً سالماً. فأف لحياة في دهر جرأ عليك الضحاك، وما الضحاك؟! فقع بقرقر».

فكتب الامام رسالة جوابية لأخيه عقيل جاء فيها:

«... وأما ما ذكرت من غارة الضحاك على أهل الحيرة، فهو أقل وأذل

من أن يلم بها أو يدنو منها، ولكنه قد كان أقبل في جريدة خيل، فأخذ على السماوة حتى مرّ بواقصة وشراف والقطقطانة، فما والى ذلك الصقع، فوجهت إليه جنداً كثيفاً من المسلمين، فلما بلغه ذلك فرّ هارباً، فلحقوه ببعض الطريق، وقد أمعن، وكان ذلك حين طفلت الشمس للأياب، فتناوشوا القتال قليلاً كلا ولا، فلم يصبر لوقع المشرفيّة، وولى هارباً، وقتل من أصحابه تسعة عشر رجلاً، ونجا جريضاً بعد ما أخذ بالمخنق، [ولم يبق منه غير الرمق]، فلاياً بلائياً ما نجا<sup>(١)</sup>.

ثم إن الدهر ضرب ضرباته، وأمسى الضحاك بن قيس أمير العصابة أميراً على مدينة الكوفة، وفي ذات يوم شاهد الضحاك تدمير أهل الكوفة من تدهور الأوضاع، وظلم جباة الأموال، وتعسف الامراء، وانتشار الفقر في ربوع المنطقة رغم خصب التربة، وتدفق المياه.

شعر الأمير الجديد أن تحت هذا التدمير ثورة، فارتاد المسجد، وارتقى المنبر، وخطب الناس، وأكبر الظن أن اليوم كان يوم الجمعة حيث تجري مراسم صلاة الجمعة، خطب الضحاك الناس، وطفق يهدد أهل البلدة، ويذكر أمجاده في الغارة التي أغارها مع عصابته على ربوع المحرومين والمستضعفين، ويسرد ضحاياهم من المؤمنين، وما أشاعه في ربوع الناس من خوف وفرع.

قال مزجراً مزبداً:

«أنا ابن قيس، وأنا أبو أنيس، وأنا قاتل عمرو بن عميس... أما والذي ليس له ند، ولا شريك لئن لم تنتهوا عما بلغني عنكم لأضعن فيكم سيف زياد ثم لا تجدونني ضعيف السورة، ولا كليل الشفرة. أما والله إني لصاحبكم الذي أغرت على بلادكم، فكنت أول من غزاها في الإسلام،

فسرت ما بين الثعلبية وشاطئ الفرات أعاقب من شئت، واعفو عن شئت [حتى] لقد ذعرت المخبثات في خدورهن، وإن كانت المرأة ليكي ابنها فلا ترهبه، ولا تسكته إلا بذكر اسمي، فاتقوا الله يا أهل العراق، واعلموا أنا الضحاك بن قيس».

كان الناس يصغون إلى إرعاد الضحاك وتهديده، وإلى أمجاده البطولية، لقد كان في حشود المسجد جماعة كانت قد اشتركت في الجيش الذي أرسله الامام مع حجر بن عدي لرد عادية المغيرين، وهذه الجماعة كانت لديها خبرات عن الأمير المزمجر المرعد المزبد، كانت تعرفه بالجين والخوف، لقد جربته في معركة تدمر حيث اتخذ ستار الليل جملاً وهرب من سيف حجر بن عدي وجنوده بعد أن كادوا يذيقوه كأس المنية. إذن لم هذا الانذار والتحذير؟ ولم استعراض هذه الأمجاد البطولية؟ وهل من البطولة في شيء أن يجرد الضحاك وعصابته سيف الظلم على الفلاحين العزل من أهل القرى والأرياف أو البدو والأعراب، وأهل الخيام في الصحاري أو الأطفال والنساء ممن لا حيلة لهم.

أتحتاج إلى شجاعة الغارة على هؤلاء الناس، فإن كانت للضحاك وعصابته شجاعة لكان عليه أن يجالد جيش حجر بن عدي الشاكي السلاح لا أن يدعهم ويهرب جريحاً، وكاد الموت أن يتلعه، ومن هذا المنطلق، فإن الجماعة التي جربت جنبه وذعره في معركة تدمر لم تستطع أن تصبر على هذه المزاعم الجوفاء، فقام عبدالرحمن بن عبيد من وسط الجماعة وقال للأمير الغاضب المهدد في نبرات ساخرة متهكمة:

«صدق الأمير، وأحسن القول، ما أعرفنا والله بما ذكرت، ولقد آتيناك

بغربي تدمر فوجدناك شجاعاً صبوراً مجرباً».

ثم أن عبدالرحمن بعد هذه المجابهة الفذة جلس وهو يتمتم: «أيفتخر

علينا بما صنع في بلادنا أول ما قدم، وأيم الله لأذكرنه أبغض مواطنه تلك

إليه».

لم يكن من المتوقع أن يسمع الأمير المغرور هذه الكلمة المفاجئة، لقد فاجأه عبدالرحمن وهو - أي الضحاك - في ساعة غضب وزمجرة خطابية الأمر الذي هدأ قليلاً، وأصغى إلى كلمات عبدالرحمن، وكل كلمة من كلماته كانت طعنة في الصميم بل وإن كلمات عبدالرحمن ذكرت الأمير كشريط كاسيت بكل أحداث تدمر المخزية بالنسبة إليه مما أشعرت الأمير بالخزي يغلفه بغلافه، فبعد أن كان محموراً في خطابه شعر أن البرد يسري إليه، فقطع الخطاب، وطفق ينزل من منصة الخطابة، وهو يقول في كلمات ضعيفة:

«نعم كان ذلك اليوم بأخرة».

ولقد أعجب الجمهور هذه المجابهة الفذة العملاقة، فلما أن انفض الناس التقى محمد بن مخنف بعبدالرحمن بن عبيد وقال له في اعجاب وتقدير: «لقد اجترأت حين تذكره ذلك اليوم، وتخبره أنك كنت فيمن لقيه».

فقال: ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾<sup>(١)</sup>.

لقد كان الامام عليه السلام يسعى بعد معركة النهروان، وبعد الغارات التي شرع العدو يشنها على البلدان المتواجدة في حوزة نظام الامام في سبيل التعبئة العامة، وتكوين جيش يقوده ليستأصل جرثومة أمية، والغدة السرطانية التي نبتت في الوطن الاسلامي وسعى الامام في هذا السبيل فجمع قادة الدولة، وقادة الجيش للتداول في هذا الأمر، ولكن بعض زعماء العشائر كانت لا تتحمس لدعوة الامام، ولا تلبى هذه الحركة المصيرية مما حفز حجر بن عدي أن يعلن ولائه للامام، وتأييده المطلق لدعوة الامام فقال هو

(١) التوبة: ٥١.

(٢) العنبر ٢ - ٤١٦ - ٤٣٨. أخبار السنة ٢٠: ١٦١.

وزميله سعيد بن قيس الهمداني : « لا يسؤك الله يا أمير المؤمنين مرنا بأمرك نتبعه ، فوالله ما نعظم جزعاً على أموالنا أن نفدت ، ولا على عشائرننا أن قتلت في طاعتك » .

وحيثما استجاب رؤساء القبائل لدعوة الامام النضالية طلب الامام منهم أن يحصي كل رئيس قبيلة أعداد الجنود المقاتلين في عشيرته ، فقالوا وكان حجر بن عدي أحدهم :

سمعاً وطاعة ، فذهب حجر بن عدي إلى عشيرته ، وأحصى الجنود وشباب عشيرته المؤهلين للقتال ، وأخبر الامام بأعدادهم ، واستطاع الامام أن يعبأ جيشاً جراراً ، وجحفاً هادراً من أرجاء الدولة المترامية الأطراف ، وكان من المقرر أن يغادر الجيش ثكناته في العاصمة إلى ساحات القتال لاستئصال الفتنة الرجعية الجاهلية ، ولكن وقبل أن تتحقق أمانى الامام والامة استشهد الامام أمير المؤمنين عليه السلام في بيت الله .

كانت الأيام أيام شهر رمضان ، وكان الشعب مقبلاً على هذا الشهر المبارك ، ففي النهار يصوم الناس ، وفي الليل كان المتهجدون مقبلين على العبادة والصلاة ، وكان المسجد الأعظم في العاصمة يقبل العابدون فيه على الصلاة ، والتهجد ، والاقبال على الله تعالى في خشوع وخضوع وقنوت ، وكان الناس يستشعرون شذى هذا الشهر ، وأجوائه العبقية . كانت الليالي الأولى من شهر رمضان يكتض المسجد الأعظم من العاملين العابدين المتهجدين ، وكانت النشاطات العبادية في قوتها وحماسها ، وكان حجر بن عدي قد قضى الليالي العطرة في المسجد الأعظم متهجداً مصلياً متعبداً ، وكانت نفسه مشعة بأنوار هذه العبادة ، مغلفة بشذاها ، لقد حسب ليالي رمضان فإذا ليلته هذه هي الليلة التاسعة عشر ، إذن عليه أن يواظب على هذه الليلة ، والليالي المقبلة على الاستمرار في التهجد والرحلة في رحاب النور ، ولكن هذه الليلة كان يستشعر ألماً يعصر نفسه ، وتوتراً يكاد يخرج عن طوره ،

كان يفكر في الامام ، يفكر في أعداء الامام ، يفكر في المؤامرات التي تحاك في الظلام ، كان يهجس بهذه المؤامرات ، ولكن هاجسه كان معتماً لا ينير له السبيل ، كان يعيش هذه الأفكار وكان قد وضع علامات استفهام على بعض زعماء العشائر، الزعماء المنحرفين عن خط الامام .

لقد تهجد حجر، وصلى ماشاء له أن يصلي، ولكن نفسه لم تكن مستقرة، أي أن الاستقرار النفسي ، والشذى الروحي الذي كان يتمتع به في الليالي الماضية، وهو مقبل على عبادة الله جل جلاله، فإن هذا الاستقرار كان يعكر جوه شعور غامض مبهم لم يدر مصدره، ولم يتبين دوافعه، ولكنه رغم كل هذا، فإنه استمر في عبادته حتى أقبل السحر، وكاد الليل أن يولي أمام الفجر المشرق، وهناك اندفع حجر محاولاً أن يخرج من المسجد، ويتجه إلى داره ليتناول وجبة السحور ثم يعود إلى المسجد سريعاً ليبلغ الصلاة مع الامام القائد في جماعة المصلين، ولكن حجر لم يكذ يخرج من المسجد حتى لمح في الظلام الهادئ الأشعث بن قيس، وهو يهتف بصاحبه ابن ملجم:

«النجاء النجاء بحاجتك، فقد فضحك الصبح» .

وما ان سمع حجر هذا التحذير الهامس حتى استيقظت كوامن هواجسه، ولمح في ذلك الظلام علامات الاستفهام تحوم حول هذا الزعيم الخائن الذي طالما استنكر حجر عليه تحركاته المشبوهة، وطالما استاء من مرآه .

إن الكلمات الهامسة: «النجاء النجاء بحاجتك، فقد فضحك الصبح» إن هذه الكلمات التي انطلقت صريحة من الأشعث وبدون قصد عبرت عن مضمونها الرهيب، والتي استطاع حجر بن عدي أن يراها في صورتها الدموية في ذلك الغيب الحزين مما دفعه إلى أن يصرخ في وجه الخائن دهشاً وغازباً، وحجر يمثل صورة الامام الكريمة الدامية: «قتله يا



أعور قتلك الله» .

ثم انطلق حجر بن عدي مبادراً إلى الامام في داره، سعى لاهثاً حتى بلغ دار الامام، وهو يحاول أن يبلغ الامام عن المؤامرة المبيتة. وما أن يصل حجر إلى دار الامام حتى يسمع .

«انّ الامام أمير المؤمنين قد خرج إلى المسجد الأعظم»، فيعود حجر ادراجته، وهو يدعو ويبتهل إلى الله تعالى أن يسلم الامام، ويحفظه، ويرعاه من أعداء الله، وأعداء الاسلام، ولم يكذ حجر يصل إلى المسجد حتى يسمع صراخ الناس، وعويلهم، وكلماتهم المدهوشة: «قتل أمير المؤمنين . . . قتل أمير المؤمنين . . .» .

فيقع في يديه، وينفجر في البكاء، ويشعر بأسى يعصر فؤاده، وخيبة أمل يسيطر عليه. لماذا لم يستطع أن يصل إلى الامام، ويخبره عن المؤامرة المبيتة؟ إن حجر بن عدي فقد أباً باراً، وإماماً هادياً.

وفي ذات يوم كان حجر بن عدي جالساً عند الامام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، فتأمل الامام في وجه حجر، فنظر إلى مستقبله، والأحداث التي تواكب حياته، وتأمل الامام الحكومة الحاكمة التي ستسلم مقاليد أمور المسلمين، والاتجاهات الجاهلية التي تفرضها على مسار سياستها العدوانية، وتأمل الامام عليه السلام الثورات والانتفاضات التي ستثور للتصدي لحركة الحكومة الاستفزازية، وما ينجم من هذه المواقف من استشهاد الطيبين الذين يخوضون غمار الانتفاضات ضد الرجعيين المتسلمين لزمم الحكومة، وسيكون لحجر دوره البارز في هذا التصدي الحازم، وسيكون لحجر الدور العظيم لكشف الأوراق السوداء للحكومة التي تذرف الدموع أمام الجماهير المخدوعة على الاسلام والمسلمين .

انّ مستقبل الأمة الاسلامية، ومستقبل حجر بن عدي كان مضيئاً للامام عليه السلام، ومن هذا المنطلق قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام

لحجر: «كيف تصنع أنت إذا ضربت وأمرت بلعنتي»، فقال حجر بن عدي متساءلاً: «كيف أصنع» قال: «ألغني، ولا تبرأ مني، فإني على دين الله»<sup>(١)</sup> وقال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: «حجر بن عدي وأصحابه [هم] كأصحاب الاخدود، ﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾». ويعلق مؤلف شذرات الذهب على هذا الخبر: «فإن صح هذا عن علي عليه السلام، فيكون من باب الأخبار بالغيب»<sup>(٢)</sup>.

وخطب الامام ذات يوم الشعب فقال: «يا أهل الكوفة سيقتل منكم سبعة نفرهم من خياركم بعذراء، مثلهم كمثل أصحاب الاخدود»<sup>(٣)</sup>. وروى عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله: «يقتل بعذراء أناس يغضب الله لهم، وأهل السماء».

أذن استشهاد حجر بن عدي كانت مرسومة في صحيفة الغيب، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد ألقى ببعض الأضواء على هذا الخطب العظيم، ووعاها الامام أمير المؤمنين، وكان حجر بن عدي بعد أن أخبره الامام عن المستقبل الذي سينظره، وعن دوره التاريخي والبطولي في فضح النوايا السوداء، ورفع القناع عن سياسة حكومة أمية، القناع السميك الذي استطاع حجر وصحبه الفدائيون تمزيق جانب من هذا القناع المزور، والمزور، وكانت كلمات الامام عليه السلام قد أنطبت في ذهن حجر التلميذ، والفدائي العظيم للامام ومبادئه الرسالية.

وبعد استشهاد الامام، وانتقال السلطة القرآنية العلوية إلى سلطة دنيوية تستخدم كل الوسائل الظالمة لتركيز السلطة وصيانتها، ولو بقتل

(١) أعيان الشيعة ٢٠ : ١٤٤ .

(٢) شذرات الذهب ١ : ٥٧ .

(٣) أعيان الشيعة ٢٠ : ٢١٣ .

الصالحين من أصحاب رسول الله، ولو بالتخلي عن كل نصوص القرآن بحجة الاجتهاد، الاجتهاد في مقابلة النص، ولم يكن هناك اجتهاد بالمعنى القيم للكلمة، بل كان هناك سياسة تسير في خط الشهوات والأهواء والمصالح الشخصية أو القبلية.

أرسل معاوية المغيرة بن شعبة إلى الكوفة والياً عليها، وقبل أن يغادر ابن شعبة القصر رسم له معاوية الخطوط السياسية التي يجب عليه أن يتبعها، ويعمل بمضمونها:

١ - وأول هذه الخطوط بل، وفي رأس القائمة من التخطيط السياسي هو تهوين شخصية الامام صلوات الله عليه.

٢ - الاشارة بسياسة الرجعيين، وتحبيذ أعمالهم، ووضع هالة القدسية فوق هام هؤلاء الساسة.

٣ - مطاردة أنصار الامام، والتشهير بهم في المجتمع، والسخرية منهم، وازدراؤهم، ومقتهم أمام الناس، وتضخيم هفواتهم، ولو كانت ضئيلة ضحلة.

٤ - الاهتمام بالموالين للدولة، والمؤيدين لها، والمتعاطفين مع العهد البائد، الاهتمام بهؤلاء الموالين، ومنحهم مناصب الدولة، واستشارتهم في قضايا الساعة، والاحداث الناجمة.

ثم ان ابن شعبة شد الرحال إلى الكوفة ليتسلم وظيفته كوالي، وكان الوالي هذا ينفذ بنود مرسوم معاوية، فكان يلعن ويشتم وفقاً للمادة الاولى، ويشيد ويمدح وفقاً للمادة الثانية، وكان يقصي ويبعد وفقاً للمادة الثالثة، وكان يقرب ويدني ويساعد ويستشير وفقاً للمادة الرابعة.

وكان عهد هذا الوالي عهد تجربة واختبار، عهد محنة ونضال، لقد كان زعماء البلدة التي كانت إلى عصر قريب عاصمة الامام للدولة الاسلامية، وأقطارها الشاسعة.

أقول لقد كان زعماء البلدة، والمخلصين للإمام عليه السلام يمتعضون من الشتم أيما امتعاض، وتثور في نفوسهم إعصار ليس بعده إعصار، وتنفعل مشاعرهم، وترتبك أحاسيسهم تحت وطئة هذه السياسة الاعلامية الصارخة، فلم تكن هناك وسيلة لتفادي هذه السياسة النكراء إلا بالاعتراض والاستنكار بل وبالانقلاب المسلح الكاسح.

إن أفكار أنصار الامام والمخلصين لمبادئه كانت تستجيب لهذه المشاعر المحمومة، والأحاسيس المتوترة إلا أن الظروف الموضوعية: السياسية والاجتماعية كانت تبعد عن تحقيق حلم الانقلاب المسلح، وكان هناك الامام الحسن عليه السلام يأمر هؤلاء الأنصار والمؤيدين لمبادئ الامام، والسائرين في خطه بالتريث والصبر، وعدم الاستجابة لهذه المؤثرات الحاكمة على الجو السياسي، ولهذه الضغوط التي تمارسها أجهزة الحكومة، وبالتالي عدم الانصياع للمشاعر المحمومة، والأحاسيس الهائجة.

إن كلمات الوالي هجاءاً أو مديحاً كانت بمثابة ميسم ملتهب يسم قلوب أصحاب الامام، وحواريه، فتلسع القلوب، وتثور المشاعر المكبوتة، والأحاسيس الجريحة.

فالخطة التي يجب أن يتخذها شيعة الامام ما هي خطوطها؟ هل يقومون بانقلاب مسلح، وحركة عسكرية، والامام الحسن عليه السلام قد دفع هذا الاحتمال، وأمر بالتريث والصبر أو أن الخطة الفضلى هي أن يرفع الصحب البواسل تارة عقيرتهم مستنكرين، ومعترضين، وشاجبين، وتارة يتخذوا أسلوب عدم التعامل مع الوالي، فلا يحضرون المهرجانات التي يقيمها الوالي، ولا صلاة الجمعة، ولا صلوات الأعياد التي تقام جماعة كصلاة عيد الفطر أو صلاة عيد الأضحى المبارك، وبالتالي يقاطعون الوالي في كل شأن من شؤنه الاجتماعية والسياسية.

إن الخطة الثانية وجدت آذاناً صاغية، وإستجابة أكيدة، وفي خلال

أسابيع شعر الوالي الجديد أن شيعة الامام بدأوا في تنفيذ هذه الخطة الثانية أو قل خطة الاستنكار السلبي، فكان الوالي يرى أن زعماء البلدة من شيعة الامام وهم: حجر بن عدي، وسليمان بن صرد، وعمرو بن الحمق، وغيرهم لا يحضرون صلاة الجمعة، والجماعة، ولا يبدون تجاهه أي إهتمام أو التفات، ولا يرتادون مجلسه العامر بالسباب والشتيمة لولي الله الأعظم، وللساثرين على نهجه.

ثم إن الوالي شاهد أن الكثير من أفراد الشعب تطفق يقاطع مهرجاناته العامة، والمراسيم العبادية العامة أيضاً والتي كان الوالي يرأسها اقتداءً بالزعماء، وتعاطفاً بمقاطعتهم السلبي، وليس الزعماء من شيعة الامام اتخذوا هذا الأسلوب في المقاطعة والاستنكار على الحكومة فحسب بل إن المذاهب التي لم تكن لتلتقي بالامام أيضاً سارت متعاطفة مع زعماء الشيعة، فاستنكرت على الحكومة، وقاطعت مراسيمها الرسمية، والعامة، فنجد أن ابن الكوا - وهو من الخوارج - تعاطف مع حجر بن عدي، وقاطع الحكومة تماماً كما قاطعها زياد بن أبيه، وشبث بن ربعي

إذن إن حركة الاستنكار والاعتراض على الحكومة، وعلى ممارساتها السياسية والاعلامية الحاقدة قد اتخذ طابعاً عاماً كاد يسود البلدة من أقصاها إلى أقصاها، فكان الوالي لا يشاهد في هذه المراسيم الرسمية أحداً سوى موظفي الدولة، والجنود والشرطة، ومن يسير في ركب الحكومة، ولقد روعت هذه الظاهرة الوالي حيث إنها تعتبر نكسة سياسية وبالتالي سيكون لهذه الحركة السلبية نتائجها المثيرة إن لم يتخذ الاجراءات الحاسمة.

ويبدو أن الوالي كان مزاجه، وقد شاب قذاله غير مستعد للاستجابة للاجراءات الحاسمة الأمر الذي راح يترث، ويحاول إتخاذ أسلوب اللين تجاه زعماء الحركة السلبية، ولكن جواسيس معاوية لم يكن لهم ذلك المزاج المترث، فكتبوا التقارير عن الأوضاع المتوترة، ورفعوها إلى القصر، وأكبر

الظن أن الوالي أيضاً كتب تقريراً عن الحركة السلبية وزعمائها في قاعدة ولايته، ورفع التقرير إلى صاحب القصر، وما هي إلا أن مرت أسابيع حتى وصلت إلى الوالي رسالة من معاوية تفرض عليه أن يجبر الزعماء :

حجر بن عدي، وسليمان بن صرد، وعمرو بن الحمق، وشيث بن ربعي، وابن الكوا بالصلاة في الجماعة<sup>(١)</sup>.

وهذه الرسالة الجأت الوالي أن يمارس ضد الزعماء ضغوطه المختلفة، واضطر الزعماء أن يستجيبوا لهذه الضغوط من قبل الحكومة .

حضر حجر بن عدي، وبقية الزعماء صلاة الجمعة، وكان حجر بن عدي من أكثر الزعماء شعبية، ومن أشدهم ولاءً للامام، وإقتداءً بتعاليمه، وفي نفس الوقت كانت خطبة الوالي تجرح مشاعره، وتكوى نفسه، ويستشعر أن كلمات الوالي في مجالي الشتم والتقريظ كأنها سياط لاذعة تلذع ظهره بل وتلذع شخصيته، وتلذع دينه، ومبادئه، وتلذع جهود رسول الله، والامام عبر أعوام طويلة مفعمة بالدعوة والكفاح والجهاد، ومليئة بالجهود في مجال التربية والتعليم .

نعم أن كلمات الوالي كانت بمثابة السياط اللذاعة، فكان حجر بن عدي، وهو الناطق باسم الزعماء، وأشرف البلدة القائد الذي يقود المسيرة الإسلامية، والجماهيرية .

إن حجر بن عدي الذي تربى في مدرسة الامام، وارتوى من ذلك المنهل العذب، وتشبعت نفسه بحماس الامام، وفروسيته الفذة .

إن حجر بن عدي الذي أصغى كثيراً إلى خطابات الامام القيمة في نفس هذا المسجد الأعظم، وعلى نفس هذا المنبر، وعلى نفس هذه الجماهير، وتشربت نفسه من تلك الروحانية النيرة والشديدة .

إن حجر بن عدي الذي أحب الامام الحب العظيم والطافح ، والذي لا حد له ، وأدرك بعض جوانب شخصية الامام عليه السلام مما أثار إعجابه وإكباره ، وتقديره العظيم .

إن حجر بن عدي ، وهو على هذا المستوى من المعرفة العميقة بسيدته وإمامه هل يستطيع أن يصغي إلى رجل يخطب في رحاب المسجد ، وفي الصلاة والعبادة ، وعلى المنبر يتناول الامام بالذم والسباب ، ويطري أعداء الامام ، وأعداء مسيرته؟ هل يستطيع حجر بن عدي رضوان الله عليه أن يسكت ويصغي إلى ذلك الرجل يقول ما يحلوه ، ويملي على الناس ما تفرضه السياسة المتجنية؟ كلا .

إن حجر بن عدي ، ومن موقع المسؤولية لا يستطيع أن يسكت ويتفرج على هذه المسرحية التراجيدية بل أمّا أن يقوم بانتفاضة مسلحة ، وقد منع من هذا الاتجاه الدامي ، وأمّا أن يقوم بثورة كلامية تصد الخطيب من الهذر في الكلام ، والتجني على ولي الله عليه السلام ، ومن هذا المنطلق كان حجر بن عدي إذا حضر مضطراً إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة ، وقام الوالي خطيباً ، وبلغ في كلامه إلى الذم والسب وفقاً للمادة الأولى ، وإلى المديح والاطراء وفقاً للمادة الثانية استجاشت نفسه ، وامتألت شعوراً بالمرارة والألم ، وتأججت مشاعره وأحاسيسه ، والتهمت فينهض في شجاعة وبسالة ويصرخ في وجه الخطيب الحقيق في صوت جهوري ويقول :

«بل إياكم فذمم الله ولعن . إن الله عزوجل يقول : ﴿كونوا قوامين بالقسط شهداء لله﴾ وأنا أشهد أن من تدمون وتعيرون لأحق بالفضل ، وإن من تزكون وتطرون أولى بالدم» .

فيقول المغيرة مهدداً : «يا حجر لقد رمى بسهمك إذ كنت أنا الوالي عليك ، يا حجر ويحك اتق السلطان ، اتق غضبه وسطوته ، فإن غضبه

السلطان أحياناً مما يهلك أمثالك كثيراً»<sup>(١)</sup>.

ولكن حجر بن عدي كان يخاف سلطان الله سبحانه أكثر من سلطان الناس الزائف الذي ينهار بين عشية وضحاها، وكان يمارس حجر هذا الاحتجاج ضد الخطيب أمام الحشود المحتشدة من المؤمنين والمسلمين، وكان لصوته صدهاء الكبير في قلوب المؤمنين المتألّمة، والمكلومة، فكان صوته المجلجل له أكبر الأثر، وأبلغ الارتياح، وكان في نفس الوقت متنفساً رحيباً عن اللواعج والأشجان، وهو دفاع عن إمام الأمة قبال القول المنكر، وسار حجر بن عدي في احتجاجه، وإستنكاره ضد السياسة الحاكمة على هذا المنوال، فكان يحضر المسجد، وربما غاب عن صلاة الجمعة والمهرجانات العبادية التي حولتها السياسة الموبوءة، والغاشمة إلى مهرجانات الدعاية والاعلام ضد أولياء الله وأحبائه، وفي صالح القتلة والمسرفين.

أقول ربما غاب حجر بن عدي عن صلاة الجمعة لثلاً يستمع إلى الأقوال المنكرة.

وبعد أعوام من ولاية ابن شعبة على بلدة الكوفة، وفي نهاية حياته أرتاد حجر بن عدي المسجد لأداء صلاة الجمعة، وحينما تسامع الناس بوصول حجر إلى المسجد شاع فيهم فرحة غامرة، واستقبله المؤمنون بالترحاب، وإن كان هناك البعض قد توجسوا خيفة، فلم يتظاهروا بفرحة أو يتحركوا لاستقبال حجر بن عدي شيخ أصحاب الامام.

اتخذ حجر بن عدي مكانه في وسط صفوف المصلين، وحاول حجر أن يتعد عن المنبر، ويجلس في مؤخرة الناس، وكان حديث الناس آنئذٍ حديث الاقتصاد، والحصار الاقتصادي الذي تمارسه الحكومة ضد أهل

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٢٥٤، الأغاني ١٦ : ٢، طبعة بولاق



البلدة محاولة منها لاذلال أهل البلدة، وامعاناً منها في الضغط على أهلها .  
 إن الضغوط الاقتصادية لها دورها الكبير في إثارة أحاسيس الاستياء،  
 ومشاعر الانتفاضة، وليس كل الناس يستطيعون أن يصبروا على مثل هذه  
 الضغوط التي ترتبط بحياتهم، وبمعاشهم، وبشؤونهم العائلية، وترتبط بأهم  
 شيء إليهم، وهو التموين الغذائي .

إذن الناس لو صبروا على منغصات الحياة أو أحداثها وخطوبها، فإن  
 المسألة الاقتصادية لا يمكن الصبر عليها طويلاً، ومن هذا المنطلق طفقت  
 الطبقة الشعبية المستضعفة في الأندية والمساجد تبدي إستيائها من تصرفات  
 الحكومة، وكان المحرومون يستنجدون بحجر بن عدي أن يجد حلاً لهذه  
 المشكلة المصطنعة التي تمارسها الحكومة إنطلاقاً من برامجها التعسفية ضد  
 الطبقة المحرومة الموالية لمبادئ الامام أمير المؤمنين عليه السلام .

ارتاد حجر بن عدي المسجد، وصعد الوالي الخطيب على المنبر،  
 وشرع يكرر المكررات، ويدور عوداً وبدءاً وفقاً للمواد المرسومة، فسب  
 وشتيمة، ثم مديح وإطراء، وإستنزال الرحمة والغفران، وبعد ذلك النعي  
 على الذين يطالبون بحق الحياة، وحق التنفس، وحق الحرية، ويطالبون  
 بأكبر من ذلك، يطالبون بالرغيف . إن الخطيب المأجور أشاع السُم  
 والارهاق في صفوف المصلين تماماً كما أشاع التذمر المكبوت، وكان  
 الجالسون بجانب حجر بن عدي التفتوا إليه، فإذا هو لا يكاد يستقر في مكانه  
 كأنه جالس على صخرة ملتهبة .

إن سب الخطيب لولي الله الأعظم عليه السلام ثم تطرقه لمواضيع لا  
 تمت إلى الواقع الاجتماعي السيء بصلة أثارت في نفس حجر بن عدي لهيباً  
 ساطع الاوار، وأججت في كيانه مشاعر السخط الذي ما بعده سخط، وفي  
 لحظة الانفجار صرخ حجر بن عدي صرخة دوت لها أرجاء المسجد،  
 وانطلقت إلى خارج المسجد الأعظم تحمل إلى الناس دوي الانفجار، ومد

٢٤٤ ..... موسوعة أمير المؤمنين عليه السلام / ج ٢

الناس أعناقهم من كل جانب ليشاهدوا بطل الانتفاضة قائماً قد أحمرت وجتاه غضباً، وأحمرت عيناه أسىً والماء، وهو يتكلم كأنه بركان نار تقذف بحممها على رأس الطواغيت، لقد سمع الشعب آنثد كلام حجر بن عدي يقول للمخطيب الشّام:

«إنك لا تدري بمن تولع من هرمك . أيها الانسان مر لنا بأرزاقنا، واعطياتنا، فإنك قد حبستها عنا، وليس ذلك لك، ولم يكن يطمع في ذلك من كان قبلك، وقد أصبحت مولعاً بدم أمير المؤمنين، وتقريظ المجرمين»<sup>(١)</sup>.

وما أن تلفظ حجر بن عدي كلمة الأرزاق، واستعرض قضية الحصار الاقتصادي الذي يمارسه عدو الشعب والجماهير حتى هبت الحشود المحتشدة من المحرومين والمستضعفين في وجه الطاغية الصغير تؤيد وجهة نظر حجر بن عدي وتقول:

«صدق والله حجر وبر، مر لنا بأرزاقنا وأعطياتنا، فإننا لا ننتفع بقولك هذا، ولا يجدي علينا شيئاً».

دوت أرجاء المسجد بهذه الاحتجاجات وأشباهاها مدينة الحكومة وتصرفاتها المستهدفة للتجويع والافقار، وكادت الجماهير المحتشدة والغاضبة أن تبطش بالوالي لولا أن الجنود والشرطة حالوا دون وقوع كارثة على الوالي بل أن الوالي بادر ونزل من على المنصة، وهرب إلى قصره محاطاً بحرسه وشرطته، وطاردت الحشود الغاضبة الوالي علها أن تظفر به وبحياته إلا أن الوالي الخائف الهلع ما أن بلغ القصر حتى أمر بغلاق أبواب القصر في وجه المتظاهرين.

إن هذه الانتفاضة القائمة على المطالب الحق والملموسة في الوسط

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٢٥٤ ، الأغاني ١٦ : ٢ .

الاجتماعي كانت بمثابة التنفيس عن المشاعر الجماهيرية المكبوتة، وكانت منطلقاً للتعبير عن الأوضاع الاجتماعية المتردية، وفي نفس الوقت منطلقاً للتعبير عن حديث النفوس.

يقول الطبري وهو يستعرض هذه الانتفاضة الشعبية:

«إن أكثر من ثلثي الناس قاموا مع حجر بن عدي»<sup>(١)</sup>.

ويعني هذا أن الطبقة المترفة والثرية والمالية للسلطة من موظفين وجنود وغيرهما من المنتفعين لم يناصروا حجر بن عدي بل أن التي ناصرت حجر بن عدي كانت هي الطبقة المثقفة والمؤمنة والمستضعفة.

إن هذه الطبقة هي التي تؤمن بشرعية الانتفاضة، وتناصرها بقوة لأن هذه الجماهير هي التي تلمس أبعاد الحصار الاقتصادي، وهي التي تحس بمظالم الحكومة، ولأن هذه الجماهير هي التي تصب الحكومة عليها جام غضبها، وتذيقها أنواع الخطوب والآلام. أما عليّة الناس والسائرون في رحاب الحكومة فإنها لا تكاد تشعر بعدوان الطواغيت.

وحينما دخل الوالي القصر وتفرق الناس، وهدأت الأوضاع، وأقبل الليل خرج المنافقون والوصوليون والمتزلفون إلى الحكومة، وأقرباء الوالي من جحورهم وتحت ستار الليل أقبلوا الواحد تلو الآخر، ودخلوا القصر، وأجتمعوا بالوالي، وقالوا له:

«علام تترك هذا الرجل يقول هذه المقالة، ويجترئ عليك في سلطانك هذه الجرأة. أنك تجمع على نفسك بهذا خصلتين: أما أولهما فتهاوين سلطانك، وأما الاخرى فإن ذلك إن بلغ معاوية كان أسخط له عليه».

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٢٥٤، الأغاني ١٦ : ٢، وفيه: أن أكثر من ثلاثين رجلاً قاموا مع حجر بن عدي وهو تحريف ظاهر.

فقال لهم المغيرة: إني قد قتلته، إنه سيأتي أمير بعدي فيحسبه مثلي، فيصنع به شبيهاً بما ترونه يصنع بي، فيأخذه عند أول وهلة، فيقتله شرّ قتله. إنه قد اقترب أجلي، وضعف عملي، ولا أحب أن ابتدئ أهل هذا المصر بقتل خيارهم، وسفك دمائهم، فيسعدوا بذلك، وأشقى ويعز في الدنيا معاوية، وبذل يوم القيامة المغيرة... (١).

وفي ذات يوم وصلت المغيرة والي البلدة رسالة من معاوية فيفضها الوالي مبتهجاً ومتوجساً، مبتهجاً لأنه كان يتربح أن يزيد معاوية في سلطانه أوجاهه وصيته، ومتوجساً لأنه كان قلقاً من حركة المعارضة، لقد فض الوالي الرسالة، فإذا فيها: «إني قد احتجت إلى مال، فأمدني بالمال».

كانت البلدة آنثد تعيش ضائقة إقتصادية، كان الوالي يحارب الشعب في موارده الاقتصادية، وكان يدبر لهذا اليوم، فكان يجمع الأموال من نقود فضة وذهب، ومن طعام حنطة وشعير وتمور إلى ما هنالك من موارد الحكومة من الشعب، وكان الوالي لا يدع هذه الأموال أن تقسم على أبناء الشعب أو تتسرب إلى الأسواق لكي تنمو الحركة الاقتصادية في السواد، وذلك وفقاً لسياسة الحكومة وبرنامجهما في الحصار الاقتصادي ضد الشعب.

كان الشعب قد أدرك هذه الحقيقة المرة، فكان يحاول أن يجد متنفساً من برنامج الحكومة التعسفي، وسياستها الجشعة، وهذه الرسالة حينما وصلت إلى الوالي طفق يلبي طلبات صاحب القصر، فيجمع الأموال إضافة إلى الأموال المتكدسة عنده على أنواعها، وألوانها من القرى والأرياف القريبة والبعيدة، ويكدسها في خزائن الحكومة، وكل هذا كان يجري في سرية تامة عن الشعب، وعن زعيم المعارضة حجر بن عدي حتى إذا تم له كل شيء، ولم يشعر بتحركاته أحد من أفراد الشعب، هيّا العشرات من الأبل

القوية، وحملها هذه الأموال التي كان الشعب بامس الحاجة إليها بل وأكثر من صاحب القصر تلهفاً وإحتياجاً، وكان الوالي مغتبطاً، ومرتاحاً فرحاً على عمله وجهوده المكتومة والتي كانت ولا تزال سرّاً عنده وعند الموظفين في الحكومة .

وفي غفلة من الناس أصدر أوامره إلى رئيس العير بالتحرك إلى دمشق، ولكن الله سبحانه هو ألطف بعباده من دسائس السياسيين أن يصادروهم في غذائهم وطعامهم وحياتهم التموينية، لقد وصلت الأنباء إلى زعيم المعارضة حجر بن عدي عن القطار المحمل بأموال الشعب، وأن القطار لهو على أهبة الاستعداد لمغادرة البلد، وأرشد على مكان تواجد القطار، فبادر حجر بن عدي مع جماعة من أصحابه وتبعهم جمهور الشعب، وقد ذاع بينهم قضية القطار المحمل بالأموال، فساروا في مظاهرة صاخبة وراء حجر بن عدي الزعيم المحنك، وهناك وفي ناحية من البلدة شاهدوا العشرات من الابل المحملة بالأموال هي على وشك الانطلاق بل كانت قد فصلت وسارت مبعدة عن البلدة، مغذة السير، فأسرع ابن عدي حتى أمسك بزمام القطار، وحبس العير، وهتف في صوته الأجنح الشجاع بوالي البلد:

«والله لا تذهب حتى تعطي كل ذي حق حقه»، ولم يصبر حجر بن عدي على إستجابة الحكومة لندائه بل طفق هو وأصحابه يفرقون الأموال بين الشعب بصورة منتظمة، فسادت الأفراح والابتهاجات في صفوف الناس، وخاصة المستضعفين والمتعطفين من أفراد الشعب.

وبلغت سيطرة حجر بن عدي وأصحابه على العير، وإنكشاف مخططات الوالي وموظفي الحكومة إلى المغيرة بن شعبة فساءه كثيراً، وهرع إليه زبانية الحكومة من ثقيف تعرض له بحماس تفانيها وإخلاصها وإستعدادها لخوض معركة مع حجر بن عدي وجيشه الجماهيري ثم تحمل إليه رأس حجر بن عدي، ولكن الوالي لم يشأ أن يزيد في الطين بلّة،

ويضيف إلى الفضيحة الاقتصادية والسياسية، فضائح أخرى، ومسبات أخرى، فشكر زمته وقال: «ما كنت لأقتل حجراً أبداً».

وفي سنة ٤٩ كان الطاعون قد اجتاح الكوفة، فهرب منها الوالي المغيرة بن شعبة ثم عاد إليها، فطعن أي أصابه الطاعون، فمات الطاعون من الطاعون.

وفي لحظة دفن المغيرة بن شعبة مر عليه أعرابي فقال:

ارسم ديار للمغيرة تعرف عليها دوي الانس والجن تعترف

فإن كنت قد لاقيت هامان بعدنا وفرعون فاعلم أن ذا العرش منصف<sup>(١)</sup>

وبعد عشرة أعوام من الحكم التعسفي هلك الوالي، وكانت البصرة

آنئذ يحكمها زياد بن أبيه، وكان زياد في عهد خلافة الامام عليّ

عليه السلام في كادر الخلافة والياً على فارس، وكان يعتبر من الموالين

للامام عليه السلام آنئذ بل وأن زياداً هذا بعد إستشهاد الامام ارتاد الكوفة

معارضاً لأنصار الامام وأصحابه الطيبين، وبتناضل ضد الحكومة، ويشجب

ممارساتها التعسفية بل وقد رأينا ابن أبيه هذا مع حجر بن عدي

رضوان الله عليه، وجماعة من زعماء الكوفة قاطعوا مهرجانات الوالي،

واقطعوا صلاة الجمعة التي يقيمها الوالي تماماً كما أن ابن أبيه أبدى إستيائه

من الحكومة من خلال مقاطعته الصامتة، وكان واحداً ممن فرض عليه معاوية

من خلال رسالته إلى المغيرة أن يحضر الصلاة مع الوالي، ولا يظهر عداة

من خلال تصرفاته هذه، ورأينا أن زياد بن أبيه، وحجر بن عدي، وسليمان

بن سرد، وعمرو بن الحمق، وغيرهم اضطروا أن يحضروا المهرجانات

الرسمية، وكانت صلاة الجمعة تعتبر إحدى المهرجانات الرسمية للحكومة،

ولكنها كانت مفرغة تماماً من مضمونها الكريم والعظيم، مضمون العبادة

(١) مروح الذهب ٣ - ٣٣، تحقيق عبدالحميد.

والالتجاء إلى الله تعالى عن إخلاص وتعبد.

إن زياداً هذا، ومن منطلق شهواته وحبه للدنيا استطاع معاوية أن يجرفه في تياره<sup>(١)</sup>، ويحمله إلى جانبه ثم يمنحه منصب ولاية البصرة، ويوليه عليها ثم وبعد وفاة والي الكوفة جمعت الكوفة والبصرة لزياد بن أبيه، وكان زياد على علم مسبق عن إتجاهات الكوفة، وعن صراعاتها ضد الحكومة، وعن زعامة حجر بن عدي التي استقطبت الشعب في العراق، وكان على علم بدخائل الكوفة ونواياها. أليس كان يوماً من الأيام صديقاً لأنصار الامام، وحفيماً بحجر بن عدي؟

إذن الوالي الجديد كان قد اشترك في وقت سابق في الانتفاضة الصامتة ضد الحكومة تماماً كما عاضد أنصار الامام بل وكان الناس ينظرون إليه على أنه واحد من أصحاب الامام وواحد من كبار مسؤولي الدولة، ومن المنطلقات هذه دخل زياد بن أبيه الوالي الجديد الكوفة مسافراً إليها من البصرة، وخطب الناس وقال:

«أما بعد، فإننا قد جربنا وجربنا، وسنا وساسنا السائسون، فوجدنا هذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلح أوله بالطاعة اللينة المشبه سرها بعلانياتها، وغيب أهلها بشاهدتهم، وقلوبهم بألسنتهم، ووجدنا الناس لا يصلحهم إلا لين في غير ضعف، وشدة في غير عنف، وإني والله لا أقوم فيكم بأمر إلا أمضيته على أذلاله، وليس من كذبة الشاهد عليها من الله والناس أكبر من كذبة إمام على المنبر».

وبعد هذه الخطبة التي رسم فيها الوالي الجديد خطته في الحكم، وجمع في خطابه إلى الناس الشدة باللين، والسيف مع باقة الورد.  
ثم أنه أقسم أنه سيطبق إنذاره بحذافيره، وأنه لا يكذب في رعوده،

(١) وفي الحديث: إن حب الدنيا رأس كل خطيئة.

وأنه ليست أكبر من كذبة الوالي على المنبر. ثم إن الوالي الجديد كان يعلم بالحركات النشطة في هذا المصير، وكان يعلم أن القائد الذي يقود الحركة الإسلامية ضد سياسة الدولة هو صديقه القديم حجر بن عدي الأمر الذي بادر وأرسل إلى حجر من يدعوه إلى دار الامارة، ولما حضر حجر استقبله زياد بحفاوة مشوبة ببعض تجهم ثم ألقى عليه ابن أبيه هذا الدرس وقال له:

«تعلم أنني أعرفك، وقد كنت أنا وإياك على ما قد علمت، وإنه قد جاء غير ذلك<sup>(١)</sup>، وإني أنشدك الله أن تقطر لي من دمك قطرة، فاستفرغه كله. أملك عليك لسانك، وليسعك منزلك، وهذا سريري فهو مجلسك، وحوائجك مقضية لدي، فأكفني نفسك، فأني أعرف عجلتك، فأنشدك الله يا أبا عبدالرحمن في نفسك، وإياك وهذه السفلة، وهؤلاء السفهاء أن يستزلوك عن رأيك، فإنك لو هنت علي أو أستخففت بحقك لم أخصك بهذا من نفسي»<sup>(٢)</sup>.

كان حجر بن عدي في خلال كلمات الوالي الجديد، الكلمات المشحونة بالاغراء بالمناصب، بالأموال، بالجاه العريض تماماً كما أنها مشحونة ببريق السيف، بالتهديد، بالارهاب، وهكذا ضمن الوالي الجديد كلامه بالوعد والوعيد، وبالاغراء، وبالتهديد، وكان الكلام صريحاً ليس فيه لف أو دوران، وليس على حجر بن عدي إلا أن يخلع مبادئه، وينسلخ من ماضيه المشرق، ويتغير ثم يعتنق مبادئ السياسة الجديدة، ويسير في ركاب الأمير حتى تغدق عليه الدنيا بكل ما يحلم به إنسان على وجه الأرض، وبكلمة إن يتغير حجر كما تغير صديقه زياد.

(١) ويشير ابن أبيه في كلامه هذا إلى أنه وحجراً كانا يعملان في كادر خلافة الامام، وإنيهما كانا يتعاطفان مع الامام، ولكن الدنيا قد تغيرت، والسياسة قد تبدلت، ومن هذا المنطلق جاء إنذاره. إن ابن أبيه كان رجل دنيا وتغيراتها، وكان حجر رجل عقيدة وثباتها.



أليس أن السياسة قد تغيرت؟ أليس أن المبادئ قد تغيرت؟ أليس أن السلطان قد تبدل؟ أليس أن الأهداف قد تغيرت .

إذن، فليتغير حجر كما تغير ابن أبيه، ولتكن المبادئ والعواطف كثوب يلبسه اليوم ثم يخلعه في غد أو يلبسه في مهرجان عيد ثم يخلعه في ماتم نواح، ويلبس ثوباً آخر، وهكذا عرض الوالي الجديد على حجر. ولكن هيهات لمثل حجر بن عدي بطل العقيدة والمبدأ أن يغيره الزمان أو تغيره السياسة ورجالها .

إن حجراً الذي تربى في مدرسة الامام واختلطت مبادئ تلك المدرسة بجوهر روحه، وبأصالة فكره وعقله لا يمكنه أن يتجرد من مبادئ تلك المدرسة إلا إذا استطاعت أن تتجرد روحه من جوهرها وكيانها، لقد اتخذت تلك الروح الكبيرة طابع تلك المدرسة، فليست المبادئ، وقيم العقيدة مثل ثوب يلبسه في يوم في ظل ظروف خاصة، ثم يخلع ذلك الثوب إذ تغيرت تلك الظروف، واستجدت ظروف أخرى .

إن الوالي الجديد يحاول من صديقه حجر بن عدي أن يداهن ويراوغ، ولكن حجراً له طابعه الفذ. إن جوهر شخصية حجر بن عدي يختلف عن جوهر شخصية زياد بن أبيه .

إن جوهر شخصية حجر قائم على الاخلاص والوفاء والتفاني في سبيل الامام ومبادئه أن حجراً سار على منهاج الامام في سني خلافة الامام ثم وبعد استشهاده الامام ظل وفياً ومخلصاً للامام ومنهاجه .

أما زياد بن أبيه فإنه كان مستعيراً للمنهاج الامام، فلما استشهد الامام وتبدلت الظروف السياسية تخلى عن ذلك المنهاج .

إذا رأينا ابن أبيه يتعاطف مع خلافة الامام، ويعمل في عهد الامام اميراً على فارس من جهة الامام ثم يعمل مساعداً في البصرة لواليتها من قبل الامام : عبدالله بن عباس، ونائباً له، وإذا رأينا أن الشعب كان ينظر إلى ابن

أبيه في عهد الامام على أنه واحد من المسؤولين، إذا رأينا هذا كله من ابن أبيه فإن ابن أبيه كان يلعب دوره في ذلك العهد أي أنّ الأجواء السياسية العادلة التي كانت سائدة في عهد الامام جعلت من ابن أبيه واحداً من السائرين في خط الامام، إنّ ابن أبيه لم يخلص للدولة الامام، ولم يعتنق مبادئها عن حب، ومن هذا المنطلق نجد أنّ ابن أبيه ينحرف عن خط الامام في عهد الامام فيرسل له الامام رسالة يهدده فيها في لهجة شديدة يقول عليه السلام:

«وإني أقسم بالله قسماً صادقاً لئن بلغني أنك خنت من فيّ المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً لأشدنّ عليك شدة تدعك قليل الوفرة، ثقيل الظهر، ضئيل الأمر. والسلام»<sup>(١)</sup>.

إنّ ابن أبيه كان مستعيراً لهذه المبادئ، مبادئ الامام، وامتظاهراً بالحب والاخلاص، فلما أن استشهد الامام، وظهرت في الأفق سياسة مضادة لتلك المبادئ الرائدة خلع ابن أبيه رداءه، ولبس رداء السياسة الراهنة. إنّ جوهر شخصية ابن أبيه كانت تلائم سياسة البطش والقسوة والدم والحديد والنار، سياسة الارهاب. أي أنّ جوهر شخصية ابن أبيه كان مطبوعاً بطابع السياسة الراهنة، ولم يكن جوهر شخصيته ليلائم سيرة الامام، فإذا ما فرض ابن أبيه على نفسه أن يلائم بين عواطف نفسه وميولها وبين سياسة الامام وسيرته ومبادئه، فإنه لم يستطع أن يوفق في مواصلة المسيرة إلى نهاية الخط بل انحرف، وانحرف، وبلغ إنحرافه هذا إلى الامام مما دعا الامام أن يبادره بكتاب يقومه، ويسد عليه طريق الانحراف.

وحيثما تولى ابن أبيه في حكومة معاوية إمارة السواد ظهرت تلك الميول الدموية صريحة لا يسترها شيء حيث كانت الساحة ساحة تملئ

(١) مصادر نهج البلاغة ٣: ٢٤٢، كتاب رقم: ٢٠.

ممارسة مثل هذه الميول في حرية وبدون رادع أو حرج .

إذن هناك إختلافات جذرية بين شخصية حجر بن عدي ، وزياد بن أبيه ، فإن الأول أخلص للامام ووفى بالعهد، وسار على الخط حتى اللحظة الأخيرة من حياته، والثاني تظاهر بالحب والاخلاص، فلما تغيرت الساحة السياسية ظهرت الميول الدموية، والعواطف القاسية بصورة بشعة .

أما مسابرة لحجر في عهد المغيرة، فإنه كان يحاول أن يلقي بنفسه في الساحة حتى ترهبه الحكومة، وتضمه إلى جانبها، ولم يكن حليفاً مخلصاً لحجر بل كانت له نوايا خبيثة أستطاع أن يتوصل إليها . ومن يدري أنه لم يكن جاسوساً للحكومة يتظاهر بالتحالف مع حجر؟

ومن خلال هاتين الصورتين عن حجر، وزياد نستطيع أن نحكم على ابن أبيه بأنه سيفشل في محاولته أن يجر حجر بن عدي إلى السير في ركاب السياسة القائمة، وإن كلماته التي ألقاها على حجر والتي تضمنت بالارهاب والاغراء لم تكن بالنسبة لحجر سوى ظهور نفسية ابن أبيه على حقيقتها المخيفة بعد ان كانت هذه النفس وميولها مخفية عن أعين الناس، وعن أعين الأصدقاء والأصحاب على السواء، ومستورة بستر مصطنع .

وبعد أن أصغى حجر بن عدي إلى كلمة ابن أبيه لم يبدي حجر أي

رد فعل بل قال في هدوء : «قد فهمت» .

ثم خرج حجر من دار الامارة إلى داره، وكان الناس وأصدقاء حجر قد تسامعوا عن إجتماع حجر وابن أبيه، فكان الأصدقاء يترقبون عما سيسفر هذا اللقاء، وحينما عاد حجر إلى داره ارتاد الأصدقاء في لهفة دار حجر وسألوه عما دار بينه وبين الأمير، فسرده حجر على مسامع الأصدقاء مواد كلمات الوالي، فقالوا مستنكرين : «ما نصح لك» .

ثم ان حجر بن عدي طفقت الجماهير ترتاد داره، وتحتة على المبادرة لاستئصال شأفة الظالمين، والتحرك في وجه الطاغية الجديد، وكانوا يقولون

له في لهجة عاتبة: «إنك شيخنا وأحقّ الناس بإنكار هذا الأمر»<sup>(١)</sup>.  
وكان حجر بن عدي يفكر في كلمات الوالي، وكان يودّ لو أن الوالي  
زيد ترك السياسة الاعلامية التي تثير في نفوس الناس مشاعر الألم،  
وأحاسيس التذمر، وكان حجر بن عدي يفكر كثيراً: أليس الوالي هذا كان  
حسب الظاهر من أنصار الامام ومن عماله؟  
إذن فليكن تحركه السياسي أرحب ساحة، وأبعد مجالاً، وربما كان  
حجر يتفوّه بإتجاهاته الفكرية.

وكان الوالي قد أرصد العيون والجواسيس على تحركات حجر بن  
عدي وتعاليمه لأصحابه، فكان العيون يرفعون التقارير إليه عن كل كلمة  
يتفوه بها حجر أو أية حركة يقوم بها، فحينما رأى الوالي أن حجراً لا يزال يسير  
في نفس الهدف، وإن الجماهير المؤمنة لا تزال تحف به، وتسترشد بآرائه،  
وتدعوه للنهضة أرسل إلى حجر وقال له:

«قد بلغني ما كنت تفعله بالمغيرة فيحتمله منك، وإنني والله لا  
احتملك على مثل ذلك أبداً. أرايت ما كنت تعرفني به من حب علي وودّه،  
فإن الله قد سلخه من صدري فصيره بغضاً وعداوة، وما كنت تعرفني به من  
بغض معاوية وعداوته، فإن الله قد سلخه من صدري وحوله حباً ومودة».

لقد أسلفنا القول أن زياداً لم يحب الامام حباً مبدئياً عميقاً بل أنه سار  
مع تيار الخلافة عندما كانت مطامحه تجد مجالاً للعمل والتقدم، فأما بعد أن  
استشهد الامام وأصبحت الدنيا بيد خصوم الامام، فإن زياداً أبى على  
السياسة الجدد إنطلاقاً من مناورات سياسية، ولكن وبعد حين عندما اطمأن  
على سلامة طموحاته بل وأكثر طفق يؤيد السياسة الجدد.

إذن لم يكن هناك حب حتى يرتفع، ولا بغض حتى يغيض بل هي

الشهوات الشخصية هي التي كانت تملي إنتقالات زياد، ولقد قلنا إن جوهر نفسية زياد كان يميل إلى الشر.

كان ابن أبيه مطاطاً الرأس ثم رفع رأسه وأضاف قائلاً: «واني أخوك الذي تعهد إذا أتيتني وأنا جالس للناس، فأجلس معي على مجلسي، وإذا أتيت ولم أجلس للناس، فأجلس حتى أخرج إليك، ولك عندي في كل يوم حاجتان حاجة غدوة، وحاجة عشية. إنك إن تستقم تسلم لك دنيك ودينك، وإن تأخذ يميناً وشمالاً تهلك نفسك، وتشط عندي دمك، واني لا أحب التنكيل قبل التقدمة، ولا آخذ بغير حجة».

فقال حجر بن عدي: «لن يرى الأمير مني الا ما يحب، وقد نصح، وأنا قابل نصيحته»<sup>(١)</sup>.

وهذا اللقاء أيضاً مزج الوالي بين الاغراء وبين الارهاب، مزج بين السم وبين العسل، بين أن يسير حجر في سبيل دنيا ينالها، ومجد عريض يخب فيه، وشهرة متألفة على إمتداد البلاد يظفر بها ثم وجاهة عند الناس حيث سيحول الوالي قنال قضاء المآرب إلى حجر، فيكون الوسيط بين الحكومة على مستوى عال وبين الناس، لقد خيرته السياسة الأرهابية بين هذا المجد المزيف، وبين معاناة السجون، ومعاناة النفي والابعاد والتجهم والحرمان بل والقتل.

ولا أخال أن حجر بن عدي لو تنازل للسياسة الراهنة عن كل مبادئه ومعتقداته الاسلامية، لو تنازل عن قيادته المناوئة للحكومة إلى قيادة تسير وفق متطلبات السياسة الراهنة، لو أن حجر بن عدي على فرض المحال انسلخ عن ماضيه المضي، وأرتدى الحاضر على علّاته، لو أن حجراً فعل هذا لما تركته السياسة التعسفية الحاكمة بل ولما تركه زياد أن يتحرك بحرية

(١) أعيان الشيعة ٢٠: ١٧٥.

بل إن سياسة الدولة كانت تريد من حجر أن يتخلى عن كل شيء من مبادئ وقيم، ومن ماضي مجيد، فإذا ما تخلى عن كل شيء وألقاه خلف ظهره، وعرف الناس ذلك عنه، وعرفوا خيانتة وتجهمه لماضيه، ولمبادئه، ولمدرسته التي تخرج منها عند ذلك، عندما تسود صحيفة حجر بن عدي عند الناس فلا يكون له هناك شفيح، ولا عاذر عندئذ تدبر الحكومة ضده بعض القضايا الملفقة ثم تقضي عليه قضاءً تاماً، وتتخلص منه على أهون سبيل، ولكن حجراً رجل العقيدة والمبدأ، وبطل النضال والثقافة والوعي.

كانت أصوله الكريمة، كانت دروسه عند الامام، كانت المبادئ والتعاليم التي اقتبسها من الامام والتي اختلطت بدمه ولحمه وعظمه، وعجنت بفكره وعقله وتحركه، إن كل هذه القيم كانت تأبى عليه أن ينحرف مع التيار الطاغوي بل وقف موقف الابطال الافذاذ، أبطال العقيدة والجهاد، ولا تزال مواقف حجر بن عدي الرائدة هي التي تكشف لنا عن أساليب السياسة الملتوية لمعاوية.

إن حجراً ومواقفه تعتبر من معالم الطريق لدراسة التاريخ في هذه الحقبة.

ويا ترى لو لم تكن نضالات حجر، وأمثال حجر من خريجي مدرسة الامام؟ يا ترى لو لم تكن مواقف حجر وأمثال حجر من أنصار الامام، المواقف الاسلامية الحاسمة الفذة؟ يا ترى لو لم تكن تلك المواقف فمن أين كان الناس وعبر الاجيال يعرفون سياسة معاوية خاصة، والسياسة الأموية عامة، السياسة الملتوية والمبرقعة بألف برقع، والمتحصنة خلف ستار الاسلام، وهي السياسة المخاصمة للاسلام، ولقيمه ومبادئه.

فمن أين كان الناس وعبر التاريخ يعلمون الحقائق الحمراء الصارخة، والاعلام السياسي المستمر والمدوي ينث السورم في القلوب والعقول، ورغم مواقف حجر وأنصار حجر بل ورغم المدد التي أحرأها معاوية في

صفين أنهرأ، وشقه عصى الاسلام، وخروجه على الامام رغم كل هذا فلا يزال بعض المشفقين إذا ذكر هذا الاسم القدر: معاوية يترضى عليه، فكيف لو ان حجراً، وأنصار الامام المخلصين الذين نذروا حياتهم للامام، ومبادئه الوضائة القوا القيادة للحكام وزمرتهم الموبوءة، وسالموهم وساروا وفقاً لخططهم الجهنمية إذن لذهب الخير كله، وطفى الشر جميعه، ولكن الله سبحانه وتعالى يأبى ضلال البشر وارتكاسهم في حمئة السياسة الغير المسؤولة، فلا بد أن يظهر من حين إلى حين علماء من أعلام الاسلام، وعبداً من عباد الله الصالحين، فيضي الطريق أمام الناس، ويشير التساؤلات حول السياسات الملتوية، والسياسيين المنحرفين المغيرين لشريعة الله باسم الاسلام لصالح شهواتهم وأهواءهم المتقلبة والممتدة.

وسيبعث الله تعالى الزعيم القائد من آل محمد صلوات الله عليهم، فيملا الكرة الأرضية عدلاً وخيراً ونوراً بعدما امتلأت ظلماً وجوراً، وشرأ وظلاماً.

وكان حجر بن عدي يداري الوالي ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ولكن حجراً شاهد أن الوالي طفق يشيع الخوف والهلع في صفوف الناس، وطفق يظلم الناس بغير الحق بل وامتدت يده إلى الشريعة الاسلامية، فعمل على تهوين شأنها والخروج من حدودها المرسومة، ففي ذات يوم من أيام الجمعة اجتمع الناس في المسجد الكبير لأداء صلاة الجمعة، وكان حجر آنثذ له الزعامة على القاعدة العريضة من الجماهير، وحضر حجر مع مرافقيه في المسجد، وصعد الوالي المنبر، وخطب الناس وأسهب في الخطاب حتى حانت وقت الصلاة، ولكن الوالي كان مستغرقاً في خطابه إلى أن كادت أن تفوت الصلاة، وكان حجر قد ضجر من خطبة الوالي، وأكبر الظن أن خطبة الوالي كانت تندفق في دعم سياسة الحكومة، والنعي على خصومها، فنادى حجر في وجه الوالي :

الصلاة .. الصلاة، ولكن الوالي مضى في خطبته غير عابئ بالتحذير أو التنبيه، فنادى حجر ثانية معبراً عن الوقت الذي يكاد أن يفوت «الصلاة الصلاة»، ولكن الوالي مضى في كلامه، وهو ينظر شزراً إلى حجر، وحينما رأى حجر إستخفاف الوالي بالصلاة أشد غضبه، وكان جموع الناس ينظرون إلى حجر، وإلى ردود فعله، فما كان من حجر إلا أن ضرب بيده إلى كف من الحصى محاولة منه أن يحصب الوالي، وثار إلى الصلاة، وثار الناس معه، وحدث في المسجد ضوضاء وجلبة، وارتفع من الناس أصوات التكبير، فلما شاهد الوالي أن صوته انطمس في تيار الضوضاء والجلبة والتكبير، وإن الناس انشغلوا بصلاتهم وعبادتهم عن كلامه وثرثرته، وعن نعيقه وتبكيته الأمر الذي اضطر أن يغادر المنصة غاضباً، ولكنه تمالك غضبه حيث إن الساحة كانت بيد حجر والجماهير المؤيدة له، وما إن وصل الوالي إلى قصره تحت حراسة مشددة طفق يفكر في أمر الثورة التي بدأت تظهر وتمتد على إمتداد السواد، فقاده التفكير إلى أن يكتب إلى القصر عن حجر والجماهير المؤيدة له، وأن يلفق عليه القضايا، وأن يسأل عن رأي القصر في هذه الأحداث المتعاطمة والمستفحلة، وبالفعل كتب إلى القصر تقريراً قاسياً عن الأوضاع السياسية والاجتماعية في الساحة السوادية، وأكثر الوالي على حجر، وضخم الوقائع والأحداث.

أرسل الوالي تقريره هذا وأنتظر على أحرّ من الجمر جواب القصر، وكان حجر بن عدي بعد هذه الحادثة، والأحداث المماثلة قد اتخذ قراره على مجابهة زياد مجابهة صريحة، وإن يدع سياسة المداراة يقول ابن عبدالبر:

«وذلك أن زياداً أظهر من الغلظة، وسوء السيرة، فخلعه حجر، ولم



يخلع معاوية» .

والطريف أنّ الوالي في أيام الهدنة والمداراة كان يترجم إغراءاته لحجر إلى عمل، وإلى حقيقة ملموسة، فكان يقرب حجراً ويدنيه ويكرمه ويستقبله بحفاوة، وإذا ما غادر حجر ديوان حكمه ودّعه بعبارات التقدير والاكرام، وكان يفضل على كل أشرف البلدة وزعمائها، وعلى جميع المسؤولين في المحافظة، وكان حجر من جانبه يتقيه ويهابه إلا أن سيرة الوالي اضطرت حجراً أن ينقض أسلوبه في المداراة والمودعة .

لقد لمس حجر أنّ مودعته للوالي وتمتعه بتقدير الوالي وإكرامه سيكون على حساب الجماهير المستضعفة بل وعلى حساب معتقداته ومبادئه، على حساب دينه ومسؤولياته الملقاة على عاتقه، ومن هذه المنطلقات ترك حجر مداراة السياسة الحاكمة، وطفق يندد علناً بالسياسة وبأهوائها وشهواتها، وطفق يدعو كما كان يدعو إلى حرية الرأي والمبدأ، ويدود عنها في جو محموم بالشهوات السياسية وعواصفها، وخاض غمار الجهاد السياسي العلني، وجاهد أصدق جهاد، وأبلى أعظم بلاء .

وفي إحدى هذه الأيام اجتمعت الجماهير في الجامع الكبير حيث تقام الصلاة، وحسب العادة صعد ابن أبيه المنصة، وطفق يخطب وفي نهاية الخطاب شرع يستنزل ألوان السخط على الأحرار السائرين على نهج الامام، وخط القرآن، ولكن حجراً الزعيم المعقودة عليه الآمال من قبل الجماهير كان للوالي الخطيب بالمرصاد، وما أن بدأ الوالي في ذم الأحرار حتى تصدى له حجر، واضطره إلى مغادرة المنصة .

إنّ الوالي كان عليه أن يدير شؤون البصرة والكوفة، وكانت البصرة أيضاً تغلي كالمرجل، فقد كان هناك الخوارج قد أعلنوا العصيان والثورة على

الحكومة، وكانت الأخبار الخطيرة تصل إلى الوالي، وهو في الكوفة مما اضطره إلى أن يغادر الكوفة، وهي أيضاً تعيش إرهابات انفجار، فماذا يعمل، وبإشارة أحد مستشاريه أرسل إلى حجر بن عدي يدعو إلى الاجتماع به، فلما حضر حجر في ديوان الحكومة أعلمه الوالي أنه سيغادر البلدة، وقد جعل عمرو بن حريث على الكوفة لإدارة شؤونها في غيابه ثم إن الوالي حذر حجراً من المخالفة والعصيان، ووعظه باتخاذ جانب الهدوء والسكينة، والمحافظة على أمن البلدة ثم إن الوالي غادر البلد إلى البصرة، فشعرت الجماهير ببعض الهدوء، وصفا الجولهم بعد أن كانوا يستشعرون الخوف، طففت الجماهير وبصورة علنية ترتاد دار زعيمها، ويلتقون به، ويستمعون إلى تعاليمه وإرشاداته، واتخذت حركتهم طابع المظاهرة، طابع الهجوم والتدمير الصريح، والتمرد على قوانين الحكومة، وكان حجر بن عدي الزعيم الغالي يرتاد مع مرافقيه المسجد الأعظم، فترتاده الجماهير الغفيرة المؤيدة لمطالب حجر بن عدي، وكانوا يخطبون حول السياسة القائمة المتحاملة على الجماهير، والمستخدمة القوة لكم الأفواه، وسحق الحريات، وكان الخطباء يستعرضون سيرة العمال والأمراء المخالفة لنصوص القرآن، والشريعة الإسلامية، وكان الخطباء يسهون في الحديث، وفي النقد اللاذع لتصرفات الحكومة والقائمين عليها، وكانت الجماهير تستجيب للخطباء، فتطلق الشعارات المؤيدة للحركة، والمنددة للسياسة والسياسيين، وقد استقطبت هذه الحركة الشعب عامة على إمتداد السواد، وأثارت هذه الحركة القوية نائب الوالي عمرو بن حريث، وأشاعت في نفسه الخوف والتوجس، وحاول أن يخمد من هذه الحركة حماسها، واتخذ الإجراءات لعودة الحياة الطبيعية إلى الحكومة التي كادت الأوضاع أن تخرج الحبل من يدها، فقد أرسل عمرو بن حريث نائب الحكومة إلى حجر بن عدي من يحذره ويقول له:

«أبا عبدالرحمن ما هذه الجماعة، وقد أعطيت الأمير من نفسك ما قد علمت»، فقال حجر وقد اغتاض من هذه الرسالة: «تتكرون ما أنتم فيه إليكم، وراءك أوسع لك».

ويحاول حجر أن يقول لنائب الحكومة: أن ممارساتكم التعسفية ضد الجماهير، وضد القيم والمبادئ تنسونها، وتكادون أن تنكرونها أما تحرك الجماهير في سبيل مطالبهم العادلة، في سبيل أن يصدوا العواصف السياسية التي تعصف بالمسلمين، وبأهل البلد خاصة، وتعيثُ فساداً بمنافعهم، وعقولهم، وأخلاقهم، وعقائدهم، ومبادئهم، فتعتبرونها عبثاً ومنكراً يستثير قلقكم.

الآن هذا الاجراء وإجراءات مماثلة قد بائت بالفشل، وهنا حاول عمرو بن حريث أن يمسك بزمام المبادرة، فأرسل إلى جميع المسؤولين في الحكومة، وإلى كبار زعماء البلد أن يوافقوه في المسجد. ثم أنه ارتاد المسجد مع طابور من الشرطة والحرس، واستقل ابن حريث المنصة، وخطب الناس، وحثهم على الطاعة، وحذرهم الخلاف، وندد بالمشاغبين.

وما إن سمعت الجماهير التنديد حتى نهضوا، واندفعوا، وهم يكبرون وينددون بالحكومة، ويطلقون الشعارات ضد الساسة الخونة. ثم طفقت الجماهير التي أخذ منها الحماس مأخذها ترشق نائب الوالي بالحجارة والحصى في وسط هتافات صارخة منددة، وحاولت الشرطة أن تحد من هذا الحماس المنطلق، وتمنع التحصيب، ولكن الأوان قد فات، وكاد ابن حريث أن ينسحق تحت وابل الحصى والحجارة لولا أن تداركته الشرطة الخاصة، فنزل من على المنصة، وبادر إلى قصره محاطاً بالشرطة والحرس، وما أن بلغ إلى دار الامارة حتى أمر بأغلاق أبواب القصر، وتنس الصعداء، وكاد أن يموت أمام هجمات الجماهير، وكتب النائب عمرو بن

حريث إلى زياد في البصرة تقريراً عن الأوضاع المتوترة في البلد، وقال في ختام تقريره:

«إن كانت لك حاجة بالكوفة فالعجل». وأرسل التقرير مع رسول إلى زياد في البصرة، فلما وصل الرسول وأبلغه التقرير: رسالة ابن حريث فض خاتم الرسالة وقرأها، فإذا به بأنباء مذهلة، فمادت الأرض تحت رجليه ثم أعاد قراءت الرسالة ثانية وثالثة، وهو يحمق فيها ثم تمثل بقول الشاعر:

فلما غدو بالعرض قال سراتنا      علام إذا لم تمنع العرض نزرع  
وقال متمتماً وهو يكاد أن يتميز من الغيظ:

«ما أنا بشيء إن لم أمنع الكوفة من حجر، وادعه نكالا لمن بعده، ويل أمك يا حجر لقد سقط بك العشاء على سرحان».

وكان ابن أبيه لا يزال مشغولاً بأمور البصرة، وفتوقها، وإنتفاضاتها، وإنتشار حبل الأمن فيها، ولكن أحداث الكوفة استقطبت تفكيره، فعزم أن يغادر البصرة على جناح السرعة، فاستدعى نائبه على البصرة سمرة بن جندب الطاغية المشهور، وأوصاه بأمور تهم المحافظة ثم رحل عنها مغدراً السير باتجاه بلد الانتفاضات، ولما بلغ البلد ارتاد دار الإمارة وأرسل إلى جماعة من زعماء أهل البلد ليتوسطوا بينه وبين حجر بن عدي، وكان بعض هؤلاء الزعماء من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وفي نفس الوقت كانت تربط هؤلاء الزعماء بصداقة متينة بحجر بن عدي، والزعماء هم:

عدي بن حاتم، جرير بن عبدالله البجلي، وخالد بن عرفطة العذري حليف بني زهرة، وأرسل إلى غيرهم، ولما تكوّن الوفد أرسلهم الوالي إلى حجر بن عدي ليفاوضوه في القضايا القائمة والتي حسبت لها الحكومة ألف

حساب، وطلب الوالي منهم أن يكلموا حجراً حول الجماهير، وإن لا يرتبط بهم، ولا يتقرب إليهم، ويطردهم من الساحة، وفي نفس الوقت أن يسكت ويكف لسانه عن نقد السياسة والولاء، ولا يتطرق إلى كشف عيوبهم وجرائمهم، وأساليب حكمهم ولا يبحث عن سياستهم الظالمة بل يسكت ويتخذ جانب الحياد.

وبطبيعة الحال أرسل الوالي مع الوفد بعض الجواسيس حتى يشرفوا على مائدة المفاوضات ثم يخبروا الوالي عن مشاعر المتفاوضين وردود فعل الخصم المتفاوض.

ارتاد الوفد دار حجر بن عدي، فرحب بهم حجر وأكرمهم، وحينما أخبره الوفد عن الرسالة التي جاؤا من أجلها من قبل الوالي تغيرت تصرفات حجر بعد الحفاوة البالغة التي استقبل بها الوفد، فقد اكفهرت ملامحه، وتظاهر بعدم الاكتراث بالوفد، فكان رئيس الوفد عدي بن حاتم يتكلم ويشرح وجهات نظر الحكومة، ولكن حجراً كان يتغافل عن كلام عدي بن حاتم، ولا يتجاوب مع الوفد المتفاوض، والممثل للحكومة، وفي سبيل أن يخرج نفسه من موقف الصمت الحرج الذي ضربه على نفسه طفق ينادي أحد عباده:

«يا غلام إعلف البكر، يا غلام أفعل كذا».

وكان في جانب الدار بكراً معقولاً، ولقد أثارت هذه الظاهرة المعبرة عن عدم الاهتمام والاكتراث، وعن الغضب بالوفد الممثل للحكومة، وعن رسالته، لقد أثارت رئيس الوفد عدي بن حاتم، فقال في نبرات عاتبة:

«أمجنون أنت، أكلمك بما أكلمك به، وأنت تقول: «يا غلام إعلف البكر».

ثم إن عدي بن حاتم التفت إلى الوفد المرافق له فقال: «ما كنت أظن هذا البائس بلغ به الضعف كل ما أرى».

ولما أحس الوفد أن حجر بن عدي قد عزم على الجهاد السياسي الصريح، والنضال في سبيل المبادئ العادلة التي آمن بها، وأنه لا يستجيب إلى شروط الحكومة التي تحاول أن تفرضها عليه، لما أحس الوفد بعدم التجاوب من قبل الزعيم المجاهد نهض وخرج من دار الزعيم أسفاً أو قل أن بعض افراد الوفد كان أسفاً على فشل المفاوضات حيث كان هناك في افراد الوفد من يدعم تحرك حجر بن عدي وجهاده المقدس ضد الحكومة التي بلغت إلى السلطنة عن طريق الخداع، عن طريق بحار الدم والدمع، والعبور على الضحايا والاشلاء.

نعم كان في أفراد الوفد من يدعم حركة حجر بن عدي، ونضاله المبدئي ومن هؤلاء هو زعيم الوفد نفسه عدي بن حاتم الطائي، فإن عدياً كان يؤيد تحرك حجر ويدعمه تحت الستار، فقد كان عدي بن حاتم الطائي من كبار أصحاب الامام وأنصاره.

ارتاد الوفد دار الامارة ليرفعوا إلى الوالي نتائج المفاوضات الفاشلة، وفي الحقيقة لم تكن هناك مفاوضات حيث إن حجراً نفسه لم يتجاوب مع الشروط لا سلباً ولا إيجاباً.

أي إنه لم يتكلم بكلمة تعبر عن إتجاهه حول رسالة الوفد إلا أننا نستطيع أن نفهم أن صحته أمام الوفد الممثل للحكومة، وتهاونه برسالتهم هو تعبير واضح عن شجبه لهذه الشروط، وعن إستنكاره لأعمال الحكومة وإعلامها العدائي، ولما عاد الوفد إلى دار الامارة تشاوروا فيما بينهم أن يخففوا عن الأجواء المتوترة في العلاقات بين حجر بن عدي وبين الحكومة، ومن هذا المنطلق حضر الوفد عند الوالي:

«فأخبروه ببعض، وخزنوا بعضاً، وحسنوا أمره، وسأوا زيادا الرفق به،

فقال : لست إذن لأبي سفيان» .

إن الوفد دافع عن حجر عند الوالي ، فذكر بعض شؤون حجر التي لا تثير نائرة الحكومة ، وخزن بعض شؤونه الأخرى التي تسيئ إلى سمعته عند الحكومة ، وطلبوا من الوالي أن لا يتعجل في أمر الزعيم ، ولكن الوالي أو قل الممثل الرسمي للحكومة أبي هذا العرض من الوفد ، واكد ابن أبيه هذا الإباء بقوله إذن لست لأبي سفيان .

وهنا تكمن نقطة عقدة النقص في نفسية الوالي ، ولأجل أن يثبت ابن أبيه ولائه للحكومة ، ويثبت أنه من أبي سفيان راح بطارد حجر بن عدي وأركان حركته .

وكان ابن أبيه حاول عن طريق المفاوضات الثنائية أن يستتبع حجراً إلى مركز الحكومة حيث يستطيع أن يلقي عليه القبض بأهون سبيل ، ولكن عندما امتنع حجر بن عدي أن يفاوض الوفد مبدئياً ، فإنه امتنع بطبيعة الحال أن يرافق الوفد إلى دار الإمارة ، ومن هذه الحقيقة ، فإن ابن أبيه غضب واشتد غضبه على حجر بن عدي ، وكبار أعضاء الحركة ، وفي اليوم التالي رأى الناس أن ابن أبيه يخرج من دار الإمارة إلى المسجد في وسط حراسة مشددة ، وكان المسجد آنئذٍ مشحوناً بالجماهير المطالبة بحقوقها ، وكان حجر بن عدي قد توسط الجماهير يصدر إليهم بتعاليمه وإرشاداته القويمة ، وربما تكلم إليهم عن الوفد الذي أرسلته الحكومة للتفاوض ، وردود فعله تجاهه .

توافد المسؤولون في الحكومة إلى المسجد ليؤدوا إلى الوالي تحية الصباح في وسط الأجواء المتوترة السائدة في البلدة .

صعد ابن أبيه المنصة ، ورمقه الناس ، فإذا به في أفخر ملابس الأمراء قد لبس قباء سندس ، وعليه مطرف خز في لون أخضر زاهي قد صنفت طرته ،

وفرق شعره ثم شرع يتكلم ويبدأ ثم تعالت النبرات حتى غدت صراخاً، وتهديداً، ووعيداً فقال:

«أما بعد، فإنَّ غَبَّ البغي، والغبي وخيم. إن هؤلاء جمّوا، فأشروا، وأمنوني فاجترءوا عليّ، وأيم الله لكن لم تستقيموا لأدوايكنم بدوائكنم . . . وما أنا بشيء إن لم أمنع باحة الكوفة من حجر، وأدعه نكالا لمن بعده، ويل أمك يا حجر سقط العشاء بك على سرحان. - ثم أنشد -:

أبلغ نصيحة أن راعي إبلها سقط العشاء به على سرحان<sup>(١)</sup>

ثم إن ابن أبيه بعد هذا التهديد عاد إلى دار الامارة في وسط حراسة مشددة، وفي دار الامارة اجتمع زعماء القبائل والامتزلفون إلى الحكومة، وطواير من الشرطة والحرس، وحاول ابن أبيه أن يلقي القبض على حجر بن عدي، وكان حجر جالساً في وسط الجماهير، وكبار شخصيات الحركة الانتفاضية، فأشار ابن أبيه إلى رئيس الشرطة قائلاً في نبرات غاضبة:

«لينطلق بعضكم إلى حجر فليدعه»، ويبدو من هذه الجملة أنها دعوة سمحة، وليس في الدعوة آية داهية أو رهبة، ولكنها دعوة تتضمن الدم المراق، وقد اتبه حجر إلى هذه الحقيقة، ولما قال ابن أبيه للشرطة:

«لينطلق بعضكم إلى حجر فليدعه»، نظر رئيس الشرطة وهو شداد بن الهيثم الهلالي إلى أعوانه ليختار من بينهم واحداً تناط به هذه المهمة، وفي نفس الوقت يكون الشرطي الحامل للرسالة رجلاً يطمأن حجر إليه، ولو بصورة باهتة، فوقع نظر الرئيس على الحسين بن عبدالله الهمداني، وهو شرطي من قبيلة همدان الموالية للامام، وفي نفس الوقت المؤيدة لحجر وحركته، ولكن شؤون الحياة وأعباءها أو قل شقاءها جرفت الحسين الهمداني



إلى الوظيفة، والعمل في ظل حكومة معادية لقبيلته ومعتقداتها.  
 أرسل رئيس الشرطة الحسين الهمداني ليدعو حجر بن عدي، فهول  
 الحسين إلى المسجد، والتقى بحجر بن عدي وأبلغه الرسالة قائلاً:  
 «أجب الأمير»، فلما أن سمع أصحاب حجر الكبار هذه الرسالة  
 صرخوا في وجه الرسول وقالوا له:  
 «لا يأتيه ولا كرامة»، وسمع الناس مقالة أصحاب حجر بن عدي،  
 وكانت بمثابة الضوء الأخضر لإعلان التحرك الجماهيري.  
 عاد الشرطي إدراجه إلى ابن أبيه وأخبره بالخبر، فغضب وارسل إلى  
 حجر مولاه، وقال له قل لحجر:

«إني أحذرك أن تركب إعجاز أمور هلك من ركب صدورها»<sup>(١)</sup>.  
 ثم أمر صاحب شرطته شداد الهلالي أن يبعث طابوراً من الشرطة مع  
 الحسين الهمداني حتى يضطروا حجر بن عدي لتلبية الدعوة، وعاد الحسين  
 الهمداني برفقة الطابور، وهم مدججون في السلاح، وعندما بلغوا مكان حجر  
 ابن عدي وأبلغوه رسالة ابن أبيه، وإذا بالجماهير الغاضبة تفتح أفواهها،  
 وتهتف ضد الوالي، وتشتم وتسب الجلاوزة، فيمتلأ قلوب الجلاوزة خوفاً  
 ورهبة من دوي الاستنكار، فيعودون إدراجهم ويخبرون الوالي، فيطرق  
 الوالي ويستغرق في التفكير، ويحلل جوانب الانتفاضة، فإذا به يرى أن  
 معظم الجماهير المتحركة والمؤيدة لحجر بن عدي تنتمي إلى العديد من  
 القبائل والبطون، وإن زعماء هذه القبائل مائلون لديه في ديوانه.  
 إذن فلماذا اتخذوا لأنفسهم هذا الصمت المطبق تجاه أبناء قبائلهم  
 الذين كَوَّنوا النواة الأصلية لحجر بن عدي؟  
 ولما إن بلغ تفكير الوالي إلى هذه النقطة امتلأت نفسه غيظاً وحقدًا،

فوثب مزجراً، وخاطب زعماء القبائل المائلين لديه قائلاً:  
 «يا أهل الكوفة أتشجون بيد، وتأسون بأخرى، أبدانكم معي،  
 وأهواؤكم مع حجر، هذا الهجهاجة الأحق المذبوب .  
 أنتم معي وإخوانكم وأبناؤكم وعشائركم مع حجر، هذا والله من  
 دحسكم وغشكم والله لتظهرن لي براءتكم أو لآتينكم بقوم، واقيم بهم أودكم  
 وصعركم»<sup>(١)</sup>.

لقد ارتعدت فرائص القوم من هذا التهديد الذي وقع على رؤسهم  
 كوقع الصاعقة من الجبار الطاغية، فحاولوا أن ينفوا عن أنفسهم تعاطفهم مع  
 حجر بن عدي، وفي نفس الوقت يثبتوا ولائهم للحكومة، ولقد شاهد القوم  
 كيف أنّ الطاغية قطع أيدي العشرات من المؤمنين الذين حصبوه في أول يوم  
 ارتاد البلد، وصعد المنصة، ثم قتلهم.

إن نعت الطاغية للقوم بالخيانة للحكومة، وميلهم إلى الحركة  
 الحجرية أثارت في نفوسهم الخوف والهلع، وخافوا أن يكون مصيرهم مصير  
 رهط المؤمنين في المسجد، فوثبوا في ضراعة، وتسابقوا إلى إرضاء الطاغية،  
 وقالوا بقلوب واجفة خانعة:

«معاذ الله سبحانه أن يكون لنا فيما هاهنا رأي إلا طاعتك . . . وكل  
 ما ظننا أن فيه رضاك، وما يستبين به طاعتنا وخلافنا لحجر فمرنا به».

فقال الطاغية: «فليقم كل امرئ منكم إلى هذه الجماعة حول حجر  
 فليدع كل رجل منكم أخاه وابنه وذا قرابته ومن يطيعه من عشيرته حتى تقيموا  
 عنه كل من استطعتم أن تقيموه».

وبهذه الطريقة «فرق تسد» حاول الطاغية أن يشتت الجمهور المؤيد  
 لحجر، والذي استطاع أن يرد طابور الطاغية على عقبه. إن الجمهور كان

(١) راجع الكامل في التاريخ ٣: ٢٣٦، تاريخ الطبري ٥: ٢٨١

قوة لحجر ولتحركه الذي كاد أن ينتصر على الموقف لولا هذه السياسة المفرقة، ولولا نفوس القوم الحذرة، ومن هذا المنطلق نستطيع أن نلمس شجاعة حجر بن عدي، وقدرته الفائقة على تحدي سلطان الطاغية وتفانيه في سبيل المبادئ التي آمن بها. إن موقف القوم كان دقيقاً للغاية. حينما سمعوا تعاليم الطاغية، فكانوا يتقدمون خطوة، ويتأخرون خطوتين.

إن تحركهم هذا سيؤدي إلى تحكيم سلطان الطاغية، وإلى تضعيف حركة حجر بن عدي، وهذا ما كان القوم يتوجسون منه لولا أن السيف كان يلمع فوق رقابهم. أليس هددهم الطاغية بقوله: «والله لتظهرن لي براءتكم أو لأتبنكنم بقوم واقم بهم أودكم وصعركم».

لقد مشى القوم إلى الجمهور المؤيد لحجر، والذين أحاطوا بحجر يدفعون عنه عادية الطاغية، والحق يقال إن الجمهور أيضاً أحس بخوف وقلق أمام الطاغية، وعندما أنهى القوم إلى الجمهور طفقوا ينادون ذي قرباهم وإخوانهم والمنتهم إلى قبائلهم، وينصحونهم أن يعودوا إلى منازلهم ويتفرقوا عن الزعيم، ويحذرونهم نتيجة الألتواء، وبهذا الأسلوب أقاموا جل من كان مع حجر بن عدي، ولم يبق مع الزعيم إلا القلة المؤمنة التي وطنت نفسها على القتال، وتحمل المكروه والسجن، وهذه القلة المؤمنة المتفانية هم:

عمرو بن الحمق.

عمير بن يزيد الكندي الشهير بأبي العمرطة.

عبدالله بن خليفة الطائي الشاعر الكبير، وشاعر الحركة.

عائذ بن حملة النميمي.

قيس بن يزيد الكندي، وقيس هو أخو أبي العمرطة<sup>(١)</sup>.

والجدير بالذكر أنّ هذه القلعة التي بقيت مع حجر بن عدي رضوان الله عليه وعليهم لم يكن معهم سلاحاً يدافعون عن أنفسهم، وكانوا عزلاً إلا واحداً منهم كان معه سيف.

إنّ الجماهير، ومنها القلعة المؤمنة أو قل كبار أعضاء الحركة ارتادوا المسجد لا على أساس قتال أو ترقب حرب من الحكومة، وفي نفس الوقت أنّ الجمهور، وكبار أعضاء الحركة لم يكن ليحاول أن يثير مشاعر الحكومة ضده بحمله السلاح بل أنّ كبار أعضاء الحركة، والزعيم نفسه كانوا يحاولون أن تكون الحركة سلمية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

إذن لم يكن هناك مبرراً لحمل السلاح، ولم يكن في الحسبان أن تنتهي الحوادث في المسجد، وإجراءات الحكومة إلى هذه الحقيقة، وعندما شاهد الطاغية، وكان ينظر من نافذة القصر إلى المسجد الأعظم الجمهور قد تفرق عن حجر بن عدي، ولم يربط معه سوى القليل من الجمهور قال لعصابته من الشرطة والبخارية<sup>(١)</sup> أن يذهبوا ويأتوه بحجر بن عدي، ويضربوا من حال دون ذلك، ويقاتلوا إذا تصدى لهم أصحاب حجر، فسارت العصابة مع رئيسهم، ولما وقف الرئيس على حجر وأصحابه خاطب حجراً قائلاً: «أجب الأمير».

فقال أصحاب حجر بن عدي: «لا ولا نعمة عين لا نجيبه»، فأشار رئيس العصابة لعصابته بالهجوم، ف وقعت معركة ضارية بين الفريقين ولما لم يكن مع أصحاب حجر سلاح قال أبو العمرطة لحجر بن عدي: «إنه ليس معك رجل معه سيف غيري، وما يغني عنك».

فقال حجر بن عدي: «فما ترى».

قال: «قم من هذا المكان فالحق بأهلك يمنعك قومك، فنهض حجر

(١) إنّ لفظة البخارية جاءت في الطبقات ٦: ٢١٩.

وتقدم نحو باب كندة، وهو أحد أبواب المسجد الأعظم وكان أصحاب حجر ابن عدي وجنوده الأشاوس يدافعون عن حجر، ويناضلون عنه، وكانت عصابة الطاغية حاولت كثيراً أن تلقي القبض على حجر بن عدي ولكن محاولاتها باءت بالفشل، وذلك بفضل الصمود الذي تحلى به أصحاب حجر وجنوده، وقد أبدى عبدالله بن خليفة الطائي شجاعة فائقة في حومة الصراع، وهو يحامي عن حجر ويذب عنه، وهو يتوجس من أن يلقي على حجر القبض ثم يقتادوه إلى الطاغية، فقد كان عبدالله الطائي يحارب، وكان قد ضربه بعض الشرطة بعمود، فبادره عبدالله الطائي فضربه ضربةً قضت عليه، فقال وهو يرتجز:

قد علمت يوم الهياج خلتي أني إذا ما فئسي تولت  
وكثرت عداتها أو قلت أني قتالُ غداة بليت  
ويهجم عائذ بن حملة التميمي على الشرطة، وينتزع من أحدهم عموداً، ويقاثل به، وكان عائذ قد ضربت يده، وكسرت نابه، فقال عائذ وهو يقاتل قتال الأبطال:

إن تكسروا نابي، وعظم ساعدي فإن في سورة المناجد  
وبعض شغب البطل المبالد

وانحاز حجر بن عدي، وهو محاط بأصحابه، وقلة من جنوده الأشاوس إلى باب كندة، وانفلتوا منها ناجين، وكان عمرو بن الحمق شيخاً كبيراً، وكان من أصحاب حجر بن عدي، وكان واحداً من المتفانين في سبيل قضية الاسلام، وابن الاسلام البار الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه.

وما إن اندلعت أوارا العراك حتى كان عمرو بن الحمق واحداً ممن لحقه أذى في هذا المعترك، فقد ضربه بالعمود رجل من الشرطة من الفرس الشهيرين آنئذٍ بالحمراء، وما أن مس العمود رأس عمرو بن الحمق حتى وقع

على الأرض، والدم يتزف من رأسه، فبادر إليه رجلان من الأزد واحتملاه إلى حي الأزد، إلى دار رجل منهم فأخفاه في داره، ومرّضه حتى شفاه الله تعالى ثم لم يزل متوارياً عن الناس، وعن الحكومة في دار الأزدي حتى هدأت عاصفة الاعتقالات ثم خرج من الدار هارباً.

وأما حجر بن عدي فإنه لما خرج من المسجد، وكانت القلة المؤمنة لا تزال تصاول عصابة الطاغية ريثما يتعد حجر بن عدي عن المعتكك حتى يستطيع أن ينجو من الاعتقال، وكانت بغلة حجر بن عدي موقوفة على باب المسجد، فبادر أبو العمرطة إلى البغلة، وفك عقالها، وقادها إلى حجر وقال له:

«إركب لا أب لغيرك، فوالله ما أراك الآ قد قتلت نفسك، وقتلتنا معك»، فوضع حجر رجله في الركاب فلم يستطع أن ينهض، وقد أثرت في نفسه المعركة التي كانت دائرة آنئذ، وكان ضعف الشيخوخة قد أشاع في كيانه الوهن، فبادر أبو العمرطة فساعده وحمله على بغلته ثم ركض أبو العمرطة إلى فرسه ووثب عليه في حركة سريعة، وكان العدو يطارده، فما إن استقل أبو العمرطة على فرسه حتى خلص إليه رجل أعرج من العدو، وأهوى بعموده على فخذ الفارس، فأخترط الفارس أبو العمرطة سيفه في حركة غاضبة ومؤلمة، وأهوى به على رأس العدو الأعرج، وكان يسمى بيزيد بن طريف فخرّ لوجهه جريحاً.

ثم إن الرجل بعد ذلك برأ من ضربة أبي العمرطة<sup>(١)</sup>.

ثم إن أبا العمرطة سار مع حجر باتجاه دار حجر بن عدي في حي كندة، وما إن بلغ حجر داره حتى اجتمع إليه الكثير من أصحابه، والمؤيدين له، وكانوا بالنسبة إلى أعداد الحكومة وقوتها قليلين الأمر الذي رأي أصحاب

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢٦٠، ويراجع شعر في حياه ابن طريف ومديح أبي العمرطة

الحركة أن يستثيروا عزائم الكنديين، ويلهبوا حماسهم لنجدة حجر بن عدي، ودعم حركته، ومن هذا المنطلق خرج الشاعر قيس بن فهدان الكندي من دار الحركة، وطفق يطوف في إحياء كندة وسككها ودروبها، وينشد رجال كندة، ويدعوهم إلى مناصرة حجر بن عدي الكندي، فكان يقول في حماس وقوة:

يا قوم حجر دافعوا وصالوا      وعن أخيكم ساعة فقاتلوا  
لا يلفيا منكم لحجر خاذل      أليس فيكم رامح ونابل  
وفارس مستلثم وراجل      وضارب بالسيف لا يزايل  
وكانت الأبيات حقا تستثير وتلهب الحماس الآ أن البطش الذي مارسته الحكومة ضد الأحرار، وجو الارهاب الذي أشاعته في صفوف الجمهور أثار الخوف والروع في قلوب الناس مما نرى أن رجال كندة لم يلبوا النداء، ولم يخفوا إلى دعوة حجر بن عدي إلا قلة ضئيلة، ولو أنهم صمدوا كما صمد حجر بن عدي لتغير وجه تاريخ البلد.

ثم أن الحكومة استجاشت كل طاقاتها المادية والمعنوية لألقاء القبض على الزعيم، فأرسلت الفيالق من القبائل لتطويق حي حجر بن عدي في الدرجة الأولى، ودار الزعيم في الدرجة الثانية، ولما إن بلغت أنباء هذا التطويق حجر بن عدي نظر إلى أصحابه وجنوده، فرأى أنهم لا يقومون لفيالق الحكومة، واعدادها الهائلة، فرّق قلب الزعيم على جنوده أن يرميهم بين يدي حد السيوف، وطعن السنان الأمر الذي خاطبهم قائلاً:

«انصرفوا، فوالله ما لكم طاقة بمن قد اجتمع عليكم من قومكم، وما أحب أن أعرضكم للهلاك».

وحينما سمع الجنود وأعضاء الحركة كلام الزعيم استجابوا لاتجاهه، فأزمعوا أن ينصرفوا ويتفرقوا، فإذا بطليعة جنود الحكومة تلمح أصحاب حجر بن عدي وجنوده، فتطاردتهم على الخيل، فعطف عمير بن

يزيد، وقيس بن يزيد، وعبيدة بن عمرو البدي، وعبدالرحمن بن محرز الطمحي، وقيس بن شمر، وكان هؤلاء من كبار أصحاب حجر بن عدي وحركته الحرة، عطف هؤلاء على العدو وامتشقوا الحسام في وجهه، وراحوا يقاتلونه في ضراوة وبطولة، ولما كان العدو في أعداد هائلة، فإن بعض هؤلاء كان قد أصيب بجراح، ووقع قيس بن يزيد في يد العدو أسيراً، وفي غضون النضال خرج حجر بن عدي وقال لأصحابه:

«لا أباً لكم! تفرقوا لا تقاتلوا، فإني آخذ في بعض السكك»، فانصاع أصحاب حجر لكلامه، وتفرقوا، وخلوا الساحة للعدو، وراح حجر بن عدي منفلاً من العدو، فأخذ طريقاً غامضاً على العدو نحو حي بني حرب، وهناك ذهب إلى دار سليم بن يزيد، وكان أفراد العدو قد انتشروا في الأحياء يسألون عن حجر بن عدي، ويبحثون عنه حتى جاءت جماعة من الأعداء إلى دار سليم بن يزيد، وقد أخبرها من أخبرها عن مكان إختفاء حجر بن عدي، فلما ارتادت الجماعة دار سليم، أخذ سليم سيفه وحاول أن يخرج من الدار ليقارع العدو، ويحمي حجر بن عدي الذي استجار به، وكان الرجل مثنائاً، فما إن شاهدت أسرته وبناته الأب، وقد شهر سلاحه يحاول مقارعة العدو، وقد اشتد صوت سهيل الخيل، وضوضاء الرجال خارج الدار حتى أرتاعت الأسرة، وتسرب الخوف إلى البنات فطفقت الأسرة والبنات يصرخن ويكيبن، فخرج حجر بن عدي من مكمنه، وقد سمع هذا البكاء الذي يفطر القلوب حزناً وأسى، فرّق لهنّ، وأبت شهامته أن يترك الأب المجاهد الشجاع الحامي للذمار أن ينفذ إرادته الأمر الذي هرع حجر بن عدي إلى الأب سليم بن يزيد، وامسك على سيفه، وقال له: «ما تريد».

قال سليم، وأشار إلى العدو: «أريد والله أن أسألهم أن ينصرفوا عنك، فإن فعلوا وإلا ضاربتهم بسيفي هذا ما ثبت قائمه في يدي دونك».

فقال حجر بن عدي: «لا أباً لغيرك، بشس ما دخلت به إذاً على



بناتك» .

قال سليم : «إني والله ما امونهنّ، ولا رزقهنّ إلا على الحي الذي لا يموت، ولا اشترى العار بشيء أبداً، ولا تخرج من داري أسيراً أبداً، وأنا حي أملك قائم سيفي، فإن قتلت دونك، فاصنع ما بدا لك» .

قال حجر بن عدي وقد حاول أن يغير مجري الحديث، ويبدل الموقف الدقيق لرجل بني حرب، وهو يتلفت في عصبية في أطراف الدار القوراء محاولاً أن يجد منفذاً خفياً للخروج من الدار غير باب الدار الأصلية، وبهذه الطريقة يسلم صاحب الدار، وترجع الطمانينة إلى قلوب الاسرة قال حجر بن عدي :

«أما في دارك هذه حائط أو خوخة أخرج منها عسى أن يسلمني الله عزوجل منهم ويسلمك» .

وأضاف حجر بن عدي قائلاً في تلك اللحظات الدقيقة، وأشار إلى العدو الذي كاد أن يقترب من باب الدار: «فإذا القوم لم يقدرُوا عليّ عندك لم يضروك»، فأشار صاحب الدار إلى نافذة وقال: «بلى هذه خوخة تخرج إلى دور بني العنبر، وإلى غيرهم من قومك» .

فهرول حجر إلى النافذة أو الباب الفرعي للدار، وخرج منه حذراً يتوجس خيفة من رجال الأمن المنتشرين في كل مكان في الأحياء، وفي الطريق التقى برجال من بني ذهل، فقالوا له: «مر القوم آنفاً في طلبك يقفون أترك» .

فقال: «منهم أهرب» ثم إن الدهليين جعلوا مع حجر بن عدي فتياناً من شبابهم يقصون به الطريق، ويسلكون به الازقة الغامضة حتى يخلصوا به إلى مكان آمن بعيداً من عيون رجال الشرطة المنتشرين، وكاد ظلام الليل أن ينتشر على ربوع البلد، ولقد أفضى الفتيان الدهليون بحجر بن عدي الذي أصبح وأمسى مطارداً من قبل رجال الحكومة إلى حي النخع، فلما شعر حجر

ابن عدي أنه في حي النخع اطمأن قليلاً، وصرف الفتيان قائلاً: «انصرفوا رحمكم الله».

ثم إن حجر بن عدي اطرق قليلاً يفكر فإلى أي دار يلتجأ، وهو المطارد من قبل الحكومة، وقد أخذ الإعياء منه مأخذه، فهو شيخ كبير، وهو من الصباح لحد هذه اللحظة لم يستريح بل، ولم يتناول الطعام ليقوم أوده. لم يطل التفكير بحجر طويلاً، فقد اهتدى لدار عبدالله بن الحارث النخعي، وهو أخو مالك بن الحارث الشهير بالأشتر، وهو هو إخلاصاً وحباً لآل البيت، وكان عبدالله يترقب الأنباء عن الأوضاع المتوترة السائدة في البلد من أقصاه إلى أقصاه، وكان عبدالله مطرقاً مفكراً قد ملئت نفسه أسى وحزناً، وإذا بواحد من أسرته يسعى إليه ويخبره في لهفة: «إن حجر بن عدي ينتظر على باب الدار»، فيهرول عبدالله جذلاً إلى حجر بن عدي، ويعتقه، وقد انتشر البشر والفرح في ملامحه ثم يدخله الدار في حفاوة وإكرام، ويحتفي به، ويبسط له البسط، ويفرش له الفرش، وينضد المساند، ويأمر عبدالله أفراد أسرته أن يراقبوا المارين والعابرين حول الدار، ويتبهاوا إلى الأوضاع حتى إذا شعروا بالخطر خفوا إليه، وأخبروه، وذلك حتى لا يفاجأوا برجال الشرطة أو الجواسيس المنبئين.

وكان عبدالله في حركة مستمرة مبدياً مظاهر الفرح والابتهاج رغم الجو المتوتر المسيطر على الحي، وعلى الدار، وذلك للتخفيف من مشاعر حجر بن عدي وأحاسيسه المضطربة، ولم يكذب ينهي عبدالله من إستقبال الضيف الخطير، ولم يكذب يلقي الضيف الخطير بنفسه المكدودة على الفراش، ويستند إلى الجدار حتى هرع احد المرابطين في الحي، وهو مستقع اللون، مضطرب النفس إلى حجر بن عدي وقال وهو يلهت في نبرات متقطعة:

«إن الشرط تسأل عنك في النخع»، فوثب حجر بن عدي محاولاً أن يخرج من الدار ليخوض غمار الأحياء إلا أن عبدالله بن الحارث طلب منه أن

يتريث لقد أدرك عبدالله النخعي أن أحد الناس قد رأى حجراً، وهو يمشي في النخع حذراً متوجساً فراح وأخبر الحكومة الأمر الذي برقت في نفسه فكرة وكانت الفكرة بارعة، إقترح على حجر بن عدي أن لا يخرج بهيئته المعروفة بل لو تنكر في هيئته لكان أفضل، فقبل حجر بن عدي هذا الاقتراح وغير هيئته وخرج من دار عبدالله بن الحارث النخعي متنكراً، وصحبه عبدالله بن الحارث أيضاً نجدة منه، وكان الليل قد ضرب بسراذقه على أحياء البلدة، ودخل الناس دورهم، فلم يكن يشاهد في دروب الأحياء سوى الشرطة، ورجال التجسس يبحثون عن حجر بن عدي، وسار حجر بن عدي مع صديقه المجتبي عبدالله بن الحارث النخعي يقطع الدروب الغامضة متجنباً ما أسعفه الحظ المعالم الواضحة المطروقة، وكان حجر بن عدي يفكر في رجال المباحث، وتري من دلهم على مكانه في حي كندة؟

ثم عرف بعد ذلك أن رجال الشرطة كانوا يبحثون عنه فالتقت بهم امرأة سوداء تسمى بـ «أدماء» فرأت رجال الأمن يستفسرون، ويلحفون في السؤال، ويبحثون ويتحرون، فيسرفون في البحث والتحري. فتقدمت إلى الشرطة مستفسرة متسائلة: «من تطلبون»، وما أن أقلت السؤال حتى تجمهر حولها رجال الشرطة محمليين فاغرى الأفواه يسعون إلى كلمة تلقيها وقد أثارها الفضول ظاهرة البحث المستقصي. فقال أحد الشرطة: «نطلب حجراً»، وكانت المرأة السوداء قد شاهدت أنفاً حجر بن عدي في البسته المعهودة، وهيئته المألوفة يمشي حذراً في حي النخع، وكانت تعرفه، وهل يجهل أحد من الناس حجر بن عدي الذي تحدى الحكومة مع كل صولتها وجبروتها.

إن المرأة السوداء لم تنكر ولم تسكت عن معلوماتها، عن حجر بن عدي بل كشفت للشرطة القناع عن مكان تواجد حجر بن عدي مندفعة من موقع شعورها بالضعف والحقارة والهوان فهي من منطلق هذه الأحاسيس حاولت أن ترضي مشاعرها وأحاسيسها، وخاصة حينما رأت أن الناس قد

اجتمعوا حولها يرمقونها بعيون متسائلة، فقالت للشرطة وأشارت بيدها نحو النخع:

«هاهو ذا قد رأيته في النخع»، وما هي إلا كلمات حتى خب رجال المباحث نحو حي النخع بعد أن كانوا في جهل تام عن محل تواجد حجر بن عدي في حي من هذه الأحياء المنتشرة في المدينة، فكانوا يهجمون على الأحياء وعلى الدور في غير هدى، وكان الناس قد رأوا منهم العسف والقهر لقد تحرى الشرطة في حي النخع عن حجر بن عدي، فلم يتوصلوا إلى نتيجة واضحة، وكان النخعيون رجالاً ونساءً يكتمون الأمر، فمن كان يعرف بعض أمر حجر بن عدي يتكتم ولا يبين خاصة وأنهم رأوا حجراً يلوذ إلى سيدهم وزعيمهم عبدالله بن الحارث النخعي.

سار حجر بن عدي مع رفيقه الكريم يرتادان حي الأزد، وهناك وفي فحمة الليل ارتادا دار ربيعة بن ناجد الأزدي، فاستقبلهما ابن ناجد على الرحب والسعة، وأنزل حجر بن عدي المنزل الكريم، وأكبر الظن أن عبدالله بن الحارث النخعي صديق حجر ورفيقه البار استأذن حجراً أن يعود إلى داره، فابتسم حجر بن عدي واذن له، وشكر له جهوده الطيبة، وكانت الحكومة قد بثت عيون الليل في أرجاء البلد، وأحيائه تراقب التحركات عليها أن تجد إلى محل إختفاء حجر بن عدي سبيلاً، وكانت تطلع العيون أكثر ما يكون، وأشد ما يكون في الأحياء المؤيدة لحجر بن عدي، والمناصرة له حيث إن مظنة تواجد حجر بن عدي في واحد من هذه الأحياء المؤيدة والمناصرة أكبر وأصوب من تواجد حجر بن عدي في حي لا يلتقى مع حجر ابن عدي، ومع حركته بقاء حميم كمثل حي الأزد.

كانت الأزد آنسداً لا توالى الامام، وأهل البيت عليهم السلام الولاء الحميم، وفي نفس الوقت كانت الأزد من مضر، وحجر بن عدي الكندي من اليمن الأمر الذي كان لتواجد حجر بن عدي في حي الأزد الأثر الكبير

في إنطماس المعالم أمام رجال الحكومة، وعيون الليل، وأيدي النهار، ويرجع هذا التكتيك الفريد إلى عبدالله بن الحارث النخعي حيث إنه أقترح على حجر بن عدي أن يتنكر في هيئته .

ثم اقترح أن يكون مكان إختفائه في حي بعيد عن الظنون والشبهات مثل حي الأزد، وهكذا فوّت عبدالله بن الحارث الفرصة على الحكومة، وعلى رجال شرطتها، وعلى الجواسيس والعيون، فقد سعت الحكومة بكل إمكانياتها الكبيرة لإلقاء القبض على بطل العقيدة والجهاد إلا أنّ إمكانياتها، وجهودها اصطدمت بفشل ذريع، فلم تستطع أن تهتدي عن هذا الطريق إلى مكان إختفاء حجر بن عدي رغم أنّها قد بثت العيون، ورجال الشرطة في الأحياء، ورابطت العيون في الليل والنهار، وعملت أبراج المراقبة في خارج البلد وداخله، وكانت الحكومة وجهودها في التعبئة العامة، والاستنفار العام، ثم عسفها وقهرها وطغيانها تعمل جادة لإلقاء القبض على حجر بن عدي إلا أنّ جهود التعبئة العامة بائت بالخسران، والفشل المستطير مما أدى إلى أن يجن الطاغية زياد بن أبيه، فصرخ مزمجرأً معربداً متوعداً ومهدداً الأحياء والأموات، ودعا وقد ارهقته أيام العسف والظلم محمد بن الأشعث الكندي وقال له في لهجة غاضبة :

«يا أبا ميثاء أما والله لتأتيني بحجر أو لا أدع لك نخلةً إلاّ قطعتها، ولا داراً إلاّ هدمتها ثم لا تسلم مني حتى اقطعك إرباً إرباً» .

نزلت هذه الكلمات على محمد بن الأشعث كنزول الصاعقة، فمن أين له أن يظفر على حجر، ومن يدري أنه لم يخرج من البلد، ثم أنّ المهلة وهي ثلاثة أيام قليلة بالنسبة إلى هذا العمل الشاق .

إنّ الحكومة مع إمكانياتها الضخمة لم تستطع أن تلتقي القبض على

حجر فهل هو يستطيع أن يظفر به؟

ثمّ أن الروابط العشائرية، والشائج القبلية أين تذهب إذا هوسعى في

هذا الاتجاه؟ مع العلم أنّ حجر بن عدي يتتوأ مكانة مرموقة بين قطاعات الشعب عامة، وبين أفراد قبيلته خاصة، فكيف به أن يسعى للظفر بحجر. إنّ هذه الأفكار زادت من خوف محمد بن الأشعث ورهبته ووهنه، فقال للطاغية:

«أمهني حتى أطلبه»، فقال:

«قد أمهنتك ثلاثاً، فإن جئت به وإلا عدّ نفسك مع الهلكى»، فغاضت بعد هذه الكلمات ينابيع الحياة في كيان ابن الأشعث وخاصة بعد أن أمر زياد بن أبيه بابن الأشعث أن يقاد إلى السجن، فاقتيد، وقد امتقع لونه، ووهنت قواه وغاض دم الحياة من شرايينه، فكان يتلّ تلاً عنيفاً. وكان حجر بن يزيد الكندي يعتبر واحداً من حاشية الوالي، وكان قد رأى وسمع الحوار، ورأى الوهن الذي أصاب محمد بن الأشعث، وحينما شاهد حجر بن يزيد أنّ ابن الأشعث قد اقتيد إلى السجن خطر في باله: أنه لو سجن فكيف يستطيع أن يطلب حجراً رضوان الله عليه، ومن منطلق هذا الخاطر نهض وقال للطاغية، وهو يعرض عليه ضمان محمد بن الأشعث، فقال: «ضمنية وخلّ سبيله يطلب صاحبه، فإنه مخلى سربه أخرى أن يقدر عليه منه إذا كان محبوساً».

فتسائل ابن أبيه: «أتضمنه».

قال حجر: «نعم».

فقال مهدداً: «أما والله لئن حاص عنك لأزيرنك شعوب، وإن كنت الآن عليّ كريماً».

قال: «إنه لا يفعل».

فامر ابن أبيه بإطلاق سراح محمد بن الأشعث خرج محمد من دار الإمارة، وهو في حيرة من أمره يفكر في مصير حجر بن عدي لو أنّه ظفر به وسلمه للحكومة، ويفكر في مصيره هو إذا امتنع من هذا التسليم بل حاول

مع الحكومة اللف والدوران، وفكر وهو أهم من كل تفكير، ومن كل خاطرة في مصيره هو إذا لم يستطع في خلال الأيام الثلاثة أن يسلم حجراً.

لقد غامت الحياة في وجهه، ودارت الأرض به، وكان أكثر تفكير محمد بن الأشعث حول مصيره هو وحياته هو.

أما حياة حجر بن عدي، أما الصلات والوشائج التي تربطه بحجر، أما كرامته وشخصيته عند عشيرته إذا هو سلم حجراً حيث إن هذه الكرامة، وهذه الشخصية ستتمرغ بالوحل، فإنه نسي كل هذا.

ونعلم من محمد بن الأشعث أنه كان مناوئاً كآبيه للامام، ولآل البيت، وأنه كان سائراً في خط الحكومة الراهنة، ومواليها، وكان يعادي حجراً وحركته، ومن هذا المنطلق، فإن الحكومة رشحته لمنصب زعامة كندة تماماً كما كان أبوه له مكانة سياسية عند الحكومة، وذلك لما قام به من ألوان الخيانات تجاه خلافة الامام، وفي صالح معاوية الآ أن محمد بن الأشعث بعد الاحداث التي جرت في المدينة، وبعد الولاء الذي أبداه الشعب تجاه حجر بن عدي وحركته قد تغير موقفه تجاه حجر بن عدي، فهو لا يحبذ أن يقوم بهذا العمل السياسي، وكم ود لو أن غيره اناطت به الحكومة هذه المسؤولية الشاقة والمرهقة.

لقد سعى محمد بن الأشعث ظاهراً ليظفر بطلبة الحكومة، وكان الوالي الطاغية قد بثت العيون حول محمد بن الأشعث حتى يرفعوا له التقارير عن محمد بن الأشعث وأعماله، وكان محمد بن الأشعث يعلم بهذه الحقيقة، فكان يسعى حتى يعلم الحقيقة عن مكمن حجر بن عدي، ولكنه كلما أمعن سعياً، كلما ابتعد عن مكمن الطلبة ويكاد يمضي يومان وهو لم يستطع أن يعرف عن مكان حجر بن عدي، فكاد محمد بن الأشعث حسب مزاجه وتربيته أن يجن، فكانت الأفكار السوداء تغرقه في بحارها. ولترك محمد بن الأشعث نهياً مقسماً بين أفكاره المرهقة السوداء،

وبحثه وإسرافه في البحث والطلب، وللتقل إلى حجر بن عدي لنري كيف أمضي ساعات الاختفاء.

إن حجر بن عدي انتقل متنكراً مع صاحبه إلى حي الأزدي، وأرتادا دار ربيعة بن ناجد الأزدي، فاطمان إلى هذه الدار فلم تستطع الشرطة، ولم يتمكن الجواسيس والعيون أن يظفروا على مكان حجر بن عدي، ثم أن الطلب ألقى على عاتق محمد بن الأشعث، وكانت أجهزة الحكومة تسعى، ومحمد بن الأشعث يلهث.

لقد مضى على حجر بن عدي في دار الأزدي يوماً وليلة، ولم تطاله يد من أفراد الحكومة، ولا من أفراد محمد بن الأشعث.

إنه مكان آمن، ولا يكاد يخطر في بال أحد أن حجراً يعيش أو هو مختفى في الأزدي، وكانت أنباء المطاردة تصل لحجر بن عدي لحظة بلحظة، وكانت آخر هذه الأنباء هي أن الحكومة أناطت مسؤولية التحري والبحث بمحمد بن الأشعث، وأن الحكومة أعطت محمد بن الأشعث مهلة أقصاها ثلاثة أيام، فإذا لم يستطع في خلال هذه المهلة أن يسلم حجراً إلى الحكومة، فإنها قد هددت محمد بن الأشعث بالقتل، ولا بد أن الطاغية أن ينفذ هذا التهديد كما هو معروف عن مزاج الطاغية يا ترى ما هو موقف حجر بن عدي تلميذ مدرسة الامام، والمتحلي بخصائص هذه المدرسة؟ يا ترى ما هو موقف حجر بن عدي تجاه محمد بن الأشعث المهدد بالقتل؟ أبقى مستمراً في إختفائه ثم ليقتل محمد بن الأشعث، ولتعمل الحكومة ماشاء لها الهوى والبغي، أم إن عليه أن يخبر محمد بن الأشعث، نعم أن يخبره عن مكمنه، ويسلم نفسه إلى محمد بن الأشعث، وبالتالي تلقى حكومة الطاغية القبض عليه ثم تكون النتيجة معروفة ومعلومة للجميع.

إن تلميذ هذه المدرسة الرائدة سيختار طريق ذات الشوكة، ولتكن النتائج ما تكون، أنه سيسلم نفسه إلى محمد بن الأشعث، أن حجراً تأبى



عليه تعاليم الامام أن يدع محمد بن الأشعث يتخبط في الطلب، ويتهدى إلى ذلك المصير القاتل، رغم أن محمداً هذا هو ابن الأشعث، الأشعث الذي اشترك في المؤامرة التي أدت إلى استشهاد الامام، الأشعث الذي لا تزال يده ملطخة بدم الامام، ومحمد هذا هو أخو زوجة الامام الحسن، شبل الامام، الزوجة التي أو عز اليها طاغية الشام أن تسم زوجها، ففعلت، فاستشهد الامام الحسن بهذا النكران المروع من قبل الزوجة الخائنة، أخت محمد بن الأشعث، وابنة الأشعث بن قيس.

أن حجر بن عدي يعلم تفاصيل التاريخ الأسود لهذه الاسرة إلا أنه لا يحبذ أن يقتل في سبيله رجل، ومن منطلق هذه التعاليم أرسل حجر بن عدي غلامه الفارسي الاصبهاني، والذي كان يسمى رشيداً إلى محمد بن الأشعث برسالة يقول فيها:

«إنه قد بلغني ما استقبلك به هذا الجبار العنيد، فلا يهولنك شيء من أمره، فإني خارج إليك. أجمع نفراً من قومك ثم ادخل عليه، فأسأله أن يؤمنني حتى يبعث بي إلى معاوية، فيرى في رأيه».

ونتساءل لماذا طلب حجر بن عدي من الوالي أن يرسله إلى معاوية بدلاً أن يترك أمر محاكمته بيد الوالي أو قل بدلاً أن يسأل الوالي أن يعفو عنه، وأنه سيقبل كل الشروط التي يشترطها الوالي في مقابل العفو، وأكبر الظن أن الوالي كان سيعفو عن حجر بن عدي في مقابل شروط يشترطها تفرغ حجراً من شعبيته، وتبعده في مكان نائي عن الأجواء السياسية، والاجتماعية، ولقد أبعدت الحكومة الراهنة صعصعة بن صوحان إلى المنفى إلى مكان ناء على ساحل الخليج الفارسي، فكان بالامكان أن تمارس الحكومة تجاه حجر بن عدي هذا الاسلوب نفسه حتى تأمن تحركه وانتقاداته ضد أسلوب الحكم ونظامه التعسفي.

وكان حجر بن عدي يعلم يقيناً أن معاوية هو الذ خصومه، وهو أعظم

نكراً من زياد. لقد كان حجر بن عدي يعلم بوضوح أن معاوية إن كان يرضى عن حجر باراقة دمه الزكي فإن زياداً لربما رضي عن حجر بلون من ألوان الرضا مع شروط وذلك إن زياداً كان صديقاً لحجر بن عدي، وكان مؤيداً له قبل أن يتولى سلطة الولاية، وقبل أن يجري بينه وبين معاوية صلحاً، وإن السياسة وأجوائها القانية هي التي غيرت ابن أبيه، وأخرجته من صفه مع حجر إلى صف مقابل ومعاوي لحجر.

إذن كان ابن أبيه والي المدينة أهون، وأقل عداءً من معاوية، ولكننا نرى أن حجر بن عدي ليس فحسب لم يطلب العفو من الوالي بل اشترط عليه أن يرسله إلى معاوية حتى يسلم نفسه للسلطة، فما هي المبررات لحجر ابن عدي في موقفه هذا.

إن المبررات هي واضحة مشرقة اشراقة النهار إن حجر بن عدي لم يتحرك، ولم يطارد الحكام والسياسيين بانتقاداته، وأخيراً بانتفاضته في سبيل مغنم سياسي أو منصب كبير يسيل اللعاب أو طموحات سياسية أو شخصية، إن تحرك حجر بن عدي، إن انتقادات حجر بن عدي كانت على أساس مبدأي، إن حجر بن عدي كان يتحرك وفقاً لمبادئه التي كان يؤمن بها، والتي ناضل في سبيلها، إن حجر بن عدي كان رجل مبدأ وعقيدة، ولم يكن رجل خداع وسياسية، ولف ودوران، ولم يكن رجل مطامح شخصية، وآمال عريضة.

إن حجر بن عدي اشترط على ابن أبيه أن يبعثه إلى معاوية حتى يسلم نفسه للحكومة مستهدفاً من وراء هذا الاشتراط أن تنتقل أضواء الثورة من جو إقليمي محلي إلى جو أرحب وأوسع يشمل العالم الإسلامي يومذاك، ولقد توصل حجر إلى هدفه العظيم، إن حجر بن عدي لم يكن يعادي الولاة إنما كان يعادي أساليبهم السياسية والاقتصادية والاعلامية المخالفة لروح الإسلام، لم يكن حجر بن عدي يناضل الولاة على أساس مفهوم إقليمي

ضيق حتى إذا استجاب الولاة له سكت، واغمض عينيه عما يجري في العالم الاسلامي يومئذٍ من مظالم وانحرافات خطيرة بل إن حجر بن عدي كان ينطلق في تحركه من روح الاسلام، ومن مواقف الامام ومبادئه المشرقة.

وروح الاسلام في كل المجالات لا تصطبغ بالصبغة المحلية الاقليمية أو تنطبع بطابع خاص تمليه الظروف المقيدة بل ان روح الاسلام ودستوره الفذ له طابعه الرباني يشمل الناس والمسلمين في كل مكان من الوطن الاسلامي، ولا يشمل إقليمًا فذا فحسب، ومن منطلق هذا التحرك العالمي أراد حجر بن عدي أن ينتقل بانتفاضته من إنتفاضة محلية إلى إنتفاضة عالمية، ولا يستطيع حجر بن عدي أن يتوصل إلى هذا الهدف الكبير إلا أن ينقل إنتفاضته من الكوفة إلى العاصمة، ومن معاداة سياسة الوالي إلى معاداة سياسة صاحب الصولجان في القصر، في العاصمة.

إن حجر بن عدي أراد أن يكشف ورقة معاوية المزيفة، أراد أن يكشف سياسة معاوية المنحرفة، أراد أن يكشف إدعاءات معاوية المعسولة، أراد أن يعلن للملأ الاسلامي سياسة أمية كما هي بدون قناع، وبدون ستار. ولقد توصل حجر بن عدي إلى كل أهدافه الرائدة في غفلة من الحكام المتغطرسين.

نعم إن حجر بن عدي بعث إلى محمد بن الأشعث أنه سيسلم نفسه للسلطة شريطة أن يبعثه الوالي إلى معاوية، وبالفعل عاد محمد بن الأشعث إلى ابن أبيه بصحبة حجر بن يزيد الكندي، وجريير بن عبدالله البجلي، وعبدالله بن الحارث النخعي، وهو أخو مالك الأشتر كما مر آنفاً، وعرضوا عليه شرط التسليم، وهو أن يؤمنه ثم يبعثه إلى معاوية، فيرى فيه رأيه، فاطرق ابن أبيه يفكر، ولكن سرعان ما رفع رأسه، وقبل شرط التسليم، وخضع له، وأكبر الظن أن ابن أبيه شعر أنه سيتخلص من تبعات ابن عدي إذا هو أراد أن يحاكمه، وفي نفس الوقت فإنه يستطيع أن يلقي القبض على ابن عدي

بأهون سبيل، ولما أن حصل ابن الأشعث، وصحبه علي إنصياح ابن أبيه لشرط حجر بن عدي بعثوا في سرية إلى حجر أن يسلم نفسه للسلطة، وقد تحقق له ما اشترط، فخرج حجر بن عدي من مكمنه وأقبل وحده رافع الرأس لا يعاني صحبة الجلاوزة، ولا يستشعر الهوان بتعنتاتهم، لقد أقبل حجر بن عدي فذاً حرّاً، ودخل دار الامارة، وكانت مباغته بالنسبة للوالي نفسه تماماً كما كانت مباغته، وبصورة أشدّ بالنسبة إلى رجال المباحث، وجلاوزة الأمن.

هاهو ذا الزعيم يمشي الهوينا إلى دار الامارة صلب الارادة، قوياً، رزيناً، كاتباً لمشاعره، وأحاسيسه، وعواطفه، فكان كالبحر هادئ الصفحة مصطفق الأعماق، فكان المتأمل يراه رزيناً قد جلله الشيب ببياضه الناصع، وطبعته العبادة بطابعها على جبينه، وأضفت عليه تجارب الحياة التماسك والحكمة والمثانة، وما إن وقع بصر ابن أبيه على حجر بن عدي حتى قال في لهجة ساخرة متهكمة:

«مرحياً بك أبا عبدالرحمن، حرب في أيام الحرب، وحرب وقد سالم الناس. على أهلها تجني براقش، ويملك مالك»<sup>(١)</sup>.

فقال حجر بن عدي في تودة وإناء محاولاً أن يسحب سلاح الحكومة التي تبطش به بالثوار، إن ذلك السلاح هو سلاح الخيانة العظمى حسب التعبير الحديث، قال حجر بن عدي: «ما خلعت طاعة، ولا فارقت جماعة، وإنني على بيعتي لمعاوية لا أقيلها، ولا أستقبلها»<sup>(٢)</sup>.

إن هذه الكلمات كان لها وقع الصاعقة على ابن أبيه أنها كلمات تسحب من الحكومة سلاحها الإعلامي ضد حجر بن عدي، وفي نفس

(١) هذا مثل: «على أهلها تجني براقش»

(٢) تاريخ الطبري ٥ : ٢٦٤، الطبقات ٦ : ٢١٩.

الوقت تقف في وجه إجراءات ابن أبيه الممثل للحكومة وسياستها، ولقد أدرك ابن أبيه مرمى هذه الكلمات، فقال غاضباً مزمجرأ مهتداً:

«هيهات، هيهات يا حجر تشج بيد وتأسو بأخرى، وتريد إذا أمكن الله منك أن نرضى كلا والله».

ولقد أثارت هذه الكلمات المتوقعة حجر بن عدي، وأشفق حجر أن لا يفي الوالي بما اشترطه حجر عليه وبالتالي أن لا يتحقق أحلام حجر بن عدي من إنتقال حركته الاقليمية إلى حركة عالمية، فقال في لهجة مستنكرة: «ألم تؤمني حتى أتى معاوية، فيرى في رأيه»، فقال ابن أبيه: «بلى، قد فعلنا».

ثم إن ابن أبيه شعر بأرهاق أو خاف أن يهرب منه حجر بن عدي أو فزع أن يختطف حجراً مختطف إذا طال الحوار الأمر الذي صرخ في شرطته وجلاوزته مشيراً إلى حجر: «إنطلقوا به إلى السجن»، فاقتيد حجر بن عدي من ديوان الوالي، وكان أصحاب الشأن في الحكومة قد اتخذوا مقاعدهم في الديوان، وكان الشرطة والجنود كلهم يستمعون إلى الحوار الدائر بين ابن أبيه وبين حجر بن عدي، فلما أمر ابن أبيه بإعتقال حجر بن عدي، واقتيد حجر باتجاه المعتقل قال زياد بن أبيه مفصلاً تارة، ومتمتماً أخرى، ومشيراً إلى حجر بن عدي:

«أما والله لولا أمانه ما برح أو يلفظ مهجة نفسه، والله لأحرصن على قطع خيط رقبتة».

ولقد انتقلت هذه الكلمات إلى حجر بن عدي تماماً كما سمعها الناس والحاشية، فنادى حجر بأعلى صوته: «اللهم إني على بيعتي لا أقيلها ولا أستقبلها سماع الله والناس»، وكان على حجر برنس في غداة باردة. نعم، إن حجر بن عدي يستشهد بـ «الله تعالى» وبـ «الناس» إن تحركه ليس في إتجاه نقض البيعة أو إعلان الحرب ضد السلطة العليا على أساس

نقض الشرائع كاملة بينه وبين الحكومة حتى تبرر قتله أو إعدامه، وإنما تحركه يسير باتجاه تحقيق مطالب يهتف بها الشعب على لسان حجر بن عدي، وتلك المطالب هي: «الحرية» بأبعادها، «الحفاظ على سمعة الشخصيات الإسلامية الرائدة»، و«الرفاه الاقتصادي».

وحيثما أضحي حجر بن عدي رهن الاعتقال، وفرغ بال الطاغية من الزعيم طفق يطارد كبار أصحاب حجر بن عدي، ويلاحقهم مستهدفاً من وراء ذلك القاء القبض عليهم، وقد أسرف في المطاردة، وأشاع الأرهاب في المدينة والمنطقة كلها، وقد استطاع عمرو بن الحمق، ورفاعة بن شداد، وهما من كبار مؤيدي حجر بن عدي، ومن رؤساء أصحابه أن يخرجوا من المدينة خائفين يترقبان تحت ستار الليل.

#### ١ - قبيصة بن ضبيعة العبسي :

وهو من كبار أصحاب حجر بن عدي، ومن المؤيدين لتحركه التحرري، فأرسل ابن أبيه مدير الشرطة مع فريق من الجلاوزة لإلقاء القبض عليه، وسار مدير الشرطة مع فريقه مثيرين الرعب في قلوب الناس إلى دار قبيصة، فوصلت أنباء الشرطة إلى قبيصة، فثار إلى سيفه، وبعث من يدعو له الناس في حيه، حي بني عبس، فلم يخف إلى نجدته إلا قلة من العبسين.

كان قبيصة وجماعته متحفزين للقتال، وما إن وصل مدير الشرطة مع فريقه حتى وثب قبيصة مجرداً سيفه محاولاً النضال ضد عناصر البغي، وهنا تقدم مدير الشرطة إلى قبيصة مبدياً إشفاقه على قبيصة، وقال له معبراً له عن صيغة الأمان:

«أنت آمن على دمك، ومالك، فلم تقتل عسك، فلم يقبل قبيصة وحاول أن يهاجمهم إلا أن العبسيين اعترضوه وقالوا له مستكرين، وقد شاع

فيهم الضعف والخور، ولمسوا قلّة عددهم أمام سطوة الحكومة :  
«قد أرميتّ فعلام تقتل نفسك وتقتلنا معك»، فقال قبيصة وقد سرت  
فيه موجة غضب :

«ويحكم إنّ هذا الدّعِيّ ابن العاهرة، والله لئن وقعت في يده لا أفلت  
منه أبداً أو يقتلني» .

فقال العبيسون وقد استشعروا ألم الموت لو أنّهم حاربوا وناضلوا:  
«كلّا» .

ولما أحس قبيصة العبسي بخذلان قومه له أنصاع ووضع يده في أيدي  
الجلالوزة، فأقتاده هؤلاء إلى دار الامارة، وهناك وفي الديوان كان الطاغية  
ينتظر، ويتلوى في مجلسه، ولا يكاد يستقر فلما وقع نظره على قبيصة قال  
والشرر يتطاير من عينيه :

«وحيّ عبسٍ تعزّوني على الدين، أما والله لأجعلنّ لك شاغلاً عن  
تلقيح الفتن، والتوتّب على الأمراء». كانت كلمات تقطر منها الدم، فقال  
قبيصة :

«إني لم آتكَ إلا على الأمان»<sup>(١)</sup> .

فأمر ابن أبيه بإعتقال قبيصة العبسي، وهذا هو من قبيلة عنتره العبسي  
البطل الشاعر العاشق الاسطوري المعروف .

## ٢ - صيفي بن فسيل الشيباني :

كان صيفي من زعماء أصحاب حجر بن عدي، ومن كبار قادة  
الحركة، وكان مختفياً، وكانت الجلالوزة تتبع زعماء الحركة، وتبحث عنهم  
في كل مكان بل وقد عينت الحكومة الجوائز لمن يأتي أو يدل على واحد

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٢٦٦ .

منهم ، فجاء قيس بن عباد الشيباني ، وكان يعلم عن مكان إختفاء صيفي ، وكانت الجائزة قد أسالت لعابه ، وكان ضميره قد غشاه ظلام الحقد ، وكان الجاه المزيف قد لمع أمام ناظره ، فلا عليه إلا أن يرتاد الديوان ، ويخبر ابن أبيه عن صيفي ، وإن كان صيفي واحداً من قومه حتى تفتح له موائد الأمير الشهبية ، وتتحقق أحلامه ، ومن منطلق هذه الأفكار أرتاد قيس بن عباد الشيباني ديوان ابن أبيه ، وهناك صاح : «النصيحة ، النصيحة» ، فهرع إليه الشرطة وقالوا له : «ما بالك» .

قال : «عندي نصيحة للأمير» .

فقالوا : «هلم والقيها إلينا» .

فقال : «لا ألقها إلا عند الأمير» .

فاقتاده الشرطة ممتعضين إلى الأمير ، وكانوا يبتغون أن يفضي إليهم بالنصيحة ، فلعل أن يحصلوا على جائزة أو نظرة مشجعة من الأمير أو كلمة إستحسان .

دنا قيس بن عباد الشيباني من ابن أبيه وقال : «إن امرئ منا من بني همام يقال له : «صيفي بن فسيل من رؤس أصحاب حجر» ، ثم بلع الشيباني ريقه وومضت عيناه ببريق الجائزة ، فحاول أن يزيد بالجائزة أو يسرعها ، فقال مشدداً : «وهو - يعني صيفي بن فسيل - أشد الناس عليك» .

ثم أعطى الشيباني مواصفات مكمن ابن فسيل ، فأرسل ابن أبيه بالجلالوزة إلى ابن فسيل ليقوده إليه ، وفي لحظة مباغته طوق الجلالوزة دار ابن فسيل أو مكمنه ثم أقتادوه إلى دار الامارة ، فلما امثل صيفي بن فسيل امام الطاغية قال له ابن أبيه في لهجة ساخرة مشوبة بغضب :

«يا عدو الله ما تقول في أبي تراب» .

قال ابن فسيل وهو يحرك رأسه :

«ما أعرف أبا تراب» .



قال ابن أبيه مؤكداً معرفته به :

«ما أعرفك به» .

قال ابن فسيل مؤكداً عدم العلم به :

«ما أعرفه» .

قال ابن أبيه :

«أما تعرف علي بن أبي طالب» .

قال صيفي ، وقد تلاً لأوجهه : «بلى» .

قال : «فذاك أبو تراب»<sup>(١)</sup> .

قال : «كلا ذاك أبو الحسن والحسين» .

فقال له صاحب الشرطة : «يقول لك الأمير هو أبو تراب ، وتقول أنت

لا» .

قال صيفي بن فسيل : «وإن كذب الأمير أتريد أن أكذب ، وأشهد له

على باطل كما شهد» .

قال له ابن أبيه غاضباً على هذا التحدي البطولي : «وهذا أيضاً مع

ذنبك» ثم صرخ في جلاوزته : «عليّ بالعصا» .

وأَيّ ذنب أعظم عند الطواغيت من كلمة حق تقال عند أمير جائر ، ثم

أَيّ ذنب أعظم عند الطاغية من هذه الحرية التي يتمتع بها صيفي بن فسيل ،

وهو يعيش أفسى إمتحان وأفدحه .

إنّ هذه الحرية أو قل هذه الشجاعة الفذة ، وهذا التفاني الفذ الذي

---

(١) إنّ الجهاز الحاكم اتخذ هذه الكنية العظيمة والكريمة «أبا تراب» سبة وعياً ، وهكذا استشعر

الناس ، ومن منطلق هذا الشعور الذي اختلقه الجهاز الحاكم عن طريق إعلامه القدر نفى

صيفي عن معرفته برجل يكنى بهذه الكنية مع العلم أنّ هذه الكنية كانت من أحب الكنى

إلى الإمام وآز رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي كنى الامام بهذه الكنية «أبي تراب»

صلوات الله عليه ، وعلى اس عمه

٢٩٢ ..... موسوعة أمير المؤمنين عليه السلام / ج ٢

أبداه صيفي ليعتبر من أكبر الذنوب، وأعظمها عند ابن أبيه، ولما أحضرت العصا، ولوّحت أمام ناظري صيفي، قال ابن أبيه في قلب مضطرم بالحق والأسى:

«ما قولك في علي؟».

قال: أحسن قول أنا قائله في عبد من عباد الله أقوله في أمير

المؤمنين .

لقد استطار ابن أبيه غيضاً من هذا التحدي .

أليس غريباً أن يكون هو - أي ابن أبيه - مزمجرأً غاضباً، مضطرم النفس، والأحاسيس، ويكون خصمه صيفي هادئاً مطمئناً كأنما الأمر لا يعنيه أو كأنما الحوار يجري بين ابن صيفي وبين واحد من أصدقائه، لا بينه وبين أمير طاغية، وكأنما يجري الحوار في حديقة أو منتزه أخضر، لا في ديوان كل شيء فيه ينبئ عن الأرهاب والخوف، وعن الأجواء المتوترة المسيطرة.

قال ابن أبيه في نبرات غاضبة، وفي نفس ملتهية، وأشار إلى جلاوزته: «إضربوا عاتقه بالعصا حتى يلصق بالأرض، وطفق الجلاوزة يضربون صيفياً بعصيتهم على عاتقه، وهو واقف صامد قائم، واستمر الجلاوزة في الضرب، واستمر البطل في موقفه المؤلم، العظيم الألم إلى أن سال الدم، وجرح العاتق، وأنهارت القوى، فوقع صيفي العظيم على الأرض، والتصق العاتق بالأرض، وهنا أمر الطاغية جلاوزته أن يقلعوا عن صيفي، فاقلعوا والقوا العصي، وهرعوا إليه، وأقاموه في حالة يرثى لها، فقال ابن أبيه في جبروت الأمراء:

«إيه ما قولك في علي».

فقال البطل، العظيم البطولة، وقد أشعلت الفعلة النكراء لهيب غضبه

في تحدي:

«والله لو شَرَحْتَنِي بِالْمَوَاسِي وَالْمَدِي مَا قَلْتُ إِلَّا مَا سَمِعْتُ مِنِّي» .  
فقال : «لتلعننه أو لأضربن عنقك» ، قال صيفي مستهيناً بالموت  
وبالتهديد الأهوج : «أذن والله تضربها قبل ذلك ، فإن أبيت إلا أن تضربها  
رضيت بالله ، وشقيت أنت» .

قال : «إدفعوا في رقبتة ، أوقروه حديداً ، وألقوه في السجن»<sup>(١)</sup> .  
وهكذا أثبت تلميذ الامام ، وخريج مدرسته في جدارة فائقة . إن  
الايمان ، والمبادئ الرائدة تعلو ، وتعلو ، وتتفوق على الطغيان والجبروت ،  
وصدق رسول الله : الاسلام يعلو ولا يعلى عليه . كان عليّ الاسلام كله ،  
وكان عدوه الكفر كله .

وأثبت التلميذ المتفاني في سبيل إمامه واستأذنه أن القوة لا شيء أمام  
الايمان الصلب ، وأمام العزيمة الصامدة ، وضرب صيفي بن فيسل أروع  
الأمثلة في الوفاء لاستأذنه العظيم ، ومعلمه الكبير .

ومن العبر أن قيس بن عباد الشيباني الذي سعى بتلميذ الامام : صيفي  
ابن فيسل كان قد خرج مع محمد بن الأشعث على الحجاج ، فلما انتهت  
المعركة رجع وجلس في بيته ، فسعى به حوشب الشيباني عند الحجاج ،  
فاعتقله الحجاج ، ثم قتله فقالت أسرة ابن عباد لأسرة حوشب : «سعيتم  
بصاحبنا» ، فقالت أسرة حوشب ، وتذكرت سعاية ابن عباد بصيفي بن فيسل :  
«وأنتم أيضاً سعيتم بصاحبنا»<sup>(٢)</sup> .

---

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٢٦٧ ، الأغاني ١٧ : ٨٨ ، طبعة دار الثقافة ١٩٥٩ ، تحقيق عبد الستار ،  
الكامل في التاريخ ٣ : ٢٣٦ .

(٢) يراجع : الكامل في التاريخ ٣ : ٢٣٦ ، تاريخ الطبري ٥ : ٢٨١ .

### ٣- عبد الله بن خليفة الطائي :

#### شاعر الانتفاضة

عبدالله الطائي هذا من كبار أصحاب حجر بن عدي ، ومن أبطال الدفاع عن المبادئ التي أعلنها حجر بن عدي ضد الظلمة ، ولقد قاتل عبدالله «يوم المسجد» قتالاً شديداً ، وكان أبي النفس عميق المذهب ، شجاع القلب ، وكان عابداً متهجداً قد أنضى جسمه في العبادة والنسك ، وكان شاعراً من فحول الشعراء ، ولقد أنشد قصيدة تأيينية في شهداء مرج عذراء هي آية في الروعة ، وطول النفس ، وشدة الأسر ، وقوة السبك ، وجزالة التعبير ، وأشتهر عبدالله الطائي في المحافل السياسية بولائه العظيم للإمام أمير المؤمنين ، وإندفاعه الملتهب نحو حركة حجر بن عدي ، وتأييده المطلق لزعيم الحركة ، ويعتبر عبدالله الطائي شاعر الانتفاضة .

وحينما جرد ابن أبيه طاقات الحكومة في كبح جماح الانتفاضة ، وإعتقال زعمائها ، ومطاردة مؤيديها كان عبدالله الطائي بعد إعتقال حجر بن عدي يرتاد مسجد الطائيين لا يخاف السلطة ، ولا يرهب سطوة الطاغية ، وكان المسجد متواجداً في حي الطائيين ، وكان الطائيون يعقدون إجتماعاتهم في هذا المسجد ، وفي ذات يوم ، وكان ابن أبيه قد أهمله شاعر الانتفاضة لما كان يعرف من شعبية الشاعر ، وشخصيته الاجتماعية والفكرية والسياسية ، فجمع ابن أبيه عمال المدينة العاملين فيها ، ومعظمهم من الحمراء وضم إليهم رئيس العمال ، وزعيمهم الكبير بكير بن حمران الأحمر ، وأرسلهم لالقاء القبض على عبدالله الطائي في حي الطائيين ، وكانت المعلومات تشير إلى أنّ عبدالله الطائي متواجد في مسجد الحي ، وكان الأرهاب قد سيطر على جو المدينة ، فكنت لا تسمع في المدينة صدىً

إلا صدى الارهاب والخوف الأمر الذي لاذ الرجال والناس عامة إلى دورهم حتى يأمنوا من مصيدة الحكومة، ولكي لا يشتبه في حالهم، فقد كانت الحكومة تلقي القبض على كل من يشتبه في حاله، أرتاد ابن حمران مع فريقه إلى مسجد الطائيين، وقد أعلمته الحكومة بمحل تواجد عبدالله، وكان عبدالله الطائي وحده في المسجد يصلي، ويتهلل إلى الله العليّ القدير أن يكشف هذه الغمة المظلمة عن هذه الأمة، وكان يدعو لآخوانه، ويدعو للاسلام بالنصر والتأييد، ويدعو على أعداء الاسلام بالتفكك والانهار والانقسام، كان مصلياً راکعاً وساجداً، وكان قد صحب معه سيفه ووضع في ناحية من المسجد حتى إذا جد الجد كان معه سلاحه، وكان عبدالله في صلاته وإذا الجلاوزة يهجمون على المسجد، وعلى عبدالله الطائي بالذات، فما كان من عبدالله إلا أن هرع إلى سيفه، وشهره في وجوه المهاجمين، وطفق يقاتلهم، ويحاربهم أشد قتال، وأقصى نضال حتى ألجأهم إلى خارج المسجد، وناضلهم، وكانوا يهربون من وجهه، فلما شاهد ابن حمران شجاعة عبدالله الفريدة، وقوة بأسه، وعزة نفسه أمر فريقه أن يحاربوه بالحجارة، ويرشقوه بالحصى حتى يضعف عن ملاحقتهم، وفعلاً تجمهر الجلاوزة، ورشقوه بالحجارة حتى أدموا وجهه، وشجوا رأسه حتى خرّ على وجهه.

وفي حومة النضال الغير المتوازن، وإختلاط الأصوات، وصياح الجلاوزة انتهت أخت عبدالله الطائي، وكانت تسمى «ميثاء»، وكانت كأخيها رابطة الجأش، قوية الجنان، متفوهة، فلما شاهدت هجوم الجلاوزة على أخيها، وإندلاع المعركة بينه وبينهم في قوى غير متكافئة خرجت ونادت بقومها، ملهبة فيهم الحماس، مشيرة في نفوسهم الشجاعة والحمية، وكانت تقول في هتافها الحماسي: «يا معشر طي، أتسلمون ابن خليفة لسانكم وسانكم».

ويبدو أن أحداً من قومها لم يخف لنجدتها، ونجدة أخيها<sup>(١)</sup> إلا أن هتاف السيدة الطائية قد أثرت أثرها، وأعطت نتائجها حيث إن ابن حمران ما إن سمع هتافها في قومها حتى أنساب في كيانه، وكيان رفاقه الفرع، وخشى أن يجتمع رجال طي، ويخفوا لنجدة سيدة الحي ثم تكون الدائرة عليه وعلى رفاقه، وبهلك، وبهلك أصحابه الأمر الذي ترك ابن حمران ورفاقه عبدالله الطائي صريعاً في ساحة المعركة، وهربوا إلى دار الامارة يعتصمون فيها من ملاحقة الطائيين، وهناك وفي دار الامارة إنتحل ابن حمران لابن أبيه الأعدار في فراره، وفرار أصحابه، وقال: «إن طيئاً أجمعت إليّ، فلم أطقهم فأتيتك».

فأطرق ابن أبيه يفكر في الوسيلة التي يستطيع أن يلقي القبض على عبدالله الطائي، وكانت أبناء هذه المعركة قد بلغت عدي بن حاتم الطائي، رئيس الطائيين وكبيرهم، فأدرك أن الحكومة ستبعث إليه وتطالبه بتسليم عبدالله الطائي بصفته رئيساً للطائيين، ومسؤولاً عنهم إلا أنه قد عزم على الصمود أمام هذه المطالبة، وكيف تريد منه أن يسلم شاعر الطائيين إلى الحكومة ثم تعدمه.

أتريد من عدي بن حاتم أن يشترك في دم حرام يراق من مؤمن متهجد مغوار؟ إن هذا لا يكون.

لقد فكر ابن أبيه في طريقة إلقاء القبض على عبدالله الطائي، وإعتقاله، فرأى أن أفضل طريقة هي أن يضغط على عدي بن حاتم رئيس الطائيين حتى يسلم عبدالله الطائي، ولأجل تنفيذ هذه الفكرة الجائرة أرسل

(١) وقال الطبري: إن أخت عبدالله، وسماها «النوار» لما هفت بالطائيين خرج الطائيون، وشدوا على الشرطة، فضربوهم، وانزعوا منهم عبدالله بن خليفة يراجع تاريخ الطبري

إلى عدي بن حاتم وأحضره، فقال له في لهجة أمرة: «إثني بـ» عبدالله بن خليفة»، فقال عدي بن حاتم في لهجة ساذجة: وماله؟  
فقيل لعدي عن قصة معركة عبدالله مع الشرطة، والجلالوزة، وفراره وإخفائه.

فقال عدي بن حاتم: «فهذا شيء كان في الحي لا علم لي به».  
فقال ابن أبيه في نبرات غاضبة: «والله لتأينني به».  
فقال ابن حاتم في لهجة صادقة متحدية: «لا، والله لا آتيك به أبداً، أجيئك بابن عمي تقتله! والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه»<sup>(١)</sup>.  
فغضب ابن أبيه، وأمر باعتقال عدي بن حاتم في السجن، وتسامع الشعب بإعتقال عدي بن حاتم الطائي، وانتشر خبر إعتقاله بين الأشراف وعلية الناس، وكان لعدي بن حاتم الطائي مكانة مرموقة، ومركزاً اجتماعياً كبيراً، وكان الأصدقاء والأعداء يحبونه على السواء، وذلك لما كان يتمتع به من خصائص قلما اجتمعت في غيره من الناس، وكان خبر إعتقاله من قبل السلطة قد أهمت زعماء أهل المدينة، ورأوا لو أنهم تهاونوا في قضية إعتقال ابن حاتم الطائي، فإن الحكومة سوف لا ترى ضيراً أن تفتعل حادثة، وتعتقلهم هم أنفسهم أيضاً طالما أنها اعتقلت ابن حاتم الطائي، وهو الشجاع الذكي الذي لم يكن ليدع الحكومة أن تمس ساحته أو تنعته بشيء، ومن هذا المنطلق أخذ اشراف المدينة من أهل اليمن، وربيعه، ومضر يختلفون إلى دار الامارة للتوسط بينها وبين ابن حاتم الطائي الذي كان لا يزال رهن الاعتقال<sup>(٢)</sup>، وكانوا يقولون للطاغية يذكره بماضي ابن حاتم المجيد في لهجة معاتبه:

(١) تاريخ الطبري ٥ . ٢٨١ .

(٢) تراجع: تاريخ الطبري ٥ . ٢٦٧ .

«تفعل هذا بعدي بن حاتم صاحب رسول الله»، وفي أثناء الوساطات كانت المراسلة تجري بين عبدالله الطائي الذي انتقل من حيه، وأختفى في حي «بحتر» وبين عدي بن حاتم الطائي الذي كان لا يزال رهن الاعتقال تجري تحت الستار، فحينما بلغت أنباء إعتقال ابن حاتم الطائي إلى عبدالله الطائي، وعرف أن إعتقاله كان بسبب إختفائه أمتعض أشد الامتعاض، وغضب من تصرفات الحكومة، وهو الأبى الشجاع، فعزم أن يسلم نفسه إلى الحكومة إلا أنه رأى أن يستشير زعيم الطائيين، فأرسل إليه رسوياً يقول لعدي:

«إن شئت أن أخرج حتى أضع يدي في يدك فعلت».

ولا يعني أن يضع عبدالله يده في يدي عدي، وهو معتقل إلا أن يعرض نفسه للحكومة، وبالتالي إعتقاله كما اعتقلت رفاقه في نضال الحرية، ولكن عدي بن حاتم الطائي أجاب رسوله معبراً عن عواطفه تجاه أبناء قبيلته، والتزامه بمسؤولياته مهما تحمل في سبيل ذلك من تضحيات:

«قل له والله لو كنت تحت قدمي ما رفعتهما عنك»، إذن عزم عدي بن حاتم أن يحافظ على حياة عبدالله الطائي، وأمره أن يبقى في إختفائه، ولو صادفه ما يصادفه من عنت الحكومة، ولقد علم ابن أبيه بنوايا عدي بن حاتم المتحدية، فأمسى ابن أبيه حائراً بين أسلوبين في المعاملة مع عدي بن حاتم، فهو إذا أصرّ على إعتقال عدي بن حاتم، وطالبه بتسليم عبدالله الطائي، فإن الأمر ربما يتطور إلى تطورات لا تحمد عقباه، فإن قبيلة طي ربما عاضدت زعيمها ثم تظهر على الساحة معاضدة القبائل الأخرى لعدي بن حاتم الأمر الذي يستلزم على الحكومة أن تدخل معتركاً آخر مع عدي بن حاتم الأمر الذي سينتشر جبل التماسك، وأما أن يختار ابن أبيه أسلوب سياسة اللين في هذا المنعطف من حياة الكوفة السياسية، إن هذا الأسلوب هو الأخرى، فأرسل إلى عدي بن حاتم من أتى به إليه، فقال لعدي: «إني



أخلى سبيلك على أن تجعل لي لتفنيه من الكوفة، ولتسير به إلى الجبلين»<sup>(١)</sup>.

فاستجاب عدي بن حاتم لهذا الشرط، فاطلق سراحه، فبعث عدي إلى عبدالله الطائي من يبلغه شرط الحكومة في مقابل إطلاق سراحه، وهذا الشرط هو أن يرحل عبدالله الطائي إلى الجبلين منفياً، ووعد ابن حاتم أنه سوف يسعى جهده إذا عادت الأمور السياسية إلى طبيعتها أن يحمل الحكومة على الترخيص في عودته من منفاه إلى البلد، قال ابن حاتم الطائي في رسالته إلى عبد الله الطائي بالحرف الواحد:

«يا بن أخي إن هذا قد لَجَّ في أمرك، وقد أبى إلا إخراجك عن مصرك مادام له سلطان، فألحق بالجبلين، فلو قد سكن غضبه لكلمته فيك حتى ترجع إن شاء الله».

فاستجاب عبدالله الطائي مضطراً لهذا الاجراء القاسي، وخرج تحت ستار الليل إلى الجبلين تخب به الابل نحو الجبلين في قلب جريح، ونفس مكدودة.

لقد أمضى عبدالله الطائي شهوراً في الجبلين بعيداً عن العمران، وكان يشاق إلى بلده، فيكاتب عدي بن حاتم أن يتوسط لدى الحكومة لكي يجلب رضاها عنه، فكان عدي بن حاتم يمينه، ويفتح أبواب الأمل في وجه المغترب الكاسف البال الحزين، وكان عدي بن حاتم يرى أن الأجواء لا تزال غائمة بينه وبين الحكومة، وإن نفسه عزفت عن الحكومة وحكامها، وخاصة بعد إستشهاد حجر بن عدي ورفاقه، فامست نفسه جريحة عميقة الجرح، أسيفة شديدة الأسف والأسى، ومن جهة ثانية كان عبدالله الطائي يلح على عدي بن حاتم في التوسط لدى الحكومة، فلما لم يستجب عدي

(١) الجبلان هما أجا وسلمى من جبال طي.

ابن حاتم الطائي بصورة جدية لطلب عبدالله الطائي في مغتربه أنشد عبدالله من مغتربه قصيدة عصماء عبر عن عواطفه فيها، وأبن شهداء مرج عذراء وبعثها إلى عدي بن حاتم الطائي قال:

تذكرت ليلي والشببة أعصراً  
وولّى الشّباب فافتقدت غضونه  
فدع عنك تذكّار الشّباب وفقده  
وبكّ على الخلان لما تخرّموا  
دعتهم مناياهم ومن حان يومه  
أولئك كانوا شيعّة لي وموئلاً  
وما كنت أهوى بعدهم متعلّلاً  
أقول ولا والله أنسى أذكّارهم  
على أهل عذراء السلام مضاعفاً  
ولا قى بها حجرٌ من الله رحمةً  
ولا زال تهطّال ملكٌ وديمه  
فيا حجر من للخيل تدمى نحورها  
ومن صادع بالحقّ بعدك ناطق  
فنعّم أخو الإسلام كنت وإنّي  
وقد كنت تعطي السيف في الحرب حقه  
فيا أخوينا من هميم عصمتنا  
وذكر الصّبا برح على من تذكّرا  
فيالك من وجد به حين أدبرا  
وأثّاره إذ بان منك فأقصرا  
ولم يجدوا عن منهل الموت مصدرا  
من الناس فاعلم أنّه لن يؤخّرا  
إذ اليوم ألقى ذا احتدام مذكّرا  
بشيء من الدنيا ولا أن أعمّرا  
سجيس الليالي أو أموت فأقبّرا<sup>(١)</sup>  
من الله وليسق الغمام الكنهورا<sup>(٢)</sup>  
فقد كان أرضى الله حجرٌ وأعدرا  
على قبر حجرٍ أو ينادى فيحشّرا<sup>(٣)</sup>  
وللملك المغزى إذا ما تغشّمرا<sup>(٤)</sup>  
بتقوى ومن إن قيل بالجور غيرا  
لاطمع أن تؤتى الخلود وتحبّرا  
وتعرف معروفاً وتنكر منكرا  
ويسرّتما للصالحات فأبشرا

(١) سجيس الليالي: أي الدهر كله.

(٢) مرج عذراء: هو السومع الذي قل فيه حجر وأصحه الكنهور، كسفر حبل قطع من السحاب تشبه الحبال.

(٣) الملك: المطر الدائم.

(٤) التغشّم: إيقان الأمر من عمرت أو انظّم.

فقد كتما حيتما أن تبشرا  
 وشيبان لقيتم حساباً ميسرا  
 حجاجاً لدى الموت الجليل وأصبرا  
 الحمام يبطن الوادين وقرقرا  
 متى كنت أخشى بينكم أن أسيرا  
 وقد ذب حتى مال ثم تحورا  
 كأنني غريب في إياد وأعصرا  
 ومن لكم مثلي إذا البأس أصحرا  
 وأوضع فيها المستميت وشمرا<sup>(١)</sup>  
 طريداً ولو شاء الاله لغيرا  
 رضيت بما شاء الاله وقدرا  
 كأن لم يكونوا لي قبلاً ومعشرا  
 وكان معانا من عصير ومحضرا<sup>(٢)</sup>  
 لحا الله من لاحى عليه وكثرا  
 ولاقى الفنا من السنان الموقرا  
 علينا وقالوا قول زور ومنكرا  
 لأن دهرهم أشقى بهم وتغيرا  
 عليهم عجاجاً بالكويفة أكدرا  
 جديلة والحيين معناً ويحتررا  
 ألم أك فيكم ذا الغناء العشنرا<sup>(٣)</sup>

ويا أخوي الخندقيين أبشرا  
 ويا إخوتنا من حضرموت وغالب  
 سعدتم فلم أسمع بأصوب منكم  
 سأكبيكم ما لاح نجمٌ وغرد  
 فقلت ولم أظلم أغوث بن طيئ  
 هبلتم إلا قاتلتم عن أخيكم  
 ففرجتني فغودرت مسلماً  
 فمن لكم مثلي لدى كل غارة  
 ومن لكم مثلي إذا الحرب قلصت  
 فها أنا ذا داري بأجبال طيئ  
 تفاني عدوي ظالماً عن مهاجري  
 وأسلمني قومي لغير جناية  
 فإن ألف في دارٍ بأجبال طيئ  
 فما كنت أخشى أن أرى متغرباً  
 لحا الله قيل الحضرميين وائلاً  
 ولاقى الردى القوم الذين تحزبوا  
 فلا يدعني قومٌ لغوث بن طيئ  
 فلم أغزهم في المعلمين ولم أثر  
 فبلغ خليلي إن رحلت مشرقاً  
 ونهبان والأفناء من جذم وطيئ

(١) قلصت: أي قامت واشتعلت، وأصله في الابل يقال قلصت الابل في سيرها: أي شممت وحدث.

(٢) المعان: المنزل والسائة. وعصير تصغير عصور.

(٣) العشنرا: العظم الحلق.

ألم تذكروا يوم العذيب التي  
 وكري على مهران والجمع حاسر  
 ويوم جلولاء الوقيعة لم ألم  
 وتنسوني يوم الشريعة والقنا  
 جزى ربه عني عدي بن حاتم  
 أتنسى بلائي سادراً يا بن حاتم  
 فدافعت عنك القوم حتى تخاذلوا  
 فولوا وما قاموا مقامي كأنما  
 نصرتكم إذ خام القريب وأبعط  
 فكان جزائي أن أجرّد بينكم  
 وكم عدة لي منك أنك راجعي  
 فأصبحت أرعى النيب طوراً وتارة  
 كأنني لم أركب جواداً لغارة  
 ولم أعترض بالسيف خيلاً مغيرة  
 ولم أستحث الركض في إثر عصبية  
 ولم أدر الأبلام مني بغارة  
 ولم أر في خيل تطاعن بالقنا  
 فذلك دهر زال عني حميده  
 فلا يبعدن قومي وإن كنت غائباً

أمامكم ألا أرى الدهر مدبراً  
 وقتلي الهمام المستميت المسوراً  
 ويوم نهاوند الفتوح وتسترا  
 بصفين في أكتافهم قد تكسرا  
 برفضي وخذلاني جزاءً موقراً  
 عشية ما أغنت عديك حزمرا  
 وكنت أنا الخصم الألد العذورا<sup>(١)</sup>  
 رأوني ليثاً بالأباءة مخدرا<sup>(٢)</sup>  
 البعيد وقد أفردت نصراً مؤزرا<sup>(٣)</sup>  
 سجيناً وأن أولى الهوان وأوسرا  
 فلم تغن بالميعاد عني حبترا<sup>(٤)</sup>  
 اهرهم إن راعى الشويهات هرهرا<sup>(٥)</sup>  
 ولم أترك القرن الكمي مقظرا  
 إذا النكس مثنى القهقري ثم جرجرا  
 ميممة عليا سجاس وأبهرا  
 كورد القطا ثم انحدرت مظفرا  
 بقزوين أو شروين أو أغز كندرا  
 وأصبح لي معروفه قد تنكرا  
 وكنت المضاع فيهم والمكفرا

(١) العذورا: القوي الشديد.

(٢) الأباءة: القصة، وتكون مأوى للأسود.

(٣) خام: نكس. الأبعاط: الهرب.

(٤) الحبترا: الثعلب.

(٥) هرهم بالغنم: دعاها إلى الشرب.

ولا خير في الدنيا ولا العيش بعدهم وإن كنت عنهم نائي الدار محصر  
ثم إن عبدالله الطائي لم تمض عليه طويلاً في الجيلين حتى توفي  
هناك قبل موت ابن أبيه<sup>(١)</sup>.

#### ٤ - كريم بن عفيف الخثعمي :

وكان أحد كبار أعضاء حركة حجر بن عدي ، وكانت الحكومة تطارده ،  
وتتعبه لتعقله ، وبعد جهود مكثفة بذلها رجال المباحث استطاعوا أن يلقوا  
القبض عليه ، فأقتادوه إلى ابن أبيه ، فقال له في نبرة قاسية : « ما اسمك » .  
قال : « أنا كريم بن عفيف » .

قال ابن أبيه ، وقد أعجبه الاسم ، وغاضه إهتماماته التحررية ،  
ومعتقداته العلوية : « ويحك ما أحسن اسمك ، واسم أبيك ، وأسوأ عملك  
ورأيك » .

فأهتبل كريم هذه الفرصة الكريمة التي أوحاها اسمه وأسم أبيه ذات  
الظلال الكريمة ، والعفيفة ، فقال ساخراً وملوحاً :  
« أما والله إن عهدك برأيي لمنذ قريب »<sup>(٢)</sup> .

إذا كان رأيي العلوي ، وإتجاهاتي العلوية ، وتحركاتي العلوية هي  
التي نغصت عليك الحياة ، وينا بك المضجع ، وحاصرتك من أطرافك ،  
وأشرفت بريقك ، وأسهرت ليلك ، وحملتك على التعسف المشين ، والبغي  
بغير حدود ، فإن رأيي الذي اعتنقه ، وأناضل دونه ، وفي سبيله ، وأحوطه  
بطاقتي ودمائي ما وسعتني القدرة والطاقة ، فإن رأيي هذا كان إلى عهد  
قريب هو رأيك بالذات ، ولكنك تنمرت لرأيك ، وحلت الدنيا في عينيك ،

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٢٨١ - ٢٨٥ ، الكامل في التاريخ ٣ : ٢٣٧ .

(٢) تاريخ الطبري ٥ : ٢٦٨ .

٣٠٤..... موسوعة أمير المؤمنين عليه السلام / ج ٢

وتذوقت الرئاسة، فرحت تبغى في الأرض بغير الحق، وتطارد أصدقائك إلى عهد قريب، فإذا كان رأي العلوي هذا يثير سخطك، فأسخط على نفسك. وحينما عرض كريم بن عفيف، وبهذه اللباقة بابن أبيه أمام جمهور موظفي الحكومة، وأمام عيون جواسيس معاوية. أقول حينما عرض كريم وقال: «أما والله إن عهدك برأيي لمنذ قريب» تغافل ابن أبيه وسكت، واشتغل بأمور أخرى لتغيير الأجواء الحاكمة على المجلس، والتي أثارها كريم بن عفيف الخثعمي.

٥ - عمير بن يزيد الكندي :

### الشهير بـ «أبي العمرطة»

لقد مرّ بنا آنفاً أنّ أبا العمرطة دافع بسيفه «يوم المسجد» عن حجر بن عدي الكندي زعيم المعارضة، وفي لحظات الدفاع أقبل أبو العمرطة ووثب على فرسه في حومة النضال، وإذا بيزيد بن طريف المسليّ، وهو أحد رجال الشرطة يقبل بعموده، ويهوى به على أبي العمرطة، فيصيب فخذه بالم جراح، فيخترط أبو العمرطة سيفه في عنف، ويهوى به على رأس ابن طريف المسليّ، فيختر لوجهه. ثمّ إنّ المسليّ وبعد أشهر يبرأ من شجته العميقة في رأسه.

فتصل أنباء هذه المعركة إلى الشاعر عبدالله بن همام السلوليّ، فينشد أبياتاً في هجاء ابن طريف المسليّ، وكان ابن طريف هذا يغمز في نسيه، ويمدح أبا العمرطة، ويذكر مواقفه البطولية. قال الشاعر السلوليّ :

الؤم ابن لؤم ما عدا بك حاسراً  
إلى بطل ذي جراءة وشكيم  
معاود ضرب الدارعين بسيفه  
على الهام عند الرّوع غير لثيم  
إلى فارس الغارين يوم تلاقيا  
بصنّين قرم خير نجل قروم

حسبت ابن برصاء الختار قتاله قتالك زيدا يوم دار حكيم<sup>(١)</sup> وتواري أبو العمرطة عن العيون، وكان أخوه قيس بن يزيد الكندي أيضاً مختفياً حيث كان أحد أصحاب حجر بن عدي الكندي، ومن المناضلين في ركابه، فراح رجال المباحث والتفتيش في تجوالهم مستقصين عن الصفوة من أصحاب حجر بن عدي الكندي فألقوا القبض على قيس بن يزيد الكندي، وكان قيس كما أسفنا مؤيداً لحجر بن عدي، وقاتل دفاعاً عنه في معركة يوم المسجد، واقتاده رجال المباحث إلى ابن أبيه في دار الامارة، وأخبروه بإعتقاله، فقال ابن أبيه: «ما على قيس بأس، قد عرفنا رأيه في عثمان، وبلاءه يوم صفين مع معاوية». ثم إنه استدعى قيس الكندي فجاءوا به إليه، فلما رآه قال له: «إني قد علمت أنك لم تقاتل مع حجر أنك ترى رأيه، ولكن قاتلت معه حمية قد غفرتها لك لما أعلم من حسن رأيك، وحسن بلائك، ولكن لن أدعك حتى تأتيني بأخيك عمير».

قال: «أجيئك به إن شاء الله».

قال: «فها من يضمه لي معك».

قال: «هذا حجر بن يزيد<sup>(٢)</sup> يضمه لك معي».

قال حجر بن يزيد: «نعم أضمنه لك على أن تؤمنه على ماله ودمه».

قال: «ذلك لك».

ثم إن قيساً، وحجراً راحا إلى مكمن عمير أبي العمرطة، وكان قيس يعلم عن مكان إختفاء أخيه، فعرضاً عليه أمان ابن أبيه على نفسه،

(١) الكامل في التاريخ ٣ : ٢٣٥ .

(٢) وهو كندي أيضاً .

وممتلكاته على أن يسلم نفسه للسلطة، وحبياً إليه الانصياع لهما، وتسليم نفسه للحكومة، وذلك إن إختفائه عن أنظار الحكومة لا تجديه نفعاً، وإلى متى يستطيع أن يمكث تحت رهن الحذر والمواراة عن عيون الناس، ثم إن الحكومة منحته الأمان فلم الاصرار على المواراة؟ ثم إن إصراره على الاختفاء سيثير مشاكلأ أخرى هو وإخوانه في غنى عنها.

ولكن أبا العمرطة لم يطمأن إلى هذا الأمان، وكان يعرف غدر السياسة والسياسين إذا ما انتكست الامور عليهم، ولم تكن الشؤون في صالحهم إلا أن أبا العمرطة سلم نفسه كارهاً لأخيه، ورفيقه الكندي رغم أنه كان مريضاً يعاني من جراح قد أصابه يوم المسجد في فخذه، فأتيا به إلى ابن أبيه في دار الامارة، وهما مطمئنان على وفاء ابن أبيه لهما، ومقدران سلامة أبي العمرطة من أن يصيبه ابن أبيه بسوء، ولكنهما كانا في غفلة عن النفس الحاقدة المريضة التي تعاني عقدة النقص في شرف النسب، والتي تضرب بعرض الجدار كل عهد أعطته، وكل أمان منحته.

لقد أوعز ابن أبيه إلى شرطته وجلاوزته أن يذيقوا أبا العمرطة ألوان العذاب، ويوقروه حديداً إذا ما سحب مبعوثيه، فلما دخل أبو العمرطة على ابن أبيه لم يكلمه الوالي بل تجهم في وجهه، واكفهر تصرفه، وأشار إلى زمرة أن تبدأ في العمل، فسحبت، وأوقرت حديداً، ثم حمله الرجال يرفعونه حتى إذا بلغ سترزهم تركوه يقع على الأرض، وكان الرجال من الزمرة الخبيثة ينحنون على أبي العمرطة، وهو يعاني آلام جرحه، وآلام تعذيبه الوحشي، وأشد من كل الآلام أنه كان يعاني إهدار كرامته أمام عيون الناس، أنحنى رجال الزمرة ثم حملوه ورفعوه، فتركوه فوقع على الأرض في شدة، وجلجلة الحديد، وكانت الأرض ترتج على أثر هذه الوقعات المتتالية مما أغشى على أبي العمرطة من شدة الألم، وأشفى على الموت، وأثارت هذه الظاهرة المفزعة حجر بن يزيد الكندي بل وأثارت إشفاق كل من كان هناك



في ديوان الظلم والافتئات من المرتزقة والمتزلفين، فقام حجر بن يزيد الكندي إلى ابن أبيه وقال في لهجة مستخذية:

«ألم تؤمنه على ماله ودمه أصلحك الله»، فقال ابن أبيه ساخراً ومصطنعاً إبتسامه صفراء:

«بلى قد آمنتته على ماله ودمه، ولست أهريق له دماً، ولا آخذ له مالاً».

وشعر حجر بن يزيد بسخرية ابن أبيه وإستهزائه به، وبالبطل العقائدي أبي العمرطة الذي كان في حالة يرثى لها، فقال: «أصلحك أنه يشفي به على الموت»، وهنا نهضت جماعة من الأحياء اليمينية تعضد حجر بن يزيد، وتؤيد وجهات نظره، واقتربت من ابن أبيه وكلمته في أبي العمرطة، فقال: «أتضمنونه لي بنفسه، فمتى ما أحدث حدثاً أتيتموني به».

قالت: «نعم».

قال: «وتضمنون لي أرش ضربة المسلي»<sup>(١)</sup>.

قالت: «ونضمنها»، فخلى سبيله<sup>(٢)</sup>.

ثم وبعد جهود من رجال المباحث، وتفتيش شديد في الأحياء والدور، وإستقصاء في البحث والمراقبة إستطاعوا أن يقبضوا على إثنا عشر رجلاً من كبار قادة المقاومة الحجرية، فاعتقلوهم، وأودعوهم في السجن.

ثم إن ابن أبيه فرق الأموال على الزعماء والمرتزقة ممن اعتادت السلطة أن تستغلهم لصالحها، وكان ابن أبيه قد انتقل إلى المرحلة الثانية من سياسة القمع والارهاب تجاه حركة حجر بن عدي، وإنتفاضته الرائدة، فبعد أن فرق الأموال على مرتزقته استدعى كبار المرتزقة وكانوا زعماء على

(١) الأرش: دية الجراحات.

(٢) يراجع: تاريخ الطبري ٥: ٢٦٣ - ٢٦٤، الكامل في التاريخ ٣: ٢٣٥.

الأحياء أو قل زعماء على الأرباع في البلد، وهؤلاء الزعماء هم:  
عمرو بن حريث، وكان على ربع أهل المدينة.  
خالد بن عرفطة، وكان على ربع تميم وهمدان.  
قيس بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة، وكان على ربع ربيعة  
وكندة.

أبو بردة بن أبي موسى، وكان على مذحج وأسد.  
وهؤلاء المرتزقة الكبار كانت السلطة قد فرضتهم على القبائل العربية  
التي كانت تقطن آنثذ في الكوفة يتزعموها، ويقودوها نحو مجارة السلطة،  
لقد أوعز ابن أبيه إلى هؤلاء الرؤوس أن يشهدوا على حجر بن عدي، وقال  
لهم، وكان الأمر مبيتاً بينه وبينهم: «أشهدوا على حجر بما رأيتموه»، فاجتمع  
الشهود وكتبوا وثيقة شهدوا فيها على حجر بن عدي، وعلى كبار قادة الحركة  
تدينهم حسب طبيعة الحكومة القائمة، وحسب أعرافها ونظمها السياسية،  
وحسب اتجاهاتها المنحرفة عن الشريعة الإسلامية ومثلها العليا، وتتكون  
وثيقة الشهادة من المواد التالية:

أ - إن حجر بن عدي شكل حزباً مناوئاً.

ب - إن هذا الحزب يستهدف إلى إنتقاد الحكومة القائمة بالكلام  
تارة، والسلاح تارة أخرى.

ج - إن هذا الحزب له ميول في إقامة حكومة يتزعمها أحد أفراد أسرة  
الامام علي بن أبي طالب عليه السلام.

د - إن هذا الحزب يحمل مبادئ الامام، وبعادي من يهاجم هذه  
المبادئ.

ر - إن الحزب تحرك في قوة محاولاً إخراج والي البلد.

ثم إن الشهود من مرتزقة الحكومة شهدوا وفقاً لهذه المواد التي تدين  
حجراً وحركته.

وإليك نص وثيقة الشهادة:

«إنَّ حجراً جمع إليه الجموع، وأظهر شتم الخليفة، ودعا إلى حرب أمير المؤمنين، وزعم أنَّ هذا الأمر لا يصلح إلَّا في آل أبي طالب، ووثب بالمصر، وأخرج عامل أمير المؤمنين، وأظهر عذر أبي تراب والترحم عليه، والبراءة من عدوه، وأهل حربته، وإنَّ هؤلاء النفر الذين معه هم رؤس أصحابه، وعلى مثل رأيه وأمره»<sup>(١)</sup>.

ثمَّ إنَّ كبار المرتزقة الأربعة وقَعوا في أسفل الوثيقة، ورفعوها إلى الوالي، وهم محبورون يحسبون أنَّها ستقع من ابن أبيه موقع الرضا، وأنَّه سيزيد في رشوته، ولكن ابن أبيه نظر إلى نص الشهادة، وإلى عدد الشهود، ثمَّ فكَّر وقدَّر في مواد الشهادة المدينة، ثمَّ عبس وبسر، وكان المرتزقة ينظرون إلى ملامح وجه الطاغية ليقرأوا من خلالها أحاسيس الرضا أو الغضب، ولكنهم شعروا أنَّ الوثيقة لم تقع عنده موقع الرضا، فلا الشهادة وموادها أرضته، ولا عدد الشهود أرضاه، وقال ابن أبيه في نبرات خائبة:

«ما أظنَّ هذه الشهادة قاطعة، وإنِّي لأحبُّ أن يكون الشهود أكثر من أربعة، فغضب أبو بردة الأشعري، وكان أحد الشهود الأربعة، وبادر وأخذ القلم وكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

«هذا ما شهد عليه أبو بردة بن أبي موسى لله ربِّ العالمين، شهد أنَّ حجر بن عدي خلع الطاعة، وفارق الجماعة، ولعن الخليفة، ودعا إلى الحرب والفتنة، وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة، وخلع أمير المؤمنين معاوية، وكفر بالله عزوجل كفره صلحاء»<sup>(٢)</sup>.

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٢٦٨ .

(٢) تاريخ الطبري ٥ : ٢٦٩ ، الأغاني ١٧ : ٨٩ ، ط دار الثقافة .

وهكذا كانت صيغة الشهادة، ولقد أرضت هذه الصيغة الظالمة ابن أبيه رغم أن هذه الصيغة هي قريبة من وثيقة الشهادة السالفة الذكر إلا أن هذه الصيغة كانت أشد صراحة في «الخيانة العظمى» حسب التعبير الحديث، وأبعد في الادانة مع العلم أن حجر بن عدي لم يخلع معاوية صراحة، ولم يدعو إلى خلعه، وقال: «ما خلعت طاعة ولا فارقت جماعة».

وحسبك أن تعرف أمراض أبي بردة بن أبي موسى الأشعري النفسية، وإنحرافه عن سلامة الضمير، أن تعرف أنه التقى يوماً بأبي الغادية قاتل عمار بن ياسر، فقال له: «أنت قتلت عماراً»، فلما قال: «نعم»، قال أبو بردة له: «إيسط يدك»، فلما بسط له يده أمسكها أبو بردة ثم قبلها، وقال: «لا تمسك النار أبداً»<sup>(١)</sup>.

إن الجهاز الحاكم جذت هذه الصيغة الملفقة التي تدين حجراً وأصحابه إلى حد الاعدام عند صاحب القصر، ومن هذا المنطلق قال ابن أبيه:

«على مثل هذه الشهادة فاشهدوا»، ثم أردف قائلاً، وقد استبد به الغضب والحنق: «أما والله لأجهدن على قطع خيط عنق الخائن الأحمق».

وكان ابن أبيه دعا الموظفين في الحكومة جميعاً، ودعا من يحمل لونا من ألوان الولاء للسياسة القائمة لكي يشهدوا على حجر بن عدي، ورفاقه الكبار، ويوقعوا تحت وثيقة الشهادة التي كتبتها يد أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، تلك اليد الأثمة والمالية للسلطة، وسياستها الغاشمة، فقام رجل يقال له عناق بن شرحبيل التيمي - تيم الله بن ثعلبة - وهتف بالموظفين والكتاب: «اكتبوا إسمي»، فرمقه ابن أبيه وتفحصه بنظرات غريبة ساخرة ثم قال: «إيدوا بأسامي قريش، ثم اكتبوا اسم عناق في الشهود...».

فجلس عناق خائباً وقد غاضته هذه الاهانة التي صوّبها إليه ابن أبيه .  
وهكذا من يسير في ركاب الحكومات الظالمة ، فإن ظلمها لا بد وإن يمس  
أذيالهم بل ويمس حياتهم وكرامتهم إن كان لهم كرامة . تتابع الشهود من  
المتزلفين للسلطة وكتبوا أسمائهم في قائمة الشهود ، ثم إن الكتاب سردوا  
أسماءً مزورة ملفقة على أساس أنّ أصحاب هذه الأسماء شهدوا ووقعوا وثيقة  
الادانة . وإليك أسماء الشهود :

- ١ - عمرو بن حريث ، وهو على ربع أهل المدينة .
- ٢ - خالد بن عرفطة ، وهو على ربع تميم وهمدان .
- ٣ - قيس بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة ، وهو على ربع ربيعة  
وكندة .

- ٤ - أبو بردة بن أبي موسى الأشعري ، وهو على ربع مذجح وأسد .
- ٥ - ٦ - ٧ - إسحاق ، وموسى ، وإسماعيل بنو طلحة بن عبيدالله .
- ٨ - المنذر بن الزبير .
- ٩ - عمارة بن عقبة بن أبي معيط .
- ١٠ - عبدالرحمن بن هناد . في الأغاني : هبار بدل هناد .
- ١١ - عمر بن سعد بن أبي وقاص .
- ١٢ - عامر بن مسعود بن أمية بن خلف .
- ١٣ - محرز بن جارية بن ربيعة بن عبدالعزيز بن عبد شمس .
- ١٤ - عبيدالله بن مسلم بن شعبة الحضرمي .
- ١٥ - عناق بن شرحبيل بن أبي دهم التيمي .
- ١٦ - وائل بن حجر الحضرمي .
- ١٧ - كثير بن شهاب بن حصين الحارثي .
- ١٨ - قطن بن عبدالله بن حصين .
- ١٩ - السري بن وقاص الحارثي . قال الطبري : وكتب شهادته ، وهو

غائب في عمله<sup>(١)</sup>.

- ٢٠ - السائب بن الأقرع الثقفي .
- ٢١ - عبدالله بن أبي عقيل الثقفي .
- ٢٢ - مصقلة بن هبيرة الشيباني .
- ٢٣ - القعقاع بن شور الذهلي .
- ٢٤ - ضرار بن هبيرة، ذكر هذا الاسم في الأغاني فقط .
- ٢٥ - شداد بن المنذر بن الحارث بن وعله الذهلي .
- ٢٦ - حجار بن أبجر .
- ٢٧ - عمرو بن الحجاج الزبيدي .
- ٢٨ - لييد بن عطارذ التميمي .
- ٢٩ - محمد بن عمير بن عطارذ التميمي .
- ٣٠ - سويد بن عبدالرحمن التميمي من بني سعد .
- ٣١ - أسماء بن خارجة الفزاري . قال الطبري : كان يعتذر من أمره<sup>(٢)</sup> .
- ٣٢ - شمر بن ذي الجوشن العامري .
- ٣٣ - زحر بن قيس الجعفي .
- ٣٤ - ثبث بن ربيعي . في الأغاني : شبيب .
- ٣٥ - سماك بن مخزومة الأسدي صاحب مسجد سماك . جاء إسمه في الأغاني فقط .

- ٣٦ - شداد بن الهيثم الهلالي .
- ٣٧ - مروان بن الهيثم الهلالي .
- ٣٨ - محفز بن ثعلبة .

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٢٦٩ .

(٢) تاريخ الطبري ٥ : ٢٧٠ .

- ٣٩ - الهيثم بن الأسود النخعي ، وكان يعتذر إليهم .
- ٤٠ - عبدالرحمن بن قيس الأسدي .
- ٤١ - الحارث بن الأزعم الهمداني الوادعي .
- ٤٢ - شداد بن الأزعم الهمداني الوادعي .
- ٤٣ - كريب بن سلمة بن يزيد الجعفي .
- ٤٤ - عبدالرحمن بن أبي سبرة الجعفي .
- ٤٥ - قدامة بن العجلان الأزدي .
- ٤٦ - عزرة بن عزرة الأحمسي .
- ٤٧ - عمر بن قيس ذو اللحية الوادعي .
- ٤٨ - شريح بن الحارث القاضي .
- ٤٩ - هانئ بن أبي حية الوادعي .
- ٥٠ - شريح بن هانئ<sup>(١)</sup> .

لقد كتب الكتاب في قائمة الشهود أسماء سبعين رجلاً على أساس أنهم شهدوا وفقاً لمواد الادانة .

ثم ان الكتاب حملوا قائمة الشهود إلى ابن أبيه لينظر فيها، ويحذف أو يزيد في الأسماء، فلما قرأها أمر بإلغاء أسماء رجال لم يكونوا بذئ خطر لا في الحقل السياسي، ولا في الحقل الاجتماعي، وإنما كانوا من سواد المرتزقة ممن لا يؤبه بهم، فبلغ الذين الغيت أسمائهم من القائمة عشرون رجلاً أو ما يقاربه، وكان عبدالله بن الحجاج الثعلبي فيمن حذف اسمه<sup>(٢)</sup> .

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٢٦٩ - ٢٧٠ ، الأغاني ١٦ : ٨٨ - ٨٩ ، أعيان الشيعة ٢٠ : ١٨٤ -

١٨٦ .

(٢) براجع : تاريخ الطبري ٥ : ٢٧٠ .

### أضواء على الأسماء :

١ - شَدَاد بن المنذر بن الحارث بن وعلة الذهلي كان أحد الشهود الذين شهدوا على حجر بن عدي ، وهو يحمل رقم (٢٥) في قائمة الشهود ، وكان شَدَاد هذا مشهوراً عند الناس بـ «شَدَاد بن بزيعَة» ، وبزيعَة هذه هي أمه ، وحينما عرضت أسماء الشهود على ابن أبيه فقراها ، فلما وصل إلى شَدَاد بن بزيعَة شعر بهوانه وضآلة شأنه عند الناس حيث إنَّ الناس كانوا يعرفون زياداً منتسباً إلى أمه تماماً كما أنَّ شَدَاداً منتسب إلى أمه أيضاً ، ولكن هذا الاحساس بالهوان وضآلة الشأن انقلب في نفس ابن أبيه إلى ثورة غاضبة ، وزمجرة قاصفة ، فصاح وهو يشير إلى اسم شَدَاد بن بزيعَة : «ما لهذا أب ينسب إليه» . ثم أردف غاضباً : «ألقوا هذا من الشهود» .

ولكن لما كان شَدَاد بن بزيعَة من مشاهير البلد تقدم أحد رجال الحاشية إلى ابن أبيه وقال ، وهو يشيد بشَدَاد وشهرته : «إنَّ شَدَاد هذا هو أخو الحضين بن المنذر» .

فلما عرف ابن أبيه أنَّ شَدَاداً هذا له شأنه في زمرة الحكومة قال : «فانسبوه إلى أبيه» ، فنسب إلى أبيه ، وكتب في وثيقة الشهادة : شَدَاد بن المنذر ، فبلغت هذه القصة إلى شَدَاد بن المنذر ، وإنَّ الوالي حاول أن يلغي اسمه من قائمة الشهود لضآلة اسمه ، ونسبته إلى أمه ، فغضب شَدَاد بدوره هو الآخر من الوالي الذي يحمل العيب بالذات ، فقال : «ويلي على ابن الزانية ، أولست أمه أعرف من أبيه ، والله ما ينسب إلا إلى أمه سمية»<sup>(١)</sup> . وهكذا يتراجع الرجلان حول النسب الغائم .

(١) تاريخ الطبري ٥ - ٢٦٩ - ٢٧٠ . الأعمى ١٦ - ٨٩ ، طبع دار الثقافة ، تحقيق عبد المنار فراج .



ب - كان في الشهود جماعة من ربيعة، فغضبت قبيلة ربيعة، وخاصة بعد أن تطورت الاحداث إلى تلك المجزرة الرهيبة بمقتل حجر بن عدي، والصفوة من أنصاره. نعم بعد هذه التطورات غضبت ربيعة على هؤلاء الشهود من ربيعة، وقالوا لهم: «شهدتم على أوليائنا وحلفائنا».

فقال الشهود الربعيون يبررون موقفهم من حجر بن عدي وجماعته: «ما نحن إلا من الناس، وقد شهد عليهم ناس من قومهم كثير»<sup>(١)</sup>.

ج - ولقد كتب في الشهود اسمان هما: شريح بن الحارث القاضي، وشريح بن هانئ، وكانت لهما مكانة في المجتمع، فلما رأى الشعب إسميهما في قائمة الشهود الذين شهدوا على حجر بن عدي، والصفوة من أصحابه تلك الشهادة النكراء غضب الشعب عليهما، فإنهالوا عليهما بالنقد اللاذع، والسخرية الغاضبة.

فأما شريح بن الحارث القاضي، فإنه أظهر برائته اللفظية إلى الناس وقال: «إن زياداً سألني عن حجر بن عدي، فأخبرته أنه كان صواماً قواماً»<sup>(٢)</sup>. وأما شريح بن هانئ، فإنه لم يحضر الشهود، وإنما كتب الموظفون إسمه في جملة الشهود بدون علمه، فلما عرف شريح بن هانئ أنه قد ذكر إسمه في قائمة الشهود، وسمع قوارص القول من الناس بادر سريعاً، وكتب رسالة إلى معاوية ينكر الشهادة، ويشيد بحجر بن عدي. وجاء في الرسالة ما يلي:

«أما بعد، فإنه بلغني أن زياداً كتب إليك بشهادتي على حجر بن عدي، وإنّ شهادتي على حجر أنه ممن يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويديم الحج والعمرة، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر. حرام الدم والمال،

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٢٧٠.

(٢) تاريخ الطبري ٥ : ٢٧٠.

فإن شئت فاقتله، وإن شئت فدعه»<sup>(١)</sup>.

لقد كانت مغامرة من شريح بن هانئ أن يكتب هذه الرسالة في ذلك الجو المشحون بالذعر والارهاب، إنها شجاعة أدبية تقدر من شريح بن هانئ، وفي نفس الوقت وفاءاً لصديقه حجر بن عدي، ولا غرو فإن شريح بن هانئ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، ومن تلامذته المخلصين، ومن خريجي مدرسته.

وهذه الرسالة، وهي رسالة من إنسان سليم الاتجاه تشير بدورها الشبهات، وعلامات الاستفهام على الشهادة، وعلى الشهود جميعاً.

ولم يكتب ابن هانئ بهذه الرسالة بل إرتاد دار الامارة وعاتب ابن أبيه، وكذب شهادته، ولقد قال ابن هانئ للناس عندما كانوا يذكرون شهادته المزورة: «ما شهدت، ولقد بلغني أن قد كتبت شهادتي، فاكذبه ولمته»<sup>(٢)</sup>.

د - ونجد أنه ليس فحسب كتب إسم شريح بن هانئ في قائمة الشهود، وهو غائب عن الشهادة بل وساخط عليها، بل هناك رجل آخر سرد إسمه في قائمة الشهود، وهو غائب في عمله، في وظيفته الحكومية، وهذا الرجل هو السري بن وقاص الحارثي، وهو يحمل رقم (١٩) في قائمة أسماء الشهود.

ر - ثم نجد رجلين آخرين من الشهود يعتذران إلى الناس من الشهادة بعد أن سددوا إليهما سهام النقد، وهذان الرجلان هما كما يذكرهما الطبري: أسماء بن خارجة الفزاري، ويحمل رقم (٣١)، والهيثم بن الأسود النخعي، ويحمل رقم (٣٩).

س - ونجد في الأسماء الذين شهدوا على حجر بن عدي، والصفوة

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٢٧٢ .

(٢) تاريخ الطبري ٥ : ٢٧٠ ، الأغاني ١٧ : ٩٠ ، ط دار الثقافة .

من أصحابه ناساً حضروا بعد ذلك بأعوام معركة كربلاء، وحاربوا الحسين عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله، مثل عمر بن سعد بن أبي وقاص، ويحمل رقم (١١)، وشمير بن ذي الجوشن، ويحمل رقم (٣٢) وغيرهما.

ش - وكل الذين شهدوا يظهر عند الدراسة والفحص زيفهم ونفاقهم وفسقهم، وإنحرافهم عن الاسلام، وآل البيت عليهم السلام. فهذا عناق بن شرحبيل بن أبي رهم التميمي كان منافقاً في عهد خلافة الامام أمير المؤمنين عليه السلام، وشهد بعد ذلك على حجر بن عدي<sup>(١)</sup>، وهو يحمل رقم (١٥).

وهذا الهيثم بن الأسود أبو العريان المذحجي شاعر من خصوم آل البيت، وكان يوالى السلطة الحاكمة الأموية، ويكن لها الحب، وكان فاسقاً، وشهد على حجر بن عدي<sup>(٢)</sup>.

في حين يفرض في الشاهد والشهادة العدالة، ولو افترضنا أن عادلاً شهد على حجر بن عدي الذي يمثل العدالة، والتجسيد الكامل للاسلام، لو افترضنا هذا، فإنه سيتحول إلى رجل فاسق، وتسقط عدالته، فكيف وإن الشهود بعد الفحص والدراسة يكشف عن تاريخهم الأسود، وماضيهم المتهرئ.

ص - كان ابن أبيه دعا المختار بن أبي عبيدة الثقفي، والمختار هذا هو الذي سطر بعد ذلك بأعوام تاريخاً مجيداً حافلاً بالبطولة، ودعا ابن أبيه أيضاً عروة بن المغيرة بن شعبة، وهو ولد والي البلد السابق دعاهما ليشهدا ظلماً وعدواناً على حجر بن عدي، والصفوة من أصحابه، ولكنهما أبا

(١) الغارات ٢ : ٥٢٨ .

(٢) المصدر نفسه ٢ : ٥٤٥ .

ذلك<sup>(١)</sup>.

وإليك أسماء حجر وأصحابه الذين حملوا إلى دمشق :

- ١ - حجر بن عدي الكندي .
- ٢ - الأرقم بن عبدالله الكندي من بني الأرقم .
- ٣ - شريك بن شداد الحضرمي .
- ٤ - صيفي بن فسيل .
- ٥ - قبيصة بن ضبيعة بن حرملة العبسي .
- ٦ - كريم بن عفيف الخثعمي من بني عامر بن شهران .
- ٧ - عاصم بن عوف البجلي .
- ٨ - ورقاء بن سمى البجلي .
- ٩ - كدام بن حيان العنزى من بني هميم .
- ١٠ - عبدالرحمن بن حسان العنزى من بني هميم .
- ١١ - محرز بن شهاب التميمي من بني منقر<sup>(٢)</sup> .
- ١٢ - عبدالله بن حوية السعدي من بني تميم .

إن ابن أبيه لما تهيأ له كل شيء ، وأحكم حلقة الجريمة عزم أن يرسل حجر بن عدي ورفاقه الاثني عشر مع طابور من الشرطة والجلالوزة إلى معاوية في الشام ، وشاع هذا النبأ في البلد فظهر على الساحة بعض التحركات المناوئة ، وبث ابن أبيه بين الناس جواسيسه ليوافوه بأنباء ردود فعل الجماهير تجاه عزمته في إرسال حجر ورفاقه إلى معاوية ، وحينما شاع نبأ انتقال حجر ورفاقه إلى الشام ظهر بعض ردود الفعل من قبل الجمهور تستهدف إختطاف

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٢٧٠

(٢) نعلم أن نصر بن مزاحم - أحد مؤرحي الخلافة العلوية - هو أيضاً منقري . فلاحظ الترابط في الاتجاه السليم ، فذاك سر في درب الشهادة ، وهذا سير في درب الثقافة والتأليف .

حجر ورفاقه من أيدي الجلاوزة، فرفع الجواسيس تقريراً إلى ابن أبيه حول هذا الشأن، فأمر جلاوزته أن يحملوا حجر بن عدي ورفاقه إلى ساحة البلد في الرحبة متحدياً بهذا الاجراء المختطفين، وعلى إمتداد سحابة النهار كان المعتقلون في الساحة تحت المراقبة الشديدة، ولما كان جو البلد جو الارهاب والخوف والفرع والحذر، فإن أحداً لم يجترئ على أن يتقدم من حجر بن عدي فضلاً من أن يختطفه المختطفون، فكان الناس وأفراد قبائل المعتقلين ربما مروا من أمام المعتقلين أو ترشوا قليلاً، فكان الجلاوزة يهيون بهم أن يتنحوا عن النطاق المضروب حول المعتقلين، وكان هناك ناس يحذرون أن يمروا من الساحة خوفاً من أن يلقي الجلاوزة القبض عليهم، فكانوا إذا ما اضطروا أن يمروا من الساحة، فإنهم كانوا يفضلون ملتويات السكك، ومنعرجات الدروب يسلكونها لكي يصلوا إلى حاجاتهم على المرور من الساحة حذراً وترقباً، وعلى إمتداد وجه النهار كان طابور من الجلاوزة يراقبون المعتقلين في الساحة، وفي آخر النهار، وكان جماعة من الناس وقفوا في الساحة يتفرجون على المعتقلين لما أطمأنوا بعض الاطمئنان على حياتهم من شراسة الجلاوزة.

ولما انقضى النهار وضرب الليل برواقه على الساحة، وعلى المدينة تحدى الجلاوزة الناس، ولم يكن أحد يجترئ على تحدى سلطة الارهاب والبطش أو يستطيع أن يختطف المعتقلين.

كان الليل قد تقدم أمامه، وهجع الناس، وكانت ليلة باردة من ليالي الواحدة والعشرين والثانية والعشرين من الشهر، وكان القمر يطلع بطيئاً من مطلعته، وصدرت أوامر الحكومة بالحركة، فخرجت قافلة المعتقلين أو قل قافلة الشهداء إلى مرج الاستشهاد ترافق القافلة طوابير من الشرطة، والجلاوزة، وحرس ابن أبيه الخاص، وقدر اعدادهم بمائة رجل ممن يعتمد

عليه في ولائه للسلطة، وعدائه لحجر ومبادئه<sup>(١)</sup>.

وكان ابن أبيه قد بعث برسائل إلى مسؤولي القرى والأرياف أو المدن والبلدان التي تقع في طريق قافلة الشهداء أن يتخذوا الاجراءات الأمنية للحفاظ على هذه القافلة من أن يختطفها مختطف، وأن يراقبوا الأوضاع في البلد أو القرية حتى إذا شاهدوا تحركاً مشبوهاً استطاعوا أن يطوقوه سريعاً.

سارت القافلة من ساحة المدينة، وكان حجر بن عدي ورفاقه قد أفلتهم الركائب الصعبة، والابل القوية التي لا تكاد تلحق، وكان حجر بن عدي زعيم المعارضة قد أركب إحدى هذه الابل من جانب، وأرسل بقدميه، وسارت القافلة بقلوب دامية، ومشاعر مكلومة، وأحاسيس حزينة، وكان بعض المعتقلين لا يزال متفائلاً قد أشرق جانب من جوانب نفسه بالأمل في أن تخرج جماعة مسلحة وموالية، وتنقذه ورفاقه من أيدي الجلاد.

مرت القافلة في شوارع المدينة والمؤدية إلى خارجها، وكانت الأسر التي ترتبط بالمعتقلين قد وقفت على الطريق، وعلى سطوح المنازل ليلقوا النظرة الأخيرة على القافلة.

كانت البنت تريد أن ترى أباه، والابن يريد أن ينظر إلى أبيه أو عمه، والزوجة تريد أن تنظر إلى زوجها، والأخت تريد أن ترى أخاها، والأم تتلهف إلى ابنها.

كانت تلك القلوب الحزينة والملتاعة تترقب مطلع القافلة، ولقد وقفوا طويلاً، وانتظروا مديداً لمراي تلك الوجوه الطيبة التي لم تكن لتعدو وجه الأب أو وجه الأخ أو وجه الخال أو وجه العم.

الأسر التي طالما نعمت بهذه الوجوه في نطاق الاسرة الدافئ، ولكن الآن، فإن تلك الوجوه معتقلة وأسيرة، ومعالم ملامحها معبرة وجريحة.

طلعت القافلة على الأسر، ورمقتها العيون الحزينة الباكية، والقلوب الملتاعة، وتقدمت القافلة في جبانة عرزم، وتأمل قبيصة بن ضبيعة العبسي، وهو واحدٌ من المجاهدين المعتقلين من أفراد القافلة داره، فرأى ما أدمع عينيه، وأحزن قلبه، وأثارت مشاعره، والهبت أحاسيسه.

لقد رأى بناته مشرفات من شرفة الدار ينظرن إلى والدهن وحببهن وعزائهن ومعيّلهن، وأكبر الظن أن قبيصة العبسي لم يكن قد أنجب غلاماً أو كان قد أنجب ولكنه كان لا يزال طفلاً صغيراً لا يرجى منه تحمل مسؤولية الأسرة، ومن هذا المنطلق فإن قبيصة العبسي كان مستثار المشاعر، مضطرم النفس، مرتبك الأحاسيس إلا أن قبيصة العبسي تذكر الله عزوجل الذي بيده الرزق والحياة، وتذكر مسيرته فرأها مسيرة فيها رضى الله، ورضى رسوله، ورضى سيده وإمامه، ورضى المؤمنين، فأطمأن باله، واستقرت لواعجه النفسية، وهدأت اضطراباته الفكرية.

وحينما نظر قبيصة العبسي الوالد والملاذ إلى أسرته وبناته انفطر قلبه عليهن، وكادت دمعة تظفر من عينيه لولا أنه تجلد، وكظم أحاسيسه.

ثم هتف بالمسؤولين عن القافلة، وطلب منهم أن يأذنوا له أن يدنو من بناته وأسرته، ويوصي إليهن، فأذن المسؤولون له، فنزل من راحلته ثم دنا من أهله وبناته، وهم يبكون، ويذرفون الدموع الساخنة، وكن البنات أكثر أمعاناً في البكاء، فتأثر الوالد الحبيب من هذا الجو الحزين، فضغط على نفسه، وتجلد في محاولة يائسة، لقد استطاع أن يضبط أعصابه، ولا ينجرف معهن في البكاء ثم قال لهن بعد جهاد عنيف مع مشاعره وأحاسيسه النفسية المضطربة، وفي نبرات متقطعة أو تكاد أن تكون متقطعة قال:

اسكتن لأحدئكن، فسكتن فقال:

«أتقين الله عزوجل، واصبرن، فإنني أرجو من ربي في وجهي هذا

إحدى الحسينين: إما الشهادة، وهي السعادة؛ وإما الانصراف إليكن في

عافية، وإن الذي كان يرزقكَن ويكفيني مؤتتكَن هو الله تعالى، وهو حي لا يموت. أرجو ألا يضيَعَكَن، وأن يحفظني فيكَن».

ثم ألقى الأب نظراته الحانية على حبيبات قلبه، وعلى أهله وأسرته ثم مشى إلى راحلته أو حمل على المشي بنفس، الله يعلم بما كان يجول فيها، وكان الجلاوزة يحثونه على الاسراع وعدم التلبث، وكانت بعض الخواطر لا تزال في ذهنه، وبعض الكلمات على شفثيه يحاول أن يسكبها في قلوب أسرته وبناته إلا أن الدعوات المتكررة من قبل الجلاوزة الغلاظ حالت دون ذلك، وكان قبضة يستأني وبتريث علّ نفرأ من قومه يهاجمون الجلاوزة ويتزعوه من أيديهم إلا أن أحداً من قومه لم يتقدم رغم أن الكثير من العباسيين كانوا قياماً غير بعيدين ينتظرون مرور القافلة عليهم.

ولربما مرّ على خاطر بعضهم أن لو كان عترة العباسي البطل الاسطوري حياً لانتزع قبضة العباسي الذي نادى بضرورة العودة إلى خط الامام والامامة من أيدي الجلاوزة.

ثم أن القافلة مرت على قوم قبضة فطفقوا يبتهلون إلى الله حينما شاهدوا قبضة العباسي شريفهم وكبيرهم، ويدعون له بالعافية في رحلة الشهادة هذه، فغاض قبضة العباسي هذا التهاون والتواني، وهذا الضعف والتخاذل من قومه، وهذا الهلاك المعنوي الذي يضطربون فيه، فقال في لهجة غاضبة ويائسة: «إنه لَمَّا يعدل عندي خطر ما أنا فيه هلاك قومي».

والطريف إن جماعات من الناس كانت تنتظر القافلة لتمر عليها، وكان بين هذه الجماعات رجل متحمس نائر على الضعف والتخاذل السائد بين الناس بفعل الارهاب المسيطر على أجواء البلد، وكان هذا الرجل الشجاع الذكي هو عبيد الله بن الحر الجعفي، وكان يحاول أن يكون عصابة من الناس ثم يهاجم بها الطابور المرافق للقافلة، فينتزع القافلة منهم ويختطفها إلى حيث الأمان والطمأنينة، ولكن أحداً من الناس لم يستجب لابن الحر



الجعفي ، ولم يعاضده في نواياه الطيبة ، ولم يشد يده في هدفه العظيم .  
لقد مرت القافلة على جماعات من الناس ، فطفق ابن الحر الجعفي  
يهتف ، ويعاود هتافه ، ويلوذ بالناس ، ويهمس إليهم ، ويناجيهم ، ويسر إليهم  
إسراراً : «ألا عشرة رهط استنقذ بهم هؤلاء ، ألا خمسة»<sup>(١)</sup> .

فلم يستجب واحد من الجماعات لتلهفه وهتافه وهمسه ، فرأى ابن  
الحرّ أنّ القافلة تسير وتبتعد ، فيعاود هتافه وهمسه : «ألا عشرة رهط ، ألا  
خمسة رهط استنقذ بهم هؤلاء» ، فمضت القافلة الهويناء ، ولم يجترئ أحد أن  
يتقدم نحوها ، ومضى ابن الحر الجعفي أسيفاً ، كاسف البال ، حزيناً يمضغ  
كلماته : «ألا عشرة رهط ، ألا خمسة رهط أستنقذ بهم هؤلاء» .

وهذا يعبر عن روح الارهاب الذي سرى في قلوب الناس بحيث شل  
أيديهم وأرجلهم ، وطبع أفكارهم إن كان لهم فكر على الانصياع رغم أنّ  
زعيمهم ، والمعبر عن آرائهم ، والمتفاني في سبيل قضايابهم السياسية ،  
والاجتماعية ، والثقافية ، والاقتصادية يقاد في الطريق البعيد نحو مرج  
الاستشهاد .

سارت القافلة في الليلة الباردة ، وخرجت من الكوفة حتى أوغلت ،  
فكنت لا تسمع في الصحراء الشاسعة سوى وقع أخفاف الابل ، وبعض  
كلمات يتبادلها رجال الحرس إلى أن بلغت القافلة الغريين أو أرض النجف  
الحالية ، فإذا رجل يعدو على فرسه ، ويهتف بالقافلة أن تقف ، وشق صوت  
هتافه ، ووقع حافر فرسه الفضاء ، فسمع الجلاوزة النداء ، فالتفت وائل بن  
حجر الحضرمي ، وكثير بن شهاب الحارثي في كثير من الحذر والقلق  
لخلفهما ليتبيننا ملامح الرجل الهاتف ، وكان وائل الحضرمي ، وكثير الحارثي  
مسؤولين عن القافلة ، وفي نفس الوقت كانا رئيسي طابور الجلاوزة ، وبعد أن

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٢٧١ .

بلغ الفارس إلى القافلة، وفحصا في وجه الفارس في ذلك الجو الهادئ البارد، وكان القمر يرسل بأشعته الفضية، فيغمر الصحراء، والقافلة بهدوئه وطمانيته.

لقد عرف الرجلان من الرجل الفارس. نعم أنه شريح بن هانئ الحارثي، ولمحا رسالة يحملها في يده.

نزل الفارس توأ، وتقدم نحو كثير الحارثي ليسلمه الرسالة حيث إن كثيراً هو من قومه، فليعط إذن رسالته له، وهنا ابتعد وائل الحضرمي عنهما ظناً منه أن لهما حديثاً خاصاً. تقدم ابن هانئ نحو كثير، وهو يقول: «بلغ كتابي هذا إلى معاوية»، فأخذ كثير الكتاب في كثير من الحذر، وقال متسائلاً: «ماذا فيه»، فأبى ابن هانئ أن يعلم كثيراً بمحتوى الرسالة، وقال في كثير من الأشفاق: «لا تسألني، فيه حاجتي»، ولكن كثيراً الحارثي أبى أن يحمل الرسالة إلى معاوية، وردها إلى ابن هانئ، وهو يقول: «ما أحب أن أتى معاوية بكتاب لا أدري ما فيه، وعسى ألا يوافق». «

إن الحارثي لم يقبل كتاب الحارثي ابن هانئ إمعاناً منه في الإخلاص للسلطة أو هكذا ألفت الهواجس في نفسه أنه إذا لم يحتمل الرسالة، فإن إخلاصه سيظهر للسلطة أكثر فأكثر، فلما يأس ابن هانئ من رهطه هذا أخذ الكتاب إلى وائل الحضرمي وقدم كتابه له، وأشفق أن لا يقبله هذا بدوره، فيفوت عليه غرضه الهام عنده، ولشد ما سر ابن هانئ، وهو يرى أن يد وائل الحضرمي امتدت وأخذت الكتاب، ولم يسأله عن محتويات الكتاب بل قبل أن يحتمل الرسالة، ويوصلها إلى الجهة المعنية، فعاد ابن هانئ مسروراً من التوفيق الذي حاله، وإن أحزن قلبه مرأى حجر بن عدي ورفاقه رضوان الله عليهم.

وعلى إمتداد توقف القافلة في الغريين أو أرض النجف الأشرف كان حجر بن عدي مشغولاً بتفكيره وإلتفاتاته الحذرة كأنه يبحث عن شيء. أبصر

شيئاً فتمتم مع نفسه مبتهجاً محتفلاً: ها هو ذا، ها هو ذا، وإذا كان أحد يراقبه في حالته تلك لكان يرى الدموع الرقراقة تنحدر على خديه، فقبل لحيته الناصعة، ولكان الناظر يرى أن حجر بن عدي يشير إلى أكمة ثم يسلم عليها بلغة القلب: «السلام عليك يا أمير المؤمنين، السلام عليك ورحمة الله وبركاته».

ولكن أحداً لم يراقب حالته تلك، وذلك لأن حجراً كان يتكلم بلغة القلب والعين.

ولندع حجراً ورفاقه المصفدين بالاغلال يسرون في الطريق مع الجلاوزة ولنعود إلى البلد فنجد سيدة أنصارية تسمى هند بنت زيد بن مخزومة ملتاعة قلقة على مصير حجر بن عدي لا تكاد تستقر في مكانها فمرة تصعد على السطح، وتلقي ببصرها على الطريق المديد الذي يسير فيه حجر، وتارة تهبط إلى حجرتها فلا يكاد يستقر بها المكان حتى تقوم، وتصعد إلى السطح، وتتأبها الهواجس بعنف، وتلقي ببصرها إلى القمر، وهو يطلع ويصعد ببطء، فتقول منشدة:

ترفع أيها القمر المنير	تبصر هل ترى حجراً يسير
يسير إلى معاوية بن حرب	ليقتله كما زعم الأمير
تجبرت الحبابر بعد حجر	وطاب لها الخورنق والسدير
وأصبحت البلاد بها محولاً	كان لم يحيها مزن مطير
ألا يا حجر حجر بني عدي	تلقتك السلامة والسرور
أخاف عليك ما أردى عدياً	وشيخاً في دمشق له زئير
يرى قتل الخيار عليه حقاً	له من شر أمته وزير
ألا يا ليت حجراً مات موتاً	ولم ينحر كما نحر البعير

فإن تهلك فكل زعيم قوم من الدنيا إلى هلك يصير<sup>(١)</sup>  
ويظهر من سياق القصيدة أنّ السيدة الأنصارية انشدت البيتين

الأخيرتين بعد استشهاد حجر بن عدي .

إنّ السيدة الأنصارية التي عبرت عن هواجسها أبدع تعبير في هذه  
الآبيات، والتي ألفت الأضواء على سيرة الولاة والحاكمين الذين طفقوا  
ينعمون في ظل الخورنق والسدير، ويتقلبون على أموال الشعب، ويلبسون  
الدمقس والحريز، ويكبلون لشعب بالحديد إذا ما تحرك ونغص عليهم  
نعيمهم، واقض مضاجعهم .

إنّ الأنصارية في هذه الآبيات البديعة المعبرة تكلمت بلسان نساء  
البلد، وسيدات الكوفة اللاتي كن يعشن أزمة من أضخم الأزمات وأعنفها،  
وينظرن إلى مستقبل أولادهن نظرة متشائمة في ظل تلك الظروف الصعبة  
المتأزمة .

وتابعت القافلة مسيرتها في الطريق الطويل الذي لا يكاد ينقضي،  
وأصابت أصحاب القافلة بالاعياء والارهاق العنيف، ولحق حجر بن عدي  
ضعف ووهن، وهو الرجل الشيخ المتقدم في السن، وفي ذات صباح  
استيقظ حجر من تهويمته، ف شعر أنه يحتاج إلى إستحمام، ولكن من أين له  
بالماء، وهذه صحراء قاحلة، فدعا الموكل به والمسؤول عنه، وكان معه  
الماء يسقي الجماعة إذا احتاجت إلى الماء، وقال له : إعطني شرابي أتطهر  
به، ولا تعطني غداً شيئاً .

فكر المسؤول عنه في هذا الطلب أنّ حجراً يطلب منه حصته من الماء  
في ذلك اليوم، واليوم التالي أي أنّ حجراً طلب حصته من الماء مجموعاً

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٢٨٠ . الأعاني ١٧ ٩٥ طبعة دار الثقافة - بيروت . مروج الذهب ٣ :

على إمتداد يومين على أن لا يسقيه في هذه المدة الزمنية، وهي مدة طويلة ربما أصيب حجر بالعطش، فاعتذر المسؤول عن الاستجابة لطلبه وقال: أخاف أن تموت عطشاً، ويقتلني معاوية، وهنا ابتهل حجر بن عدي إلى الله تعالى ودعا بالغيث والمطر.

وما هي إلا لحظات حتى شاهدت الجماعة أن الجو الذي كان صاحباً مشرقاً بأضواء الشمس الساطعة تلبد وتراكت السحب من هنا وهناك، وغامت السماء ثم هطلت السماء في موجة عاصفة قوية، وما هي إلا دقائق حتى امتلأت الغدران بمياه المطر.

ثم انقطعت السماء عن الهطول، وانجابت السحب وعادت السماء إلى إشراقها، ورجعت الشمس إلى عنايتها بالأرض، وبهذه القافلة الحزينة، فهدأت مسيرة القافلة ريثما يستحم حجر بن عدي في غدير مترع بالمياه، وطفق زملاء حجر يقولون:

إن هذا كان آية من الله سبحانه وتعالى للعبد الصالح حجر بن عدي، وعلموا أنئذ بوضوح أن حجر بن عدي هو مستجاب الدعوة، فإذا دعا الله سبحانه فإنه سرعان ما يلبي دعوته، ويستجيب لابتهاالاته<sup>(١)</sup>، ومن هذه الحقيقة الناصعة عزم الأصحاب أن يطلبوا من حجر بن عدي أن يسأل الله سبحانه وتعالى بالخلاص من قيد الأسر والاعتقال والرحلة البعيدة، وحينما عاد حجر بن عدي من إستحمامه، وكان طابور الحرس قد نزلوا ليأخذوا قسماً من الراحة والاستجمام، وكان أصحاب حجر بن عدي يتداولون الرأي فيما بينهم، ويتجادبون أطراف الحديث حول الدعاء، وعندما استقر حجر بن عدي في مكانه بأغلاله وحديده قال له أصحابه في نبرات مشرقة: «أدع الله

(١) جاء في الاستيعاب ١: ٣٥٧، قال أحمد: قلت لابن سليمان: أبلغك أن حجراً كان مستجاب الدعوة قال: نعم، وكان من أفاضل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله

أن يخلصنا»، فرجع حجر بن عدي العبد الصالح يديه إلى السماء وقال: «اللهم خزلنا»<sup>(١)</sup>.

وهكذا دعا حجر بن عدي ربه أن يختار له، ولأصحابه ما هو الخير لهم، فإذا كان الخير والسعادة في الشهادة، فمرحاً مرحاً، وإن كان الخير والسعادة في إطلاق سراحهم، وعودتهم إلى أهلهم في سلامة وعافية، فمرحاً مرحاً.

إن حجر بن عدي كانت تحركاته وانتفاضته ومعارضته للسلطة ونهجها السياسي في سبيل الله.

إذن فليكن الله العلي القدير يختار له ولهم ما هو الخير، وما هو الصلاح، وما هو الرشاد، فليختار الله سبحانه له ولأصحابه إحدى الحسينين أما الشهادة وأما السلامة والعودة إلى البلد والأهلين.

وهكذا الرجل المؤمن المتصلب في إيمانه لا يرهب الموت، ولا يرهب في سبيل رأيه الذي آمن به أحداً من الناس.

سارت القافلة، وبلغت «مرج عذراء»، وهي قرية تبعد ٦٠ كيلومتراً من دمشق، والقرية في نفس الوقت فيها سجون للحكومة، فتسائل حجر بن عدي عن إسم هذه القرية، فلما قيل له: «مرج عذراء» قال: «الحمد لله أما والله إنني لأول مسلم ذكر الله فيها، وأول مسلم نبج كلابها في سبيل الله، ثم أتني بي اليوم إليها مصفوداً»<sup>(٢)</sup>.

فترك وائل، وكثير المسؤولين عن حجر وأصحابه تركوهم في السجن محتجزين ثم طارا إلى القصر، وأعلما الخدم بوصولهما، والخدم أعلموا معاوية بوصولهما، ووصول المعتقلين، فإذن لهما بالحضور، فلما إمتثلا بين

(١) أعيان الشيعة ٢٠ - ١٥٢ . الاصابة ١ - ٣١٤

(٢) الطبقات ٦ : ٢١٩ .

يديه قال وهو يبدي إمتعاضه من أنصار الامام المعتقلين: «لا أحب أن أراهم، ولكن إعرضوا عليّ كتاب زياد»<sup>(١)</sup>.

فسلماه رسالة ابن أبيه، ووثيقة الشهادة، وكان كبار رجال الحكومة قد اتخذوا مقاعدهم ينظرون بنهم واستغراق إلى ما يجري بين رسولي ابن أبيه وبين معاوية، فلما استلم الرسالة منهما فضّها ثم شرع يتلو بصوت عال ليسمعه رجال الحاشية، فإذا في الرسالة ما يلي:

«أما بعد، فإن الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء، فكاد له عدوه، وكفاه مؤونة من بغي عليه. إن طواغيت من هذه الترابية السبية<sup>(٢)</sup> رأسهم حجر ابن عدي خالفوا أمير المؤمنين، وفارقوا جماعة المسلمين، ونصبوا لنا الحرب، فآظهرنا الله عليهم، وامكنا منهم، وقد دعوت خيار أهل المصر، وأشرفهم، وذوي السن والدين منهم، فشهدوا عليهم بما رأوا وعلموا، وقد بعثت بهم إلى أمير المؤمنين، وكتبت شهادة صلحاء أهل المصر وخيارهم في أسفل كتابي هذا».

ثم طفق يقرأ أسماء الشهود، ولما إن قرأ الكتاب، وأسماء الشهود قال متسائلاً: «ماذا ترون في هؤلاء النضر الذين شهد عليهم قومهم بما تستمعون». فقال له يزيد بن أسد البجلي: «أرى أن تفرقهم في قرى الشام، فيكفيكهم طواغيتها»<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر نفسه ٦ : ٢١٩ .

(٢) يقصد أن الثوار هم من أهل اليمن قال الله تعالى : «وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدد أم كان من الغائين \* لا عذبه عذاباً شديداً أو لا ذبحته أو ليأتيني سلطان مبین \* فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ نبياً يقين \* النمل : ٢٠ - ٢٢ . ويقول تعالى : «لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور \* السبأ : ١٥ .

والترابية، ويقصد أن الثوار هم من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٣) تاريخ الطبري ٥ : ٢٧٢ .

ثم إن وائل بن حجر الحضرمي خطر في باله رسالة شريح بن هانئ الحارثي التي سلمها له عندما كاد أن يخرج هو والقافلة من الغريين ، وأوصاه أن يسلم كتابه إلى معاوية ، وسرعان ما أحضر وائل كتاب ابن هانئ ثم سلمه إليه ، ففضه فإذا في الكتاب تقریظ لحجر بن عدي ، ونقد ضمنى لوالیه علی الكوفة ابن أبيه ، وتجريح لوثيقة الشهادة ، فقال معاوية : « ما أرى هذا إلا قد أخرج نفسه من شهادتكم » .

لقد فكر معاوية ، وقدر ، وعبس ويسر حول القضية القائمة ، والمعارضة العنيدة حتى أنها أقضت مضجعه ، وأسهرت ليليه ، وسلبت منه الراحة .

ولو أنه جارى نفسه ، وجارى سياسته وشهوته ، ولو أنه مشى مع ذكرياته عن حجر بن عدي متريثا ، ولو أنه استقصى التقارير الواردة عن حجر بن عدي ، وعن مناهجه الثورية ، ولو أنه بحث عن نفسه وضعفاتها وأحقادها ، لو أنه فعل كل هذا ، ونظر من جديد إلى هذه الملامح الدكناء لأسرع شاهراً سيفه لا يبلوي على شيء حتى يقضي على حجر بن عدي ، وعلى مؤيديه ومناصريه .

إنه لم ينس مواقف حجر بن عدي في المعارك التي كانت دائرة بينه وبين الامام ، المواقف الصلبة والمؤيدة لخطوات الامام ، المواقف التي ذاق منها ألوان العناء ، وضروب العذاب ، والتي أذاعت بنواياه وأهدافه الظالمة ، ولوّحت بسيرته وسلوكه المظلم ، والتي نشرت صفحته على ملأ المسلمين والمؤمنين ، وكشفت عن ماضيه الأسود لكلا الفريقين : مناصريه ومقاتليه على السواء .

ولقد قرأنا آنفاً عن أسلوب حجر بن عدي وزميله في الشهير بمعاوية في صفتين ذلك الأسلوب الذي حمل الامام على تبديله بأسلوب أفضل وأنجع .



ثم إنه لا ينسى قيادة حجر بن عدي لفيلق من الجيش في عهد الامام يطارد به الضحاك المغير على الأمنين من المسلمين كما مرّ آنفاً، يطارده حتى يظفر به، ثم تلتحم معركة بين حجر وفيلقه وبين الضحاك وعصابته، فيمضى الضحاك بهزيمة منكرة.

ثم كيف ينسى مواقف حجر القتالية بعد إستشهاد الامام، وفي عهد الامام الحسن عليه السلام، ولا ينسى ذلك الهجوم الذي شنّه حجر بن عدي على العير المثقلة بالأموال، والتي كان من المقرر أن تحمل تلك الأموال والأثقال إليه في الشام.

إنّ مواقف حجر بن عدي في عهد واليه الثاني هي أشد عليه وأنكى لسياسته.

إنّه كيف يستطيع أن يغض بصره عن إتجاهات حجر بن عدي ورفاقه الأشاوس.

إنّ حجر بن عدي تقوم أسس إنتفاضته:

- ١ - على أن تبقى صورة الامام عليه السلام ناصعة ومشرقة، وإن تستمر تعاليمه حيّة نابضة في وجدان الامة، وفي سلوكها وتحركها.
  - ٢ - وعلى رفع مستوى الشعب الاقتصادي والثقافي.
  - ٣ - وعلى الاهتمام بمسألة حيوية بالغة الأهمية، وهي: «مسألة الحرية»، حرية الكلمة، حرية المعتقد والمذهب، وحرية الفكر والرأي، وكل هذا في نطاق الاسلام الناصع الكريم، الاسلام المحمدي العلوي.
- وهذه الأسس التي كان يتابعها حجر بن عدي وأصحابه تصطدم في الصميم مع السياسة القائمة، وإتجاهات الحكومة التي يتزعمها معاوية. أنّها على طرفي نقيض مع أحلامه الموحشة.
- إنّ السياسة الحاكمة التي تريد إبعاد الامام عن وجدان الامة كيف تستطيع أن تلتقي مع مسار حجر بن عدي، وآرائه.

إن السياسة السوداء التي تريد إذلال الشعب عن طريق إفقاره وتجويعه، وعن طريق محاربة الثقافة المتألقة، وإذا اقتضى الأمر فنشر ثقافة مزيفة تشيع الميوعة كيف تلتقي مع هتاف حجر بن عدي وتحركه الاقتصادي، وتبنيه رد الحقوق إلى أهلها لا إلى خزانة الحكومة وإحتكارها، وإحتجانها أموال الشعب التي هي من حق الشعب.

وأخيراً أنّ السياسة الأموية كيف تلتقى مع الحرية وإتجاهاتها الكريمة، السياسة التي تقوم على كبت الحريات، وعلى الحديد والنار، وقتل الأبرياء والأطفال فضلاً عن الشيوخ والفقهاء.

إنّ سياسة معاوية لتساوي سياسة ميكيافيل في كل أساليبها.

أو قل أن سياسة أمية لتساوي السياسية الميكيافيلية في أساليبها بل وترجمها في خداع العامة والدهماء بل والخاصة وأرباب العلم المزيفين. إنّ معاوية أسرف في إستجرار الذكريات، وأسرف في المقارنة بين إتجاهات الثقل المعارض وبين إتجاهات السياسة القائمة.

إنّه قرأ ثانية وثالثة كتاب عامله على الكوفة، فتأمل في أسماء الشهداء فأرسمت على وجهه بسمة ماكرة، وعلم أنّ معظم الشهداء هؤلاء يسرون مع بريق الذهب والفضة، ويخبون مع جاه الوظائف الحكومية ولو أدى بهم هذا المسير السريع إلى مسخ ضمائرهم، وتغيير دينهم، ولو أدى بهم إلى جهنم. نعم علم أنّ الشهداء ماجورون ومتزلقون، وعلم أنّ هؤلاء الشهداء إذا قدّر وتغير نظام الحكم لصالح حجر بن عدي لساروا في ركابه، وشهدوا على كل من يرتبط بنظام الحكم الماضي بصلة حقا أو باطلاً.

إذن هم شهداء لا يعتمد عليهم تماماً كما أنّه كان يعرف بوضوح سلوك عامله ابن أبيه وأهوائه وأخلاقياته المتأثرة بشهوات السياسة وأهواء الزعامة إذن ابن أبيه هو الآخر أيضاً لا يعتمد عليه في هذه القضية.

إنّ معاوية عطف بعنان تفكيره عن الظروف السياسية القائمة التي

تعمل ضد حجر بن عدي إلى حجر نفسه إلى دراسات وخواطر في هذا الصدد، فرأى أن حجر بن عدي يعتبر العقل المفكر لتلامذة الامام على إمتداد منطقة السواد، والرائد الكبير للقاعدة الشعبية العريضة .

ثم إن لحجر ماضيه المجيد فهو صحابي لرسول الله صلى الله عليه وآله، وإنه كان أميناً على هذه الصحبة، وكان متفاعلاً مع مستلزماتها وإتجاهاتها، وإنه لم ينحرف عن خط الرسول العظيم بعد وفاته صلوات الله عليه، فمن هذه الناحية فلحجر وزنه وثقله عند الامة .

وعلم وهو سادر في تفكيره محللاً النتائج التي ستمخض عن إستشهاد حجر بن عدي إذا ما لطح يده القدرة بدمه الزكي ، فلمس من بعيد أن العالم الاسلامي يومئذ سيقوم ويقعد، ويصاب بهزة عنيفة من أعنف الهزات، وذلك لشهرة حجر بن عدي العلمية والفكرية والسياسية، وتضحياته البطولية أبان الفتح الاسلامي على إمتداد الوطن الكبير .

إن الصور ارتسمت أمام معاوية على إمتداد تفكيره في حجر بن عدي أن سلباً وإن إيجاباً، والملامح التي تلمسها عن حجر بن عدي . لأن كل هذا كان خليقاً به أن يصرفه عن قتله لولا أن قلبه كان قاسياً جاسياً، فهو كالحجارة أو أشد قسوة .

أراد أن يحصل على أخبار جديدة عن حجر بن عدي ، وعن التطورات التي ربما حصلت في الكوفة، وفي نفس الوقت أراد أن يتأكد من رأي عامله على الكوفة، ويستخرج ما تنطوى عليه نفسيته، ويستقصي رأيه حول حجر ابن عدي، ومن منطلق هذه الأهداف الماكرة كتب رسالة إلى عامله بالكوفة «ابن أبيه» مبدياً ترده في أمر حجر بن عدي :

«أما بعد، فقد فهمت ما اقتضت به من أمر حجر وأصحابه، وشهادة من قبلك عليهم، فنظرت في ذلك، فأحياناً أرى قتلهم أفضل من تركهم، وأحياناً أرى العفو عنهم أفضل من قتلهم» .

وحيثما بلغت رسالته ليد عامله ابن أبيه، وقرأها وشاهد خلال سطورها التردد كتب إليه :

«أما بعد، فقد قرأت كتابك، وفهمت رأيك في حجر وأصحابه، فعجبت لاشتباه الأمر عليك فيهم، وقد شهد عليهم بما قد سمعت من هو أعلم بهم، فإن كانت لك حاجة في هذا المصير، فلا تردن حجراً وأصحابه إلي» .

وأرسل الرسالة مع يزيد بن حجبة بن ربيعة التيمي إلى معاوية .  
لمس ابن حجبة في الأفق نذر أخرى ضد حجر بن عدي والصفوة من أصحابه لكنه سار فاغذ السير، وما هي إلا ليالي وأياماً حتى وصل إلى مطالع دمشق، فرأى أن يعرج على حجر بن عدي والصفوة المجاهدة حتى يخبرهم عن السحب الجديدة السوداء، ويستلم منهم وصاياهم إن كانت لهم وصايا، فأرتاد المعتقل، وهناك التقى بحجر بن عدي وأصحابه، فقال في كلمات متوجسة بنأهم عن رسالة ابن أبيه الخطيرة التي يحملها إلى ابن هند، وهذه الرسالة ليست من رسائل المجاملة أو من رسائل العفو والتبرئة عن المتهمين بل هي رسالة فيها قرارات خطيرة، ولقد عبر ابن حجبة عن هواجسه هذه، فقال للمعتقلين الأفاضل :

«يا هؤلاء، أما والله ما أرى براءتكم، ولقد جثت بكتاب فيه الذبح، فمروني بما أحببت مما ترون أنه لكم نافع أعمل به لكم، وأنطق به» .

فقال حجر بن عدي مؤكداً على أمرين هامين، وهو يعيش اللحظات الأخيرة من حياته البطولية :

الأول : أكد حجر بن عدي وأصحابه أنهم لا يزالون متمسكين بميثاق البيعة للسلطة الحاكمة مستهدفاً من وراء تصرّحه هذا سحب دعوى السلطة بالخيانة العظمى ضدّهم، وإن حجراً وأصحابه يعملون لقلب نظام الحكم .  
الثاني : أكد حجر بن عدي على تجريح الشهود الذين شهدوا عليه،

وعلى مرافقيه، وإن الشهود هؤلاء هم من الأعداء، والعدولا يستطيع أن يدلي بشهادته بتزاهة أو من الأظناء الحاقدين الذين يعملون بالظن، والظن لا يغني من الحق شيئاً.

نعم قال حجر بن عدي: «أبلغ معاوية إننا على بيعتنا لا نستقبلها ولا نقبلها، وأنه إنما شهد علينا الأعداء والأظناء»<sup>(١)</sup>.

فطار ابن حجبة باتجاه القصر، وهناك التقى بصاحب القصر، فسلمه رسالة عامله ابن أبيه، ففضها ابن هند وقرأها، ولما رفع رأسه نظر ابن حجبة إلى ابن هند وقال مبلغاً رسالة حجر بن عدي:

«إننا على بيعتنا لا نستقبلها ولا نقبلها وأنه إنما شهد علينا الأعداء والأظناء».

فحرك ابن هند رأسه، وقال وقد عزم على أشباع نهمه من دماء المؤمنين:

«زياد أصدق عندنا من حجر».

وكانت حاشيته تصغي إلى الحوار الدائر بين ابن حجبة وبين ابن هند، فقلق ابن أم الحكم الثقفي، وكان من الطغمة الفاسدة من كلمات حجر بن عدي التي تعبر عن حسن نواياه تجاه السلطة العليا، فقال وهو يصرف أسنانه بصريز كرية متزلفاً إلى السلطة، ومشدداً في القضاء على الصحابي العظيم حجر بن عدي، والصفوة من أصحابه، حجر بن عدي وأصحابه الذين يعتبرون من كبار أعلام الخلافة العلوية.

قال: «جذاذها جذاذها»<sup>(٢)</sup>.

إنه يأمر ابن هند أن يتأصل الجذور القويمة التي تدعم الامام،

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٢٧٣ .

(٢) الجذاذ بالفتح : فصل الشيء عن الشيء . والجذاذ بالضم : المقطع والمكسر . قال تعالى : ﴿فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم﴾ .

وتدعم تعاليمه، فبادر معاوية الذي لم يكن يحتاج إلى تحريض أو دوافع خارجية ليقضى على رجالات التحدى العلوي، فأحقاده وضغائنه ستغذيه، وتحفزه بحافز عنيف في إراقة دماء الصفوة من اصحاب الامام، وقادة دولته فقال: «لا تمن أبرأ»<sup>(١)</sup>.

ومن أشارته هذه يقول: إنه عزم على السير في خوض الدماء الزكية إلى نهاية الشوط مهما صادفته في الطريق من معوقات، وإنه لا يمد حبل المداراة أو المسالمة بل ولا يحمل نفسه معاناة إصلاح النخلة الباسقة الصاعدة في السماء.

إن بطانة القصر سمعت هذه الكلمات المتبادلة أو هاذين المثليين المتبادلين بين الثقفي، والأموي ولكنها لم تستطع أن تكتشف نواياهما ومراميهما من ضرب هذه الأمثال، وإن كانت الطغمة قد استساغت مفردات المثليين.

ولأجل التوصل إلى نوايا ابن هند، وكانت أجواء القصر تنذر برعود قاصفة، وسحب سوداء كثيفة، وكان حديث القصر آنثذ هو حديث حجر بن عدي، وإنتفاضته المدوية بين المسؤولين في الحكومة، ولأجل التوصل إلى كشف النوايا ارتادت الطغمة الفاسدة دار النعمان بن بشير لعلمها أنه صاحب هذه الأمثال التي تدور حول النخل والنخيل، وحول الأمثال التي تنجم من الحياة الزراعية الممارسة لهذا اللون من الزراعة النخيلية.

ارتادت الطغمة دار النعمان بن بشير الأوسي، وعرضت عليه شؤون القصر، والحديث الذي دار في القصر حول حجر بن عدي، وما كان من ضرب الأمثال ذات الغايات السياسية البعيدة، فلما سمع ابن بشير المثليين «جذاذها، جذاذها» و«لا تمن أبرأ» اطرق منصتاً مفكراً ثم رفع رأسه وقال

(١) يريد: لا تنجسه إصلاحاً. والابز: إصلاح النخل.

مقتضياً: «قتل القوم».

ولنعد إلى ابن أبيه في الكوفة، فإنه كان قد ضيق الحصار على الشعب وخاصة على رجال الانتفاضة أو المشكوك في تلاحمهم مع الانتفاضة أو المشتبه فيهم، فإنه كان يطاردهم ويرصدهم ويراقبهم إلى أن تحين له الفرصة فيقبض عليهم، وكانت الكوفة والسواد كله بل والعالم الإسلامي يراقبون الأحداث بيقظة، وبهواجس مرهفة، ومشاعر دقيقة، وقد شدت الأبصار والأسماع إلى القصر في الشام، وكان خبر الانتفاضة قد انتشر في البلاد.

وفي الدفعة الثانية وبعد محاولات مكثفة قبض رجال الشرطة على سعيد بن نمران الهمداني ثم الناعطي، وعتبة بن الأحنس من بني سعد بن بكر بن هوازن، وقيدهما ابن أبيه بالأغلال وأرسلهما مع عامر بن الأسود العجلي، وجعل تحت إمرته ثلثة من الشرطة، وكان عامر هذا فظاً غليظاً، سيء الأخلاق، سليط اللسان، متجهم الملامح، فأقبل عامر وجماعة الشرطة مع المعتقلين إلى مرج عذراء، وزجهما في السجن مع الرفاق القدامى.

وحينما أبصر حجر بن عدي عامراً العجلي، وهو يتوفر لمتابعة الرحلة إلى دمشق، والألتقاء بابن هند ليرفع إليه تقريراً عن المعتقلين الجديدين نهض حجر بن عدي متثاقلاً برسف في أغلاله إلى عامر العجلي محاولاً أن يفضي إليه برسالة شفوية ليبلغها لمعاوية، وهذه الرسالة الشفوية هي مماثلة لرسائله الأخرى الشفوية التي كان يرسلها إلى معاوية صاحب القرار الأخير كلما حانت له فرصة، وفي هذه الرسالة يؤكد حجر على مسيرته السلمية، ويطلب حجر من معاوية أن يشكل محكمة قضائية نزيهة، وسليمة من الغايات والأغراض، وتتنظر في قضيته، ولا يستعجل في سفك الدماء الزكية، وفي نفس الوقت يطلب أن يفى بميثاق الصلح الذي وقعه مع الامام الحسن ابن علي عليهما السلام.

لقد قال حجر بن عدي لعامر العجلي : «يا عامر إسمع ، أبلغ معاوية أنّ دماءنا عليه حرام ، وأخبره أنا قد أومنا وصالحناه ، وأنا لم نقتل أحداً من أهل القبلة ، فيحل له دمائنا ، فليتق الله ، ولينظر في أمرنا»<sup>(١)</sup>.

كان حجر بن عدي يتكلم ، ويلقى لعامر برسالته الشفوية ، وكان عامر مشغولاً عن حجر ، وعن كلماته بشؤونه الخاصة التي تهمة ، وهو في لحظة إرتياد القصر الأمر الذي لم يكن يلقي بالأل للشيخ السجين المصنف بالاغلال والحديد ، ولقد شعر حجر بن عدي بإستهانة عامر العجلي به وبرسالته الأمر الذي راح يؤكد ويكرر ويبدأ ويعيد في كلامه محاولاً تركيز كلامه في ذهن العجلي الفظ الغليظ ، وكان عامر العجلي كلما أعاد حجر كلامه كلما أمعن عامر بالتهاون واللامبالاة ، وعدم الاهتمام بالشيخ ، ولكن الشيخ الكريم السجين أعاد خامسة وسادسة وإذا بعامر العجلي يضيق ذرعاً بالشيخ ويصرخ : «قد فهمت لك ، أكثرت» فغضب حجر بن عدي وقال ساخراً :

«إني ما سمعت بعيب ، وعلى آية تلوم إنك والله تحبى وتعطى ، وإن حجراً يقدّم ويقتل ، فلا الومك أن تستقل كلامي» .

ثم قال في نبرة غاضبة امرة : «أذهب عنك» .

واستحيا عامر العجلي من سخرية الشيخ السجين فقال : «لا والله ما ذلك بي ، ولا بلغن ، ولا جهدن» .

ثم كان عامر العجلي يزعم بعد ذلك للناس أنه سعى عند معاوية لصالح حجر بن عدي ، وأبلغه رسالته الشفوية ، ولكنه أبى واستكبر ، وأصرّ على غلوائه .

وأمّ عامر العجلي القصر - ولم يكن هناك قصر بالمعنى المألوف بل كان وكراً للتأمر على الاسلام والمسلمين - وهو محبور بالجوائز التي ستقدم

(١) تاريخ الطبري ٥ : ٢٣٧ ، الكامل في التاريخ ٣ : ٢٤٠ .



إليه، والحفاوة والاكرام الذي سيتلقوه به أصحاب الشأن في القصر، وفي الديوان أجمع بمعاوية، وأخبره عن المعتقلين الجديدين:

سعيد بن نمران الهمداني .

وعتبة بن الأخنس الهوازني .

ثم إن عامر العجلي خرج من الديوان، فلمح صديقه وكان رجلاً من بجيلة، فسأل نفسه: ماذا يعمل صديقه هنا، وعهده به أنه في الكوفة، فيا ترى لم أقبل إلى دمشق، ولأجل ماذا رحل إليها، ولكي تتوضح الصورة لدى العجلي أسرع بفرسه باتجاه صديقه البجلي وحياه، وقال متسائلاً: «مهميم» فشرح البجلي له أهداف رحلته من الكوفة إلى دمشق، وأنه حمل رسالة من جرير بن عبدالله البجلي إلى صاحب القصر، فلما تسائل العجلي عن محتوى الرسالة ومضمونها أجاب البجلي:

إن جماعة من قوم عاصم بن عوف البجلي، وثلة من قوم ورقاء بن سمى البجلي توسطتا لدى جرير بن عبدالله البجلي، وكانت له مكانة عند الحكومة أن يكتب رسالة إلى القصر حول البجلين المعتقلين، ويحسن حالهما عنده، ويطيب خاطره عنهما، وأنهما لم يكن لهما في حركة حجر بن عدي لا ناقة ولا جمل، وأنهما بريئان مما الصق بهما، وصفحتهما نقية، وأنهما يواليان السلطة.

وأضاف البجلي قائلاً: لقد كان جرير البجلي يثق بي فحملني رسالته إلى معاوية، فرحلت مغدأ السير لا ألوي على شيء، وكنت لا أشفق على ضنى الطريق، وأوصابه، ولا أرفق بنفسي حتى وردت دمشق حذراً أن يقتلها معاوية أو يصابان بمكروه أشد وأكبر مما أصيبا به، لقد كنت أسابق القدر وعندما وردت البلد سألت عن البجلين، فأخبرت أنهما لا يزالان يتمتعان بالحياة، فأسرعت إلى القصر حتى اجتمعت بمعاوية، وسلمته رسالة جرير بن عبدالله البجلي، ففض الرسالة وقرأ بصوت مسموع:

«إنّ امرأين من قومي من أهل الجماعة والرأي الحسن سعى بهما ساع ظنين إلى زياد، فبعث بهما في النفر الكوفيين الذين وجّه بهم زياد، وهما ممن لم يحدثا حدثاً في الاسلام<sup>(١)</sup>، ولا بغياً على الخليفة، فلينفعهما ذلك».

وكان هناك ممن سمع بأمر المعتقلين، وهو يزيد بن أسد البجلي، وكان أثيراً عند معاوية، وكان البجلي هذا قد بلغته أخبار إعتقال «عاصم بن عوف البجلي»، وهو يحمل رقم ( ٧ )، و«ورقاء بن سمي البجلي» وهو يحمل رقم ( ٨ )، وكان قد جاءه بعض أقارب الرجلين يطلبان منه الوساطة لدى معاوية بإطلاق سراحهما تماماً كما سعى قوم الرجلين لدى جرير البجلي لكي يكتب رسالة من قبله إلى معاوية يصف حالهما، وعندما حانت الفرصة ليزيد بن أسد البجلي في الديوان نهض وطلب من معاوية أن يهب له إبنه عمه قائلاً: «هب لي إبن عمي»، وهنا تذكر معاوية الرسالة من جرير البجلي فقال: قد كتب إلي ابن عمك فيهما جرير محسناً عليهما الشاء، وهو أهل أن يصدّق قوله، وتقبل نصيحتته، وقد سألتني إبن عمك فهما لك . . . .».

وكانت بطانة معاوية تتشكل من قبائل مختلفة، ولها صلات قريبي ووشائج قبلية بالمعتقلين: بحجر بن عدي، والصفوة من أصحابه، وكانت العصبية القبلية تتحكم في مثل هذه المواقف رغم التباعد الفكري والسياسي بين تلك البطانة وبين المعتقلين المجاهدين الأشاوس، وكانت البطانة قد علمت بالانتفاضة في الكوفة، وعلمت بمطاردة الحكومة بقيادة الانتفاضة والقبض عليهم وإرسالهم إلى مقر الحكومة في الشام، وكانت البطانة قد جائتها الوفود من قبل أسر المعتقلين سواء بصورة خفية أو بصورة علنية تطلب منها أن تسعى في سبيل إطلاق سراح المعتقلين، وفي نفس

(١) في الأصل: لا يحدث حدثاً والصحيح ما الشاء.

الوقت كانت التربية القبلية تفرض على البطانة أن تعمل قصارى جهدها لإطلاق سبيل المسجونين، ولا مبرر للتهاون بشأن المعتقلين، ومن هذا المنطلق طفقت البطانة تراقب فرصة طيبة حتى تتوسط لدى الحكومة لإطلاق سراح المعتقلين أو إطلاق سراح بعضهم، فعندما قام ابن أسد البجلي في الديوان، وطلب أن يهب له رجلين من بني عمومته من المسجونين أرهفت البطانة أسماعها، وشدت عيونها إلى شفتي معاوية لترى بما ستنطقان به، فلما رأت أنه قد وهب الرجلين شاعت في نفوسها الأمل، فقام الواحد تلو الآخر من البطانة تطلب منه أن يهب له السجين من قومه.

فقام أبو الأعور السلمي وسأله أن يهب له عتبة بن الأخنس الهوازني، فوهبه له.

وقام حمزة بن مالك الهمداني وطلب منه أن يهب له سعيد بن نمران الهمداني، فوهبه له.

وقام حبيب بن مسلمة، وسأله أن يهب له عبدالله بن حوية السعدي التميمي، فوهبه له، وخلي سبيله.

وهنا قام وائل بن حجر الحضرمي، وهو الذي كان مسؤولاً عن قافلة المجاهدين السجناء من الكوفة إلى مرج عذراء، وطلب من معاوية أن يهب له الأرقم بن عبدالله الكندي، فتركه له، وأطلق سراحه.

إن الذين أطلق معاوية سراحهم شعر أنهم لا خطر لهم على الحكومة. وحينما نهض من نهض يطلب من معاوية أن يطلق له سراح سجينه طمع مالك بن هبيرة السكوني، وهو أحد كبار بطانته أن يطلق سراح حجر بن عدي، ولكنه كان متردداً يقدم خطوة، ويحجم أخرى فهو يحاول أن ينهض ويطلب حاجته الكبيرة الخطيرة، ولكن أفكاراً تساوره وتثبطه، فيعود إلى هدوئه وسكونه ثم يعود محاولاً النهوض ثم يتأخر في هدوء حذراً من أن يرده، ولا يسعفه بحاجته فتضائل حرمته عند أصحابه، ولكن مالك بن هبيرة صمم

بآخرة، وكاد المجلس أن ينفذ أن يقوم ويطلب حاجته الخطيرة مهما كانت النتائج المتمخضة عن طلبه هذا، فقام وقال: «دع لي ابن عمي حجراً»، فقال: «إن ابن عمك حجراً رأس القوم، وأخاف إن خليت سبيله أن يفسد عليّ مصري، فيضطرنا غداً إلى أن نشخصك وأصحابك إليه بالعراق». فقال مالك بن هبيرة السكوني غاضباً مزمجرأً وتحداه وقال: «والله ما انصفتني يا معاوية قاتلت معك ابن عمك، فتلقاني منهم يوم كيوم صفين حتى ظفرت كفك، وعلا كعبك، ولم تخف الدوائر ثم سألتك ابن عمي فسطوت ويسطت من القول بما لا انتفع به، وتخوفت فيما زعمت عاقبة الدوائر».

إن ابن هبيرة يذكر معاوية بمعارك صفين وأنه خاضها معه رغم ضراوة المعارك، ورغم الأسنة والسيوف التي تلقاها بصدرة من أسود المعارك. أما وبعد أن استتب لك السلطان، وظفرت كفك يا معاوية عبر ألوف القتلي، وعبر أبحر الدماء والدموع، وعبر الخدائع والمكائد اللثيمة، وانتهت مرحلة الدوائر والمفاجئات، ولم تخفها أما الآن، فإنك تمنعني تخلية سبيل ابن عمي وجئت بمعاذير واهية، وتخوفت الدوائر والتحسبات، وأنت سند العصابات المغيرة، والاعتيالات ضد حق الأبرياء.

إن مالك بن هبيرة صدق في قوله، فإن معاوية كان بإمكانه أن يدخل سبيل حجر بن عدي مع فرض شروط مشددة تصده دون التحرك والارتباط بالجماهير كفرض نفيه إلى منفى لا يستطيع معه النشاط والتحرك أو فرض رقابة قوية وحاسمة تدعه مطوّقاً، ولكنه لا يريق دمه ويدع حياته سليمة إلى حد ما، ولكن معاوية كان قد قرر أراقه دم حجر بن عدي، وكيف يدع تفلت من يده هذه الفرصة، ويطلق سراح حجر.

إن أسلوب سياسته وماضيه اللثيم، وتكاثف الأحقاد لا تدعه أن يسمح بانفلاة حجر من القيود والاعلال بل والتمتع بدم الحياة.

إن حجر بن عدي يعتبر الاستاذ الكبير لبث تعاليم الامام ، وإذاعة مبادئه بجدارة، وفي نفس الوقت ، فإن حجر بن عدي يعتبر عند عدوه إمتداداً لتواجد الامام في صفوف الجماهير، فهو يعبر عن آراء الامام وتعاليمه القيمة، وهو تلميذ الامام، وخريج مدرسته، وهو يؤيد الامام الحسين عليه السلام، ويعتقد بامامته كما كان يعتقد بامامة الامام الحسن عليه السلام، ويصدر عن أوامره، وله الكلمة المسموعة عند الناس، وهو الشيخ الكبير قد جلله الشيب، فله مكانته في القلوب.

إذن كيف لمعاوية أن يطلق سراح حجر بن عدي، والأموي ينزع وباندفاع مسرف وشديد للعداء السافر لكل ما يمت إلى «آل البيت» بصلة، وخاصة إلى الامام الزعيم القائد صلوات الله عليه.

إنّ العدو يحاول ويجد تصفية أصحاب الامام، وتلامذته المخلصين، فكيف له أن يطلق سراح الرجل الذي يعتبر في القمة بين الأصحاب والتلامذة.

إنّ ابن هبيرة بعد كلامه الساخن، وغضبه على إهدار كرامته، وعدم إستجابة معاوية لطلبه قاطعه وترك ديوانه إستنكاراً، وذهب وجلس في داره. إن معاوية بعد أن خلى إلى نفسه طوقه القلق والخوف والحذر من مالك بن هبيرة السكوني، وله مكانته عند قومه، لقد أشفق من أن يجمع ابن هبيرة قومه، ويقودهم إلى سجن مرج عذراء، ويحطم السجن بالقوة، ويطلق سراح حجر بن عدي وأصحابه السجناء، وذلك بعد أن امتنع عليه، ولم يلبي طلبه في تخلية سرب حجر بن عدي، ومن منطلق هذا التفكير استدعا الطاغية الجزارين من جماعته الدموية الأموية، وألقى إليهم أن يحسموا قضية حجر بن عدي وأصحابه وأمرهم أن يرتبوا شؤونهم بصورة يصلون إلى مرج عذراء عند المساء حيث تكون العيون في غفلة عن إجراءات الحكومة ثم سلمهم قائمة فيها أسماء الذين شفعت بطانته لهم، وأدلى إليهم بتوصياته.

وتحركت عصابة الجزارين، وكان يتزعمها كل من هدبة بن فياض  
القضاعي، وكان أعور العين، والحصين بن عبدالله الكلابي، وأبي شريف  
البدي.

وكان السجناء في مرج عذراء يترقبون ليلاً ونهاراً إحدى الحسينين :  
إمّا تخلية سبيلهم، وإطلاق سراحهم، وإمّا الشهادة، وكانوا إذا ما رأوا  
نقراً من شرطة الحكومة أو من رجال المخابرات والجواسيس حسبوا أن  
نهايتهم قد اقتربت، وكان السجناء البواسل قد وطنوا أنفسهم على الشهادة،  
وعدم مساومة الطاغية على حساب الاسلام ونصيره الفذ، وكان حجر بن  
عدي رضوان الله عليه لا يخلو على إمتداد الأشهر التي قضاها في السجن  
من عبادة الله تعالى، والابتغال إليه، والصلاة والتعجد أو من إسداء النصيحة  
لأصحابه، وتشجيعهم على المضي حتى يكسروا شوكة الظالمين ولو عن  
طريق الشهادة، وكان رضوان الله عليه يتلو الآيات التي تصور جبهة الحق  
وأصحابه، وجبهة الباطل ومناصره.

لقد ارهقوا مشاعرهم، وشدوا أبصارهم إلى أبواب السجن الحديدي،  
وهم مصفدون بالأغلال، ومكبلون بالحديد يراقبون تحركات عملاء  
الحكومة، وحينما وصلت عصابة الجزارين إلى السجن، ووقعت عيون  
السجناء عليهم سرى في نفوسهم هواجس مضطربة، وكان أبطال الجهاد  
والبلاغ قد شعروا بوظيفة هذه العصابة الخطرة.

لقد كانت ملامح العصابة ملامحاً قاسية فجأة، كانت ملامحهم ملامح  
ذئبان الفياقي والغابات، وكان إذا ضحك أحدهم كانت ضحكته هستيرية لا  
تعبّر عن روح السماح، وكان كريم بن عفيف الخثعمي من أصحاب حجر  
ابن عدي، ومن السجناء لما وقع بصره على الأعور هدبة بن فياض خطر في  
نفسه شيء ثم سأل هذا الخاطر على لسانه، فقال لرفاقه: «إن صدقت الطيرة  
يقتل نصفنا، ويتجو نصفنا».

فتسائل أصحابه وقالوا: «وكيف ذلك».

قال الخثعمي رضوان الله عليه: «أما ترون الرجل المقبل علينا مصاباً بإحدى عينيه».

وكان بعض السجناء يلتمسون أسباب الحياة في خضم غياهب الليل المضطرب يلتمسونها من الله سبحانه، ويدعون أن لا يكون حياتهم ترد إليهم على حساب دين أو ضمير بل تكون هبة من الله سبحانه، ولكن بعضاً آخر من السجناء الأبطال كانوا يسألون الشهادة في تلك اللحظات الحاسمة.

إن السجناء عندما شاهدوا الجزائريين بتلك الملامح المرعبة قال سعيد ابن نمران الهمداني مبتهلاً وداعياً، وكان لا يزال لا يعلم أن الحكومة قد أصدرت أوامرها بإطلاق سراحه:

«اللهم اجعلني ممن ينجو، وأنت عني راض».

ولكن عبدالرحمن بن حسان العنزي، وهو من أبطال العقيدة، فقد قال مبتهلاً وداعياً في نفس مطمئنة راضية على مصير الشهادة المرتقبة، وغاضبة وعاصفة على العتاة المردة:

«اللهم اجعلني ممن يكرم بهوانهم، وأنت عني راض؛ فطالما عرضت نفسي للقتل، فأبى الله إلا ما أراه».

تقدم الجلاوزة الثلاثة مع أعوانهم بإتجاه زنانات السجناء الأبطال، ومعظمهم كانوا من ذوات الأسنان والشيوخ، وكان السجناء قد تجمهروا أو ان أعوان الجلاوزة قد جمعوهم في مكان واحد في غيب ذلك الليل الحالك الذي يكاد الطوفان المدوي أن يقلع السجن من أساسه.

كانت ساعات غير طبيعية، كانت لحظات مضطربة، حقاً كانت الرياح تدوى، وكانت الأشجار تضطرب وتتمايل بعنف، وكانت السماء منذرة بشيء خطير.

تقدم رئيس الجلاوزة، وكان قاسي الملامح، شديد النظرات إلى

السجن، وبيده قائمة أسماء، وأمر أعوانه أن يفرزوا كل رجل سجين جاء  
إسمه في هذه القائمة التي بيده ثم طفق يقرأ الأسماء:

عاصم بن عوف البجلي .

ورقاء بن سمى البجلي .

الأرقم بن عبدالله الكندي .

عتبة بن الأخنس الهوازني السعدي .

سعيد بن نمران الهمداني .

عبدالله بن حوية التميمي .

ثم قال رئيس الجلاوزة ما معناه: إن معاوية قد أطلق سراح هؤلاء،  
وخلى سبيلهم. قد وهبهم لقبائلهم ثم أمر أعوانه أن تفك القيود والأغلال  
عنهم، فأسرع الأعوان إلى معالجت قيود السجناء وأغلالهم حتى استطاعوا  
أن يرفعوها عنهم، وكانت آثار جروح الأغلال والقيود بادية على الأيدي  
والأرجل بل، وفي الرقاب، وقد شاعت الطمأنينة في قلوبهم، وجرى دم  
الحياة في وجوههم، وكادت البسمة أن تطفو على شفاههم لولا أنهم رأوا أن  
إخوانهم ورفاقهم بل وزعيمهم وسيد الموقف حجر بن عدي لا يزالون مكبلين  
في الأغلال، مصفدين في الحديد.

وزعم المسعودي في مروج الذهب:

إن هؤلاء المخلي سربهم قد استجابوا لشروط السلطة. ولكن

الحقيقة أنهم لم يستجيبوا بل أن الوساطات تدخلت في إطلاق سراحهم.

ولم يقرأ رئيس الجلاوزة أسماء إخوانهم، ورمقه المطلق سراحهم،

فإذا بهم يرونه قد اجتمع بأعوانه يناجيهم، ويصدر إليهم بتعاليم قد نسيها أو

هو يكررها عليهم ثم أنه وأعوانه تقدم إلى المطلق سراحهم وأخذ الأعوان بيد

السجناء المخلي سربهم، وأخرجوهم من الزنزاة رغم أن نفوسهم المؤمنة

كانت تأبى أن تطلق سراحها من دون إخوانهم ورفاقهم في الجهاد، وهكذا



تحققت نبوءة كريم بن عفيف الخثعمي الذي قال: «إن صدقت الطير يقتل نصفنا، وينجو نصفنا».

لقد صدقت نبوءته في إخوانه، ولكن عفيف الخثعمي صاحب النبوءة لم ينجو من الشهادة.

ثم تقدم رئيس الجزارين، ورسول الطاغية مع أعوانه إلى حجر بن عدي وأصحابه الأبطال بعد أن نقل المطلق سراحهم إلى خارج السجن، ثم قال في لهجة شرسة، وفي صلف وخيلاء:

«إنا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من علي، فإن فعلتم تركناكم، وإن أبيتم قتلناكم، وإن أمير المؤمنين يزعم إن دمائكم قد حلت له بشهادة أهل مصركم عليكم غير أنه قد عفا عن ذلك، فأبرؤا من هذا الرجل نخل سبيلكم».

فقال السجناء بعزيمه وتصميم، وتحدي وقوة بل وغضب عنيف سري فيهم حينما سمعوا الرئيس الحقير يلقي عليهم شروط الطاغية في مقابل إطلاق سراحهم، لقد نطقوا، ونطقت معهم مشاعرهم، وقلوبهم وعقولهم، وأحاسيسهم كلها:

«إن الصبر على حد السيف لأيسر علينا مما تدعوننا إليه.

ثم القدوم على الله، وعلى نبيه، وعلى وصيه أحب إلينا من دخول النار.

اللهم لسنا فاعلين ذلك»<sup>(١)</sup>.

فاجتمع الجزارون لينفذوا أحكام الأعدام في الصالحين من أولياء الله الأبرار، ولكن الرئيس أوعز إليهم أن يمهلوا السجناء إلى الصباح على ظن ظنه، فخرج الجزارون والمجرمون من زنزانة السجناء الأبطال، وكان الليل

(١) مروج الذهب ٣: ١٣، تاريخ الطبري ٥: ٢٧٥.

قد ناهز الهزيع الأخير منه، فتوفر السجناء الأطهار على الصلاة والتهجد والعبادة بكل كيانهم وقلوبهم ومشاعرهم في خشوع شدي، ورهبة ندية، وتشوّف إلى عالم النور، وبكاء ونشيج، فكنت ترى قطرات الدموع تتقاطر على الكرائم البيضاء الناصعة في صمت وهدوء إلا أن ترى إختلاف أضلاعهم أو قطرات دموعهم.

إن هي إلا ساعات يعيشونها على وجه هذه البسيطة، وفي دنيا المظالم ثم يودعونها إلى عالم الطهر والنور والشدى، ورضوان الله أكبر.

وعندما كاد أن ينبجج الفجر، وشاهد السجناء حركة الجلاوزة دعا حجر ابن عدي أهله، ويظهر إن بعضاً من أهله قد جاؤا من الكوفة ليودعوا شيخهم الوداع الأخير، وأوصاهم بما أراد أن يوصيهم به ثم قال لهم في نبرات حزينة: «لا تغسلوا عني دماً، ولا تطلقوا عني قيداً، وادفنونني في ثيابي، فأني ملاق معاوية على الجادة».

صاح الجلاوزة بالسجناء الأكرمين أن يخرجوا إلى فناء السجن ثم قادوهم إليه، وهناك شاهد الشهداء الأبرار القبور المحفورة، والأكفان المنشورة، والسيوف المشهورة.

وهذه الظاهرة المرعبة كانت قد اخترعتها ذهنية رئيس الجزارين مستهدفاً إرهاب السجناء، وإنذارهم إلى المصير المحتوم أن لم يستجيبوا لشروط معاوية في مقابل إطلاق سراحهم، وكان الجلاوزة والجزارون يودون لو يستجيب السجناء خاصة بعد أن شاهدوا بأم أعينهم صلاحهم، وصلاتهم، وخشوعهم، وتهجدهم في الليل على إمتداده للشروط، ولكن هيهات هيهات أن يستجيب الأبرار للفجار، ولو استجاب الأبرار للفجار لما بقيت لهم تلك الهالة، هالة البر والتقوى والنور، لما استحقوا التكريم والثناء بل لتزلوا، ولهبطوا إلى منحرجات الشروط وعاشوها، وتلبسوا بها، وإن كانت قلوبهم تستنكر الشروط، فإن العفن والروائح الكريهة لا بد أن تلتصق بمن

عاش أجوائها، ولا بد أن تشبع رأته منها.

لقد اصطف السجناء الشيوخ الأبرار في الساحة، وكان بينهم شاب جميل الصورة، معتدل الخلق، غض الشباب، ناضر الوجه، مشرق الجبين، حلو قسمات الوجه، وكان عذب الصوت، حلو الحديث لا تكاد تقع عليه العين حتى تهواه النفس، ولا يكاد صوته يقع في الأذن حتى يصبو إليه القلب، وكان في أكبر الظن قد جاء مع أهله من الكوفة ليزور أباه الزعيم حجر بن عدي، فكان الشاب مع أبيه إلى أن جاء الجزائريون في ذلك المساء المرعب، وحينما ألقى رئيس الجزائريين شروط معاوية في مقابل تخلية سبيل السجناء، وجاء دور السجناء الشجاع القوي كان الشاب وإسمه: «همام بن حجر بن عدي» قد سمع تلك الشروط الحاقدة، وسمع هتاف السجناء المتحدية ملكه غضب عنيف، فساور رئيس الجلاوزة، ثم دخل مع الجلاوزة معركة عنيفة، ولكن الجلاوزة ببطشهم استطاعوا أن يكبحوا جماح الشاب، ويصفدوه في الأغلال، ويتركوه يئن من رضوضه وجراحه.

ثم إن رئيس الجلاوزة عرض عليه تلك الشروط الأموية، فأبى الشاب في تحدي شجاع، وشمم نابع من إيمان عميق، فتركه الجلاوزة في صفوف السجناء، وحينما اصطف السجناء في ساحة الشهادة أقبل الجلادون عليهم، وقالوا لهم في دهشة، وقد شاهدوا السجناء يصلون ويتهجدون الليل كله:

«يا هؤلاء لقد رأيناكم البارحة قد أطلتم الصلاة، وأحستم الدعاء، فأخبرونا ما قولكم في عثمان»، فقال السجناء: «هو أول من جار في الحكم، وعمل بغير الحق».

فقال الجلاوزة صنائع الطاغية، وهم يهزون برؤسهم: «معاوية كان أعلم بكم».

ثم إن رئيس الجلاوزة عرض على السجناء الشروط المعروضة فقال:

«تبرؤون من هذا الرجل» فقال السجناء الأكارم، وهم في اللحظات الأخيرة من حياتهم، وهم في نفس الوقت يشاهدون السيوف اللامعة، والوجوه النكراء المتحفزة لتنفيذ حكم الطاغية في الصالحين، وأولياء الله .  
قال السجناء في شجاعة وإصرار على الحق: «بل نتولاه، ونتبرأ ممن تبرأ منه» .

وهنا قسم الجلاوزة بين أنفسهم أولياء الله لتنفيذ حكم الطاغية بهم، فوقع قبيصة بن ضبيعة العبسي، وهو من المجاهدين المسجونين في يدي أبي شريف البدي من كبار الدمويين الأمويين، فأشفق العبسي من قتله البدي هذا، وذلك لما بين عشيرتهما من الاختلاف والتشاحن، وقد هدأ هذا الاختلاف وأرتفع هذا التشاحن نوعاً ما، فساد الصلح بين الفريقين، وعندما صار العبسي وله مكانته الكبيرة في العباسيين في يدي البدي أشفق من هذا المصير، وقلق على قومه، وقوم البدي أن تعود الحرب جذعة بينهما على أساس أن واحداً من رؤساء العباسيين قد قتله واحد من البديين، فيحاول العباسيون أن يثأروا لصاحبهم من البديين، ومن هذا المنطلق قال قبيصة العبسي لقاتله البدي مشفقاً وناصحاً:

«إن الشربين قومي وبين قومك أمن، فليقتلني سواك» .

فلما سمع الجلاد البدي كلمات العبسي القصيرة أرتاع، وكأنه قد استيقظ من كابوس، وأرتسمت أمامه صراعات العشيرتين، فانصاع لهذه اللفتة الرحيمة من ضحيته، فقال: «برتك رحم»، فتبادل أبي شريف البدي، وهديبة بن فياض القضاعي ضحيتيهما من أولياء الله، فسلم هديبة: شريك بن شداد الحضرمي إلى البدي، وهذا بدوره سلم قبيصة العبسي لهديبة، فضرب الجلاد أبو شريف البدي عنق شريك بن شداد الحضرمي، فذهب الحضرمي إلى ربه شهيداً، وشاهداً يشكو الطاغية والطغاة، وضرب الجلاد هديبة بن فياض القضاعي عنق قبيصة بن ضبيعة العبسي، فذهب الآخر إلى ربه

شهيداً وشاهداً يثن من الطاغية والظغاة.

### حجر بن عدي:

ثم ان القتلة من الجلاوزة الأمويين أقبلوا على حجر بن عدي بيريح سيوفهم، فقال حجر بن عدي، وهو يحس أن روحه الكريمة ستعرف إلى بارئها العظيم الودود، فشرع أن نفسه الكريمة لا تزال لم تشبع من عبادة ربها العظيم رغم سني العبادة والتهجد، وكيف تستطيع الروح التي عرفت عظمة الله سبحانه وتعالى، واستشفت نوره في السماوات والأرض، وفي الأنفس والأرواح الطيبة كيف تستطيع مثل هذه الروح المغمورة بانوار ربها أن لا تكون ظمأى إلى الصلاة والتهجد والتأله، وعبادة الله تعالى.

طلب حجر بن عدي في تلك الدقائق الأخيرة من حياته من الجلاوزة ذلك الطلب الفريد، طلب ان يدعوه دقائقاً أخرى ليتوضأ ويصلي، ولتكون روحه المباركة إذا ما صعدت إلى خالقها العظيم على طهارة الوضوء، وإشراق الصلاة. لقد تركه الجلاوزة، فتوضأ كأفضل ما يكون الوضوء في خشوع ورهبة ثم إذا ما أتم الوضوء هتف في جلاديه:

«دعوني اصلي ركعتين، فأئمن الله ما توضأت قط إلا صليت ركعتين».

فقال الجلادون في ضجر، واستخفاف: «لتصل».

فدخل حجر بن عدي في صلاة خاشعة متبلة دامعة، ولقد استطالها الجلاوزة، وهم يهمون على أمر عظيم منكر، ولكن هذا الطول في وقت الصلاة التي احسها الجلاوزة لم يستشعرها حجر بن عدي المصلي المستغرق في صلاته بل كانت لحظة بل واقل من لحظة في حساب حجر

ابن عدي. أتم صلاته وما أروعها من صلاة ثم أقبل على جلاديه، وقال في نبرات أسفة:

«والله ما صليت صلاة قط أقصر منها، ولولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لأحييت أن استكثر منها».

ثم أن حجر بن عدي رفع يده إلى الله تعالى مبتهلاً وقال: «اللهم إنا نستعديك على امتنا، فإن أهل الكوفة شهدوا علينا، وإن أهل الشام يقتلوننا». ثم قال للجلادين يستحضر جهاده الكريم في رفع راية الإسلام خفاقةً على هذه الربوع:

«أما والله لئن قتلتموني بها اني لأول فارس من المسلمين سلك في واديهما، وأول رجل من المسلمين نبخته كلابها»<sup>(١)</sup>.

ثم ان حجر بن عدي القى نظرة مشفقة على ابنه همام ثم التفت إلى الجلاد وقال: «ان كنت أمرت بقتل ولدي، فقدمه» فما كانت إلا لفتة من سيف الجلاد حتى شوهد رأس همام المخضب بالدم يتدحرج على الأرض، فقال احد الجلادين للوالد متندراً ساخراً: «لقد تعجلت الشكل»، فقال حجر بن عدي:

«خفت أن يرى هول السيف على عنقي، فيرجع عن ولاية علي عليه السلام، فلا نجتمع في دار المقامة التي وعدنا الله الصابرين»<sup>(٢)</sup>.

ثم ان هذبة بن فياض القضاعي الجلاد أقبل بسيفه الذي كان يقطر منه الدم على حجر بن عدي، فأرعدت فصائله، فقال الأعور الجلاد ساخراً:

(١) الطبري ٢٧٥/٥: فيه «هلك» بدلاً من «سلك»، وهو بالتأكيد تصحيف. يراجع: الأغاني ١٠/١٦، طبعة بولاق.

(٢) أعيان الشيعة ٢٠: ٢٠٠ - ٢٠١. قال: ولم يذكر قتل ولده غير المرزبانى.

«كلا زعمت أنك لا تجزع من الموت، فأنا أدعك فابراً من صاحبك»، فقال حجر بن عدي يصور مشاهد الهول، ويرسم صورة عن أحاسيسه ومشاعره ثم موقفه الصامد أمام هذه الأحاسيس والمشاعر، وأمام الصور الخارجية المحيطة به، وانعكاساتها النفسية، واننا لنلمس الإيمان العظيم في هذه النفس العظيمة. لقد قال:

«مالي لا أجزع، وأنا أرى قبراً محفوراً، وكفنأ منشوراً، وسيفاً مشهوراً،  
واني والله إن جزعت من القتل لا أقول ما يسخط الرب».  
فقال أحد الجلاوزة: «مدّ عنقك».

فقال حجر بن عدي: «إن ذلك لدم ما كنت لأعين عليه»<sup>(١)</sup>.

فرفع هدبة الجلاذ سيفه، فأهوى به كالرعد القاصف على رقبة ولي الله الشيخ الكبير حجر بن عدي، فإذا هي تتدحرج على الأرض مخضبة بدم الإباء ثم أقبل الجلاذون يقتلون البقية الباقية من اصحاب حجر بن عدي واحداً واحداً، حتى استشهد ستة.

وكان هذا المشهد المروع الذي تضعف فيه عزائم الأبطال الأشداء، وترعد فيه الفرائص قد اثار الإشفاق والغضب بعنف في العنزي والخثعمي فتبعاً أسباب الحياة، ولو إلى حين، فلم يبعثوا بهما إلى الطاغية، وفعلاً طلب العنزي والخثعمي إلى الجلاوزة وقالوا: «ابعثوا بنا إلى معاوية، فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته»، فاستجاب رئيس الجلاوزة لطلبهما، فأمر فريقاً من الجلاوزة ان يقتادوهما إلى الطاغية، فلما أرادا ان يغادرا مثنوى الشهداء تلفت العنزي الى مثنوى حجر بن عدي وقال راثياً ومعبراً عن خوالجه

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢٧٥ - ٢٧٦، طبقات ابن سعد ٢١٩/٦، طبعة دار صادر - بيروت، الاغانى ١٠/١٦، طبعة بولاق، مروج الذهب ١٢/٣.

النفسية تجاه بطل الإسلام:

«لا تبعد يا حجر، ولا يبعد مثواك، فنعم أخو الإسلام كنت».

وألفت الخثعمي وقال في رثاء حجر بن عدي:

«لا تَبْعُدْ، ولا تُفْقِدْ، فقد كنت تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر».

ولما ابعدا في الطريق، وأوغلا فيه التفت العنزي وقال منفساً عن

آهاته المكبوتة:

كفى بشفاة القبر بُعْداً لهالك      وبالموتِ قَطْاعاً لحبْل القرائن

فلما أدخلنا على الطاغية المتشي بالنصر أبتدر الخثعمي، وقال، وهو

في فورة الحماس، واضطرام النفس، والتهاب المشاعر والاحاسيس من

مشاهد مجزرة مرج عذراء، وفي نبرات حاسمة وقوية:

«الله الله يا معاوية، فانك منقول من هذه الدار الزائلة الى الدار الآخرة

الدائمة ثم مسؤول عما أردت بقتلنا، وفيم سفكت دماءنا».

وكانت لكلمات الخثعمي، وعلامات الإستفهام تلك من القوة والنفاذ،

والحرقة اللاذعة بحيث اضطرب لها الطاغية، واشفق منها أن تنساب الى

بطانته التي تنتمي الى نفس القبائل التي ينتمي إليها شهداء مرج عذراء فتشير

في نفوسها ردود فعل ضده، وضد أعماله الوحشية، وانطلاقاً من هذه

الفكرة القلقة سارع وألقى على الخثعمي سؤالاً طالما رسمت سياسته

الطاغية تجاه الإمام، وتجاه الإسلام، وفي نفس الوقت محاولاً أن يقاطعه

الحديث الذي يكرهه اشد الكره، ويشفق منه أشد الاشفاق واعنفه، فقال:

«ما تقول في علي».

فقال الخثعمي في بساطة مبدعة، وعبقريّة خلاقية: «أقول فيه قولك،

أتبرأ من دين علي الذي كان يدين الله به».



لقد وضع الطاغية في موضع حرج أمام هذا التساؤل من تلميذ الإمام، فلم يشأ الطاغية إلا أن يسكت في قبال لقمة الحجر الذي لا يكاد أن يستسيغها، هذا التساؤل الذي ألقاه تلميذ الإمام بعفوية، والذي يكشف عن خلفيات سياسة الطاغية، ويرسم علامة الإستفهام للشعب الذي يحكمه الطاغية؟ ويرسم الخطوط العريضة لدارسي التاريخ. لقد كان الطاغية حقاً في موضع محرج، فطأطأ براسه ينكت الأرض، ولقد أخرجه من موقفه المحرج أحد بطانته حيث هتف به «هب لي ابن عمي»، فرفع الطاغية رأسه، وقد احمرت عيناه، فقال راضياً على هذا الهتاف الذي نقله من الجواب للخنعمي للجواب لهذا المستوهب قال: «هولك غير أني حابسه شهراً»، فأمر اعوانه ان يقتادوا الخنعمي العبقري إلى السجن.

ثم ان الطاغية اقبل على البطل الآخر: عبد الرحمن العنزي الذي كان قد وضع روحه على كفه متحدياً الطاغية والطغات، ومستهيئاً بكل ما يملكونه من سلطان، ومن أسباب القوة والظلم، والقى عليه نفس السؤال، ولم يرتدع من الدرس القاسي الذي ألقاه الخنعمي عليه، فقال متودداً: «إيه يا أخا ربيعة ما قولك في علي»، فقال عبد الرحمن العنزي في ضجر: «دعني ولا تسألني، فإنه خير لك».

اذن الطاغية قد عزم أن يسمع رأي تلميذ الإمام العظيم من فيه في استاذة، وامامه المفدى. اذن فليسمع. قال: «أشهد أنه كان من الذاكرين الله كثيراً، ومن الأمرين بالحق، والقائمين بالقسط، والعافين عن الناس»<sup>(١)</sup>.

(١) الكامل في التاريخ: ٢٤١/٣.

فعاد الطاغية، وسأله عن شيخ بني امية المقتول محاولاً ان يكشف طوبى العنزى لبطانته عن شيخه هذا ليتخذ ذلك ذريعة لقتله، فقال: «ما تقول في عثمان».

فقال العنزى: «هو أول من فتح باب الظلم، وأزج أبواب الحق».

فقال الطاغية: «قتلت نفسك».

فقال العنزى في بطولة متفوقة:

«بل إنك قتلت»

ثم التفت الى المستطعمين حول الطاغية عله يجد منجداً من قبيلته، فلم يظفر أحداً، فأضاف قائلاً: «ولا ربيعة بالوادي».

ولقد غضب الطاغية أشد الغضب من هذا التحدي الشجاع، ومن هذا الموقف الذي اتخذه تلميذ الإمام في بلاطه، وفي مركز هو أشد المراكز استراتيجية لانتشار الأخبار. لقد فضحه تلميذ الإمام أمام بطانته، وكشف سياسته الملتوية قبال الإسلام، وقبال الشخصيات العملاقة التي تمثله اكمل تمثيل تماماً كما كشف سياسة سلفه الأموي.

ومن هذه المنطلقات التي تثير الواحدة منها ثائرة الطاغية، وتفجره تفجيراً، فكيف بها مجتمعة.

نعم من هذه المنطلقات أمر باعتقال العنزى بعنف، واضطهاده في المعتقل، وكتب رسالة الى عامله على الكوفة ابن أبيه:

«أما بعد، فإن هذا العنزى شر من بعثت، فعاقبه عقوبته التي هو أهلها، وأقتله شر قتلة».

إن هذه الرسالة لهي خير تعبير عن السخط العظيم الذي تركه تلميذ الإمام في نفس الطاغية.

ثم انه اصدر تعليماته التي شرطته بنقل عبدالرحمن العنزي المغضوب عليه أعنف الغضب إلى الكوفة، وليكن رحلته خشنة مظطهدة، ولترك العنزي في طريقه بين الشام وبين السواد.

لقد رأينا أننا أن بطانة الطاغية قامت واستوهبت منه افراداً من المسجونين كانت تربطهم بهؤلاء المسجونين وشائجاً وصلات أو كانت الوساطات تعمل عملها، وكان في ذلك الديوان مالك بن هبيرة السكوني - والسكون هي قبيلة يمنية - فانه عندما شاهد هذه الظاهرة من إخوانه رأي أن يقوم هو أيضاً، ويطلب من الطاغية أن يطلق سراح حجر بن عدي الكندي أليس أن حجراً تربطه به روابط قبلية، وشائج في الدم والعرق، وفعلاً فإن ابن هبيرة السكوني نهض وطلب من الطاغية اخلاء سبيل ابن عمه حجر بن عدي، ولكن الطاغية لم ينصاع لهذا الطلب، واختلق معاذيراً تدرع بها، فقام ابن هبيرة غاضباً وخرج من المجلس إلى داره، وفي الدار عرف أهله غضبه، وانتشر هذا الخبر بين الناس وبين الجموع المتتمية للقبائل اليمنية، فاسرعوا إلى دار زعيم السكون ليعرفوا الأخبار عن كذب، وعندما اجتمع إليه قومه من كندة والسكون، وجماعات متمية إلى قبائل يمنية أخرى رأى ابن هبيرة أن الفرصة مؤاتية ليصب جام غضبه على الطاغية فتكلم ولقد ألمح من بعيد أنهم في غنى عن الطاغية، وانهم سيجدون في قريش من يتزعم الحكومة، ولكن الطاغية لا يجد في الناس خلفاً عن السكون، والقبائل اليمنية في ولاء بعضها للحكومة، وكان الناس يصغون إلى ابن هبيرة، وكانوا يعلمون الكثير عن حجر بن عدي، وعن اعتقاله في مرج عذراء، وهنا حث ابن هبيرة الناس في أن يهاجموا سجن عذراء، ويستخلصوا السجناء بالقوة من يد الحكومة.

لقد قال ابن هبيرة في خطابه أمام قومه: «والله لتحن أغنى عن معاوية من معاوية عناً، وأنا لنجد في قومه منه بدلاً، ولا يجد منا في الناس خلفاً سيروا إلى هذا الرجل، فلنخله من أيديهم».

واستجاب الناس جميعاً لابن هبيرة، وخرجوا يرتادون مرج عذراء في تظاهرة، وكانوا على يقين أن حجر بن عدي لا يزال على قيد الحياة، فاروا مسرعين على الجياد، وسجن مرج عذراء لاتبعد عن المدينة سوى أميالاً معدودة.

هذا من جهة ابن هبيرة وغضبه ومحاوكة لإطلاق سراح حجر بن عدي.

أما من جهة الجلاوزة في سجن مرج عذراء، فانهم كانوا قد قتلوا حجر بن عدي وجماعته، واقبلوا إلى المدينة ليخبروا الطاغية عن تنفيذ أوامره لكي يحصلوا على الجوائز، وفي منتصف الطريق التقى ابن هبيرة وجماعته بالقتلة والجلاوزة، ولما شاهد القتلة ابن هبيرة في جموع الناس عرفوا أنه انما جاء في جموع الناس ليخلصوا حجراً من أيديهم، فقال ابن هبيرة لهم: «ما ورائكم»، فقال الجلاوزة في خبث وحذر:

«تاب القوم، وجئنا لنخبر معاوية»، فسكت ابن هبيرة، ثم تابع في جموع الناس مسيرته، وسار القتلة الهويثا حتى إذا ابتعدوا قليلاً عن جموع الناس حملوا جيادهم على السرعة إلى أقصى حد ممكن حتى ينجوا بانفسهم من موت زؤام على يد ابن هبيرة وجماعته، وفي الطريق وكاد ابن هبيرة وجماعته أن يصلوا إلى مرج عذراء، وإذا بناس أقبلوا من مرج عذراء، والتقى ابن هبيرة بهم، فأخبروه عن الخبر الصدق، وقالوا له:

«إن حجر بن عدي واصحابه قد قتلوا».

فغضب ابن هبيرة، وهتف بجماعته أن يطاردوا القتلة حتى يقبضوا عليهم، ويقتلوهم، وقال في غضب عنيف: «عليّ بالقوم»، فعطف جماعة ابن هبيرة اعنة الخيل، وتبعوا القتلة، واسرعت الخيل وراء القتلة، ولكن القتلة كانوا قد فاتوهم وسبقوهم إلى الطاغية، وهم يلهثون في قلوب واجفة، ونفوس مضطربة، وهناك أخبروه عن ابن هبيرة وجماعته في نبرات متقطعة، فقال لهم الطاغية: «اسكنوا، فانما هي حرارة يجدها في نفسه، وكأنها قد طفئت».

ثم إن ابن هبيرة لما لم يظفر بحاجته قاطع الطاغية، وجلس في منزله، فارسل إليه الطاغية يدعوه إلى ديوانه، ولكن ابن هبيرة أبى أن يستجيب للدعوة أو أن يأتيه، فلما امسى المساء بعث إليه الطاغية بـ «١٠٠٠/١٠٠٠» درهم مع رسالة، ولقد حظيت تلك الثروة الضخمة من اموال المسلمين عند ابن هبيرة، وطابت نفسه بها، ورضى عن الطاغية، فلما كان من الغد وفد هو في جموع من قومه إلى الطاغية ليعلموا الولاء تحت ظل المائة ألف درهم. وهكذا تبخرت غضبة ابن هبيرة لصالح حجر بن عدي، وعاد هو وقومه إلى السكون<sup>(١)</sup>.

ولنعوذ إلى كريم بن عفيف الخثعمي الذي أمر الطاغية ان يسجن في غضون شهر واحد، وكان الطاغية قد أعجبه شخصية ابن عفيف الخثعمي، ولسانه المصاويل، وعقله المبدع، واسلوبه الفذ في الحوار، فحاول أن يجره إلى فلكه، ويستخدم مواهبه الفكرية لصالح سلطانه، ولقد استخدم في هذا السبيل كل ألوان الإغراء: من مناصب ضخمة، وجاء عريض، وترف مغري،

(١) يراجع: تاريخ الطبري ٢٧٨/٥.

وحياة ناعمة، فكان يدعو بين كل يومين ويكلمه، ويقول له في كلمات معسولة معبراً عن إعجابه بشخصيته، ويمواهبه: «إني لأنفس بك على العراق أن يكون فيهم مثلك».

ويقول له كلمات مماثلة محاولاً أن يعالجه حتى يرضخ لإرادته، ويمثل سياسته بل وأمر أن يوسع عليه في السجن بحيث لا يشعر بمضايقة إلا أن ابن عفيف الخثعمي كان متصلباً برأيه، ماضياً في مواقفه المناصرة للإمام، والمشجبة لسياسة العدوان والغدر والمكر والخديعة، وعندما لم يظفر الطاغية من ابن عفيف الخثعمي بحاجته تركه في السجن حتى كاد أن ينساه، ولكن الرجل الذي طلب من الطاغية أن يهبه له عاد وذكره بابن عفيف، فذكر فبعث إليه ودعاه من السجن، واطلق سراحه شريطة أن لا يدخل بلدة الكوفة على امتداد حياة الطاغية، وقال له: «تخير أي بلاد العرب أحب إليك أن اسيرك إليها».

فأطرق ابن عفيف الخثعمي مفكراً في المنفى الذي يختاره، وبعد تفكير طويل وجد نفسه تتجاوب مع مدينة الموصل فقال: «انني اخترت الموصل»، وهكذا انفاه الطاغية إلى الموصل بعيداً عن وطنه وعشيرته، وعاش ابن عفيف في المنفى طويلاً، وكان يتلهف إلى مرابع صباه، ومراتع نشاطه، وكان شائقاً شديد الشوق إلى أن يزور بلده أو يلم به إلا أن أرصاد الطاغية لم يكن يدعه يبرح الموصل، وكان يعنى نفسه بالانتقال إلى الكوفة، ويتمنى موت الطاغية، ويقول: «لو قد مات معاونة قدمت مصر»، ولكن الأجل وافى ابن عفيف الخثعمي قبل موت الطاغية بشهر واحد.

وهكذا ظلت لوعة زيارة مصر، وتلهفه إليها في نفسه حتى توفي، وكان الله سبحانه وتعالى قد قبض ابن عفيف إليه ليجتمع هناك في ظل

رحمته مع رفاقه الشهداء، ويتنظروا الطاغية لترفع الدماء الزكية، والنفوس الكريمة الشكوى إلى الله تعالى من الطاغية الذي أوشك ان يهلك.

ولنعود إلى الكوفة لنستقبل فيها البطل الصامد عبدالرحمن العنزي الذي تركناه على ابواب دمشق مع الجلاوزة، وهم يزعمون أن يسوقوه إلى الكوفة ليسلموه إلى ابن أبيه لينفذ فيه ارادة الطاغية، وارادته كانت أقسى موت واعنفه كما جاءت في رسالته إلى ابن أبيه، ولم تكد الأبصار تقع على العنزي، فاذا بها تشك فيما ترى من شبح العنزي. كان العنزي قد هزل جسمه، ولوحت الرياح والشمس ملامح وجهه، وترك الطريق في أفخاده جروحاً بحيث أصبح غير قادر على المشي إلا ان يحبو وبصعوبة، وكان العنزي يود لو يلتقي بذويه واهله، ولو لحظة واحدة ليمتع عينيه بمراهم، وليودعهم الوداع الأخير، وكان العنزي يعلم بالمصير الشاق الذي ينتظره، ولكن الجلاوزة لم يسمحوا له بزيارة أهله، وكانت المدينة ومعالمها تثير في نفسه المكدودة، وجسمه المكلوم ذكريات، وذكريات، وخواطر حبيبة إلى نفسه.

أسرع الجلاوزة في شوارع المدينة لكي يسلموا المعتقل إلى ابن أبيه حذراً من أن يقتطفه مقتطف منهم أو أن يثير الناس مشاكلاً في وجوههم، وهناك وفي بيت الإمارة ذهبوا إلى ابن أبيه، وسلموا رسالة الطاغية، فلما قرأ ابن أبيه الرسالة نظر حوله وقال: «أين العنزي»، فقال الجلاوزة: «ها هو ذاك»، فقال: «علي به»، فحملوا العنزي المريض إلى ابن أبيه وهو في حالة يرثى لها، فشتمه ابن أبيه ما املته عليه طبيعته وتربيته، ثم أمر الجلاوزة أن يودعوا العنزي في السجن

ثم أمر ابن أبيه جماعة من جلاوزته ان يقتادوا العنزي إلى «قَسْ

٣٦٢..... موسوعة أمير المؤمنين عليه السلام / ج ٢

الناطف» في ضواحي الكوفة، ويحفروا له هناك، ويدفنوه حيثاً<sup>(١)</sup>.  
وهكذا أستشهد عبدالرحمن العنزي بهذه الصورة المروعة، والقاسية،  
والتي تنبع من أسلوب سياسة الطغاة تجاه خصومهم والتحق عبدالرحمن  
العنزي رضوان الله عليه برفاقه الشهداء صلوات الله عليهم.



وهكذا أستشهد حجر بن عدي، والصفوة المباركة من تلامذة الإمام،  
وجند الإسلام.

إن حجر بن عدي، والصفوة المباركة لم تكن لديها سلاح في نضالها  
ضد الخيانة المبرقعة، والخلافة الباطلة سوى استشهادها، وسوى دمها  
الزكي، وأنها لم تستطع أن تفك القيود عن الحرية المكبلة إلا عن طريق  
نفوسها التي ضحتها.

إن دماء الشهداء تمكنت من كسر حاجز الخوف والحذر، وتمكنت  
من انفتاح نوافذ الحرية، ولو بعد حين، وتمكنت من أن تمزق البراقع التي  
تستر وراءها الدولة القائمة.

إن ثورة هذه الوجوه الناصعة، واصحاب الأفكار المستقيمة والشجاعة  
ثم استشهادها أدنى الى فضح الظلم والباطل، وان كانا قد انتصرا فانهما لم  
يستطيعا ان يختفيا تحت ستار العدل والحق، والخدمة الإجتماعية، ولم  
يتمكنا من أن يخدعا العيون، وأن يخضعا الأفكار، وتؤمن بالاكاذيب  
والرذائل.

إن هؤلاء الأبطال، وان استشهدوا في محكمة الظالمين إلا أنهم بلوروا  
الأفكار، ودخلوا في التاريخ كعمالقة وشهداء. والعدو وان انتصر على مسرح  
مرج عذراء إلا أنه لحقت به هزيمة منكرة في الآراء والأفكار الحرة.

إن استشهاد شهداء مرج عذراء أعطى قضية الإمام علي عليه السلام  
أبعاداً واسعة استقطبت الأفكار الحرة في العالم الإسلامي، وفي نفس الوقت  
أشاعت التذمر بين المفكرين المسلمين، وبين القطاعات الشعبية.

إن انتفاضة حجر بن عدي، واستمرار اعتقاله مع صحبه الأشاوس في مدى أشهر في معتقلات النظام الحاكم انتشر اخبارها وبسرعة البرق في اطراف العالم المسلم، وتسامع بها رجال الفكر والسياسة الأحرار، وكانت الأفكار والعيون مشدودة الى مرج عذراء لتريء إلى أين تسير قضية المعتقلين الأحرار، وحينما شاهدت تلك العيون، وعرفت تلك الأفكار استشهاد حجر بن عدي ورفاقه المؤمنين الأشاوس راحت تستنكر على الطاغية، وعلى سياسته الدموية الأموية القمعية بألوان الاستنكار.

فهذا الربيع بن زياد الحارثي، وكان والياً على خراسان من قبل الدولة، وكانت تمر على إمارته ستان واشهر، وكان فاضلاً جليلاً، وحينما سمع بأنباء مجزرة مرج عذراء، واستشهاد الثلة الطيبة أصيب بخيبة أمل اليمة من استقامة السياسة المتبعة، وقال متنبئاً عن مستقبل العرب والمسلمين السياسي والإجتماعي، وعن جاهلية الدولة القائمة وفضائعها المرتقبة.

«لا تزال العرب تقتل صبراً بعد - اي بعد مقتل حجر بن عدي - ، ولو نقرت عند قتله لم يقتل رجل منهم صبراً، ولكنها أقرت فذلت»<sup>(١)</sup>.

إن الربيع يدعو إلى الثورة ضد النظام الحاكم، وعاش أياماً حزيناً، كاسف البال، مجتدم المشاعر والأحاسيس، وكان يرتقب يوم الجمعة، وصلاة الجمعة، وحينما حانت صلاة الجمعة خرج الربيع من دار الإمارة في ثياب بيضاء ناصعة. صعد الربيع عامل خراسان المنبر وخطب الناس، وهو ملتحق من أنباء استشهاد حجر بن عدي والصفوة الطيبة، ثم رفع يديه إلى السماء، وقال للمسلمين:

«أيها الناس اني قد ملكت الحياة، واني داع بدعوة، فأمنوا». فرفع المصلون أيديهم استعداداً للدعاء، وشدوا عيونهم إلى واليهم، إلى شفتيه، فإذا بهم يسمعون ولا يشعرون:

«اللهم ان كان للربيع عندك خير، فاقبضه إليك عاجلاً»<sup>(١)</sup>.

فدوى المسجد بصوت المصلين «أمين».

ولكن المصلين عندما استيقظوا من رقدة اللاشعور رأوا أنهم قد أمنوا على موت الربيع. ان الدعاء قد استجيب، فلم يكذب ينتهي الربيع من الصلاة، ويذهب إلى داره حتى يسقط في وسط الطريق، فيخف إليه أعوانه، ويحتملونه إلى منزله، فإذا بهم يشاهدون أنه قد فارق الحياة، وكأنه قد مر على وفاته أعوام طويلة.

ويحدد الطبري وفاة الربيع بعام (٥٣)<sup>(٢)</sup>.

وهناك جماعة موالية لحركة حجر بن عدي، وتعتبر الجماعة من اصدقاء رائد الحركة تتسامع عن استشهاد حجر ورفاقه، فتجتمع في دار بعيدة عن عيون النظام الحاكم لتؤبن حجراً ورفاقه واصحابه، فقال واحد من الجماعة، وهو يبتهل إلى الله تعالى في لهفة: «أسأل الله أن يجعل قتله - أي قتل الطاغية - على أيدينا»، فقال مفكر الجماعة والمعينا: «مه ان القتل كفارة، ولكننا نسأله تعالى أن يميتة على فراشه»<sup>(٣)</sup>.

وفي المدينة، مدينة الرسول صلى الله عليه وآله ينتشر خبر اعتقال حجر بن عدي بعد انتشار انتفاضة في العراق، فتبعث عاتشة وقدأ من قبلها

(١) تاريخ الطبري ٢٩١/٥، الإشتيعاب ٣٥٨/١.

(٢) تاريخ الطبري ٢٩١/٥.

(٣) أعيان الشيعة ٢٠/٣١٠.

٣٦٦..... موسوعة أمير المؤمنين عليه السلام / ج ٢

إلى الطاغية في رسالة حول شأن المعتقلين، وكانت الرسالة حول إطلاق سراح حجر بن عدي، وتقول في الرسالة: «الله الله في حجر وأصحابه». ولكن الوفد الذي كان يترأسه عبد الرحمن بن الحارث المخزومي لم يكد يصل إلى الشام حتى يسمع نبأ استشهاد حجر وأصحابه، فاجتمع الوفد بالطاغية، فقال رئيس الوفد له: «ابن عذب عنك حلم أبي سفيان في حجر وأصحابه. ألا حبستهم في السجون، وعرضتهم للطاعون».

فقال الطاغية بلغة السياسة: «فما اصنع كتب إلي فيهم زياد يشدد أمرهم، ويذكر أنهم سيفتقون علي فتقاً لا يرقع». ثم اضاف قائلاً: «حين غاب عنى مثلك من حلماة قومي، وحملني ابن سمية، فاحتملت». فقال المخزومي: «والله لا تعد لك حلماً بعد هذا أبداً، ولا رأياً. قتلت قوماً بعث بهم إليك اسارى من المسلمين»<sup>(١)</sup>.

ويعود الوفد إلى المدينة، ويخبر عائشة عن مقتل السادة الأبرار، فقالت: «لولا أنا لم تغير شيئاً إلا آلت بنا الأمور إلى أشد مما كنا فيه لغيرنا قتل حجر»

ثم اضافت قائلة: «أما والله إن كان ما علمت لمسلماً حجاجاً معتمراً»<sup>(٢)</sup>.

وقالت أيضاً: «أما والله لو علم معاوية أن عند أهل الكوفة منعة ما اجترأ على أن يأخذ حجراً واصحابه من بينهم حتى يقتلهم بالشام، ولكن ابن آكلة الاكباد علم أنه قد ذهب الناس.

أما والله إن كانوا لجمجمة العرب عدواً ومنعة وفتحاً. لله در لبيد:

(١) الاستيعاب: ٣٥٦/١.

(٢) تاريخ الطبري: ٢٧٩/٥.

ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجر  
لا ينفعون ولا يرجى خيرهم ويعاب قائلهم وإن لم يشغب<sup>(١)</sup>  
وكانت عائشة تعاني ألماً مبرحة من استشهاد أخيها «محمد»، فكانت  
تتحين الفرص لتصب جام غضبها على الطاغية، وعندما رحل الطاغية إلى  
مكة في موسم الحج زارها هناك، فقالت عائشة له: «أمنت أن أخبأ لك من  
يقتلك بأخي محمد»، فقال الطاغية: «بيت الأمان دخلت»، وهنا تذكرت  
حجراً وصحبه الأبرار فقالت: «يا معاوية أما خشيت الله في قتل حجر  
وأصحابه».

فقال بلغة السياسة: «لست أنا قتلهم إنما قتلهم من شهد عليهم»<sup>(٢)</sup>.  
ثم قال: «فدعيني وحجراً حتى نلتقي عند ربنا».  
فقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «يقتل بعدراء  
أناس يغضب الله لهم، واهل السماء»، أو قالت:  
«أما والله لقد بلغني أنه سيقتل بعدراء سبعة رجال يغضب الله، واهل  
السماء لهم».

ويعلق السيد الامين على مقالة المخزومي بقوله:  
«ثم ان عبد الرحمن رسول أم المؤمنين غاية ما كان عنده في عتاب  
معاوية أن قال له: ابن عذب عنك حلم ابي سفيان، وان العرب لا تعد له  
حلماً بعد هذا ولا رأياً. ولو كان عبدالرحمن نافذ البصيرة، صادق اليقين  
لقال له: بماذا استحللت دماء حجر وأصحابه؟ أبأنهم لم يبرؤا من علي بن  
ابي طالب، ودينه الذي يدين الله به، وهل هذا يحل لك دمايتهم».

(١) الاستيعاب: ٣٥٨/١.

(٢) تاريخ الطبري ٢٧٩/٥.

ولقال له بدل قوله: ان العرب لا تعد لك حلاً بعد هذا ولا رأياً:  
 إن الله لا يغفر لك هذا الذنب أبداً، ولا بد أن يقتص منك، ويطلبك  
 بدمائهم في الآخرة، وما قيمة ذم العرب في جنب عقاب الله وسخطه»<sup>(١)</sup>.  
 ان الإمام الحسين عليه السلام وصله أخبار استشهاد أصحاب أبيه  
 الإمام صلوات الله عليه في مرج عذارء، فيكظم غيظه، ويفوض اموره إلى  
 الله سبحانه وتعالى.

ثم ان الطاغية يرحل إلى مكة في موسم الحج في نفس العام الذي  
 ارتكب تلك المجزرة الرهيبة في حق أولياء الله، وتلامذة الإمام فيشيع  
 التذمر في عاصمتي الإسلام: مكة والمدينة، فيحاول أن يسيطر على هذا  
 التذمر والسخط أو على الأقل يخفف من لهيبه، فيرحل إلى مكة، ويلتقي  
 بالإمام الحسين عليه السلام، ويقول متبجحاً: «يا ابا عبدالله هل بلغك ما  
 صنعنا بحجر واصحابه واشياعه، وشيعة أبيك».

فقال الإمام الحسين صلوات الله عليه: «ما صنعت بهم».

قال: «قتلناهم، وكفناهم، وصلينا عليهم».

فضحك الإمام الحسين عليه السلام وقال: «خصمك القوم يا معاوية،  
 ولكننا لو قتلنا شيعتك ما كفناهم، ولا صلينا عليهم، ولا قبرناهم».

ثم إنه مر على استشهاد حجر واصحابه فترة طويلة أو قصيرة، فيرفع  
 الوشاة، وجواسيس الطاغية إلى الطاغية تقريراً يفيد أن الإمام الحسين عليه  
 السلام يعمل لإسقاط نظام الحكم، فيكتب الطاغية رسالة إلى الإمام عليه  
 السلام، فيكتب الإمام الحسين صلوات الله عليه رسالة جوابية، وفي

هذه الرسالة يستنكر الإمام على الطاغية مقتل حُجر بن عدي، وإليك نص الرسالة:

«أما بعد، فقد بلغني كتابك تذكر أنه قد بلغك عني أمور أنت لي عنها راغب، وأنا بغيرها عندك جدير، فإن الحسنات لا تهدي لها، ولا يسدد إليها إلا الله. وأما ما ذكرت أنه أنتهى إليك عني، فإنه إنما رقاء إليك الملاقون المشاؤون بالنميم، وما أريد لك حرباً، ولا عليك خلافاً. وأيم الله أتى لخائف الله في ترك ذلك، وما أظن الله راضياً بترك ذلك، ولا عاذراً بدون الإعذار فيه اليك، وفي أولئك القاسطين الملحدين، حزب الظلمة، وأولياء الشياطين.

«الستّ القاتل حجراً أخا كندة، والمصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم، ويستعظمون البدع، ولا يخافون في الله لومة لائم. ثم قتلهم ظلماً وعدواناً من بعد ما كنت أعطيتهم الأيمان المغلظة، والمواثيق المؤكدة أن لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم، ولا بإحنة تجدها في نفسك عليهم. «أولستّ قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، العبد الصالح الذي أبلته العبادة، فانحلت جسمه، وصفرت لونه بعدما أمته، واعطيته من عهد الله، وموآثيقه ما لو اعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل، ثم قتله جرأة على ربك، واستخفافاً بذلك العهد.

أو لست المدعي زياد بن سمية، المولود على فراش عبيد ثقيف، فزعمت أنه ابن أبيك، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الولد للفراش، وللعاهر الحجر»، فتركت سنة رسول الله تعمداً، وتبعته هواك بغير هدى من الله. ثم سلطته على العراقيين يقطع أيدي المسلمين، وأرجلهم، ويسمل أعينهم، ويصلبهم على جذوع النخل كأنك لست من هذه الأمة،

وليسوا منك.

«أو لست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سمية أنهم كانوا  
على دين علي، فكتبت إليه: أن اقتل كل من كان على دين علي، فقتل،  
ومثل بهم بامرئ.

«ودين علي والله الذي كان يضرب عليه اباك، ويضربك، وبه جلست  
مجلسك الذي جلست، ولولا ذلك لكان شرفك، وشرف أبيك الرحلتين.

«وقلت فيما قلت أنظر لنفسك ولدينك، ولأمة محمد صلى الله عليه وآله،  
واتق شق عصا هذه الأمة، وان تردهم إلى فتنة، وأنى لا أعلم فتنة أعظم  
على هذه الأمة من ولايتك عليها، ولا أعلم نظراً لنفسي، ولديني، ولأمة  
محمد صلى الله عليه وآله أفضل من أن أجاهدك، فإن فعلت، فإنه قرينة إلى  
الله، وان تركته، فأني استغفر الله لذنبي، وأسأله توفيقه لإرشاد امرئ.

«وقلت فيما قلت أنني إن أنكرتك تنكرني، وان اكدك تكدني، فكدني  
ما بدا لك، فأني أرجو أن لا يضرنني كيدك في، وان لا يكون علي أحد اضراً  
منه على نفسك لانك قد ركبت جهلك، وحرصت على نقض عهدك.

«ولعمري ما وفيت بشرط، ولقد نقضت عهدك بقتلك هؤلاء النفر  
الذين قتلهم بعد الصلح والائمان والعهود والمواثيق. قتلهم من غير أن  
يكونوا قاتلوا وقتلوا، ولم تفعل ذلك بهم إلا لذكرهم فضلنا، وتعظيمهم  
حقنا، فقتلتهم مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم مت قبل أن يفعلوا أو ماتوا قبل  
أن يدركوا.

«فابشر يا معاوية بالقصاص، واستيقن بالحساب، وأعلم أن الله كتاباً لا  
يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها، وليس الله بناس أخذك بالظنة، وقتلك  
أولياءه على التهم، ونفيك أولياءه من دورهم إلى دار الغربة، واخذك الناس



بيعة ابنك غلام حدث، يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب. لا اعلمك الا وقد خسرت نفسك، وبترت دينك، وغششت رعيته، وأخزيت أمانتك، وسمعت مقالة السفية الجاهل، وأخفت الورع التقى الحليم، والسلام»<sup>(١)</sup>.  
فلما قرأ الطاغية كتاب الإمام الحسين عليه السلام قال: لقد كان في نفسه ضب ما اشعر به.

وهذه الرسالة كتبها الإمام الحسين عليه السلام بعد أعوام طويلة من استشهاد «شهداء مرج عذراء»، وهي رسالة قيمة احتفظ بها التاريخ لترسم لنا الحياة السياسية المعتمدة التي كانت تعيش الأمة في دوامتها.  
والرسالة توضح بعض اتجاهات الثورة الحسينية، تلك الثورة التي رفعت راية الإسلام على مدى أجيال واجيال، ولا تزال كذلك، ونكست راية الجاهلية.

سأل عمرو بن بشير الهمداني أبا اسحاق السبيعي: «متى ذل الناس». قال أبو اسحاق السبيعي: «حين مات الحسن عليه السلام، وادعي زياد، وقتل حجر بن عدي».

وكان السبيعي يكرر هذا القول، فيقول تارة اخرى: «أدركت الناس وهم يقولون: إن أول ذل دخل الكوفة موت الحسن بن علي عليهما السلام، وقتل حجر بن عدي، ودعوة زياد»<sup>(٢)</sup>.

وكان ابن سيرين إذا سئل عن الركعتين عند القتل قال: «صلاهما

---

(١) البحار ١٤٩/١٠، الطبعة الحجرية طبعة امين الضرب، الاحتجاج ٢٠/٢.  
(٢) تاريخ الطبري ٢٧٩/٥، الخصال - للصدوق - ١٨١/١ باب ٢٤٨/٣، وفيه: حين قتل الحسين بن علي عليهما السلام...

خبيب، وحجر، وهما فاضلان»<sup>(١)</sup>

والعجيب ان الشهيد خبيبا قتلته قريش، وهم مشركون، وان الشهيد حجراً قتلته قريش، وهم يزعمون ما يزعمون، وكلاهما: خبيب وحجر صحبا الرسول صلى الله عليه وآله.

وقال الحسن البصري: «أربع خصال كن في معاوية. لو لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة:

انتزاهه على هذه الأمة بالسفهاء حتى أبتزها أمرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة، وذوو الفضيلة، واستخلافه بعده ابنه يزيد: سكيراً خميراً، يلبس الحرير، ويضرب بالطنابير، يزوج بين الدب والذئب، والكلب والضبع. ينظر ما يخرج بينهما، وادعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، وقتله حجر بن عدي وأصحابه، فيا ويلاً له من حجر وأصحاب حجر، ويا ويلاً له من حجر وأصحاب حجر - مكرراً<sup>(٢)</sup>..

\* \* \*

(١) الاستيعاب ٣٥٧/١.

(٢) الاستيعاب ٣٥٧/١، اعيان الشيعة ٢٠/٢١٨، تاريخ الطبري ٥/٢٧٩ - ٢٨٠.

إن استشهاده حجر بن عدي أحدث في العالم الإسلامي هزة عنيفة، وخاصة في العواصم الإسلامية، ولقد رأينا مشاهد من مظاهر تلك الهزة، وذكر المؤرخون نبذاً من تلك المشاهد، وكان الطاغية في رحلاته يسمع دوي الاستنكار بألوان وصور مختلفة، يشاهده في الوجوه، في النبرات، في التلميحات، في التصريحات، ونفس الطاغية، فإن مجزرة مرج عذراء كانت قد أقضت مضجعه، وأسهرت ليله، وأمست المجزرة كابوساً في حياته، فإذا نام أنتبه فزعاً، وإذا أنتبه أو غل في الهواجس والتوجسات، وكان يقول: «ما قتلت أحداً إلا وأنا أعرف فيم قتلته ما خلا حجر فإني لا أعرف بأي ذنب قتلته».

ولأجل أن يبدد هواجسه أو أن يعرف حقيقة المجزرة الرهيبة التي أرتكبها، وفيم أرتكبها، وعلى م قاد إليها الطيبة المؤمنة، بعث إلى عامله على الكوفة ابن أبيه رسالة جاء فيها:

«... إنه قد تلجلج في صدري شيء من أمر حجر بن عدي، فابعث إلى رجلاً من أهل المصر له فضل ودين وعلم»..

ففكر ابن أبيه في الرجل الذي طلبه الطاغية لبيعته إليه، إن الرجل يجب أن يكون متميزاً بـ «الفضل والدين والعلم»، فقاده تفكيره إلى عبدالرحمن بن أبي ليلى، وعبد الرحمن هذا هو الآخر من تلامذة الإمام، ومن خريجي مدرسته العالية. دعا ابن أبيه عبدالرحمن هذا، فلما أمثل بين يديه قال له:

«إن معاوية كتب إليّ يأمرني أن أوجه إليه برجل من أهل المصر له

دين وفضل وعلم ليسأله عن حجر بن عدي، فكنت عندي ذلك الرجل، فأياك أن تقبح له رأيه في حجر، فأقتلك».

وهكذا فإن ابن أبيه أنذر ابن أبي ليلى إن ذكر عند الطاغية الحقائق الساطعة من سيرة حجر بن عدي ألقى الأواب، فإنه سيذيقه ريب المنون. ثم إن ابن أبيه حاول أن يجعل في عنق ابن أبي ليلى يداً، فأحسن إليه، وأعطاه ألفي درهم، وكساه حلتين، وحمله على راحتين، ورحل ابن أبي ليلى مع جمهرة من الخدم جعلهم ابن أبي في رفقته، وكان ابن أبي ليلى تتابه الهواجس، ويسيطر عليه الحذر والخوف، فهو لا يدري ماذا يفعل في هذه السفارة؟ أينعي على الطاغية في ما جنت يدها في مرج عذراء، ويقبح رأي الطاغية في أحكامه الظالمة، وفي هذا الموت أو السجن على أقل تقدير، فإن كل حوار يجري بينه وبين الطاغية، فلا بد أن يصل صداه إلى ابن أبيه في الكوفة، وقد أنذره ابن أبيه بالموت أو يزيره شعوب.

أو أن يهون على الطاغية فيما أرتكبه في حق حجر، واصحاب حجر في مرج عذراء، ويخلق له المعاذير والمبررات في سياسته القمعية في حق أولياء الله، والصالحين من عباد الله، وفي هذا غضب الله سبحانه وتعالى، وانتهاك لحرمة الصداقة التي كانت بينه وبين شهداء مرج عذراء، وكبت لضميره اليقظ، فانه سيدوس ضميره إذا ما اختلق المبررات. ثم إنه سيشعر بالتجني على مدرسته التي خرّجته وعلمته وثقفته، والتنمر لها، وهذه المدرسة هي التي أستاذ حجر بن عدي وصحبه الأبرار في سبيل رفع رايها، فكيف يستطيع هو أن يشينها بالوحل، وينعي على طلابها الفقهاء الأعلام. وابن أبي ليلى هو الذي يشرح لنا هواجسه، ومشاعره المحترمة، وأفكاره المضطربة، فيقول: «فسرت، وما في الأرض خطوة أشد عليّ من خطوة تدني من معاوية».

ويشرح لنا ابن ابي ليلى لقائه بالطاغية، والحوار الذي دار بينه وبينه، فيقول:

«فقدمت بابه، فاستأذنت، فأذن لي، فدخلت، فسألني عن سفري، وما خلفت من أهل المصر، وعن خبر العامة والخاصة. ثم قال لي: انطلق فضع ثياب سفرك، وألبس الثياب التي لحضرك، وعد.»

قال ابن ابي ليلى: «فانصرفت الى منزل أنزلته، ثم رجعت إليه، فذكر حجر، فقال: «أما والله لقد تلجلج في صدري منه شيء، ووددت ان لم أكن قتله.» قال ابن ابي ليلى: قلت: «وأنا والله يا معاوية وددت أنك لم تقتله»، فبكى الطاغية، فقال ابن ابي ليلى: فقلت: «لوددت أنك حبسته»، فقال الطاغية: «وددت أنني كنت فرقتهم في كور الشام، فيكفينهم الطواعين»، فقال ابن ابي ليلى: فقلت: «ووددت لك ذلك»، ثم أن الطاغية أنهى الحوار وقال: «كم اعطاك زياد»، فقال ابن ابي ليلى: «اعطاني الفين، وكساني حلتين، وحملني على راحلتين»، فقال الطاغية، وهو يتوجس من ابن ابي ليلى أن يبقى في عاصمته، وقد عرف هواه وميوله النبيلة تجاه شهداء مرج عذراء، فخاف ان مكث في البلد أن يغير مشاعر الموظفين أو احساس أهل البلد أو ميول الذين يلتقي بهم الامر الذي امره أن يخرج، ويرحل الى الكوفة بقوله:

«فلك مثل ما اعطاك. أخرج إلى بلدك.»

وكما نرى في الحوار، فان ابن ابي ليلى لم يقل شيئاً سوى أنه كان يؤكد أماني الطاغية «وددت كذا، ووددت كذا». ويرجع ذلك لتوجساته ومخاوفه من بطش ابن أبيه أو بطش نفس الطاغية، وهنا وقد شد ابن أبي ليلى رحاله متجهاً نحو الكوفة تظهر هواجس ابن أبي ليلى مرة ثانية من ابن

أبيه، وهو أعني ابن أبي ليلى يعلم بأن كل الأمور التي جرت له مع الطاغية، وكل الكلمات التي تفوه بها ستصل إلى ابن أبيه، فكل حركاته وسكناته وكلماته سيطلع عليها ابن أبيه.

وكان ابن أبي ليلى يلاحظ الجواسيس من الخدم، وموظفي البلاط. اذن ما ان يصل إلى الكوفة حتى يقاد إلى السجن أو إلى ساحة الكناسة، ولكن تلك الهواجس لم تتحقق، وتلك المخاوف لم تجد على الساحة معيناً. لقد هلك ابن أبيه قبل أن يصل ابن أبي ليلى إلى الكوفة، وكان الحدث مفاجئة سارة بالنسبة لابن أبي ليلى.

ولندع ابن أبي ليلى يحدثنا عن عودته، وعن المفاجئة الطيبة، فيقول: «فخرجت وما في الأرض شيء أشد عليّ من أمر يدنيني من زياد، مخافة منه، فقلت في نفسي: أتى أحياء اليمن في البلدة، فأخفتني فيها. ثم فكرت فقلت لا أخفي بها عن عيون جواسيس زياد، فأجمعت على أن أتى بعض عجائز الحي، فأتورئى عندها إلى أن يأتي الله بالفرج. يقول ابن أبي ليلى: وقدمت الكوفة، فأمر بحمي جهينة حين طلع الفجر، ومؤذنه يؤذن، فقلت في نفسي: لو صليت، فنزلت من راحتي ثم دخلت المسجد حتى أقام المؤذن، ولما قضينا الصلاة إذا رجل في مؤخر الصف يقول: «هل علمتم ما حدث البارحة»، قالوا: «وما حدث».

قال: «مات الأمير زياد»، قال ابن أبي ليلى: «فما سررت بشيء كسروري بذلك»<sup>(١)</sup>



(١) يراجع: أعيان الشيعة ٢٠/٢١٢، نقلًا من مخطوطة كتاب الفرج بعد الشدة والضيقة للقاضي التنوخي، ونقلتها من الأعيان بتصرف لتوضيح المعنى.

وكانت مجزرة مرج عذراء لم تكن لتدع الطاغية يرتاح الي ملاذ الدنيا، وصوله الحكم، وكانت الأحلام المزعجة تراوده، وكانت الذكريات المريرة تراوده، وحتى في لحظة الموت كانت الدماء الزكية التي أراقها الطاغية تلح عليه.

في لحظة الموت حيث إن الإنسان - كل انسان - يذكر كل الجرائم التي أرتكبها، يتذكر كل الأخطاء التي عمل بها، يذكر الصغائر من الذنوب، والكبائر من السيئات، يتذكر كل شيء، يتذكر ما لم يذكره إطلاقاً لولا لحظة الموت، لولا سكرات الموت، هذه اللحظة التي يؤمن فيها الملحد، ويخضع فيها الجبار، ويخنع ويتطامن فيها المتكبر.

إن لحظة الموت هي من أشد اللحظات على الإنسان على امتداد حياته، في هذه اللحظة تمر في ذهن الإنسان اعماله كلها كشريط كاسيت، وينشط ذهن الإنسان في الأعمال السيئة خاصة، فانها تظهر بأسوء مثال، واقبح صورة، وذلك لإته يرى في تلك اللحظات أموراً لم يكن ليراها، وهو سليم معافى، وذلك إن كان خبيثاً، فيقول الإنسان: ياليتني كنت تراباً.

والطاغية في لحظة الموت تذكر أعماله كلها، ومظالمه كلها، ورأى أن مجزرة مرج عذراء هي اشدها هولاً عليه، وذلك لأن المجزرة حدثت على إثر اباء الشهداء من أن يمساوا الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه من قريب أو بعيد، وتمسكوا بولايته أشد التمسك، وهتفوا والسيوف كانت تحصدهم حصداً: «شهد أن علياً أمير المؤمنين حجة الله، شهد أن علياً ولي الله».

نعم ان جريمة الطاغية كانت أشد هولاً عليه، وهو في لحظة الموت،

في سكرات الموت، في شدائده وأهواله، فكان الطاغية يغرغر بصوته ويقول: «يومي منك يا حجر يومٌ طويل».

قال ابن عساكر: وقال قيس بن فهدان يرثي حجراً، وهي في النسخة

مغلوطه وأصلحناها بقدر الإمكان:

يا حجر يا ذا الخير والحجر	يا ذا الفضال (الفعال) ونابه الذكر
كنت المدافع عن ظلامتنا	عند الظلوم وممانع الثغر
أما قتلت فانت خيرهم	في العسر ذي العصا - كذا - وفي اليسر
يا عين بكى خير ذي يمن	وزعيمها في العرف والنكر
فلأبكين عليك مكتئباً	فلنعم ذو القربى وذو الصهر
يا حجر من للمعتفين إذا	رمّ الشتاء وقل من يقرى
من لليتامى والأرامل إن	حقن الربيع وضرّ بالوفر
أم من لنا بالحرب ان بعثت	مستبسلاً يقرى كما تفرى
فسعدت ملتصق التقى وسقى	قبراً أجنك مسبك القطر
كانت حياتك إذ حييت لنا	عزاً وموتك قاصم الظهر
وتريشنا في كل نازلة	نزلت بساحتنا ولا تبرى
يا طول مكتأبن لقتلهم	حجراً وطول حزازة الصدر
قد كدت أصعق جازعاً أسفاً	وأموت من جزع علي حجر
فلقد خذلت وقد قتلت ومن	لم تشعبه حوادث الدهر
فلذاك قلبي مسعر كمدأ	ولذاك دمعي ليس بالنزر
ولذاك نسوتنا حواسر	يستبكين بالأشراق والظهر



ولذاك رهطى كلهم أسف جم التأوه دمه يذرى<sup>(١)</sup>  
وقال الطبري: وقال عبدة الكندي ثم البدي، وهو يعير محمد بن الأشعث  
بنخزلانه حجراً:

أسلمت عمك لم تقاتل دونه فرقاً ولولا أنت كان منيعاً  
وقتلت وافد آل بيت محمد وسلبت أسيفاً له ودروعاً  
لو كنت من أسد عرفت كرامتي ورأيت لي بيت الحباب شفيعاً<sup>(٢)</sup>  
قال الأمين: المراد بوافد آل محمد: مسلم بن عقيل بن أبي طالب  
عليهم السلام.

### من روايات حجر بن عدي:

وروى ابن قانع بسنده عن حجر بن عدي: رجل من اصحاب النبي،  
عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إن قوماً يشربون الخمر يسمونها بغير  
اسمها»<sup>(٣)</sup>.

شراحيل بن مرة الهمداني أو الكندي من صحابة رسول الله صلى الله  
عليه وآله، روى عنه حجر بن عدي الكندي أنه سمع رسول الله صلى الله  
عليه وآله يقول لعلي عليه السلام:

(١) اعيان الشيعة ٢٠: ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٢٨٥.

(٣) الإصابة: ٣١٣/١.

«إبشر فإن حياتك، وموتك معي»<sup>(١)</sup>.

الحاكم بسنده عن يخبشى أو غثنى، عن أبيه حجر بن عدي انه قال:

«إن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبهم فقال: اي يوم هذا.

قالوا: يوم حرام.

قال: فاي بلد هذا.

قالوا: بلد حرام.

قال: فاي شهر هذا.

قالوا: شهر حرام.

قال: فإن دمانكم، واموالكم، واعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم

هذا، كحرمة شهركم هذا، كحرمة بلدكم هذا ليلبغ الشاهد الغائب، لا ترجعوا

بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»<sup>(٢)</sup>.

### الصحيفة تأليف حجر بن عدي:

إن حجر بن عدي كان من الفقهاء، ومن كبار خريجي مدرسة الإمام

عليه السلام، وقد ألف حجر بن عدي كتاباً في الفقه أدرج فيه محاضرات

الإمام وأحاديثه، وسمى كتابه هذا بـ «الصحيفة».

قال عمير بن قميم: حدثني غلام لحجر قال: قلت لحجر: «إني رأيتُ

ابنك دخل الخلاء، ولم يتوضأ.

قال حجر بن عدي: «ناولني الصحيفة من الكوة»، فلما ناوله الغلام

(١) اسد الغابة ٢/٣٩٠.

(٢) مستدرک الحاكم النيسابوري ٣/٤٧٠ ط: بيروت.

«الصحيفة» من الكوة نشرها حجر، وطقن يقرأ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا ما سمعتُ عليَّ بن ابي طالب يذكر: «أَنَّ الظهور نصف الإيمان»<sup>(١)</sup>.

وهكذا كان حجر بن عدي يربي أبناءه على السيرة الطيبة، والسلوك الحسن، والإتجاه السليم.

مع اسرة حجر بن عدي:

وكان لحجر بن عدي الشهيد العظيم اخوين، وكانا من اشراف الكوفة. والأخوان هما: هانئ بن عدي، والجعد بن عدي، وكانت أسرة حجر بن عدي واخوانه وابناء اخوته قد سرى فيهم روح التضحية والفداء وخاصة بعد استشهاد زعيم الأسرة، وكمن في قلوبهم الامتعاض العنيف، والحررد الشديد على الدولة القائمة... القائمة على الإستهانة بالحرريات، والإزدراء بالشعب، والتهاون بالدين، وكانت اسرة حجر بن عدي وخاصة ولديه: عبدالله، وعبدالرحمن تجهد أن تثار للدين، ولشهاد الأسرة، فكانت تتحين الفرص الثورية للانضمام إليها، والعمل في سبيل رفع رايها، والنضال تحت ظلها.

وكانت ثورة المختار الثورة المباركة التي اجتاحت العراق، وطردت العصابات المجرمة التي كانت تسبح في دماء الشعب، وتأكل أمواله،

(١) يراجع طبقات ابن سعد ٢٢٠/٦.

وتغتصب حرياته خير حافظ لمعاوضة أحرار الشعب والثورة، وتحمس عوائل الشهداء لها واندفع ابنائها في اتجاهها، فكانوا يعاضدونها، ويسهرون على سلامتها، ويبدلون الأموال والنفوس في سبيل الحفاظ عليها.

وكان عبدالله، وعبدالرحمن شبلا الشهيد حجر بن عدي، واسرتهما، واعمامهما جميعاً يعملون لصالح الثورة بل وتقدموا في الصفوف القيادية، وذلك لما كانوا يتمتعون به من إخلاص لا ريب فيه، وحماس لا فتور فيه، وجهد مستمر على سلامة الثورة ومنجزاتها ولقد حفلت الثورة بالمكاسب العظيمة، والمنجزات الكبيرة رغم الزمان القصير الذي طلعت فيه الثورة على الساحة الإسلامية، وكانت عواصم العالم الإسلامي آنذاك يسودها الصراعات على السلطة فغزا مصعب بن الزبير الكوفة في جيش جرار محاولة منه القضاء على ثورة المستضعفين، واستعد جيش الثوار للتصدي لمصعب وجيشه، والتحم الفريقان في معركة دامية استشهد في خلالها عبدالله، وعبدالرحمن شبلا حجر بن عدي، ويقال انهما أسرا، فقتلها مصعب صبراً تماماً كما استشهد أبو هما، الشهيد الكبير، حجر بن عدي.

وعندما استتبّت الأمور لمصعب كان يتبع فلول الثورة، فهرب ابن عم الشهيدين معاذ بن هانئ بن عدي إلى الشام، ولكن الأمور لم تطل بمصعب ابن الزبير طويلاً، وذلك أن عبدالملك بن مروان قاد جيشاً لمحاربة مصعب، والتحم الفريقان، وقتل مصعب بن الزبير، فأحتز جنود عبدالملك رأسه، وقدموا الرأس في صحن هدية لعبد الملك بن مروان.

وكان ابن أخي حجر بن عدي من أشرف الكوفة، وله مكانة ممتازة عند الناس<sup>(١)</sup>.

(١) يراجع: الاصابة ١/٣٦٤، المعارف ٣٣٤، أعيان الشيعة ٢٠/١٥٠.

### ضريح شهداء عذراء:

ان ضريح شهداء عذراء كان معروفاً مزوراً في عهد ابن عساكر المتوفى سنة ٥٧٣، فقد قال: «حجر بن عدي... وفد على النبي وكان مع الجيش الذي فتح الشام، وشهد صفين مع علي بن ابي طالب، وقتل بعذراء من قرى دمشق، وهنا - في مرج عذراء - مسجد قبره بها معروف».

وكان الضريح أيضاً معروفاً في عصر محمد بن مكى الشهير بالشهيد الأول، والمستشهد عام ٧٨٦، فقد قال: «الشهداء الذين بعذراء دمشق الذين قتلهم معاوية بعد أن بايعوه، وأعطاهم العهود والمواثيق:

وكان الضريح أيضاً معروفاً في عصر محمد بن مكى الشهير بالشهيد الأول، والمستشهد عام ٧٨٦، فقد قال: «الشهداء الذين بعذراء دمشق الذين قتلهم معاوية بعد أن بايعوه، وأعطاهم العهود والمواثيق:

حجر بن عدي الكندي حامل راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وولده همام بن حجر بن عدي الكندي، وقبيصة بن ضبيعة العبسي، وصيفي بن فسيل، وشريك بن شداد الحضرمي، ومحرز بن شهاب السعدي، وكرام - كدام - بن حيان العبدي.

وكلهم في ضريح واحد في جامع عذراء.

واضاف الشهيد الاول قائلاً وقد زرت شهداء مرج عذراء: انشدني

خادمهم هذه الأبيات:

جماعة بشرى عذراء قد دفنوا وهم صحاب لهم فضل وإعظام  
حجر، قبيصة، صيفي شريكهم ومحرز ثم همام وكرام - كدام -  
عليهم ألف رضوان ومكرمة تترى تدوم عليهم كلما داموا  
قال الشهيد الأول: فزدت:

ومثلها لعنات للذي سفكوا دماهم وعذاب بالذي ساموا  
وقال السيد محسن الأمين:

وفي سنة ١٣٥١ ونحن بدمشق قصدنا عذراء لزيارة قبر حجر  
وأصحابه، فوجدناهم مدفونين في ضريح واحد، وعليهم قبة بنيان محكم  
تظهر عليه آثار القدم في جانب مسجد واسع فيه منارة عظيمة قديمة،  
وقبتهم التي فيها ضريحهم الشريف مهملة مهجورة قد نسجت عليها  
العناكب، وتراكت فيها الأتربة، وليس في أرضها إلا تراب، وزيارتها  
متروكة عند أهل هذه البلاد، ولو كانت منسوبة لأحد المتصوفين أو من تدعى  
لهم الولاية وخوارق العادات والجذبة أو كانوا من المجانين لكانت معظمة  
مخدومة مزورة. وقال الأمين:

ويظهر من كلام الشهيد المتقدم: أنها كانت في عصره مزورة، ورأينا  
مكان صخرة كانت على باب القبة، وقلعت وبقي محلها ظاهراً، ولا شك أنه  
كانت عليها كتابة كما أخبرنا بذلك أهل القرية، وأرونا صخرة غيرها صغيرة  
مطروحة في أرض القبة مكتوبة بخط قديم لا تاريخ فيها، وهذه صورة ما  
كتب فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم:

سكان هذا الضريح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:  
حجر بن عدي حامل راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وصيفي بن  
فسيل الشيباني، وقبيصة بن ضبيعة العبسي، وكدام بن حيان، ومحرز بن  
شهاب السعدي، وشريك بن شداد الحضرمي.

والصواب كما عرفت أنه ليس فيهم من الصحابة غير حجر بن عدي

رضوان الله عليه<sup>(١)</sup>.

وجاء في كتاب دائرة معارف الإسلام المؤلف باللغتين: الفرنسية،  
واللغة الانجليزية:

إن مقبرة حجر بن عدي لا يزال في ذلك المحل مرج عذراء  
محفوظاً، ولكن بناء المقبرة هو بناء صغير وقديم ومتداعي، وأهل القرية  
يطلقون على تلك المقبرة بـ «مقبرة الشيخ عدي»<sup>(٢)</sup>.

وفي معجم البلدان: عذراء بالفتح، والسكون، والمد قرية بغوطة  
دمشق من إقليم خولان معروفة، وإليها ينسب مرج عذراء، وإذا انحدرت من  
ثنية العقاب، وأشرفت على الغوطة، فتأملت على يسارك رأيتها أول قرية  
تلي الجبل، وبها منارة، وبها قتل حجر بن عدي الكندي، وبها قبره.

### اكيليل ورود من ايران:

قال ناصر كمرأى مؤلف كتاب: «حجر بن عدي» ما ترجمته: هذا  
الكتاب الذي يستعرض الوفاء، التضحية، الإستقامة، والإيمان باروع  
صورها هدية من ايران لضريح ذلك الشهيد العظيم، وصحبه الشهداء.

أيها الشهداء: إن ايران تعلن في كل المواقع عن استعدادها لتحقيق  
نواياكم واهدافكم المقدسة. أنتم الذين استشهدتم واتخذتم مضاجعكم في  
تربة مرج عذراء، وان ايران قد أثبتت عبر المثات المرات عن حبها،  
ووفاءها، وتعاطفها معكم ايها الرجال القادة، إن ايران لو نسيت كل شيء،

(١) اعيان الشيعة: ٢٠٥/٢٠ - ٢٠٧.

(٢) يراجع كتاب: حجر بن عدي: درخششي در تاريخي: تأليف: مرزناك، والقطعة الآتفة  
مترجمة من الفارسية.

فإنها لا تنساكم يا من رفعتم راية علي، وآل علي، ودافعتم عنها، وناضلتهم في سبيلها.

إن ثورة المختار تلك الثورة العظيمة التي كان الإيرانيون يشكلون أكبر مجموعة في جيش الثورة اندلعت وسارت تؤيدكم، وتحقق اتجاهاتكم، إن ثورة أبي مسلم الخراساني التي اشرقت من أفق إيران كانت تؤيدكم، وثارَت تجاوباً لاهدافكم.

وإن الثورة الثانوية التي قادتها إيران، والتي تمخضت عن انتقال الإمام الرضا عليه السلام إلى إيران، وتتويجه بولاية العهد. إن هذه الثورة استهدفت احياء مبادئكم.

وإن الثورة الصفوية، وتأسيس الدولة الصفوية كانت تسير مع اتجاهاتكم، وتركز على مبادئكم واهدافكم.

إن الإيرانيين غير مستقرين، ولا يزالون يتحينون الفرص لتحقيق أهدافكم، ومعتقداتكم على مستوى عالمي. إنهم يطمحون أن تحقق راية مبادئكم على سطح العالم.

وأمل من كل رجل مسلم، وأمرأة مسلمة ان يحتذوا هذا الشهيد العظيم، وهذا العملاق المسلم الفذ في تضحيته، وإيثاره في ثباته، واستقامته، في موته واستشهاده، وأن يسيروا رجالاً ونساءً يتبعون خطاه.

ومع رفع راية شهداء مرج عذراء نكون قد حظينا برضا رسول الله أبي الأمة، والإمام علي القائد الطليعي لرجال الإسلام.

يا من تمر على مرج عذراء بلغ سلامنا لذلك «العقيد» الباسل، وقدم له هذه الهدية المزجاة، واصبر قليلاً أمام تربة الشهيد، وتعلم دروس التضحية، والوفاء، والإيمان، والخير من حجر الخير. ثم قمين أن تكون مثل



حجر في لسانه، وقلمه، وسيفه، واستقامته مدافعاً عن الحق، وذائداً عن الأنوار لكي تحظى بتحية العالم، وتقديره، واحترامه.

وأمل أن تحظى هذه الوريقات عند ذلك الجندي الشجاع.....<sup>(١)</sup>

قال السيد كاظم الطباطبائي الناشر لكتاب حجر بن عدي

تأليف: ناصر الكمرأي في مقدمة الكتاب، وهو يستعرض ذكرياته

عن رحلته التي مرج عذراء، وزيارة حجر بن عدي شهيد الإمامة.. قال ما

ترجمته: وفي عام ١٣٧٤ من شهر ربيع الأول وفقني الله تعالى أن أزور أنا

واسرتي ووالدتي العتبات المقدسة، وفي كربلاء أصيبت والدتي بمرض

الأمر الذي لزم أن تمكث في المدينة فترة اطول من الفترة المقررة، فعزمت

أنا أن أسافر الى الشام، والى فلسطين، فرحلت أولاً الى القدس فزرتها، ثم

زرت مدينة الخليل، وبيت لحم، ثم عرجت على دمشق، وهناك زرت مقام

السيدة زينب عليها السلام، وأمضيت أياماً في دمشق، وفي إحدى الأيام قال

لي سماحة حجة الإسلام الشيخ علي الجمال إمام مسجد المرحوم آية الله

السيد محسن العاملي: هل زرت ضريح حجر بن عدي، فقلت كلا لم أزره،

ولكني حريص على زيارة حجر بن عدي رضوان الله عليه، وذلك لاني

سمعت من سماحة الكمرأي موجزاً من حياة حجر بن عدي، وعندها قرر

سماحة الشيخ علي الجمال أن نزور شهداء مرج عذراء، فبعد أن أدينا

فريضة صلاتي الظهر والعصر أقلتنا سيارة ثم طارت باتجاه مرج عذراء،

وحيثما بلغنا أرض الشهداء راعنا جمال قرية مرج عذراء الساحر، وشاهدنا

في مطلع القرية مقبرة، ورأينا أمام المقبرة مسجداً كبيراً في مساحة أربعمائة

(١) حجر بن عدي: تأليف ناصر كمرأي: ١٣٢ - ١٣٤.

متر، وهناك استقبلنا خادم المسجد في حفاوة بالغة، ثم طفق يدلنا على معالم المسجد، فدخلنا إلى رواق المسجد، وعلى يمين الرواق لفت نظري باباً صغيراً، وحينما دخلت من الباب أنا وصحبي إلى الداخل رأينا ضريحاً يعلو عن سطح الأرض متراً واحداً. إن هذا الضريح هو ضريح حجر بن عدي، ولفت انتباهي على بوابة المسجد مواد البناء والتشييد، فسألت الخادم: من الذي يشيد هذه المباني هنا، فقال الخادم: إن ثلاثة رجال اغنياء من الإيرانيين قد أظلموا بمشروع تشييد ضريح حجر بن عدي مماثلاً لهندسة مبنى ضريح السيدة رقية بنت الإمام الحسين عليه السلام، فسررت لهذه البادرة الطيبة، ولما سألت عن أسماء المشيدين فقبل لي أنهم: الحاج مهدي البهبهاني، وهو الممول للمشروع، وسماحة الحاج آغا رفيع، وسماحة شيخ العرقين، وهما المشرفان على المشروع، فلاحت لي في تلك اللحظة فكرة طيبة، ثم عزمت على تنفيذ الفكرة.

لقد خطر لي أنه طالما بُدئ في مشروع تشييد ضريح حجر بن عدي تلك الشخصية الكبيرة، فانه من اللازم إحياء ذكرى هذا الشهيد الذي يعتبر في قمة الفداء والتضحية، وعندما عدتُ من رحلتي إلى طهران اجتمعتُ بسماحة الكمرأي، وطلبت منه تأليف كتاب حول شخصية حجر بن عدي، ولكن لما كان سماحته مستغرقاً في تأليف كتاب له في علم الحديث، فإنه طلب من نجله الشيخ محمد حسن ناصر الكمرأي الذي كان يقضي عطلة الصيف في طهران بعد إنتهاء السنة الدراسية في الحوزة العلمية في قم، فان سماحته طلب من نجله تلبية طلبي، وهو تأليف كتاب حول شخصية حجر ابن عدي رضوان الله عليه.

وفعلاً فإن نجله ناصرأ قد استجاب لطلبي، وألف هذا الكتاب الذي

هو بين يديك، وكم أنا مسرور الآن بان الفكرة التي لاحت لي أمام ضريح حجر بن عدي قد تحققت الى واقع ملموس<sup>(١)</sup>.

### المؤلفات حول حجر بن عدي:

١ - حجر بن عدي.

تأليف: عبد الله السبيتي.

من منشورات سلسلة «حديث الشهر»، ويحمل رقم ١٣ من السنة

الثانية.

وهذا الكتاب هو بحجم الجيب في ١٦٤ صفحة، ومطلع الكتاب إلى

صفحة ٦٤ هو بحوث في الإمامة، وتبدأ أحداث حجر بن عدي رضوان الله عليه من صفحة ٦٥ إلى نهاية الكتاب أو الرسالة.

٢ - حجر بن عدي، درخشني درتاريكي.

(اي ومضة في الظلام).

تأليف: حسن مرزناك.

والكتاب باللغة الفارسية، وبالجم الويزيري، وفي ١٤٤ صفحة.

وفي مطلع الكتاب تقرّظ بقلم الدكتور علي شريعتي يستوعب

مساحة ٢٣ صفحة.

٣ - حجر بن عدي در آسمان خونين (في سماء الدم) باللغة

الفارسية.

تأليف: ناصر كمرأى.

---

(١) حجر بن عدي، المقدمة بقلم الناشر الطباطبائي.

٢٩٠..... موسوعة أمير المؤمنين عليه السلام / ج ٢

طبع في طهران في مطبعة المصور عام ١٣٧٥ هـ بأهتمام الحاج السيد كاظم الطباطبائي، والكتاب في حجم الجيب في ١٣٤ صفحة.

٤ - حجر بن عدي.

تأليف: علي رضا الله ياري.

من منشورات دفتر نشر فرهنگ اسلامي». (اي مكتب نشر الثقافة

الإسلامية) من عام ١٣٥٤ شمسي، والكتاب هو بحجم الجيب في ٢١٥ صفحة.

٥ - حجج بن عدي الكندي، شهيد الإيمان الصابر.

تأليف: محمد جواد فضل الله.

من منشورات دار التراث الإسلامي - بيروت . من عام ١٩٧٤.

والكتاب في ١٨٩ صفحة، وهو أصغر من حجم الوزيري، وأكبر من

حجم الجيب.

٦ - جهه أي ديگر از حجر بن عدي (اي صورة اخرى من حجر بن

عدي).

من منشورات النور - ايران عام ١٣٦٠ هـ ش، في ١٣٥ صفحة.

وهذا الكتاب هو ترجمة كتاب حجر بن عدي، شهيد الإيمان الصابر

لفضل الله إلى اللغة الفارسية إلا أن المترجم لم يذكر اسمه بل ذكر اسم

المؤلف للكتاب بلغته العربية: محمد جواد فضل الله.

٧ - حجر بن عدي الثائر الشهيد.

تأليف: محمد فوزي.

من منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان من عام

١٣٩٧ هـ، الطبعة الأولى في ٥٥ صفحة.

٨ - حجر بن عدي انقلابي شهيد (أي الثائر الشهيد).

ترجمة: صادق آئينه وند

والكتاب هو ترجمة كتاب: حجر بن عدي الثائر الشهيد تألف محمد

فوزي إلى اللغة الفارسية.

من منشورات: مؤسسة «أنجام كتاب» من عام ١٣٥٩ شمسي.

في ٥٦ صفحة. وليس للمترجم كلمة أو مقدمة بل ترجم الكتاب من

اللحظة الأولى بدون أن يذكر لنفسه مقدمة أو كلمة.

٩ - وترجم الكتاب أيضاً إلى اللغة الفارسية صادق خرم رودی طبع

الإحياء في ٥٣ صفحة، حجم الرقعي.

فهل صادق خرم رودی هو صادق آئينه وند، أم انه مترجم آخر.

والظاهر أنه مترجم آخر<sup>(١)</sup>.

١٠ - مقتل حجر بن عدي.

تأليف: نصر بن مزاحم المنقري المتوفى عام ٢١٢.

ولقد وجدت في «فيش» كتب عليه ما يلي:

١١ - اخبار حجر بن عدي.

تأليف: ابن عماد أحمد الكاتب.

نقلت هذا من هامش كتاب «الفهرست» تأليف ابن النديم صفحة

٢١٢. والهامش هو مكتوب بخط أغا بزرگ الطهراني مؤلف «الذريعة» حفظه

الله وابقاه حيث إن نسخة الفهرست التي كنت اطالع فيها هي نسخة أغا

بزرگ استعرتها من مكتبته العامرة. انتهى ما في الفيث.

(١) يراجع راهنمای (أي دليل) مطالعات وتحقيقات. تأليف: علي رضا برازش،

٣٩٢..... موسوعة أمير المؤمنين عليه السلام / ج ٢

١٢ - الحسين بن علي سيد شباب أهل الجنة، حجر بن عدي أول

شهداء آل البيت.

تأليف: كمال الدين الحلبي.

تحقيق الدكتور سهيل زكار.

من منشورات حسان للطباعة والنشر - دمشق ١٤١٠ هـ

والكتاب هو نحو ١٦٠ صفحة: نحو ثلاثين صفحة حول حجر بن

عدي، وقد استل الكتاب من ترجمتين في كتاب بغية الطلب لكمال الدين،

وقد حققه، وطبع اجزاء منه، وبقي نصف الكتاب لم يطبع بعد كما ذكر

المحقق الزكار في المقدمة.

وبغية الطلب هو حول اسرة آل ابي جرادة صاحب امير المؤمنين عليه

السلام كما جاء في المقدمة، وكان هو واحفاده في البصرة، وفي منتصف

القرن الثالث هاجر أحد احفاده الى حلب، وكانوا شيعة، وكانت حلب من

حواضر الشيعة، واصبحوا من وجهاء البلد.

## الفهرس

### باب الباء

٣	بحران مولى علي بن أبي طالب <small>عليه السلام</small>
٤	بديل بن ورقاء الخزاعي
١٣	البراء بن عازب الأنصاري
٣٥	بشر الأسلمي
٣٥	بشر بن عبادة
٣٥	بشير بن أبي زيد الأنصاري
٣٦	بشير بن أبي مسعود الأنصاري
٣٧	بشير بن سعد
٣٧	بشير بن عمرو الأنصاري
٣٨	بشير ابن الخصاصية الوائلي
٤١	بشير بن عمرو الأنصاري
٤٤	بعجة بن عبدالله الجهني

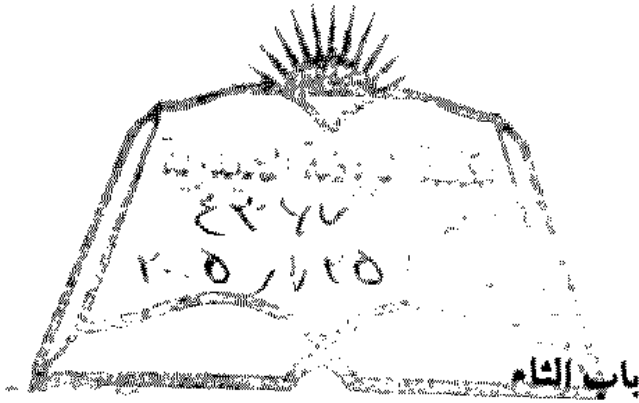
### باب التاء

٤٥	تمام بن العباس بن عبدالمطلب
----	-----------------------------

٤٦

٥٢

٥٣



تميم بن حذلم الناجي  
تميم بن عمرو الأنصاري  
تميم بن مشيخ

٥٤

٥٤

٥٤

٥٤

٥٥

ثابت البناني  
ثابت بن الحجاج  
ثابت بن سعد  
ثابت بن عبيد الأنصاري  
ثابت بن قيس بن الخطيم

### باب الجيم

٦٤

٨٩

٩٨

١٤٣

١٦٢

١٨٥

١٩١

١٩٨

٢٠٧

٢٠٩

جابر بن عبدالله الأنصاري  
مع أحاديث جابر  
جارية بن قدامة السعدي  
جرير بن عبدالله البجلي  
جمعة بن هبيرة المخزومي  
جندب بن عبدالله الأزدي  
من روايات جندب بن عبدالله  
جندب بن زهير الغامدي  
جندب بن عفيف الأزدي  
جندب بن كعب الأزدي

### الحاء

٢١٥

حجر بن عدي الكندي





إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي حَسْبٍ

● فَمِ الْمَقَدِّمَةُ ●